



ذاكرة الكتابة

159

تاريخ المساجد الأثرية

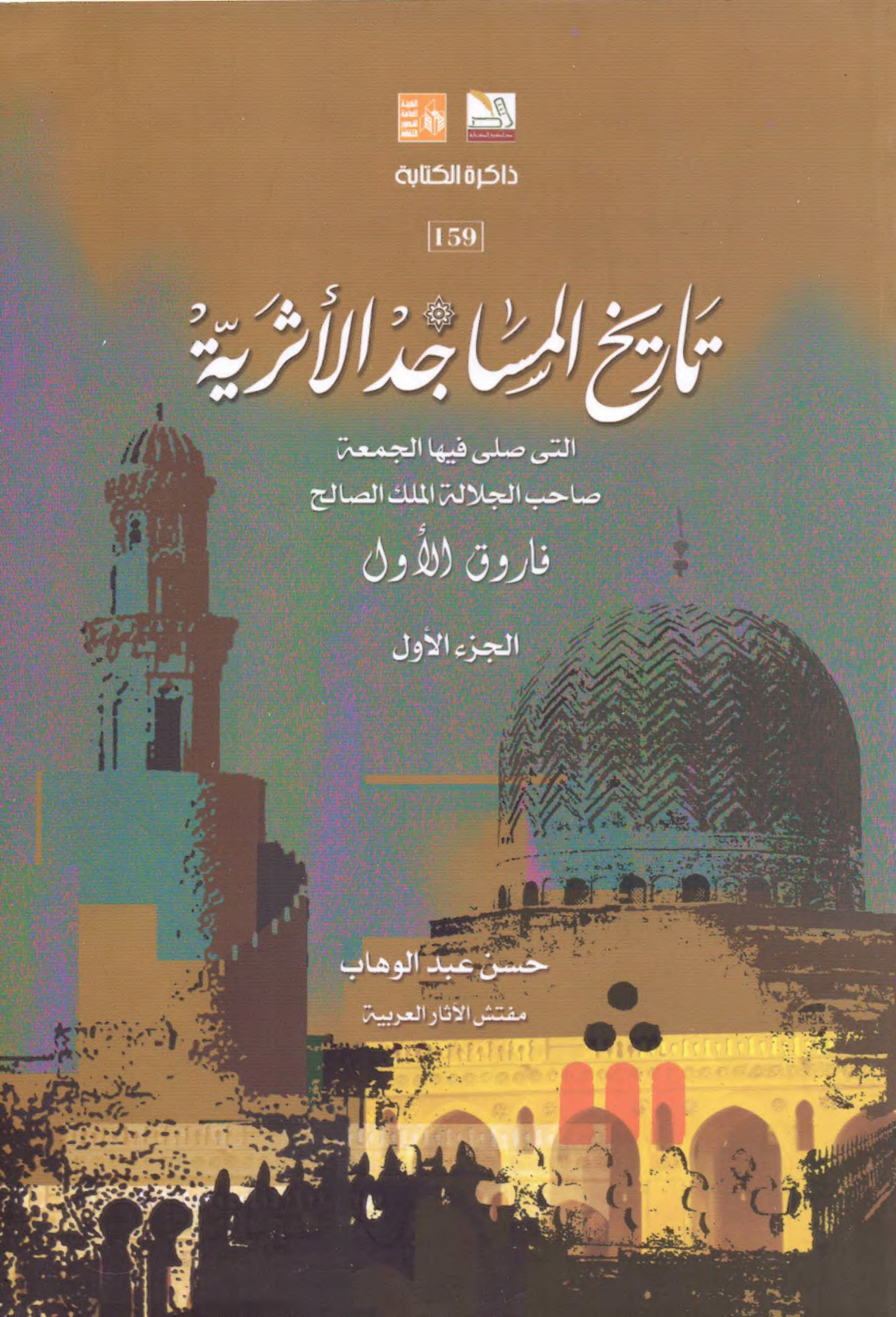
التي صلى فيها الجمعة
صاحب الجلالة الملك الصالح

فاروق الأول

الجزء الأول

حسن عبد الوهاب

مفتش الآثار العربية



كل ما هو عال و رفيع فى تجارب العمارة الإنسانية، إنما جاء
به السياق النابع من صروح الأهرام و المسلات و المعابد
المصرية، من هنا جاءت عمارة و هندسة المساجد، ليس فى
مصر فحسب بل و فى العالم أجمع .



www.gocp.gov.eg

الشمس : ~~مكتبة~~ مكتبة

تصميم الغلاف : فكري يونس

تاريخ المساجد الأثرية

التي صلى فيها فريضة الجمعة حضرة صاحب الجلالة الملك الصالح
فاروق الأول

تأليف

حسن عبد الوهاب

مفتش الآثار العربية

الجزء الأول

وزارة الثقافة



تعنى بنشر أبرز الأعمال الفكرية والأدبية
والنقدية التي طبعت في بدايات القرن العشرين

• هيئة التحرير •

رئيس التحرير
عبد العزيز جمال الدين
مدير التحرير
طارق هاشم

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن توجه الهيئة
بل تعبر عن رأي وتوجه المؤلف في المقام الأول.

• حقوق النشر والطباعة محفوظة للهيئة العامة لقصور الثقافة.
• يحظر إعادة النشر أو النسخ أو الاقتباس بأية صورة إلا بإذن
كتابي من الهيئة العامة لقصور الثقافة، أو بالإشارة إلى المصدر.

ذاكرة الكفاية

تصدرها
الهيئة العامة لقصور الثقافة

رئيس مجلس الإدارة
سعد عبد الرحمن
أمين عام النشر
محمد أبوالمجد
مدير عام النشر
ابتهاال العسلى
الإشراف الفنى
د. خالد سرور

• تاريخ المساجد الأثرية
• تأليف: حسن عبد الوهاب
• هذه الطبعة
الهيئة العامة لقصور الثقافة
القاهرة - 2014م
• تصميم الغلاف

فكرى بولس

• رقم الإيداع: ٢٠١٤ / ٢٥١٧
• الترميز الدولي: 978-977-718-617-9
• المراسلات:

باسم / مدير التحرير
على العنوان التالي: ١٥ شارع أمين
سامى - القصر العيسى
القاهرة - رقم بريدى ١١٥٦١
ت 7947891 (داخلى ١٥٠)

• الطباعة والتنفيذ:
شركة الأمل للطباعة والنشر
ت 23904096

تاريخ المساجد الأثرية

التي صلى فيها فريضة الجمعة حضرة صاحب الجلالة الملك الصالح
فاروق الأول

تقديم

كل ما هو عال ورفيع فى تجارب العمارة الإنسانية إنما جاء به السياق نابعاً من صروح الأهرام والمسلات والمعابد المصرية التى أسسها المصريون على ضفاف النيل، من هنا جاءت عمارة وهندسة المساجد ليس فى مصر فحسب بل وفى العالم أجمع وتطورت عنها المساجد الأندلسية والهندية، فالإسلام لم يقرر نموذجاً معمارياً لبناء المساجد أو المنازل أو القصور أو تخطيط المدن. فقد كان مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام فى المدينة مؤلفاً من قسمين قسم مغطى أطلق عليه فيما بعد اسم الحرم، وقسم مكشوف أطلق عليه الصحن، ولم يكن له مئذنة أو قبة أو محراب فهذه التوابع اللازمة لأداء فريضة الصلاة أصبحت عناصر أساسية فى تكوين عمارة المسجد فيما بعد، والتى طبقت عمارة المساجد فى كل بلدان العالم مع بعض الملامح التى لا تمس جوهر عمارة المسجد المصرى، ولعل جامع عمرو بن العاص بمصر عتيقة هو أول جامع تأسس فى مصر وتم تطوير عمارته ليصبح نموذجاً يحتذى فى غيره من المساجد، كذلك كان جامع الأزهر وجامعته أشهر جامع خرجت منه أروع صيغة للمقرنة فى العالم ومنها عرفت أعجب وأشهر القراءات التى نبعت من التراث الغنائى المصرى.

عبد العزيز جمال الدين

حول تاريخ المساجد الأثرية للدكتور حسن عبد الوهاب

بعد صدور كتاب (مصر والسودان تاريخ وحدة وادى النيل السياسية فى القرن التاسع عشر) للأستاذ المؤرخ (محمد فؤاد شكرى) فى العدد الأخير من سلسلة (ذاكرة الكتابة)، اكتشفت عزيزى القارئ أننا قد قدمنا فى السلسلة (السياسى) و(التاريخى) و(الأدبى)، وبقيت زاوية الفنون ناقصة ولا تجد ما يعبر عنها فى مسيرة السلسلة، لذا كان ضرورياً أن يقع اختيارنا على كتاب يعد درة من درر الفنون الإسلامية، ألا وهو كتاب (تاريخ المساجد الأثرية) لكبير مؤرخى العمارة الإسلامية الدكتور (حسن عبد الوهاب) الذى يغطى بكتابه ناحية مهمة من نواحي الفن الإسلامى، فكتابه (تاريخ المساجد الأثرية) والذى سبق كتب كثيرة فى هذا المجال، حيث كان الأول فى الأهمية العلمية والتاريخية من حيث أنه الأسبق، فقد تلتته كتب أخرى لا تقل أهمية عنه، صدر الكتاب فى المرة الأولى فى العام ١٩٤٦ عن دار الكتب المصرية، ثم تلاه كتاب (مساجد مصر) الذى طبعته هيئة المساحة لحساب (وزارة الأوقاف) وهو من الكتب الشديدة الأهمية والندرة معاً (صدر فى العام ١٩٤٨) أى بعد كتاب أستاذنا الجليل الدكتور (حسن عبد الوهاب) الذى يعد من أهم علماء الآثار الإسلامية، وأحد أقطاب الفنون الإسلامية، هذا بخلاف كتاب الدكتورة سعاد ماهر (مساجد مصر وأولياؤها الصالحين).

ولد الدكتور (حسن عبد الوهاب) فى ٣١ أغسطس من العام ١٨٩٨ بالقرب من حى مصر القديمة، وهو حى كثر فيه الدور المميزة بمشربياتها ونوافذها التى تحمل طاقات زخرفية شديدة الدقة والحضور الفنى، و(حسن عبد الوهاب) قد تربى فى أسرة من الأسر الدينية المتحضرة، فأبوه كان عالماً من علماء الأزهر الشريف، كما كان جده من أعلام القراءات ورسم المصحف، وكان أستاذه العلامة الجليل (أحمد باشا تيمور) وفى صغره حفظ (حسن عبد الوهاب) القرآن وعلوم الدين فى أروقة الأزهر الشريف، ثم التحق بما يعرف بتجهيزية دار العلوم، ثم التحق بعد ذلك بخدمة لجنة الآثار العربية، وذلك فى عهد

السلطان حسين كامل، كذلك عمل (حسن عبد الوهاب) مع العالم السويسرى هرتس بك
والمصرى محمد باشا أحمد أول من تولى الآثار العربية من المصريين، إضافة إلى أنه قد
عمل مع العالم الفرنسى (جاستون فيت) صاحب الكتاب الشهير (القاهرة مدينة الفن
والتجارة)، وقد كان لهؤلاء العلماء دوراً كبيراً فى ترميم كثير من مساجد مصر الإسلامية
ومدارسها ومشاهدها، على أسس علمية وفنية حتى منتصف الأربعينيات، وكانت مصر
حينذاك تزخر بأجيال الصناع من الفنيين فى الرخام والخشب والحجارة والنحاس
والمزخرفين، وبين أيديهم اشتغل الدكتور (حسن عبد الوهاب) مفتشاً للآثار الإسلامية حتى
أحيل إلى المعاش فى العام ١٩٥٨، ساعد الدكتور (حسن عبد الوهاب) فى تميزه بين علماء
الآثار كونه كان مصوراً فوتوغرافياً موهوباً زاول مهنة التصوير الفوتوغرافى، وذلك منذ
بدأ اشتغاله بالآثار على الرغم من بدائية آلات التصوير آنذاك (أوائل القرن العشرين)
ولـ(حسن عبد الوهاب) بحوث علمية مهمة تتناول حياة الصناع ونظم العصور الإسلامية،
وتخطيط المدن، وجاء كتابه الذى بين أيدينا (تاريخ المساجد الأثرية) ليصبح متحفاً فنياً
مهماً، حيث جاء الكتاب فى جزأين، الأول جاء للدراسة العلمية والتحليل الفنى المعماري،
وكان الجزء الثانى سجلاً حافلاً بلقطات دقيقة للعمارة الإسلامية ممثلة فى مساجد مصر
الأثرية، إضافة إلى الكثير من التفاصيل المعمارية التى تساعد على رصد دقائق العمل
الهندسى، لقد اختار الدكتور (حسن عبد الوهاب) فى كتابه أكبر المساجد وأشهرها
إضافة إلى نموذج (الدرسة) و(الخانقاه) لنصبح أمام كتاب يرصد بالدليل التنوع المبهر
فى العمارة الإسلامية بمصر ونتعرف من خلال كتاب (تاريخ المساجد الأثرية) على تاريخ
منشأ المسجد وتحقيق تاريخ إنشائه ووصفه، إضافة إلى الأدوار التى مر بها من زيادة
وتعمير، وللدكتور (حسن عبد الوهاب) العديد من الاكتشافات المهمة فى الآثار الإسلامية
منها، كشف محراب المعز لدين الله بالجامع الأزهر، إضافة إلى اكتشاف تابوت المشهد
الحسينى، والكشف عن سيفسقاء قبة الصالح نجم الدين أيوب، بالإضافة إلى اكتشاف
العديد من التحف الفنية والمصاحف الشريفة المحفوظة بالمتاحف المصرية، كذلك اكتشف
اسم مهندس مدرسة السلطان حسن، شارك الراحل الدكتور (حسن عبد الوهاب) فى
العديد من المؤتمرات العلمية والدولية.

كما شارك فى عضوية العديد من المجالس العلمية واللجان منها (عضو المجلس الأعلى

للآثار - حضور المجمع العلمى المصرى، عضو لجنة إحياء التراث بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، عضو اللجنة التاريخية المصرية، عضو لجنة المتحف البحرى) وللراحل العظيم مؤلفات مهمة فى العمارة الإسلامية بالعربية والإنجليزية والفرنسية، ومنها (رمضان - تخطيط القاهرة وتنظيمها منذ نشأتها - العمارة فى عصر محمد على - تاريخ الشرطة فى العصر الإسلامى) إضافة إلى كتابه الهام (جامع السلطان حسن وما حوله) حصل الدكتور (حسن عبد الوهاب) على جائزة الدولة التقديرية فى العام ١٩٦٨، وذلك للأسف بعد رحيله بعام، حيث رحل عن عالمنا فى العام ١٩٦٧ تاركاً روحه فى كل ما كتبه وفى ظل اكتشافاته عاش اسمه يليق به وبمصر ومكانتها بين حضارات العالم.

طارق هاشم



حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك الصالح

قارون الأول ملك مصر

مولاي

إلى مقامك السامي أُنشرف بأن أرفع قاريخ مجموعة من المساجد الأثرية
في عاصمة ملكك السعيد، كان من حسن طالعها إشراف نور طلعك عليها،
بأرأفك فريضة الجمعة فيها.

ومد بشاري لمن أن يزدهر المساجد ويعمر في عهدك السعيد (إنما يعمر
مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر)

ولقد عم فضلك يا مولاي نواحي الحياة جميعها، وانتفع بإرشادك وحسن
ترجيحك العالم والصانع والفنان، وسرت على نهج من خلد التاريخ ذكرهم
في نشر العلوم والفنون، فشجعت العلماء والمؤلفين، وأضفت إلى تراث مصر
ثروة علمية وفنية تظهر بفضلك ورعايتك. وكان لتاريخ مصر وآثارها
أوفر نصيب.

وإن الرعاية التي تشمل بها عاياك المخلصين، وما جنته فيهم من روح التنشيط
قد بعثت فيهم الرقة وقوة العزيمة.
وإنها ليثمة كبرى يا مولاي أن يوفقني الله لإخراج لهذا الشفيع مسئولاً
برعايتك وعنايتك.

ومت يا مولاي نصيراً للعلوم وعماداً للفنون.

العبد الخاضع المخلص

حسن عبدالوهاب

سبحان الله العظيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه
أجمعين .

وبعد ، فقد آستن الملك الصالح "فاروق الأول" سنة حسنة بأدائه فريضة
الجمعة في مساجد متفرقة ، في أنحاء عاصمة ملكه السعيد ، فكان خير قدوة في أداء
الفريضة ، وكانت خير فرصة لشعبه الوفى في اجتلاء طلعتة المشرقة .

وقد خصّ جلالته المساجد الأثرية بعنايته ، فأولاها النصيب الأوفر من اختياره .
وكان هذا من أكبر الأسباب لإصلاحها وإعدادها ، إذ تفضل - رعاه الله -
فأمر بإصلاح الكثير منها .

وهذه المجموعة من المساجد حوت أهمها وأكبرها ، وجمعت بين المسجد
الجامع ، والمدرسة ، والخانقاه . وتنوّعت فيها العمارة الإسلامية في عصورها
المختلفة بمصر تنوّعا يساعد الباحث على الوقوف على تطوّر تصميماتها ، وزخارفها ،
وتفاصيلها المعمارية .

وقد تفضل مولاي - حفظه الله ورعاه - فأضاف إلى عنايته بتعميرها
فضل نشر تاريخها .

وإنها لنعمة كبرى أولانيها وغمرني بها ، أن هيا لي نشر تاريخها ، متوجا باسمه
الكريم ، ومزودا بالرسوم والصور الفوتوغرافية التي تساعد على اجتلاء محاسنها ، وتبج
رقبها وتطورها .

وقد تناولت في هذا الكتاب تاريخ منشئ المسجد، وتحقيق تاريخ إنشائه ووصفه،
والأدوار التي مرت به من زيادات وتعمير، مع شرح المميزات الفنية لكل منها،
والتعريف بمواطن الجمال فيها .

وسيرى القارئ فيما يقرأه من هذه المجموعة الأثر العظيم الذي للبيت العلويّ
الكريم في تعمير المساجد وإصلاحها ، إذ ما من مسجد إلا ناله من هذا البيت
إصلاح وتدعيم ، حتى أصبحت في عهد "الفاروق" نخر الآثار الإسلامية
وعنوان مجدها .

حفظ الله الملك المفدى، وأعزّه به الإسلام، وأعلى به منار الدين ٤

حسب الوهاب

مُحْتَوَيَاتُ الْكِتَابِ

صفحة	صفحة
١٨٨ مدرسة آلهى اليوسفى	٧ المقدمة :
١٩٢ » وخاتمه الفاهر يروق...	١١ تمهيد :
١٩٨ مسجد الإمام الليث	١١ نشأة المساجد
٢٠٢ المدرسة الباسطية	أثر الدول الإسلامية التي حكمت مصر في العمارة
٢٠٧ مسجد المؤيد شيخ	الإسلامية
٢١٥ المدرسة الفخرية (مسجد البنات)	جامع عمرو بن العاص
٢١٨ مسجد جاني بك الأشرفى	الجامع الطولونى
٢٢١ مدرسة الأشرف برسباى بالأشرفية	» الأزهر
٢٢٥ خاتمه الأشرف برسباى بالقرافة الشرقية	» العتيق بإسنا
٢٢٩ مسجد الأشرف برسباى بالمانكاه	مسجد المطارين
٢٣٤ » زين الدين يحيى بشارع الأزهر	الجامع الأقمر
٢٣٨ » » » ييولاق	» الأنقر (المعروف بالقاهكاهى)
٢٤١ » » » بالحباينة	المشهد الحسينى
٢٤٣ » عمرين القارض	مشهد زيد بن زين العابدين
٢٤٧ » فاطمة شقرا	جامع الصالح طلائع بن رزيك
٢٥٠ مدرسة قايتباى بالقرافة الشرقية	قبة ومسجد الإمام الشافعى
٢٥٨ قبة يشبك من مهدى بكوبرى القبة	مدرسة وقبة قلاوون
٢٦١ مدرسة بقماس الإسماعلى	الخاتمه الجاولية
٢٦٧ مسجد سلطان شاه	خاتمه بيمرس الجاشنكير
٢٦٩ قبة القداوية	مسجد ألماس الحاجب
٢٧٣ مسجد قايتباى بالروضة	جامع قوصون
٢٧٦ » أبى العلا	» بشناك
٢٨١ » قانى باى الرماح	مسجد العنقا الماردانى
٢٨٦ » الفورى	جامع آق سقر (إبراهيم أغا)
٢٩٥ » المحمودية	» الأمير شيخو الناصرى
٢٩٩ » الشعراوى	مدرسة صرغتمش
	» السلطان حسن
	» أم السلطان شعبان

محتويات الكتاب

صفحة		صفحة	
٣٥٧	مسجد حسن باشا طاهر	٣٠٢	مسجد سنان باشا
٣٦٠	> سليمان أغا السلحدار	٣٠٦	> الملكة صفية
٣٦٣	> الرقاى	٣١٢	> يوسف الحين
٣٧٢	> الفتح المكنى (عابدين)	٣١٥	> عقبة بن عامر
٣٧٦	> محمد علي باشا الكبير	٣١٨	المدرسة الفارانية
٣٨٩	كلمة شكر	٣٢٠	مسجد ذوالفقار
٣٩١	المراجع العربية	٣٢٣	> عثمان كنعدا
٣٩٩	المراجع الأفرنجية	٣٢٧	> عبد الباقي جوريجى
٤٠٠	فهرس الموضوعات	٣٣١	> النبي دانيال
٤٠٦	فهرس اللوحات بالجزء الأول	٣٤٢	> كريم الدين الخلق
٤٠٩	فهرس الأعلام	٣٤٤	> السيدة عائشة
٤٢١	فهرس الأماكن	٣٤٨	> اليسوى
		٣٥١	> محمد بك أبى الذهب

نشأة المساجد

المسجد والجامع

المسجد — الموضع الذى يُسجد فيه . قال الزجاج : كل موضع يُتَعَبَد فيه فهو مسجد .
ألا ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « جُعِلَتْ لى الأرض مسجداً وطهوراً » .
وقال عز وجل : (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ) المعنى على هذا المذهب :
من أظلم ممن خالف قبلة الإسلام .

الجامع — نعت للمسجد ، وإنما نعت بذلك لأنه علامة الاجتماع . وما كانوا فى الصدر
الأول يفردون كلمة « الجامع » ، وإنما كانوا تارة يقتصرون على كلمة المسجد ، وطورا يصفونها
فيعولون المسجد الجامع ، وآونة يضيفونها الى الصفة فيقولون مسجد الجامع . ثم تجوز الناس بعد
واقتصروا على الصفة فقالوا للمسجد الكبير ولذى تصلى فيه الجمعة وإن كان صغيرا الجامع ، لأنه يجمع
الناس لوقت معلوم ^(١) .

• وأول مسجد بنى فى الإسلام هو مسجد قباء الذى يقال له مسجد التقوى ، لقوله تعالى فيه :
(لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ) .

وروى أبو سعيد الخدرى أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن المسجد الذى أسس على
التقوى فقال : هو مسجدى (أى مسجد المدينة) . وهذا لا يعارض الأول ، إذ كل منهما أسس
على التقوى ، غير أن قوله سبحانه : من أول يوم يقتضى أن يكون مسجد قباء ، لأن تأسيسه كان من
أول يوم حلول الرسول صلى الله عليه وسلم دار هجرته . ويرى الحافظ ابن حجر أن السر فى جوابه
صلى الله عليه وسلم دفع توهم أن ذلك مقصور على مسجد قباء ^(٢) .

ولما افتتح عمر بن الخطاب البلدان كتب الى أبى موسى الأشعرى وهو على البصرة يأمره
أن يتخذ مسجدا للجماعة ، ويتخذ للقبائل مساجد ، فإذا كان يوم الجمعة انضموا الى مسجد الجماعة ،
وكتب الى سعد بن أبى وقاص وهو على الكوفة بمثل ذلك ، وكتب الى عمرو بن العاص وهو على
مصر بمثل ذلك أيضا ، وكتب الى أمراء أجناد الشام ألا يتبددوا الى القرى ، وأن يزلوا المدائن ،

(١) القرزى ج ٢ ص ٤٠٨ ، تاريخ مساجد بغداد وآثارها ص ٥ - ٦ (٢) وفاة الرجاج ٢ ص ١٦

وأن يتخذوا في كل مدينة مسجدا واحدا ولا تتخذ القبائل مساجد . فكان الناس متمسكين بأمر عمر وعهده . وكانت صلاة الجمعة تؤدى في المسجد الجامع^(١) .

ظلت صلاة الجمعة تؤدى في جامع عمرو بالفسطاط باعتباره أول جامع أنشئ فيها، الى أن قدم صالح بن علي بن عبد الله بن عباس من العراق في طلب مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية سنة ١٣٣هـ (٧٥٠م) فقتل بمسكرو في شمالى الفسطاط وبني هناك الأبنية، فسمى هذا الموضع بالعسكر. ثم أقيمت صلاة الجمعة في مسجد بناه الفضل بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس سنة ١٦٩هـ (٧٨٥م) عرف بجامع العسكر .

استمرت الخطبة^(٢) تقام في هذين المسجدين حتى بنى أحمد بن طولون مسجده في سنة ٢٦٥هـ (٨٧٨م) فأبطل صلاة الجمعة من جامع العسكر، وظلت تقام بجامعه وجامع عمرو، الى أن قدم جوهر القائد وبني الجامع الأزهر سنة ٣٦١هـ (٩٧١م) فكانت الجمعة تقام في جامع عمرو بن العاص وجامع ابن طولون والجامع الأزهر .

وفي سنة ٣٦٦هـ (٩٧٦م) أنشأت السيدة تغريد أم الخليفة الفاطمى العزيز بالله جامع القرافة المعروف بجامع الأولياء . ثم أنشأ العزيز بالله جامع بباب الفتوح في سنة ٣٨٠هـ (٩٩٠م) وأقام الجمعة فيه في سنة ٣٨١هـ (٩٩١م) وأتمه أبنه الحاكم بأمر الله وصلى فيه الجمعة في شهر رمضان سنة ٤٠٣هـ (١٠١٣م) كما أنشأ الحاكم جامعى المقس وراشدة ؛ فكانت الجمعة تقام في هذه الجوامع كلها الى أن انتهت الدولة الفاطمية سنة ٥٦٧هـ (١١٧١م) وأبطلت الخطبة من الجامع الأزهر واستمرت فيما عداه . وهذا هو السر في كبر مساحة هذه المساجد، فقد أعدت لتجمع عددا كبيرا بل أمة مجموعة . ثم كثرت إنشاء المساجد والمدارس في أنحاء مصر والقاهرة وتعددت الخطبة .

نشأة المدارس بمصر — كانت مصر في القرون الخمسة الأولى للعصر الإسلامى مركزا للعلوم ومقصدا للطلاب، وكانت مساجد : عمرو وابن طولون والأزهر والحاكم ودار الحكمة حاضرة بالدراسات المختلفة .

ومع أن الفاطميين حينما استولوا على مصر دعوا فيها لمذهب الشيعة وولوا فقهاءهم مناصب القضاء لم يستطيعوا التغلب على المذاهب السنية والتمسك بها .

ولما قامت الدولة الأيوبية قضى سلاطينها — وكانوا شافعية — على التشيع وأنشئوا المدارس لفقهاء الشافعية والمالكية .

وقد شاركت الإسكندرية القاهرة في نهوضها العلمى والثقافى فى تلك الحقبة، إلا أن لها فضل سبق فى إنشاء المدارس لمذاهب السنية . ففى سنة ٥٣٢ هـ (١١٣٧ م) - والدولة الفاطمية قائمة - أنشأ الوزير رضوان بن الوحشى وزير الخليفة الحافظ لدين الله مدرسة بالإسكندرية^(١)، كما أنشأ العادل أبو الحسن على بن السلار وزير الخليفة الفاطمى الظافر، المتوفى سنة ٥٤٨ هـ (١١٥٣ م) بالإسكندرية مدرسة أخرى، وكان شافعى المذهب .

وكان لملك مصر صلاح الدين يوسف الأيوبي أكبر الفضل فى إنشاء المدارس وأنتشارها فى أنحاء مصر، فإنه عمل جاهدا على القضاء على مذهب الشيعة وإنعاش مذاهب أهل السنة ببناء المدارس لفقهاءها، وبغير ذلك من الوسائل . وكان لمذهب الشافعى الحظ الأكبر من عنايته فخص به القضاء لكونه مذهب الدولة .

وأول مدرسة له بمصر هى المدرسة الناصرية بجوار جامع عمرو بن العاص ، أنشأها سنة ٥٦٦ هـ (١١٧٠ م) . وفى السنة نفسها أنشأ المدرسة القمحجية بجوار جامع عمرو أيضا، الأولى برسم الفقهاء الشافعية ، والأخرى برسم الفقهاء المالكية، وكان وقتئذ وزيرا للخليفة العاضد^(٢) .

وعند ما أصبح سلطانا لمصر أمر فى سنة ٥٧٢ هـ (١١٧٧ م) بإنشاء المدرسة الصلاحية بجوار قبر الإمام الشافعى، كما أمر بإنشاء مدرسة بجوار المشهد الحسينى .

وفى سنة ٥٧٢ هـ (١١٧٧ م) أمر بإنشاء المدرسة السيوفية برسم فقهاء الحنفية ، وهى أول مدرسة وقفت عليهم^(٣)، كما أنشأ فى الإسكندرية مدرسة وبمارستانا ودارا للغاربة فى سنة ٥٧٧ هـ (١١٨١ م)^(٤) .

ثم اقتدى به أولاده وأمرأؤه فى بناء المدارس فى مصر والقاهرة وغيرها من بلاد القطر، وحذا حذوهم من ملك مصر بعدهم .

وفى الوقت الذى أعدت فيه المدرسة لتؤدى فيها الشعائر الدينية ، أعدت أيضا لتكون مراكر ثقافية، فقد عُنى بها وأغذقت على أساتذتها وطلبتها الخيرات، كما عنى بصحتهم، وكان لها أكبر الأثر فى النهضة العلمية بمصر .

(١) ابن ميسر، ص ٨٣ (٢) ابن خلكان ج ١ ص ٥٢٧ ، الروضتين ج ١ ص ٩١ (٣) القرىزى ج ٢ ص ٣٦٣ ، ابن خلكان ج ٢ ص ٦٠٠ (٤) المدرسة السيوفية حل محلها الآن مسجد المظفر .
(٥) القرىزى ج ٢ ص ٣٦٦ (٦) السلوك لمعرفة دول الملوك ج ١ قسم ١ ص ٧٦

وتصميم المسجد الجامع أربعة إيوانات مسقوفة في الغالب ، ومحمولة عقودها على عمد رخامية أكبرها إيوان المحراب ، الذى يشتمل على عدة أروقة ؛ ويتوسط الإيوانات صحن مكشوف متوسطه قبة تحتها فسقية — وإلى أن ظهرت المدرسة كان المسجد لا يلحق به مدفن لا للنشئ ولا لغيره — .

أما تصميم المدرسة فيشتمل على إيوانين ، أو أربعة إيوانات معقودة متقابلة تكون شكلا متعامدا ، أكبرها إيوان المحراب ، وأصغرهما الإيوانان الجانبيان ، ويتوسطها غالبا صحن مكشوف به قبة الفسقية ، ويلحق بها عادة مدفن للنشئ وسبيل يعلوه كُتَّاب^(١) ومساكن للطلبة ؛ ولما صغر حجمها غطى الصحن وأستغنى عن الفسقية وعن قبتها .

ومع ذلك وجدت مدارس اشتملت على إيوانين معقودين ، وآخرين مسقوفين ذات عمد وعقود ، أو إيوانين معقودين شرق وغرب ، وآخرين صغيرين تكتنفهما حجرات .

وفي القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) غلب تصميم المدرسة على المسجد ، فأنشئ على منالها الكثير من المساجد ، بصرف النظر عن كونه خصص لدراسة مذهب أو لا . وكان يكتب عليها تارة مدرسة ، وأخرى مسجد ، مما يعزز القول بأن هذه الأسماء ترجع الى وظيفة البناء لا الى البناء نفسه ، وكان مدلولها الغرض الذى أقيم من أجله لا طراز بنائه .

على أن تصميم المسجد ظل سائرا جنبا الى جنب مع المدرسة ، وزيد على المسجد إلحاق السبيل والكُتَّاب به ، ومدفن للنشئ أحيانا .

وإذا كان تصميم المدرسة قد أخذ في التلاشي في العصر العثمانى فإن تصميم المسجد ظل قائما في مصر والأقاليم حتى الآن .

(١) يؤرخ عن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب أنه أول من بنى دارا للحدِيث ، وشاد في كثير من بلاده مكاتب للآيتام ، وقرطلم ولعلمهم مرتبات وافرة .

أثر الدول الإسلامية التي حكمت مصر في العمارة الإسلامية

أول من حكم مصر من أمراء المسلمين فاتحها عمرو بن العاص الذي ولى عليها من قبل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب . ثم تقلب عليها الولاة من قبل الخلفاء الراشدين ومن بعدهم من الخلفاء الأمويين والعباسيين ، وذلك من سنة ٢٠ هـ (٦٤٠ م) الى سنة ٢٥٤ هـ (٨٦٨ م) .

ولم يبق من عصر الخلفاء الراشدين سوى جامع عمرو ، وقد جدد وأصبح يمثل عذة عصور ، ومدينة الفسطاط وهذه رغم تمثيلها لعصور مختلفة لم يبق منها سوى أطلالها .

أما الدولة العباسية فقد بقي منها مقياس النيل يميز الروضة الذي أمر بإنشائه الخليفة المتوكل على الله سنة ٢٤٥ - ٢٤٧ هـ (٨٥٩ - ٨٦١ م) .

الدولة الطولونية — سنة ٢٥٤ - ٢٩٢ هـ (٨٦٨ - ٩٠٤ م) .

استقلت هذه الدولة بحكم مصر بفضل مؤسسها أحمد بن طولون . وفي أيامها أدخلت الى مصر أساليب العمارة والزخارف العراقية . وأنشأ أحمد بن طولون مدينة القطائع وقصره الكبير والميدان . وأنشأ المسجد ودار الإمارة والبيارستان وقناطر المياه . وعنى بصيانة كثير من الآثار التي كانت موجودة في عصره مثل المقياس ومنتار الإسكندرية .

وعنى ابنه نهارويه بالقصر الذي أنشأه والده وبمدينته ، فحول الميدان وجعله كله بستانا زرع فيه أنواع الرياحين ، وكسا أجسام النخل نحاسا مذهبا متقن الصنعة ، وجعل بين النحاس وأجسام النخل مزاريب الرصاص كي تخرج منها المياه فتتحدروا الى الفساق ، وغرس فيه ريحانا بنقوش موضوعة ونصوص مكتوبة يتعهدا البستاني بالمقراض . وبني فيه برجاً من خشب الساج المنقوش ووضع فيه الطيور المغردة ، كما أطلق فيه الطيور العجيبة كالطواويس وغيرها . ثم أضاف إلى القصر

(١) القطائع حددها المغفور له محمد بك رمزي بأن حددها البحرى يبدأ من جامع سنجر الجاولي بشارع مراسيه ثم يسير الى الشرق في شوارع الخفسري ، الصليية وشيخو ، ثم ميدان محمد على الى باب العزب ، والحد الشرقي سور القلعة من باب العزب ، ثم يسير الى الجنوب بجوار خط عرب آل اليسار الى أن ينتهي عند جامع النوري هناك ، والحد القبلي يبدأ من جامع النوري المذكور الى باب القرافة ، ثم الى باب السيدة قنيسة ، ثم يسير الى الغرب حيث ينتهي الى جامع زين العابدين قسم السيدة ، والحد الغربي يبدأ من جامع زين العابدين وينتهي الى جامع سنجر الجاولي .

جناحا جديدا سماه بيت الذهب طلى جدرانها كلها بالذهب والألوان ، ونقش فيه صورته وصور
جواريه ومغنياته بأحسن تصوير ، وأقام وسط هذا الجناح بركة من الزئبق .

وأنشأ ميدانا آخر أكبر من ميدان أبيه جعل به حديقة للحيوان جمع بها الأسود والفيلة ، كما تعددت
إصطبلات خيوله . وهكذا نالت مصر قصب السبق في العناية بالحدائق ومنها حدائق الحيوان .

غير أن هذا كله لم يعمر سوى ٣٨ عاما ثم زال بزوال الدولة الطولونية التي لم يبق من منشآتها
سوى أجزاء من قناطر المياه جهة البساتين ، ودارا اكتشفها دار الآثار العربية جهة مسجد أبي السعود .
ثم المسجد الكبير . وكفى بهذا المسجد شاهدا على مبلغ حضارة هذه الدولة وعظمتها الخالدة بما حواه
من فنون عديدة ونقوش جصية اعتبرت أسسنا للزخارف الجصية في مصر . وبما تشعر به ضخامته
من العظمة والفخامة .

الدولة الإخشيدية — سنة ٣٢٤ — ٣٥٨ هـ (٩٣٥ — ٩٦٩ م) .

بعد أن اقترضت الدولة الطولونية عادت مصر ولاية عباسية من سنة ٢٩٢ هـ — ٣٢٢ هـ
(٩٠٤ — ٩٣٤ م) ولم تلبث كثيرا حتى تغلب عليها محمد بن طغج^(١) الإخشيد وصارت مملكة إخشيدية
من سنة ٣٢٤ هـ (٩٣٥ م) إلى سنة ٣٥٨ هـ (٩٦٨ م) .

ومع أنها عمرت زهاء ٣٥ سنة فإن الآثار التي أنشئت في عهدها اندثرت اللهم إلا بقايا مشهد
آل طباطبا وشواهد قبور لوحظ في كثير منها أن الزخارف تحتل كتاباتها وتحيط بها ، مما يؤكد نشأة
الزخرفة في الكتابات الكوفية قبل العصر الفاطمي .

الدولة الفاطمية — سنة ٣٥٨ — ٥٦٧ هـ (٩٦٩ — ١١٧١ م) .

مؤسس هذه الدولة في مصر الخليفة الفاطمي المعز لدين الله ، فهو الذي أرسل قائده جوهررا
الكتاب الصقلي لفتحها والاستيلاء عليها . وكانت مصر غنا يسيرا للدولة الفاطمية ، ولكنها كانت
أسطع جوهره في تاجها وأعظم قطر في تلك الإمبراطورية الشاسعة التي تسيطر عليها .

وفي أيام هذه الدولة أخذت أنوار الحضارة الإسلامية تتبثق من هذه المدينة الزاهية على أرجاء
الأرض ، وأخذ الفن المصري الإسلامي يتألق في جميع نواحيه .

وفي رعاية هذه الدولة وثبت العمارة الإسلامية وثبة قوية حتى قاربت الكمال لأن خلفاءها تباروا
في إنشاء المساجد والحصون والقصور والمناظر والبساتين ، كما تبارت نساؤهم في هذا المضمار الخيري .

(١) طنج : قصير عبد الرحمن . والإخشيد لقب ملوك فرغانة ومناه ملك الملوك .

المعظم . وفي هذا العصر الزاهى انتشر الزخرف في وجهات المساجد وغنى بتصميمها ، فأدخلت عليها أساليب جديدة ، كما أدخلت الى مصر بعض أساليب العمارة من بلاد المغرب ، وانتعش التصوير ونبع المصورون . وترقت ودقت صناعة الجص والأخشاب ، وأنشئت في عهدها مشاهد على القبور المنسوبة إلى أهل البيت ، لها تصميم خاص ، كما امتازت دون غيرها باستعمال المحاريب الخشبية المتنقلة ، وانتشر البناء بالجمر بجانب الطوب . وتمهذت المنارة ، وارتقت القبة ، ونقش داخلها وتطورت من بساطتها إلى تضليع ظاهرها ، وانتقال مقرنصها من حطة إلى حطتين مع تعدد طاقاته .

وكانت أيامهم كلها أعيادا بما ابتكروه من حفلات جمعت بين جلال الملك وطرب الشعب وبهجته . وكثير من الحفلات والتقاليد الباقية حتى الآن مدين بظهوره إلى هذه الدولة . وهذه الدولة وإن كان الزمن قد اعتدى على أكثر منشآتها العمارية كما أباد التبعث الديني والسياسي منشآتها المدنية التي أهمها القصران والمناظر . إلا أنهما أبقيا على بعض منشآتها الدينية والكثير من طرفها الأثرية .

وجولة بين الآثار الدينية والحصون الباقية من عصرهم ، وزيارة لدار الآثار العربية لمشاهدة طرف هذا العصر في شتى الفنون تجعلنا نوقن بما كتبه المؤرخون وشادوا به من ثراء هذه الدولة التي كانت أيام حكمها لمصر مواسم لها وأعيادا .

الدولة الأيوبية — سنة ٥٦٧ - ٦٤٨ هـ (١١٧١ - ١٢٥٠ م) .

انتهت الدولة الفاطمية بعد أن حكمت مصر زهاء قرنين وخلقت وراءها ثروة فنية ضخمة . ولكن أكثر خلفائها لم يكن لهم من الخلافة إلا اسمها ، فلم يأت النصف الأول من القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) إلا كان الأمر والنهي في أيدي وزرائهم ، واستطاع أحدهم أن يخلع الخليفة ، وأن يقضى على بقية الفاطميين . ذلك هو صلاح الدين يوسف بن أيوب خصم الصليبيين وقاهرهم ، والذي أخذ على عاتقه هو وأفراد أسرته أن يقف للفرنج بالمرصاد ، وأن يكون حجر عثرة في سبيل الصليبيين حتى كانت أيامه وأيام خلفائه كلها فتحا وجهادا ضدهم .

وقد ظلت مصر خاضعة للأيوبيين نحو ثمانين عاما ازدهرت فيها العمارة والفنون الإسلامية ولكن مع الأسف قد أبيدت منشآتهم ، وبقي عدد قليل منها غير كامل ، ولكنه مع قلته يعطينا فكرة صريحة عن مقدار ازدهار العمارة والفنون في هذه الدولة .

فى عهدىها أنشئت المدارس للذاهب ، وللمحديث الشريف وتطورت العمارة تطورا ملموسا ، وظهر تخطيط المدرسة وشاع ، كما تطور طراز القبة والمنارة . بل وجد نوع من القباب اقتصر ظهوره على هذه الدولة ، كما اتخذ بعضها من الخشب وكسى بالرخاص .

وشاع الخط النسخى بجانب الخط الكوفى على الآثار ، وازدهرت صناعة الأخشاب والنحاس وبلغت قمة مجدها ، وظهر نوع جديد من السقوف المعروفة بالقصع ، وتقدمت صناعة الجص ، وظهر الزجاج الملون فى الشبايك ، كما ظهرت لازة الثانية الفسفساء المذهبة فى المحاريب ، وشاع استعمال الرخام فيها ، وفتحت الشبايك بأسفل وجهاى المساجد وحليت أعتابها بالنقوش ، وأخذت صناعة الحجر فى الرقى والانتشار ، وعنى تحصين مصر فأنشئت القلعة وأحيطت مصر والقاهرة بسور حجرى . وظهرت الخوانق والرُّبُط ، كما ألحق السبيل والكتّاب وأحواض^(١) شرب الدواب بالمدرسة .

وفى عهد هذه الدولة أيضا ظهرت بعض تأثيرات أندلسية فى صناعة الجص .

دولة المماليك البحريةية — سنة ٦٤٨ — ٧٨٤ هـ (١٢٥٠ — ١٣٨٢ م) .

يحق لنا أن نعت عصر المماليك البحريةية بالعصر الذهبى . وكيف لا يكون عصرا ذهبيا وقد ازدهرت فيه العمارة الإسلامية أيام ازدهار وتنافس فيه الملوك والأمراء فى تشييد المنشآت العمارية الخيرية والمدنية . وإذا كان قد روى أنه فى عهد الوليد بن عبد الملك كان الناس إذا التقوا تساءلوا^(٢) عن البناء والصناع ، فقد كان الحال كذلك فى عصر هذه الدولة التى أنشأ فيها الملك الناصر محمد ابن قلاوون ديوانا للأشغال .

وقد عمرت دولة المماليك البحريةية بمصر زهاء ١٣٦ سنة كانت الحالة فيها هادئة موفقة . كما كانت مصر تنعم فيها برغد ورخاء . وقامت بالحكم فيها أكثر هذه المدة أسرة واحدة توارث الحكم على رأسها المنصور قلاوون . وفى عهد هذه الأسرة ظهرت فى العمارة تأثيرات سورية . كما ظهرت فيها بعض التأثيرات الفارسية والأندلسية . وهذه التأثيرات لم تكن عامة فى جميع العمارات ، بل كانت فى بعضها ، وخاصة فى منشآت المنصور قلاوون وابنه الناصر محمد بن قلاوون .

ولم تلبث العمارة فى هذا العصر أن تمصرت وأخذت طابعا خاصا بها ميزها عن شتى الفنون ، حيث تركزت قواعدها وترقت أبنيتها . وظهر تحسن كبير فى القبة والمنارة وتوعدت أشكالها ، وتهذبت صناعة النجارة والتطعيم فى الخشب ، وظهرت صناعة جديدة وهى تلوين الجص المنقوش

(١) أندم ما عرف من هذه الأحواض ، الحوض الذى كان خلف الجامع الأقر المنشأ سنة ٨٥١٩ هـ (١١٢٥ م) .

(٢) خلافة الوليد بن عبد الملك وسلمان بن عبد الملك من كتاب البيون والحدائق فى أخبار الحقائق ص ١٦

وتفطيته بزجاج رقيق . كما استحدثت تأثيرات أندلسية في صناعة الجص التي بلغت أوجها ، وأخرى فارسية على القباب والمنارات وبعض الزخارف . وظهرت لأول مرة كتابة التاريخ بالأرقام الهندية وتطعيم الخشب بالنحاس ، وارتقت صناعة الزجاج بالمينا ، واتخذت منه مشكاوات لإضاءة المساجد . وشاع إنشاء الخوانق والربط ، وظهرت بواكير الكساء بالقاشاني في قم المنارات ورقاب القباب ، وظهر المنبر الرخامي بجوار المنبر الخشبي ، وازدهرت صناعة الرخام ، ووجدت منه نماذج دقيقة جدا مع الصدف وأخرى مطعمة ، وانتشر إنشاء الحمامات العامة والفنادق والوكالات . واستعمل الحجر في بناء القباب والمنارات ، وارتقى تصميم وجهات المساجد والمدارس ، وانتشر الخط الكوفي المربع ، وانتشرت الأبواب النحاسية مع تنوع أشكالها وتكفيتها بالذهب والفضة ، كما انتشرت الثريات النحاسية وارتقت صناعتها .

الممالك الجراكسة — سنة ٧٨٤ - ٩٢٣ هـ (١٣٨٣ - ١٥١٧ م) .

إذا أطلقنا على عصر العمارة في دولة المماليك البحرية العصر الذهبي ، بغدير بهذا العصر أن يطلق عليه العصر الماسي .

فبعد أن تطورت العمارة في دولة المماليك البحرية وتركزت ، تم تمصيرها في هذه الدولة ، وأخذت زخرفها وأزييت . وتغلب تصميم المدرسة على المسجد وازدادت المنارة رشاقة وجمالا ، كما حفلت القبة من خارجها بنقوش هندسية ، وأخرى موزقة ، وأصبح الغالب في بنائها الحجر بدل الطوب ، أو الطوب والحجر معا ، حتى أصبحت مصر جديدة بأن يطلق عليها مدينة القباب والمنارات ، واضطرد التقدم في صناعة التجارة وأدخل على تطعيمها نوع جديد هو الزرنشان .

وصناعة الرخام ، وإن كانت قد تقدمت تقدما عظيما في عصر المماليك البحرية ، فإنها ظلت على تقدمها وتخطى جمالها من الزينات إلى الأرضيات . وكذلك ارتقت صناعة التجارة في السقوف ، وتطورت المقرنصات ونقشت ، وشاع الزخرف في الوجهات وفي صنيج العقود الداخلية ، وصغر حجم المدرسة دون أن تفقد شيئا من مميزات الكثير . وغطيت صحنوها بسقوف جميلة ، وانتشرت المحاريب الحجرية ونقشت وطعمت بالرخام .

وامتاز هذا العصر أيضا بمميزات عمارة مثل تعدد المنارات والقباب في مسجد واحد . وجعل السبيل والكتاب وحدة عمارية . وكثر إنشاء الأحواض لشرب الدواب .

(١) من هذا النوع نموذج وحيد في محراب قبة رباط أحمد بن سليمان بجارة حلوات المنشأ سنة ٦٩٠ هـ (١٢٩١ م) .

ومع تقدّم التفاصيل العمارة فقد تأخرت الزخارف الجصية ، ولكنها عوضت بتقدّم بالغ في صناعة الشبايك الجصية والتوفيق في اختيار ألوانها .

الدولة العثمانية — سنة ٩٢٣ - ١٢١٣ هـ (١٥١٧ - ١٧٩٨ م) .

كان لسقوط دولة المماليك الجراكسة ، ودخول مصر في حوزة الدولة العثمانية أثر كبير في تأخر الفنون والعمارة الإسلامية . فما أن تم للسلطان سليم الاستيلاء على مصر سنة ٩٢٣ هـ (١٥١٧ م) حتى جمع مهندسيها وقنايينها وخيرة صناعها من بناءين ونجارين ومرممين وأرسلهم إلى استامبول^(١) . وبذلك قضى على النشاط الفني والصناعي في مصر إلى حد كبير .

وبسبب تولى حكام أتراك نائين عن السلطان في الحكم ، أدخلت على العمارة الإسلامية أساليب تركية جديدة لم تكن مألوفة بمصر . فقد أنشأ سليمان باشا مسجده بالقلعة سنة ٩٣٥ هـ (١٥٢٨ م) على طراز مساجد الآستانة المستنبط من بعض الكائنات البيزنطية ، فهذا المسجد مكوّن من قبة كبيرة مكسوة بالقاشاني ، أمامها محن كبير مكشوف ، تحيط به أروقة ذات قباب صغيرة كسيت بالقاشاني أيضا ، إلا أن تفاصيله من رخام وشبايك جصية ظلت متأثرة بالصناعة المصرية .

وحذا حذوه في التصميم مع اختلاف في التفاصيل مهندس مسجد الملكة صفية سنة ١٠١٩ هـ (١٦١٠ م) . وكان الحال كذلك في مسجد سنان باشا ببولاق سنة ٩٧٩ هـ (١٥٧١ م) ، إلا أنه استعاض عن المحوش المكشوف بأروقة معقودة حول وجهاته الثلاث . ومثله مسجد محمد بك أبي الذهب سنة ١١٨٧ هـ (١٧٧٣ م) مع اختلاف في التفاصيل .

وكذلك وجدت تكايا جاء تصميمها على شكل خاص مثل تكية سليمان باشا بالسروجية ، فهي وإن كانت من الداخل تركية الطراز إلا أن التفاصيل في بابها ووجهاتها مصرية بحتة . أما تكية السلطان محمود وسبيلها فإنها تركية الطراز ، ومثلها سبيل السلطان مصطفى .

ووجدت عدة تصميمات جديدة للمساجد ، فمن مربع تتوسطه أربعة عمد تحمل السقف ، إلى مستطيل أو مربع مكوّن من إيوانين أو رواقين تتوسطهما^(٢) طرقة ، إلى مساجد مثل المساجد الجامعة ذات الصحن المكشوف .

(١) ابن إياس ، ج ٣ ص ١٢٢ ، الكواكب المائرة . (٢) هذا النوع سبق العصر العثماني بمصر فقد وجد بمسجدي الأشرف برسباي بالصحراء المنشأ سنة ٨٣٥ هـ (١٤٣١ م) وجامع البهلوان المنشأ سنة ٨٨٣ هـ (١٤٧٨ م) .

وقد لحق التأخر مواد البناء والصناعة فتأخرت المنارة والقبة وسادتهما البساطة الى حد بعيد، وظهرت قباب هرمية فوق القبور ، وأخرى محولة على عمد رخامية كما تأخرت التجارة وانعدمت الزخارف الجصية وكثير من الفنون .

ومع تأخر هذه الفنون فقد بقيت صناعة الرخام والنقش في السقوف محتفظة بدقتها وجمالها . وكذلك صناعة كسوة الأبواب النحاسية ، وفي كثير منها أبدل بالنحاس الفضة ، ووجدت عناصر جديدة للزخرف ، وهي كسوة الجدران والقباب والمحاريب بالفاشاني ، وانتشر إنشاء الدور ذات المقاعد والفساق والمشربيات الجميلة التي تجمل كثيرا من أحياء القاهرة القديمة ، كما انتشر إنشاء الوكالات وإنشاء السيل والكتاب فوقه .

وفي الوقت الذي نرى فيه هذا التنوع في العمارة وتفصيلها بمصر ودخول عناصر جديدة فيها ، نجد العمارة اتخذت طريقا آخر مكلا لمصر الممالك الجراكسة في بلدان الوجهين البحري والقبلي لايمت بصلة الى الطراز الذي كان سائدا في مصر في ذلك الوقت ، بل ظل يقتبس من طراز دولتي المسالك بشكل مبسط في مواد البناء مع المحافظة عليه وعلى جمال التناسب . وفي بعض هذه البلاد ازدهر البناء بالطوب والفن في نقشه وخاصة في رشيد التي امتازت منازلها بطراز خاص ، كما انتشر الخط الكوفي المربع .

العمارة في عصر محمد علي — كان لنظام الحكم في عصر الولاة العثمانيين والبكوات أسوأ الأثر في حالة مصر الفنية والأدبية والاقتصادية . فاضمحلت الصناعات والفنون والآداب ، وتأخرت الزراعة وقلت الثروة العامة .

ولما جاء المغفور له محمد علي باشا استطاع بحكمته وحسن سياسته أن يبعث في مصر روحا جديدا وينهض بها في سنوات معدودات ، فشقت الترع ، وأصلحت الجسور ، وأنشئت المدارس والمصانع لشتى الصناعات . وكان من أثر رعايته ونهضته هذه أن دبت الحياة في مصر بما استقدمه من الإخصائين الأجانب الذين لم ينتفع بعقريتهم لحسب ، بل انتفع بهم أيضا في إعداد طائفة من المصريين .

وكان لاستعانتة بمهندسين وعمال أجانب وأروام أثر في إيجاد عناصر جديدة في العمارة والزخرفة لم تكن موجودة . فقد وجدت تصميمات جديدة للقصور ، كما وجدت عناصر جديدة للزخرفة . وميزت الوجهات بالكرانيش المخضرفة بنهاية الوجهات والشبابيك البيضاء والعمد الرشيفة من

الرخام ، واتخذت الأبنية من الخشب والطوب . وقل استعمال الرخام المألوف الدقيق وحل محله الرخام الأبيض والألستر المستورد من معاجر بنى سويف . وأعدمت المشربيات وحلت محلها الشبايك الحديثة ، وشاع فرش طرقات الحدائق بالزلط المألوف برسوم هندسية ونباتية .

هذا وقد تأثرت المساجد المنشأة في عصره بالطراز العثماني ، فمسجده الكبير أنشئ على مثال مسجد السلطان أحمد بالآستانة . كما أقيم المسجد الذي أنشاه جهة الخاتمة على الطراز التركي .

وتقدمت في هذا العصر صناعة النحاس وخاصة في الشبايك والمقاصير المصبوبة .

وظهرت فيه زخارف تمثل زهورا وعناقيد عنب وستائر ومناظر طبيعية . وهذا النوع من الزخرف شاع في تركيا في القرن الثامن عشر الميلادي ، ويعرف عند الفنانين باسم "روكوكو" (Rococo) . وقد دخل إليها بعد انتشاره في أوروبا على أيدي فنانين من جنوبي إيطاليا وصقلية ، غير أن الفنان التركي لم يقبله بمحذافيره بل هذبته حسب الذوق المحلي مراعاة للتقاليد الإسلامية .

وقد ثبت لدينا أن العمال الذين قاموا بأعمال النقش في قصور محمد علي كانوا أتركا وأجانب من اشتغلوا في استامبول وتأثروا بالفن التركي وتقاليده .

وشاع في عصر محمد علي باشا وأمرته إنشاء نوع جديد من الأسبلة المكسوة جدرانها بالرخام ، والحلقة بالزخارف ، والمكتوبة بخطوط كبار الخطاطين ، مما ساعد على وجود طائفة من نوابغ الخطاطين الأتراك نهضوا بهذا الفن ووضعوا قواعده بمصر . كما شاع تغطية القباب والمظلات وقم المنارات بالرخام .

كذلك استعان محمد علي بمهندسين فرنسيين لإنشاء المصانع والحصون والقصور تلمذت عليهم مجموعة كبيرة من المصريين .

وفي عصر المغفور له الخديوي اسماعيل بدأ التهذيب والتغيير يدخل على هذا الطراز . ثم سرى الطراز الأوروبي رويدا رويدا حتى طغى على هذا الطراز واحتل مكانه .

وأخيرا نرى حفيده الفاروق — حفظه الله ورعاه — ينهض بمصر وبطرزها العمارة ويهني بالتراث الفني الذي تركه عاهل مصر الكبير محمد علي فيعيد إليه رونقه وبهاءه ، بما يضمن عليه من عناية وإصلاح .

جامع عمرو بن العاص

ميدان عمرو بن العاص^(١)

عمرو بن العاص — القائد العظيم، والسياسي المحنك، عمرو بن العاص بن وائل القرشي السهمي الصحابي. كان من أجلاء قريش وأحسنهم رأياً وتديراً. أسلم يوم الهدنة وقيل بعد الحديبية ثم هاجر^(١). كان خيراً بشؤون الحرب، ولذلك عهد إليه النبي صلى الله عليه وسلم بإمرة الجيش في غزوة ذات السلاسل مع وجود أبي بكر وعمر، كما ولي الإمرة في غزوة الشام لأبي بكر وعمر، ثم افتتح مصر عام ٢٠ من الهجرة (٦٤١ م) وتولى إمارتها لعمر بن الخطاب، وظل بها في خلافة عثمان بن عفان إلى أن عزله عنها، ثم أعاده إلى إمارتها ثانياً معاوية بن أبي سفيان في ربيع الأول سنة ٣٨ هـ (٦٥٨ م) وبقى بها إلى أن توفي ليلة عيد الفطر سنة ٤٣ هـ (٦٦٣ م) ودفن بالقرافة الكبرى^(٢). وذهب بعض المؤرخين إلى أنه مدفون مع عقبة بن عامر.

إنشاء الجامع — هو أول جامع أنشئ بديار مصر. أنشاه عمرو بن العاص سنة ٢١ هـ (٦٤٢ م) بعد فراغه من فتح الاسكندرية وعودته منها. ويعرف بتاج الجوامع والجامع العتيق. وكان وقتئذ مشرفاً على النيل. وقد وقف على تحريره قبله جمع من الصحابة رضى الله عنهم. ورحم الله ابن دقاق المؤرخ حيث يصفه بقوله^(٣): «إمام المساجد، ومقدم المعابد، قطب سماء الجوامع، ومطلع الأنوار اللوامع، موطن أولياء الله وحزبه، طوبى لمن حافظ على الصلوات فيه، وواظب على القيام بنواحيه، وتقرب منه إلى صدر المحراب، ونحريه راكماً وأتاب».

مساحته وقت إنشائه — كانت مساحة الجامع وقت إنشائه ٥٠ ذراعاً × ٣٠ ذراعاً يحيط به الطريق من كل جهة. ولا حنن له. تسوده البساطة، فليس له محراب مجوف ولا منارة ولا فرش. وجدوانه عارية من البياض والزنخف. وله بابان في مجريه وبابان في غربيه وبابان يقابلان دار عمرو^(٤). واتخذ له منبراً. فكتب إليه عمر بن الخطاب يأمره بكسره قائلاً له: «أما يكفيك أن تقوم قائماً والمسلمون جلوس تحت عقيق» فكسره. ويقال إنه أعاده بعد وفاة عمر.

(*) أنظر الصور من رقم ١ — ٤ بمجموعة الصور الفوتوغرافية.

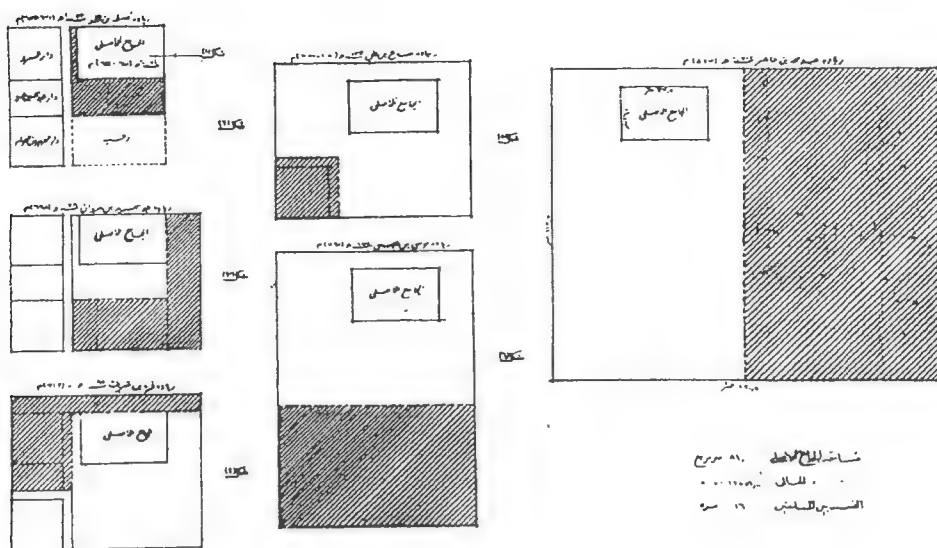
(١) النجوم الزاهرة ج ١ ص ٦١ (٢) المعارف لابن قتيبة ص ١٢٤، التنبيه والاشراف ص ٣٠٢، تاريخ الرسل والملوك للطبري ج ٦، ص ١٠٢ تاريخ مصر وولاتها للكندى ص ٣٣ و ٣٤ (٣) الانتصار لواسطة عقد الأمصار ج ٤ ص ٥٩ (٤) النجوم الزاهرة ج ١ ص ٦٧ (٥) صبح الأعشى ج ٣ ص ٣٤١



وصف الجامع — ظل الجامع على مساحته حتى سنة ٥٥٣ (٦٧٢ م) حيث زاد في مساحته مسأمة بن مخلد الأنصارى أمير مصر من قبل معاوية بن أبى سفيان . وزخرف جدرانه وسقوفه ، وأنشأ به أربع صوامع للؤذين في أركانه نقش اسمه عليها ، ثم أمر باتخاذ المنار فى المساجد ، وأمر بفرشه بالحصر بدل الحصياء .

وفي سنة ٧٩ هـ (٦٩٨ م) أزال والى مصر عبدالعزيز بن مروان جدرانته ووسعه من جوانبه .
وفي سنة ٩٣ هـ (٧١٠ م) هدمه الأمير قزّة بن شريك العبسى والى مصر بأمر الخليفة الوليد
ابن عبد الملك . ثم زاد فى مساحته وأحدث فيه محرابا مجوّفا ووضع به منبرا خشبيا سنة ٩٤ هـ
(٧١٢ م) وأحدث به المقصورة وذهّب تيجان أربعة عمد تجاه المحراب . وصار للجامع أربعة أبواب
فى شرقه ، ومثلها فى غربه ، وثلاثة فى الجهة البحرية .

فلورنطينيون المماليك



وفي سنة ١٣٣ هـ (٧٥٠ م) زاد فيه صالح بن علي وإلى مصر من قبل الدولة العباسية، وأصلح جزءاً من مؤخر الجامع ومقدمه.

وفي سنة ١٧٥ هـ (٧٩١ م) زاد فيه موسى بن عيسى أمير مصر من قبل الخليفة هارون الرشيد من الناحية البحرية حيث أدخل فيه رحمة أي أبواب .

وفي سنة ٢١٢ هـ (٨٢٧ م) أمر عبد الله بن طاهر والى مصر من قبل الخليفة المأمون بتوسيع الجامع ، فأضيف الى أرضه مثلها من الجهة القبلية ، وبذلك بلغت مساحته ١١٢,٥٠ × ١٢٠,٥٠ وهى مساحته الحالية . ويمكن تصوير زيادة ابن طاهر برسم خط مازٍ بمركز دوران المحراب الكبير الحالى ، وبمتمصف فتحة الباب الأوسط المقابل له بالوجهة الغربية . فهذا الخط يقسم الجامع قسمين ، البحرى منهما يعادل بالتقريب مسطح الجامع الى عهد موسى بن عيسى ، والقبلى هو زيادة ابن طاهر التى هى خاتمة الزيادات^(١) كما هو موضح بالرسم .

الاصلاح والتجميل — بعد أن انتهت مرحلة توسيع الجامع وجهه ولاية مصر عنايتهم الى إصلاحه وزخرفته^(٢) ، فمن ذلك العارة التى أجراها به نهارويه بن أحمد بن طولون عقب الحريق الذى حدث عام ٢٧٥ هـ (٨٨٨ م) وأتلف زيادة عبد الله بن طاهر .

وفي سنة ٣٢٤ هـ (٩٣٥ م) نقش أكثر العمد وطوق فى أيام الأخشيدي ، ولم ينتصف القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) إلا والمسجد كان بالغاً حدّه من الزخرف . فقد زاره الرحالة أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسى البشارى قبل سنة ٣٧٥ هـ (٩٨٥ م) ووصفه بالقمامة و « أنه حسن البناء ، وفى حيطانه شئ من السيفساء ، على أعمدة رخام أكبر من جامع دمشق ، وهو أعمر موضع بمصر » .

وفي سنة ٤٠٣ هـ (١٠١٢ م) أمر الحاكم بأمر الله بإهداء الجامع مصاحف وورعات . كما أرسل إليه تنورا كبيرا من الفضة . ولم يقتصر على ذلك بل أجرى به عمارة فى سنة ٤٠٦ هـ (١٠١٥ م) .

وفي سنة ٤٣٨ هـ (١٠٤٦ م) أمر الخليفة المستنصر بالله بعمل منطقة من الفضة فى صدر المحراب الكبير ، وجعل لعموديه أطواقا من فضة .

وفي سنة ٤٤٢ هـ (١٠٥٠ م) عملت للإمام فى زمن الصيف مقصورة خشبية ومحراب من خشب الساج منقوش بعمودين من الصندل . على أن ترفع هذه المقصورة فى الشتاء اذا صلى الإمام فى المقصورة الكبيرة^(٣) . ولهذا الخبر أهميته فقد أوضح اختصاص المحاريب المتقلة التى اقتصر ظهورها على الدولة الفاطمية ، ومنها ثلاثة فى دار الآثار العربية .

(١) جامع عمرو للرحوم محمود باشا أحد من ١٠ مع تعديل فى التعبير عن الانحيازات . (٢) تنشأ هذه الأعمال لا على سبيل الحصر بل نذكرها للتاريخ حيث لافائدة تعود على القارئ سبها وقد ثلاث جميعها . (٣) المقرئى ، ج ٢ ص ٢٤٩ (٤) أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ص ١٩٩ (٥) المقرئى ، ج ٢ ص ٢٥١

ومن هذه الحوادث نرى أن الجامع بلغ ذروة مجده في الدولة الفاطمية^(١) ، يعزز ذلك ما ذكره ناصر خسرو الرحالة الفارسي ، فقد زاره سنة ٤٣٩ هـ (١٠٤٨ م) ووصفه «بأنه قائم على أربعائة عمود من الرخام . والجدار الذي عليه المحراب منطى كله بالواح الرخام الأبيض التي كتب عليها آيات من القرآن بخط جميل . وتحيط بالمسجد الأمواق من جهاته الأربع وعليها تفتح أبوابه» . وبعد أن وصف الثريا الفضية التي أهداها إليه الحاكم بأمر الله قال : «وكان يوقد في ليالي المواسم أكثر من سبعمائة قنديل^(٢) . وإن المسجد يفرش بعشر طبقات من الحصى الملون بعضها فوق بعض ، ويضاء كل ليلة بأكثر من مائة قنديل ، وهو مكان اجتماع سكان المدينة الكبيرة ، ولا يقل من فيه في أي وقت عن خمسة آلاف من طلاب العلم والغرباء والكتّاب الذين يحزرون الصكوك» .

وفي سنة ٥٦٤ هـ (١١٦٨ م) أحرقت القسطنطينية خوفا من احتلال الصليبيين لها ، واستمرت النيران مستعرة بها ٥٤ يوما ، فتخربت مبانيها وتسعت جامع عمرو .

أعمال الإصلاح — عقب هذا الحريق أجريت بالجامع عدة عمارات متعاقبة ، نذكر منها عمارة الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٦٨ هـ (١١٧٢ م) ، تليها عمارة الظاهر بيبرس البندقداري عام ٦٦٦ هـ (١٢٦٨ م) . فعمارة المنصور قلاوون سنة ٦٨٧ هـ (١٢٨٨ م) . ثم عمارة الأمير سلاز سنة ٧٠٣ هـ (١٣٠٣ م) . وتختلف من هذه العمارة الشبابيك الجصية بالوجهة الغربية والمحواب الجصية الخارجى في هذه الوجهة وهو محراب حافل بالزخارف والكتّابات النسخية . فعمارة الرئيس برهان الدين إبراهيم بن عمر رئيس التجار بمصر سنة ٨٠٤ هـ (١٤٠١ م) . ثم عمارة السلطان قايتباي سنة ٨٧٦ هـ (١٤٧١ م) .

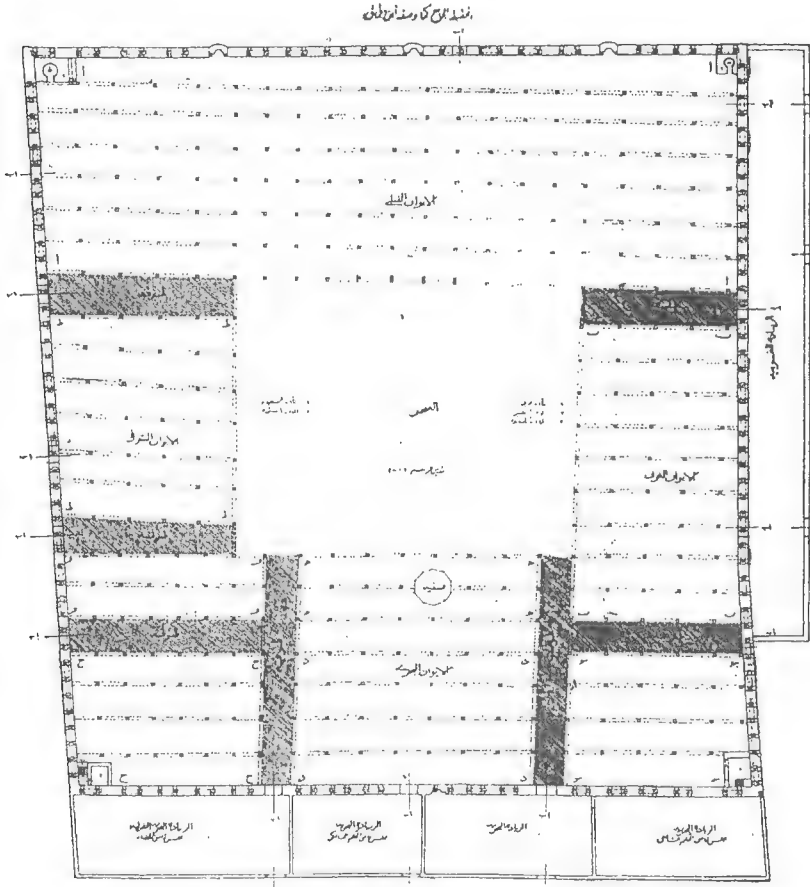
وآخر عمارة أجريت به في العصر العثماني هي عمارة الأمير مراد بك سنة ١٣١٢ هـ (١٧٩٧ م) . فإنه هدم داخل الجامع وأعاد بناءه بسبب ميل عمدته وسقوط إيواناته . فبنيت عقودها في وضع غير وضعها الطبيعي ذلك أنه غير اتجاه عقود الأروقة فجعلها عمودية على جدار القبلة ، ونتج عن ذلك أن صارت أرجل العقود قاطعة للشبابيك فسدت . وبني به منارتين هما الباقيتان إلى الآن .

ووافق الفراغ من هذه العمارة آخر جمعة من شهر رمضان ، فاحتفل بافتتاحه وأثبت تاريخ هذه العمارة في ألواح تاريخية فوق الأبواب الغربية والمحرايين الكبير والصغير .

(١) آثار البلاد وأخبار العباد للقرطبي ص ١٥٧

(٢) سفرنامه ترميز الأستاذ يحيى الخشاب ص ٥٩

عناية الأسرة العلوية بالجامع — وقد عني المغفور له محمد علي باشا بهذا الجامع فأصلحه وأعاد صلاة الجمعة فيه ووقف عليه أوقافا . وفي سنة ١٣٠٠ هـ (١٨٨٢ م) سقط إيوانه القبلي والبحري وما زال على حالها إلى الآن . وقد جددت سقوفه وقومت مبانيه في سنة ١٣١٧ هـ (١٨٩٩ م) . وقد اهتم به المغفور له الملك فؤاد الأول — رحمه الله — فأمر في سنة ١٩٣٦ م بإعداد مسابقة ومنح جوائز لمن يضع أحسن مشروع يمثل الجامع في أزهى عصوره .



تخطيط الجامع كما وصفه ابن دقاق

وفي عهده أصلح الإيوان الكبير بالجامع وقومت عموده وأصلحت عقودده . أجزيت به الاستكشافات التي ألفت ضوءا جديدا على تخطيط هذا الجامع . وفي عهد الملك الصالح " فاروق الأول " أطال الله ملكه . أصلحت بعض عقودده ونقش محرابه ، واعتمد مشروع تخليده حول الجامع من جوانبه الأربعة بمقدار أربعين مترا .

الجامع من الناحية الفنية — ظل الأثريون ومن عتوا بدراسة الجامع ينظرون اليه نظرة تاريخية لما لازم إنشائه من ذكريات تاريخية مجيدة، دون أن يكون للبحث الفني فيه أى أثر، الى أن عني بدراسه المرحومان كوربت بك ومحمود باشا أحمد والأستاذ كريسويل دراسات مستفيضة. وكان للحفريات التي قام بها المرحوم محمود باشا أحمد أهمية كبرى ، فانها أسفرت عن نتائج عظيمة، ترتب عليها تخطيط الجامع طبقا لما وصفه ابن دقاق نقلا عن ابن المتوج المتوفى سنة ٥٧٣٠ هـ (١٣٣٠ م) ، فظهر أنه كان يتكوّن من سبعة أروقة في مقدّمه، ومثلها في مؤخره ، وخمسة أروقة في كل من جانبيه ، واستخلص أن مناراته كانت خمسا : اثنتان بطرفي الوجهة الشرقية ، وثلاث بالوجهة الغربية، ووضع له مسقطا أفقيا ننقله عنه . وأنه كان للجامع ١٣ بابا كشف منها خمسة في الوجهة البحرية، وباب قاعة الخطيب بالوجهة الشرقية على عین المحراب الكبير، وثلاثة في الوجهة القبليّة . وهذا العدد مضافا اليه الأبواب الثلاثة بالوجهة الغربية يجعل أبواب الجامع معروفة عدا الباب الثالث عشر، وقد حدّد موضعه بالوجهة القبليّة على مسقطه الأفقي . وأن زياداته كانت أمام الوجهة الغربية، وفي القسم الشرقي من الوجهة القبليّة .

وأهم الاستكشافات التي ظهرت بهذا الجامع بعض الشبابيك القديمة بالوجهتين القبليّة والغربية المنقسمة الى قسمين والمشتكلة على عمودين ، وهى مجلدة بالخشب من الداخل والخارج وكذلك الأكاف والعارضّة الفاصلة بينها مجلدة بالخشب الحافل بالنقوش المورقة بالدقيقة مما لا نظير له في أثر آخر بمصر. ويكتنف كل شباك من الخارج طاقتان مسدودتان، وبها بقايا جص مفرغ . وهذه الشبابيك وحدها تعطى فكرة صادقة عن مقدار الثروة الفنية التي كانت بهذا الجامع . وتدانا على أنه كان غنيا بزخارفه .

ويرى الأستاذ كريسويل أن هذه الأخشاب بنقوشها عباسية ترجع الى عمارة ابن طاهر . ويرى المغفور له محمود باشا أحمد أنها فاطمية ترجع الى القرن السادس الهجرى .

واذا أخذنا برأى الأستاذ كريسويل لأن زخرفة الأخشاب تسبق العصر الفاطمي ، فلماذا وجدت أيضا في القسم القديم بالمسجد الذي لم يحدده ابن طاهر، خصوصا أن الشباك الغربى البحرى عمل على مثالها وهو بعيد عن الجزء الذى أضافه ابن طاهر . فهل عمارته تناولت السور الغربى أيضا؟ هذا ما لم يثبته أحد من المؤرخين .

وزاد على هذا المغفور له محمود باشا أحمد أن عمارة ابن طاهر قد زالت بسبب الحريق الذي حدث بالجامع سنة ٢٧٥ هـ (٨٨٨ م) فيحتمل جدا عدم وجود بقايا بالجامع ترجع الى ذلك العهد في النصف الذي عمله ابن طاهر . ثم عطف ثانية على نجارة الجامع القديمة بقوله :

« كان المعروف عن نجارة الجامع القديمة أنه لم يبق منها الآن إلا أجزاء من الطبالي الخشبية المزخرفة التي تعلو بعض التيجان بالأعمدة القائمة بالإيوان الشرقي . ولكن وجدت طبالي أخرى في المسجد لم تكن معروفة من قبل » وقد حملة ذلك على ترجيح أن جميع تيجان عمدة الجامع كانت مغطاة بطبالي مزخرفة من هذا القليل . « ولما كان من الآراء التي أبدت عن هذه الطبالي القديمة العهد رأى يقول إنها أخذت للجامع من عمارة بنيت قبل عهد بناء الجامع الطولوني أو على الأقل في زمن عبد الله بن طاهر سنة ٢١٢ هـ (٨٢٧ م) فاننا نرتاب في وجود بناية بمصر تحوى من الطبالي ما يكفي لتغطية نحو ٤٠٠ تاج بالجامع الأصلي وزياداته . كذلك لا نظن أنها جابت من الخارج بل صنعت خصيصا للجامع . على أن هذه الطبالي لم تكن وحدها المشتملة على هذه الزخرفة بل هى أيضا في الشبايك المكتشفة . ثم أكد بأنه لا يمكن الجزم بأن هذا الزخرف تم على يد ابن طاهر بعد ما تحقق من أنه عجز عن إتمام تبليط الجزء الذى أضافه الى الجامع ، و انتهى إلى أنه يميل الى الظن بأن البقية الباقية من نجارة جامع عمرو سواء كانت طبالي أو أحزمة أو حلوق شبايك إنما هى فاطمية الطراز على رغم ما يبدو عليها . وهى آراء لها وجهتها . وإذا كنت أوافقها عليها فيما يتعلق بابن طاهر ، خصوصا أن هذه الأخشاب وجدت في أجزاء لا علاقة لابن طاهر بها ، فافى لا أوافقها على أنها من القرن السادس الهجرى . ولعلها تكون في نهاية القرن الثالث أو أوائل القرن الرابع الهجرى وتأثرت صناعتها ببعض الأخشاب التي كانت بالمسجد .

القضاء والمالية بالجامع — لم يقتصر جامع عمرو على أداء الفرائض الدينية به فحسب ، بل كانت فيه محكمة لفض المنازعات الدينية والمدنية ، وكانت تعقد جلساتها في زيادة الجامع الغربية الموجود في جزء منها الآن المحراب الجصى الخارجى .

كذلك كان به بيت المال فقد عاينه ووصفه الرحالة ابن رسته من علماء القرن الثالث الهجرى بأنه كان موجودا أمام المنبر ووصفه بأنه شبه قبة عليها أبواب من حديد . ويرى الأستاذ محمود عكوش بك أن بيت المال هذا والقباب التي وجدت بالمسجد الكبيرة بمصر والشام وعرفت بيت المال إنما أعدت لإيداع أموال اليتامى .^(٢)

(١) المقرئى ، ج ٢ ص ٢٥٠ (٢) الأعلام النبوية ص ١١٦

(٣) نظرة في الآثار العربية — النشرة الزراعية أغسطس سنة ١٩٤٣

جامعة عمرو — كانت حلقات الدروس تقام في الجامع ، فبعضها لإرشاد العامة الى ما يفهمهم ويفقههم في دينهم . وبعضها حلقات لدروس الفقه والحديث وعلوم القرآن والأدب . ولما قدم مصر الإمام محمد بن إدريس الشافعي سنة ١٩٩ هـ أو ٢٠١ ألقى دروسه بجامع عمرو، وظلت حلقات الدروس في ازدياد حتى إنها بلغت ٣٣ حلقة سنة ٣٢٦ هـ (٩٣٧ م) منها ١٥ حلقة للشافعيين و ١٥ للكليين و ٣ حلقات للمنفقين^(٢) .

وفي النصف الثاني من القرن الرابع الهجري (نهاية القرن العاشر الميلادي) بلغت حلقات الدروس بالجامع ١١٠^(٣) ، فاذا قدرنا أن كل حلقة بها ٢٠ مستمعا يكون مجموع الطلبة ٢٢٠٠ طالب يتربعها أئمة الفقهاء والفراء وأهل الأدب والحكمة .

وقد أطلق على أماكن حلقات دروس كبار العلماء بالجامع اسم زوايا ، فعرف درس الشافعي بزاوية الإمام الشافعي لأنه كان يدرس فيها الفقه . وقد حرص على التدريس بها أعيان الفقهاء وأجلة العلماء .

ومنها الزاوية المجدية نسبة الى واقفها محمد الدين أبي الأشبال الحارث بن مذهب الدين المتوفى سنة ٦٢٨ هـ (١٢٣٠ م) وكانت بصدر الجامع بجوار المحراب الكبير . واختص بالتدريس فيها قاضي القضاة وجيه الدين عبد الوهاب البهنسي . ويمتد التدريس بها من الوظائف الجليلة .

ومنها الزاوية الصباحية حول مئذنة عرفة وكان بها مدرستان: أحدهما مالكي، والآخر شافعي . ومنها الزاوية الكمالية بالمقصورة المجاورة لباب الجامع الذي يدخل اليه من سوق الغزل . نسبة الى كمال الدين السمنودي — وغيرها زوايا أخرى رصدت عليها أوقاف كثيرة .

وقد بلغت حلقات التدريس بالجامع سنة ٨٧٤٩ (١٣٤٨ م) بضعا وأربعين حلقة لاتكاد تنفص منه . وكان يقام بالجامع حلقات دروس ووعظ للسيدات تصدّرتها في الدولة الفاطمية حوالي سنة ٤١٥ هـ (١٠٢٤ م) واعظت زمانها أم الخير المجازية .

ولم تنقطع أخبار التدريس بهذا الجامع إلا في القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي). ضريح عبد الله بن عمرو — يشاع أن القبة الموجودة بالركن البحري الشرقي بالجامع بها قبر عبد الله بن عمرو . وهذا غير موثوق به ، فقد اختلف المؤرخون في موضع دفنه ،

(١) رسالة خطية في تراجم النافعية . (٢) كتاب المغرب في حل المغرب، ج ٤ ص ٢٤ (٣) أحسن التقاسيم ، ص ٢٠٥ (٤) المقرئ ، ج ٢ ص ٢٥٥ و ٢٥٦ (٥) المقرئ ، ج ٢ ص ٢٥٦

فذكروا أنه توفي سنة ٦٥ هـ ودفن في داره الصغيرة بمصر . وترجمه ابن الأثير في أسد الغابة فقال : « توفي سنة ٦٣ هـ وقيل سنة ٦٥ هـ بمصر، وقيل سنة ٦٧ بمكة، وقيل سنة ٥٥ بالطائف، وقيل سنة ٦٨ هـ وقيل سنة ٧٣ هـ » ويقتر أبو الفلاح عبد الحى بن العماد المؤرخ أنه مات سنة ٦٥ هـ على الصحيح ^(١٣) .

والأرجح أنه لم يدفن في الجامع لأن محل القبة كان به منارة ولأن من زاروه من الرحالة لم يذكروه فيه مع أن الأضرحة هدفهم الأول في الزيارة ، وخاصة عبد الغنى النابلسي الذي زار الجامع حوالى سنة ١١٠٥ هـ (١٦٩٣ م) لم يشر إليه مع أنه تجول في نواحيه ووصف ما رآه، كما أن طراز القبة منأخر .

الاحتفال بالصلاة في آخر جمعة من رمضان — نشأ هذا التقليد منذ الدولة الفاطمية، فقد كان الخليفة الفاطمي يركب للاحتفال برؤيا شهر رمضان ثم يستريح أول جمعة منه، فاذا كانت الجمعة الثانية أذاها في جامع الحاكم ، فاذا كانت الجمعة الثالثة أذاها في الجامع الأزهر ، فاذا كانت الجمعة الرابعة صدرت الأوامر بأدائها في جامع عمرو بن العاص فيقوم أهالى القاهرة بعمل الزينات من باب القصر بالنحاسين إلى جامع ابن طولون . ويقوم أدالى مصر القديمة بعمل الزينات حتى جامع عمرو . وبعد أداء الفريضة يعود الخليفة إلى القصر فيصدر السجل وهو بمثابة بلاغ ديوان كبير الأمناء الآن .

ولما أتم مراد بك إصلاح الجامع في النصف الثانى من شهر رمضان سنة ١٢١٢ هـ (١٧٩٧ م) أقيمت فيه آخر جمعة من رمضان فاتخذت عادة حتى اليوم إحياء للعادة القديمة .

غير أنى أرى في إقامة الصلاة في هذا الجامع في نهاية شهر رمضان معنى ساميا حبا لله به هذا القائد العظيم فأحيا ذكرى وفاته سنويا إذ يوافق آخر أسبوع من رمضان الأسبوع الذى توفى فيه عمرو . فقد توفى ليلة عيد الفطر .

ولعمري إنه لشكريم خليق بهذا القائد العظيم خصوصا أنه يرأس هذا الاحتفال جلالة الملك "فاروق الأول" حفظه الله وأدام ملكه السعيد .

(١) المعارف لابن قتيبة ص ١٢٤ و ١٢٥ (٢) أسد الغابة ج ٣ ص ٢٣٥، تهذيب الأسماء ص ٣٦٢

(٣) شذرات الذهب ج ١ ص ٧٢

الجامع الطولوني

ميدان أحمد بن طولون^(١)

الجامع الطولوني . ثالث جامع أنشئ للجمعة والجماعة في مصر . ويمتد بحق من أقدم الجوامع المحفوظة بتفاصيلها المعمارية وهيكلها الأصلي العظيم .

أحمد بن طولون — الأمير أبو العباس أحمد بن طوآون . ولد ببغداد سنة ٢٢٠ هـ (٨٣٥ م) . وكان أبوه مملوكا تركيا من بلاد منغوليا . فلقى علومه العسكرية في مدينة سمر من رأى ، ونشأ نشأة حسنة وشقف ثقافة دينية فلقى شيوخ المحدثين وسمع منهم ، واشتغل بالعلم حتى حصل على قسط وافر منه . وكان هذا من أكبر الأسباب للثقة به . هذا فضلا عما اشتهر به من شجاعة وإقدام . ولما خلع المستعين بالله وولى المعتز . تقرر فنى المستعين إلى واسط ، فوقع اختياره على أحمد بن طولون لمرافقته فخرج معه وأخلص له .

ونخوف السيدة قبيحة والدة المعتز على ولدها من المستعين ، كتبت إلى ابن طوآون بقتل المستعين على أن توليه مدينة واسط . فكتب إليها : « والله لا يرأى الله عز وجل أقتل خليفة له في رقبتي بيعة وأيمان مغلظة أبداً »^(١) . ولهذا السبب زادت محبته وعلا قدره عند الناس .

ولما عاد من واسط بعد قتل المستعين ودخل سمر من رأى وافق دخوله تقليد الأمير بكباك حكم مصر وطلبه من يخافه عليها . فأشاروا عليه بأحمد بن طوآون الثقة الأمين فقلده مصر نيابة عنه وضم إليه الجيش .

دخل مصر يوم الأربعاء لسبع بقين من رمضان سنة ٢٥٤ هـ (٨٦٨ م) مقلدا الفسطاط وأسيوط وأسوان دون غيرها من الأعمال الخارجة عنها مثل الاسكندرية وغيرها ، فقال حين دخل مصر : « غاية ما وعدت به في قتل المستعين واسط ، فتركت ذلك لله تعالى ، فمؤضى ولاية مصر والشام »^(٢) .

وبعد وفاة بكباك عين ماجور التركي ، وكان ابن طوآون تزوج ابنته ، فترك له الولاية على مصر وضم إليه الاسكندرية أيضا^(٣) .

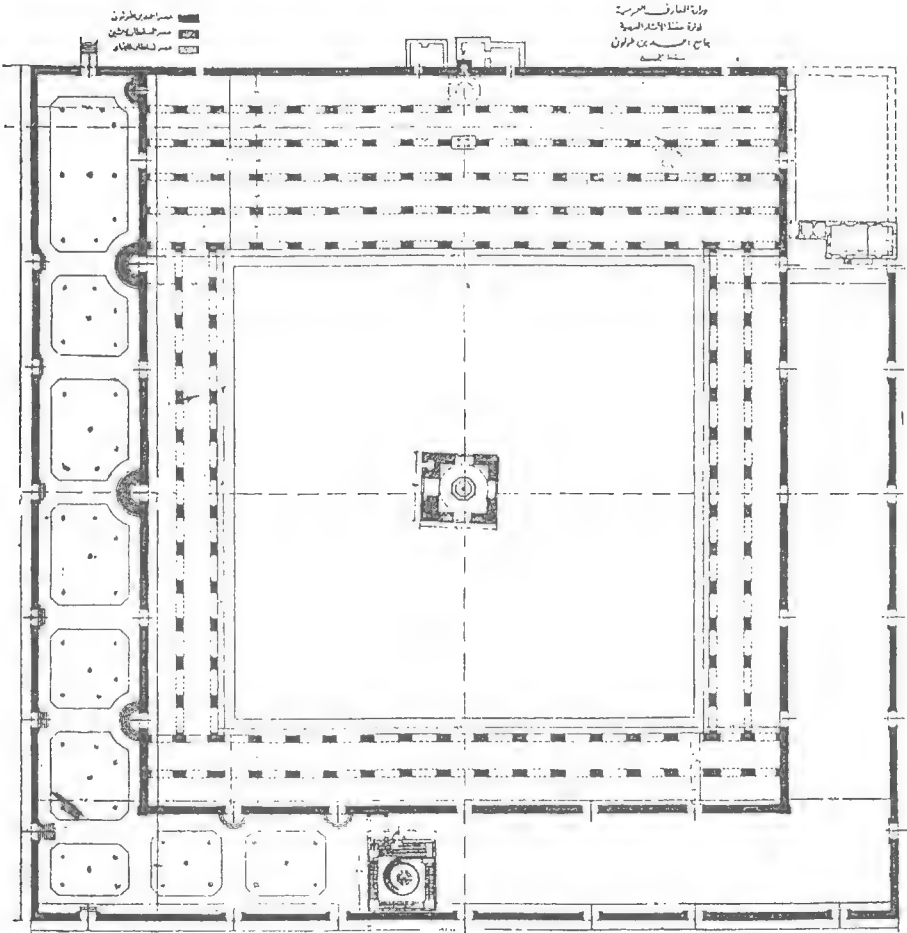
(*) انظر الصور من رقم ٥ - ١٦ مجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) سيرة ابن طولون ، ص ٤٠ وسامها المقرزى ، فتيحه . (٢) النجوم الزاهرة ، ج ٣ ص ٦ ، المنظم

في أخبار الأمم . (٣) المقرزى ، ج ١ ص ٢١٤

وفي سنة ٢٥٩ هـ (٨٧٢ م) عهد إليه الخليفة المعتمد على الله بأمر الخراج على مصر والولاية على الثغور الشامية . فكان لقسوته وسطوته خير أثر في الحكم فسادت السكينة البلاد ونمت ثروتها، ونجح في الاستيلاء على حكم مصر وأستقلالها وجعله وراثيا في أسرته .

وظلت البلاد خاضعة له ولذريته من بعده حوالي ثمان وثلاثين سنة، تجلى فيها الترف والبذخ . توفي إلى رحمة الله تعالى سنة ٢٧٠ هـ (٨٨٤ م) ، وله ملك لا يعادله ملك الخليفة العباسي الذي يشمل الشام والجزيرة و برقة .



مسقط أفق

وقد دفن بالقرافة الصغرى بالقرب من بابها . وكان قبره معروفا وقد عاينه ابن الزيات المؤرخ

المتوفى سنة ٨١٤ هـ (١٤١١ م) .^(١)

(١) ابن خلكان ج ١ ص ٧٨ ، الكواكب السيارة في ترتيب الزبارة ص ٢٧٨

كان رحمه الله خاتما حازما . نمت ثروة البلاد في عهده وتقدمت . وأهتم بالأسطول المصري ، فأنشأ كثيرا من المراكب الخربية . وكان محبا للعلم كثير الصدقات ، كما كان شغوبا بالعارة ، فقد أصلح منار الاسكندرية ومقياس النيل ، وأنشأ حصن الجزيرة ومسجد التنور ، ومدينة القطائع والقصر والميدان والبيمارستان ودار الامارة وقناطر المياه ثم الجامع الكبير .

تاريخ الجامع ووصفه — بعد أن فرغ ابن طولون من بناء القصر والميدان شرع في بناء الجامع سنة ٥٢٦٣ (٨٧٦م) ، واستقر العمل سائرا فيه إلى أن انتهى منه في شهر رمضان سنة ٥٢٦٥ (٨٧٨م) . وهو من أكبر المساجد حيث تبلغ مساحته مع الزيادات ستة أفدنة ونصفا . ووضع تصميمه على مثال المساجد الجامعة ، صحن كبير مكشوف تحيط به أروقة ذات عقود .

وهو على شكل مربع تقريبا ضلعه ١٦٢,٢٥ × ١٦١,٥٠ يشغل منه المسجد مع جدرانه مستطيلا مقاسه ١٣٧,٨٠ × ١١٨,١٠ ويتوسطه صحن مكشوف مربع تقريبا مقاسه ٩٢,٣٥ × ٩١,٨٠ ويحيط بالجامع من جوانبه القبليّة والبحرية والغربية أروقة غير مسقوفة تعرف بالزيادات ، وهي من المسجد ، ومثلها موجود في جامع سر من رأى وفي جامع سوسة .

وأسوار هذه الزيادات عالية تسودها البساطة ، فتحت بها أبواب تقابل أبواب الجامع ، تتوجها من أعلى شرفة مفرغة . كما فتحت بأسوار الجامع أبواب وشبابيك علوية بينها حنايا وطاقات غوصة تتوجها من أعلى شرفات .

وعدد أبواب الجامع ٢١ يقابلها مثلها في الزيادات . ويوجد في بعض الأبواب معابر خشبية قديمة بها زخارف مورقة .

وهذه الأبواب تعددت كي تؤدي إلى المساكن والأسواق حول الجامع ، حيث كان العمران كبيرا والتجارة رائجة ، حتى قيل إن مسطبة كانت خلف الجامع مساحتها ذراع في ذراع بلغت أجزتها كل يوم ١٢ درهما يستغلها ثلاثة أفراد : أحدهم في بركة النهار لبيع الفزل ، والثاني لخباز بعد الظهر إلى العصر ، والثالث من العصر إلى المغرب لبيع الحمص والقول^(١) .

فإذا تجاوزنا سور الزيادة فن أي باب من أبواب الجامع نصل إلى الإيوانات التي يتوسطها صحن كبير . وهنا تتجلى عظمة هذا الأثر الخالد الحافل بشتى الصناعات والفنون .

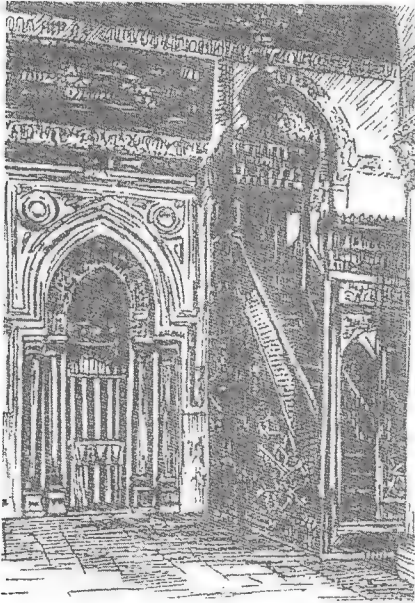
ولننعم وجهنا شطر المحراب بالإيوان الشرقى، وهو عادة يكون أكبر الإيوانات وأكثرها أروقة وأحفلها زخرفاً. وهذا هو شأن الإيوان المذكور، فهو يشتمل على خمسة أروقة، ويتوسط جداره الشرقى المحراب، وبه منبر وبه تاريخ إنشاء الجامع. وتوجد به محاريب طولونية وفاطمية ومملوكية. ونظرة إلى المستط الألفى نرى أنه اشتمل على خمسة أروقة فى الشرق، ورواقين فى كل من باقى الإيوانات. وهذه الأروقة مكونة من دعائم مبنية بالطوب مقاس كل دعامة منها ٢,٥٠ × ١,٣٠ مخلق فى نواصيها الأربع عمد وتيجان تحمل عقوداً استينية، حليت حاناتها بزخارف جصية نباتية. وقد لجأ المهندس إلى التخفيف عن ظهر العقود ففتح فيها شبابيك خلقت بأكتافها عمد رشيقة، وحليت حافاتنا بزخارف متنوعة.



الدعائم بالرواق الشرقى

واختيار المهندس لهذه الدعائم يدل العمى برهن على حسن ذوقه فقد تخلص بها من العمى الرخامية المختلطة من هنا وهناك مع عدم تماثلها لا فى الطول ولا فى السمك. ونفذ رغبة طيبة لابن طولون حيث تورع عن أخذ العمى من الكائس والأديرة المختربة. وقد اتبعت طريقة بناء الدعائم فى مشهد آل طباطبا، وفى جامع الحاكم بأمر الله.

ويعلو العقود إفريز زخرفي من الجص يعلوه إزار خشبي يحيط بأروقة الجامع مكتوب فيه بالخط الكوفي البارز سورتا البقرة وآل عمران . وقد جددت إدارة حفظ الآثار العربية السقف على مثاله القديم . ولاؤول مرة يستعمل الأسمنت المسلح في السقوف الأثرية ، فقد لجأ الى هذه الطريقة المغفور له محمود باشا أحمد المدير السابق للآثار العربية ، فعمل السقف بتقاسيمه القديمة من الأسمنت المسلح . ثم غلفه بالأخشاب القديمة والجديدة المطابقة للقديم . ويحيط بجدران الأربعة من أعلى مائة وتسعة وعشرون شباكاً من الجص مفزعة بأشكال هندسية وأنحري نباتية ، تنوعت أشكالها ، واحتفظت جميعها بزخارف أطرها الخارجية ، كما احتفظت بالكثير من زخارف باطن عقودها ، بينما طرأ تجديد على بعض حشوها المفرغ وبعض الأطر حولها المكتوبة والمنقوشة في عهد الدولة الفاطمية ، وفي عمارة المنصور لاجين ، وفي العصر الحديث . ويرى جناب الأستاذ كريمويل أنه ما زال بين طاقات الجامع ذات الشبايك الحصية القديمة وهي ثمانون ، أربعة من طراز خاص ، قوام رسمها دوائر متشابكة . وهذا الشكل نفسه يرى في زخرفة باطن العقود بمجمل الطارات القبلى .



المحراب والمذبح

ولذلك يعتقد أن هذه الشبايك الأربعة ترجع الى زمن ابن طولون ، وجميعها يجدار القبلة ، وهي التي تقع في العدة تحت رقم ٦ و ١٥ و ١٦ إذا عدنا الطاقات من الشمال الى اليمين .^(١)

ويرى هرتس باشا أن زخرفة باطن شبايك الجامع الطولوني هي عين زخرفة مدفن قلاوون . وهيكل المحراب طولوني مع السطر المكتوب بالكوفي أعلاه عدا التيجان الأربعة فوق عمده فهي من الرخام المفرغ كل اثنين منهما متشابهان ، وهي دقيقة الصنع من الطراز البيزنطي القديم .

وتجويف المحراب عصابة من الفسيفساء المذهبة كتب بها بالخط النسخي : " لا إله إلا الله محمد رسول الله " وهذه الفسيفساء والطاقيّة الخشب بالمحراب ومقرنص القبة أعلاه من عمل المنصور لاجين سنة ٦٩٦ هـ (١٢٩٦ م) .

و بمناصة الفسيفساء أنهز هذه الفرصة لأنبه الى خطأ شائع ، وهو تسمية الرخام الدقيق بالمحاريب والوزرات بفسيفساء . والحقيقة أن الفسيفساء ما كانت من فصوص زجاجية صغيرة مذهبة ومازونة . وهي صناعة بيزنطية استعان المسلمون في القرون الأولى بمال من بيزنطية على صناعتها ، فكانوا يستقدمون الى دمشق والقدس والأندلس مع خاماتها لصناعتها . وفي تلك البلدان نماذج متممة منها وخاصة بالمسجد الأقصى وقبة الصخرة وصحن الجامع الأموي ومحراب وقبة الجامع الكبير في قرطبة . كما ثبت أن جامع عمرو بن العاص كان به في القرن الرابع الهجري « العاشر الميلادي » فسيفساء . هذا عدا ما كان موجودا منها في الكنائس المسيحية .

غير أن النماذج القديمة بمصر انعدمت كلها ، وبقيت نماذج لا شك في أن صناعتها دمشقية عملها عمال من دمشق حذقوا هذه الصناعة مع تفاوت بينها وبين القديمة وهي نماذج محدودة في أجزاء بسيطة من المحاريب تحالفتا دوائر صيدنية . فاقدم قطعة معروفة منها تلك التي في طاقيّة محراب قبة شجر الدر سنة ٦٤٨ هـ (١٢٥٠ م) .

وفي سنة ١٩٣٦ م اكتشفت قطعة جديدة هي طاقيّة محراب قبة الصالح نجم الدين سنة ٦٤٧ هـ (١٢٤٩ م) لم تكن معروفة من قبل . وفي طاقيّة محراب مدرسة فلاوون سنة ٦٨٤ هـ (١٢٨٤ م) ثم عصابة بمحراب الجامع الطولوني سنة ٦٩٦ هـ (١٢٩٦ م) ثم في تراشيح محراب المدرسة الطيرسية سنة ٧٠٩ هـ (١٣٠٩ م) وفي طاقيّة محرابي المدرسة الأقبناوية سنة ٧٤٠ هـ (١٣٤٠ م) . وأخيرا طاقيّة محراب مسجد الست حديق المنشأ سنة ٧٤٠ هـ (١٣٤٠ م) . وقد اكتشفتا في شهر مايو سنة ١٩٣٧ .

المنبر — يجاور المحراب منبر خشبي جميل اتخذت حشواته من خشب الساج الهندي (التك) والآبنوس دقت بالأويعمة الدقيقة بنقوش مورقة في منتهى الدقة ، ليس هو المنبر القديم للجامع ، بل هو من عمل الملك لاجين المنصوري سنة ٦٩٦ هـ (١٢٩٦ م) . وهو الذي نقل المنبر القديم الى الجامع الظاهري بالمنشأة على شاطئ النيل^(١) . وقد تلاشى الجامع الظاهري والمنبر ، ولم يبق لها أثر . أما منبر لاجين فقد بقي حتى سنة ١٨٤٥ م حينما عاينه ورسمه مستر جيمس ويلد ، أمين متحف سوان بلوندره ، ثم امتدت اليه الأيدي بالسلب والنهب . الى أن عني المرحوم هرتس باشا بجمع

(١) الانتصار لرواية عقد الأمصار ، ج ٤ ص ١٢٠ (٢) تاريخ ووصف الجامع الطولوني ص ٩٥

حشواته من أوروبا ، وصور لحشوات أخرى استعان بها مع الباقي منه على إصلاح المنبر وإعادةه
الى أصله . ومكتوب على بابه : " أمر بعمل هذا المنبر المبارك مولانا السلطان الملك المنصور
حسام الدنيا والدين لاجين المنصوري في العاشر من صفر سنة ست وتسعين وثمانمائة " .

والملك المنصور حسام الدنيا والدين لاجين المنصوري ولي ملك مصر بعد^(١) خلع الملك الغافل
كتبغا في نصف صفر سنة ٦٩٦ هـ (١٢٩٦ م) . وهو الذي قام بهارة كبيرة في الجامع تناولت
إصلاحه إصلاحا شاملا وإصلاح شبابيكه . وعمل القبة أعلى المحراب ، والمنبر والمئذنة والقبة بوسط
الصحن . والسبيل الذي جددّه فيما بعد السلطان قايتباي في الزيادة القبلية . وذلك وفاء لنذر نذره
لتعمير هذا الجامع حينما اخفى في منارته وهو خرب في فتنة قتل الأشرف خليل بن المنصور قلاوون ،
وقد وفي بنذره ، وعهد بإجراء هذه الأعمال الى الأمير علم الدين سنجر الدواداري^(٢) .

وبهذا الإيوان عدة محاريب جصية غير مجوّفة ، منها اثنان بالدعامتين القائمتين بمتمصف جبل
الطارات الثاني مما يلي الصحن الأيمن . ومنها ، وتحيط به زخارف دقيقة وكتابات كوفية منها :
" بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشاء هذا المحراب خيفة فتي مولانا وسيدنا الإمام المستنصر بالله
أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه المنتظرين السيد الأجل الأفضل
سيف الإمام جلال الإسلام شرف الأنام ناصر الدين خليل أمير المؤمنين " .

وفي سطر صغير تحت السطر الأفقي ما نصه : " ثقة الإمام نحر الأحكام القاسم عبد الحاكم
ابن وهيب بن عبد الرحمن " . وتحت سطر آخر مكتوب فيه : " لا إله إلا الله محمد رسول الله على ولي الله " .
وباقى الكتابات آيات قرآنية ، وبوسط عقده الأوسط مكتوب بخط كوفي كبير : " فاسجدوا لله
واعبدوا " . وهذا المحراب يرجع الى سنة ٤٨٧ هـ (١٠٩٤ م) .

أما المحراب الأيسر فهو تقليد للأئمة عمله المنصور لاجين سنة ٦٩٦ هـ (١٢٩٦ م) . وكتب
عليه اسمه بالخط الكوفي بما نصه : " بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشاء هذا المحراب المبارك مولانا
السلطان الملك المنصور حسام الدنيا والدين لاجين سلطان الإسلام والمسلمين ... " . وقد تطرق
التلف الى هذا المحراب .

وفي الصف الرابع من جبل الطارات بجانب دكة المبلغ محرابان آخران من الجص : الأيمن
منهما طولوني ومكتوب عليه : " لا إله إلا الله محمد رسول الله " . وبه زخارف كبيرة موزقة شديدة

البروز . والآثر فاطمي ومكتوب به : " لا إله إلا الله محمد رسول الله " ، وقد أحيط بزخارف موزقة مشرشرة .

ويوجد على يسار المحراب الكبير محراب جصى جميل حافل بالزخارف والكتابات الكوفية والنسخية يرجع الى منتصف القرن السابع الهجرى الثالث عشر الميلادى . ومكتوب عليه بالخط النسخ قوله تعالى : " قد نرى تقلب وجهك في السماء " . الآية .

ومكتوب حول عقده بالخط الكوفى قوله تعالى : " فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين " .

وتعتمد المحاريب رأبها في المساجد في جميع عصورها . ويبدولى أن الدافع الى عملها هو تعدد المذاهب . يعزز هذا الرأي ما أثبتته ابن كثير من أن صاحب تقي الدين بن مراحىل ناظر الجامع الأموى بدمشق عمل فيه محاريب للتحفية^(١) والحنابلة سنة ٧٦٤ هـ (١٣٦٢ م) .

دار الإمارة — وعلى يمين المنبر باب كان يؤدى الى دار الإمارة التى أنشأها أحمد ابن طولون وأثنى بالفرش والستور ، كانت مخصصة لتزوله حينما يذهب الى صلاة الجمعة فيجلس فيها ويحشد وضوءه ثم يدخل منها الى مقصورة المسجد . وقد ذهبت هذه الدار ولم يبق منها سوى مدخلها وبه بقايا كوابيل للسقف تمثل رأس فيل بتأبيه . وهى طرفة نادرة .

ويلاحظ أن العقود المحيطة بالصحن وما يتصل بها من عقود الايوانات كان باطنها محلى بزخارف جصية بقيت منها ثلاث قطع فى الإيوان البحرى . أما الإيوان القبلى فقد احتفظ بالكثير من هذه الزخارف ، وكان محتجبا تحت البياض واكتشفته لجنة حفظ الآثار العربية . أما الموجود منها بالإيوان الغربى فحديث عدا العقد البحرى منه فان زخارفه قديمة .

ونظرة الى الزخارف القديمة الباقية بباطن العقود تكشف لنا عن عبقرية الصانع التى تجلت فيها . فهى مكونة من خطوط متقاطعة بداخلها زخارف موزقة تنوعت الى درجة أنها اختلفت فى كل عقد منها . ولم تقف عبقرية الصانع عند هذا الحد ، بل شملت زخارف الجامع بأكمله ، فبينما نرى الزخارف حول عقود الأروقة والشبابيك اتفقت ، نراها اختلفت وتنوعت فى احوال عقود الطاقات بنواصر العقود وفى الإفريز الجصى أسفل السقف . وكما تنوعت أشكال الشبابيك تنوعت كذلك الزخارف فى باطن عقودها ، وفى أشكال التيجان الجصية والصرر المحلى بها وجه الصحن ، مما يدل

على أن هذه الزخارف عملت على يديها حسب اصطلاح الصناع ولم تعمل لها قلم . وبذلك اشتمل هذا الجامع على أغنى مجموعة وأقدمها من الزخارف الجصية ، وعلى إحدى دعائم الإيوان الشرق ثبت النصف الأول الذي عثر عليه من اللوحة التذكارية لإنشاء المسجد . مكتوبة بالخط الكوفي البسيط ونصها كاملا :

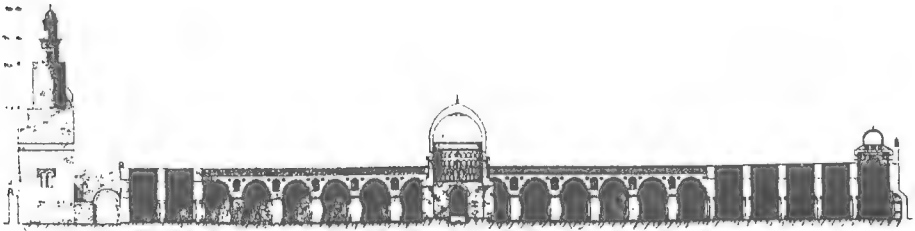


اللوحة التذكارية

”بسم الله الرحمن الرحيم الملك الحق المبين الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم سجدا يبتغون فضلا من

الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطاها فأزهره فاستغلف فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلوة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين .

أمر الأمير أبو العباس أحمد بن طولون مولى أمير المؤمنين أدام الله له العز والكرامة والنعمة التامة في الآخرة والأولى ببناء هذا المسجد المبارك الميمون من خالص ما أفاء الله عليه وطيبه لجماعة المسلمين ابتغاء رضوان الله والدار الآخرة وإيثارا لما فيه تسنية الدين وألفة المؤمنين ورغبة في عمارة بيت الله وأداء فرضه وتلاوة كتابه ومداومة ذكره إذ يقول الله تقدس وتعالى في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدق والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلوة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب في شهر رمضان من سنة خمس وستين ومائتين سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلم على المراسين والحمد لله رب العالمين اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارحمهم وآل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد وأفضل ما صليت وترحمت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وأنعم إنك حميد مجيد^(١) .



قطاع رأسي

القبة وسط الصحن — هذه ثالث قبة أقيمت في هذا الصحن . فقد احترقت قبة الفؤارة الأولى التي أنشأها ابن طولون . وقد كانت مشبكة من جميع جوانبها وفوقها قبة مذهبة قائمة على عشر عمد رخام يحيط بها ستة عشر عمودا في جوانبها . وكانت مفروشة كلها بالرخام ، وتحت القبة



قصعة من رخام سعتها أربعة أذرع في وسطها فؤارة . وفي السطح علامات الزوال، ولها درابزين من خشب الساج . وقد احترقت هذه القبة سنة ٣٧٦ هـ (٩٨٦ م) .

وهدمت الثانية وهي التي أنشأها العزيز بالله ، وقيل أمه تغريد^(٢١) سنة ٣٨٥ هـ (٩٩٥ م) . وحلت محلها القبة القائمة الآن التي أنشأها المنصور لاجين سنة ٦٩٦ هـ (١٢٩٦ م) وهي قبة كبيرة تقاس كل من ضلعها البحري والقبلي ١٢,٧٥ مترا والشرق والغربي ١٤,١٠ محمولة على أربعة عقود كانت شبابيكها عملة من الخارج بزخارف وكتابات كوفية . وربقتها من الداخل كتبت آية الوضوء . ويتوسطها فسقية . ويستريح النظر فيها وجود سلم في سمك جدارها يوصل الى سطح قاعدتها المربعة .

المنارة — أقيمت المنارة في الزيادة الغربية لصق حائط الزيادة على مسافة ٤٠,٤٠ سم وهي مبنية بالبحر مقاس قاعدتها ١٢,٧٨ متر × ١٣,٦٥ متر، وسلمها من الخارج بأربع قليات يصعد منه إلى سطح فسلم حلزوني نصف دائري يوصل إلى سطح آخر يرتكز عليه الجزء العلوي وهو على هيئة مبخرة . وهي المنارة الوحيدة في مصر ذات السلم الخارجي وهي تشابه منارة سامرا .

وهذه المنارة موضع خلاف بين الأثرين، فالبعض يرى أن المنصور لاجين جدها سنة ٦٩٦ هـ (١٢٩٦ م) على مثالها القديم ضمن عمارته للجامع . بينما يرى البعض الآخر أنها لابن طولون عدا قمتها المشتملة فهي من عمل لاجين . وأختلط الأمر على فريق ثالث فلم يحزم بشيء .

وحجة ما أستبعد أنها من عمل لاجين أنه لم يبق على طراز منارات عصره . ودليل من يحزم بأنها من تجديد لاجين أن العقدين الموجودين على شكل حدوة الفرس الذين يصلان المنارة بالمسجد يرجعان إلى زمن متأخر عن ابن طولون، ولأن هناك شباكين يقطعانهما في مرورهما . ويرى الأستاذ كريسويل بأن هذه العقود وعقدا من قبيلهما بأول السلم وأربعة أزواج من العقود المسدودة بالوجوه الأربعة من المربع التحتاني من المنارة والأعمدة اللولبية المضلعة بها ظهرت لأول مرة في مدرسة وترية قلاوون .

وإذا ثبت أن المنصور لاجين آخنى بالمنارة وكانت متخربة فهذا دليل على أنه أدرك بقايا منارة ابن طولون . وكونه أمر بعمل عراب له يطابق المحراب المستنصرى الفاطمي مخالفا في ذلك طراز زخارف وقته، وأستبداله بقاعدة كتابة النسخ الخط الكوفي دليل على أنه بنى المنارة التي آخنى فيها طبقا لأصلها الذي وجدها عليه ، وبنى قمتها التي كانت مفقودة على ما أرجح مثل قبة المنارات في نهاية القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) .

(١) القرني، ج ٢ ص ٢٦٨ (٢) ابن دقاق، ج ٤ ص ١٢٣ (٣) ابن القرات، ج ٨ ص ٢٣٠

وفكرة عمله محراباً مطابقاً للحراب المستنصرى هى التى جعلت جناب الأستاذ كريستوفيل^(١) يعيل



المنارة

إلى أن المنارة من بناء السلطان لاجين . والمرجح أن أكبر قسم من المنارة كان موجوداً وقتها فبنّاها على مثاله . وإلا كان بناها طبقاً لمنازل عصره .

ويرى مسيو بريكولو الباشمهندس الأسبق للآثار العربية أن المنارة^(٢) من بناء لاجين وهى مشيدة من أسفل إلى أعلى فى وقت واحد ، وعلى قاعدة واحدة . وذلك على أثر الاستكشافات التى أجراها بها فقد نقب البناء بعرض متر وسمك ثلاثة أمتار تقريباً فى الجانب الجنوبي من الكتلة المكوّنة للقاعدة بارتفاع الصفف التى على هيئة شباك فتبين أن البناء على امتداد سمك الثقب من نوع واحد . وأنه لا يوجد فاصل فى أجزاء البناء من خارجه أو داخله ، ولم تصادفه أى علامة يستدل بها على وجود بناء داخلى يسبق عهد البناء الخارجى .

العشارى — ذكر المقرئى وآبن دقاق أن المنارة كان عليها عشارى ، وأن آبن طولون قال أنه وجده فى كثر . وقد بقى هذا العشارى حتى سقط سنة ١١٠٥ هـ (١٦٩٣ م) فبطل أعاده لاجين أو عمله مثل عشارى قبة الشافعى ؟

المهندس — نأسف جدّ الأسف لخلق آثارنا من أسماء مهندسيها اللهم إلا التزاليستير مما نلتقطه من بين السطور فى كتب التاريخ . ولذلك نرى الخلاف قائماً على جنسية مهندس ابن طولون . فبينما نرى المقرئى يعبر عنه بالنصرانى نرى آخريين يرجحون أنه مهندس المقياس أحمد بن محمد الحاسب الذى قدم من العراق لبناء المقياس الجديد سنة ٢٤٥ هـ — ٢٤٧ هـ (٨٥٩ — ٨٦١ م) بالروضة .

وسواء أكان نصرانياً أم الحاسب فكلاهما عراقى لأن نشأة آبن طولون كما أسلفنا كانت فى سامرا عاصمة العباسيين . ومن المعقول أن ينقل إلى مصر الثقافة الفنية العراقية التى نشأت فى ظلها

(١) (Early Muslim Architecture — K.A.C. Creswell. Part II, p. 354-355).

(٢) Bulletin du Comité, 1915-1919, p. 21. (٣) ابن دقاق ج ٤ ص ١٢٣ (٤) الجبرق ج ١ ص ٢٥

فأدخل إلى وادي النيل أساليب العراق في العمارة والفنون . وهذا التأثير نراه مجسما في زخارف الجامع ومناظرته .

أما الصنائع فالغالب أنهم من أهل مصر، ويحتمل أن يكون بينهم عراقيون . ولم نثر على اسم أحد منهم عدا بعض التجارين ، فقد عثرت على اسمي اثنين منهم : أحدهما محمد بن عبيد ، والآخر محمد بن مكتوبان على أجزاء من السقف القديم .

وبمناسبة الصنائع أشير إلى السنة الحسنة التي أسستها ابن طولون في بناء مسجده حينما عاشه في شهر رمضان أثناء العمل فرأى العمال يشتغلون إلى وقت الغروب ، فسأل : متى يشتري هؤلاء الضعفاء إقطارا لأولادهم ! وأمر بصرفهم وقت العصر . فاتخذ هذا سنة من وقتها .

رسم الجامع — لم نثر حتى الآن على تصميمات عمارة قديمة للآثار ، ولكن وجدنا في ثنايا التاريخ أن هناك رسوما كانت تعمل للعمارة قبل تنفيذها . أما ما يتعلق بالجامع الطولوني فقد ثبت أن مهندسهم رسم الجامع على رق وعرضه على ابن طولون فأقره .

الأساس ومواد البناء — معلوم أن الجامع أقيم على جبل يشكر، ولذلك نرى أساسه في حدوده القبلية على الصخر مباشرة ، بينما هو في حدوده البحرية على عمق خمسة أمتار . والمواد المستعملة في بنائه هي الطوب الأحمر ، وهي المادة الأساسية المستعملة في المنشآت العمارة حتى أوائل الدولة الفاطمية .

أعمال الإصلاح — أجريت بالجامع عدة إصلاحات في عصور مختلفة . منها عمارة بدر الجمالي الوزير الفاطمي سنة ٤٧٠ هـ (١٠٧٧ م) . وقد أثبتنا في لوح رخامى فوق باب بسور الزيادة البحرية ونصه :

”بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين . نصر من الله وفتح قريب لعبد الله ووليّه معد أبى تميم الامام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين . أمر بتجديد هذا الباب وما يليه عند عدوان النار على ما أبدعه المارقون فيه السيد الأجل أمير الجيوش سيف الاسلام ناصر الإمام أبو النجم بدر المستنصرى أدام الله قدرته وأعلى كلمته إبتغاء ثواب الله وطلب مرضاته وذلك في صفر سنة سبعين وأربعمائة . والحمد لله وصلواته على سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين وسلم تسليما“ .

ثم جاءت بعدها عمارة للخليفة الحافظ لدين الله سنة ٥٢٦ هـ (١١٣١ م) .

وفي القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) اتخذه المغاربة مأوى لهم يتزلون فيه عند مرورهم بمصر للحج^(١) . وقد تشعث الجامع وتخرب وقتئذ ، كما اتخذ مخبزا . فقد جاء في حوادث سنة ٥٦٦٢ هـ (١٢٦٣ م) أن الظاهر بيبرس البندقداري أمر أن يفرق على أرباب الزوايا كل يوم مائة أردب بعد عملها خبزا بجامع ابن طولون^(٢) .

عمارة السلطان حسام الدين لاجين المنصوري — هي أهم عمارة وأكبرها أجريت بالمسجد سنة ٦٩٦ هـ (١٢٩٦ م) أثبت تاريخها في لوح خشبي فوق القبة مكتوب فيه :
” أمر بإنشاء هذه القبة المباركة والفسقية والساعات الشريفة مولانا السلطان الملك المنصور حسام الدنيا والدين لاجين المنصوري في سنة ست وتسعين وستمائة “ .

وقد صرف على عمارته من خالص ماله ٢٠ ألف دينار^(٣) . وابتاع الملك المنصور من بيت المال منية أندونة من أرض الجيزة ووقفها على المدرسين والمشتغلين والموظفين في الجامع . ورتب فيه دروسا للحديث والتفسير والفقه على المذاهب الأربعة ومدرسا للطب وأنشأ مكتبا وسبيلا .

وفي دولة الناصر محمد بن قلاوون ولي نظارته القاضي كريم الدين^(٤) الكبير ، وأنشأ فيه منارتين على طرفي جداره الشرقي بناهما بالطوب ، وكانتا أضطوانتي الشكل ، هدمت الأولى في القرن الثالث عشر الهجري ، والثانية البحرية الشرقية في سنة ١٩٣٣ لخلل بهما .

وفي سنة ٧٩٢ هـ (١٣٩٠ م) أنشأ الحاج عبيد بن محمد بن عبد الهادي البازدار رواقا يجوار المنارة وجدّد ميضأة بجانب الميضأة القديمة ، وقد زالتا كما زالت التربة والمصلى اللتان أنشأهما الشيخ شرف الدين المدني سنة ٩٣٠ هـ (١٥٢٤ م) في عمارة سور الزيادة الغربية سنة ١٩٤٣

وفي القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) كان الجامع مهملا فأنشئ فيه مصنع لعمل الأقمشة الصوفية . وظل على إهماله حتى سنة ١٢٦٣ هـ (١٨٤٧ م) فتحول الى ملجأ للمعزة والطاعنين في السنّ تحت إشراف كلوت بك فلحق بالجامع تلف كبير .

عناية لجنة حفظ الآثار العربية بالمسجد — أدركت إدارة حفظ الآثار العربية هذا الجامع سنة ١٨٨٢ م . فوجدته مغلقا وعقوده مسدودة وسقوفه مفقودة وآيالة الى السقوط والدور تحجبه من جميع نواحيه ، ومنبره يكاد يكون معدوما ، وزخارفه مشوهة ومحتجة ، وتنقص منه البائكة المشرقة على الصحن بالإيوان الشرقي ، فوجهت إليه عنايتها .

(١) المقرئى، ج ٢ ص ٢٦٨ (٢) السلوك، ج ١ قسم ٢ ص ٥٠٨

(٣) ابن القرات، ج ٨ ص ٢٢٩ ، التحفة النية ص ١٤٦ (٤) المقرئى، ج ٢ ص ٢٦٩

وفي المدة بين سنَى ١٨٩٠ - ١٩١٨ قامت بإزالة الأبنية المستحدثة التي كانت بداخل الإيوانات وأزالت الأتربة والأنقاض . وأصلحت القبة التي فوق المحراب والمنارة الكبيرة والمنبر والشبابيك الحصية وجزء من السقف . كما قامت بالمحافظة على الزخارف الحصية وهدمت بعض الدور التي كانت تحجب الوجهة الشرقية للجامع وأصلحت المنارة البحرية الشرقية .

عناية المغفور له الملك فؤاد بالمسجد — في سنة ١٩١٨ رغب المغفور له الملك فؤاد في إعادة إقامة الشعائر الدينية في الجامع فصل في فريضة الجمعة في ٢٢ رجب سنة ١٣٣٦ هـ (٣ مايو سنة ١٩١٨) وأمر بتخليه جوانبه وتعيم إصلاحه .

وفي عهده تمت تخليد الوجهة البحرية للجامع وفتحت أبوابها وأصلحت أسوارها وأزيلت الأبنية المحدثّة بالزيادة القبليّة . كما أخلى قسم كبير من الوجهتين الشرقية والغربية ، وتم تبليط أروقة الإيوانات الغربية والبحرية والقبليّة وأصلحت الزخارف الحصية بباطن العقود . وأصلح السبيل الموجود في الزيادة القبليّة وأزيلت الأتربة من الزيادات ومهدت هي والصحن ، وأعيد بناء الرواق المشرف على الصحن من الإيوان الشرقي ، كما عمل لجميع الأروقة سقف من الأسمنت المسلح برسم السقف القديم ، ثم غلفت بأخشاب أدخلت فيها الأجزاء القديمة ، وأعيد تركيب الإزار الكوفي فيها .

وقد بلغت نفقات هذه الإصلاحات نحو ٤٠,٠٠٠ جنيه كما بلغت نفقات نزع الملكية نحو ٤٥,٠٠٠ جنيه .

عناية الملك الصالح فاروق الأول بالجامع — وفي عهد الملك الصالح فاروق الأول أصلح كثير من الشبابيك الحصية كما أصلح المحراب المستنصرى ونزعت ملكية بعض الدور التي تلاصق الزيادة الغربية بمجوار المنارة الكبيرة . كما بدأت مصالحة التنظيم في نزع ملكية بقية الدور التي تحجب الوجهتين الشرقية والقبليّة .

وما زالت أعمال الإصلاح جارية به . وهكذا يتم الفاروق — حفظه الله ورعاه — ما بدأه والده العظيم وينفذ رغبته . وسيتم في عهده السعيد تخليد هذا الجامع العظيم وإصلاحه إصلاحاً شاملاً كاملاً إن شاء الله .

الجامع الأزهر

ميدان الأزهر^(٥)

إذا كان جامع عمرو بن العاص أول جامع أسس بالفسطاط فالجامع الأزهر^(١) أول جامع أسس بالقاهرة . ولكل منهما زعامته ورسالته العلمية .

قدم القائد جوهر الكاتب إلى مصر من قبل الخليفة الفاطمي المعز لدين الله فاتحاً لها ، فتم له ذلك بدون عناء في ١٧ شعبان سنة ٣٥٨ هـ ٦ يولي (سنة ٩٦٩ م) .

وفي يوم الجمعة ٢٠ شعبان من هذه السنة توجه إلى الجامع العتيق (جامع عمرو) لأداء فريضة الجمعة ، وكان خطيبه يومئذ هبة الله بن أحمد ، فخطب خطبة بليغة ختمها بالدعاء للعز بما نصه :

« اللهم ارفع درجته وأعل كلمته وأوضح حجته واجمع الأمة على طاعته والقلوب على موالاته وبجته واجعل الرشاد في موافقته ووزنه مشارق الأرض ومغاربها واحمده مبادئ الأمور وعواقبها فانك تقول وقولك الحق : (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) اللهم اجعل راياته عالية مشهورة وعساكره غالبية منصوره . وأصلح به وعلى يديه واجعل لنا منك وافية عليه » .

ونحن بدورنا نردّد هذا الدعاء لئلك المفدى فاروق الأول حفظه الله . ثم أنشأ جوهر^(٢) القصر الكبير وتأنق في زحفه وأثائه ، وأعدّه لتزول سيده المعز لدين الله ، وأعدّه به سريراً مذهباً لجلوسه عليه . ولما قدم المعز لدين الله إلى القاهرة نزل فيه في ٧ رمضان سنة ٣٦٢ هـ (٩٧٣ م) . فصارت مصر دار خلافة بعد أن كانت دار إمارة^(٥) .

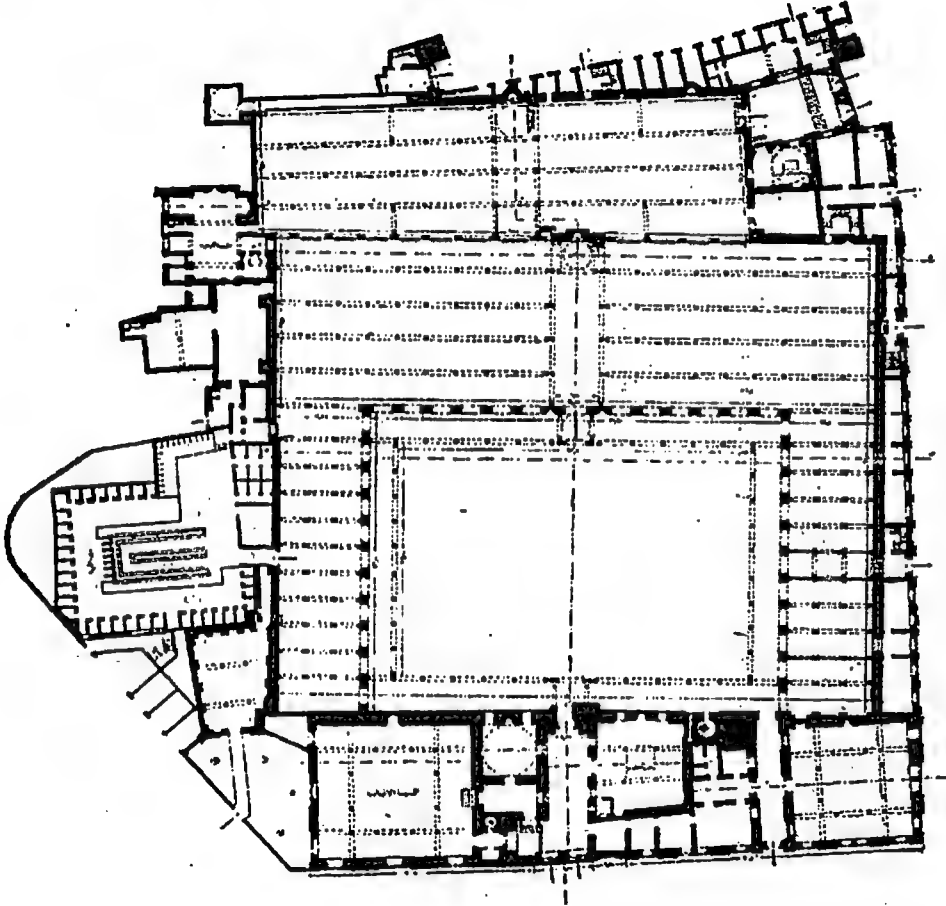
(٥) انظر الصور من رقم ١٧ — ٢٨ بمجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) لفظة الأزهر تؤدّي عدة معان منها : يوم الجمعة ، والقمر ، والمشرق الوجه . (٢) انماط الحنفا ص ٧٥ (٣) القائد جوهر — أبو الحسن جوهر بن عبد الله المعروف بالكاتب الصقلي ، عهد إليه المعز لدين الله بفتح مصر على رأس جيش كبير فتم له فتحها بدون عناء كبير وأقام بها متولياً لإدارة شؤونها وجباية أموالها إلى أن عزله المعز لدين الله في سنة ٣٦٤ هـ (٩٧٤ م) .

وفي خلافة ابنه العزيز بالله هدد إلى جوهر بقيادة جيش إلى دمشق في سنة ٣٦٥ هـ (٩٧٥ م) ثم استبقاه في خدمته إلى أن توفي سنة ٣٨١ هـ (٩٩٢ م) وكان أديباً حسن السيرة . (٤) المعز لدين الله — مؤسس الدولة الفاطمية في مصر ، ورابع الخلفاء العبديين بالمغرب . ولما خلافة بعد أبيه المنصور بنصر الله سنة ٣٤١ هـ (٩٥٢ م) ، وهو الذي جهد إلى فائده جوهر بفتح مصر . ولما تم له فتحها كتب إليه يشره ويستدعيه إليها وأنه أقام الدعاء له بها وبالشام والجزائر ، وكان قدومه إلى القاهرة في ٧ رمضان سنة ٣٦٢ هـ (٩٧٣ م) واتخذها مقراً لخلافته ، وبقي بها إلى أن توفي سنة ٣٦٥ هـ (٩٧٥ م) ، وكان عاقلاً حازماً أديباً رحمه الله . (٥) فضائل مصر لابن زولاق ص ١٦



وهذا القصر وباقي القصور الفاطمية كانت من عجائب الأبنية ، بل كانت مضرب الأمثال في الفخامة . وقد أتحفنا المؤرخون بوصف خزائن القصور وما حوته من طرف قيمة مما لا يكاد يصدقه العقل .
إنشاء الجامع — وفي أثناء بناء القصر شرع جوهر أيضا في بناء الجامع ليصل في الخليفة وليكون مسجدا جامعا للقاهرة أسوة بجامع عمرو بن العاص بالقسطاط . والجامع الطولوني بالقطائع .



مسقط أفق

كذلك أعد ليكون مههدا لفئة معينة من الطلاب لتعليم الفقه الشيعي ونشره . فبدأ في بنائه في يوم السبت لست بقين من جمادى الأولى سنة ٣٥٩ هـ (٩٧٠ م) . و انتهى العمل وأقيمت أول جمعة به في ٧ رمضان سنة ٣٦١ هـ (٩٧٢ م) وعرف بجامع القاهرة . وكتب بدائر القبة التي في الرواق الأول على يمين المحراب ما نصه :

” بسم الله الرحمن الرحيم بما أمر بنائه عبد الله ووليه أبو تميم معتمد الإمام المعز لدين الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الأكرمين على يد عبده جواهر الكاتب الصقلي وذلك في سنة ستين وثلاثمائة “ .

وقد اندثرت هذه الكتابة مع القبة أيضا غير أن الجامع الذي نراه اليوم ليس كله بالجامع الفاطمي الذي وضع أساسه جواهر، بل هو مجموعة من الآثار ضمت إليه في أزمنة مختلفة سأتناولها بالشرح .

تصميم الجامع — كان مسقطه الأفقي وقت إنشائه مكونا من ثلاثة إيوانات حول الصحن، الشرق منها مكون من خمسة أروقة، وبكل من الجانبين القبلي والبحري ثلاثة أروقة . المشرف على الصحن منها قائم على أكاف مبنية . أما الجند الغربي فلا أروقة به ويتوسطه الباب العمومي الذي كانت تعلوه المنارة ولعله كان بارزا عن الوجهة .

وقد فتحت بأعلى الجدران شبابيك جصية مفرغة بأشكال هندسية تتخللها مضاهيات مزخرفة أحيطت بأفرز مكتوب فيه بالخط الكوفي المزخرف آيات من القرآن . وما زالت بقايا هذه الشبابيك تحدد الجامع القديم في جدران إيوان القبلة الشرقية والقبلة والبحرية .

ويشطر الإيوان الشرق مجاز يتجه مباشرة إلى المحراب ارتفعت عقودها كما ارتفع سقفه عن مستوى ارتفاعات الإيوان . وقد حليت حافات عقودها بآيات من القرآن مكتوبة بالخط الكوفي . كما حليت وجهاً عقودها بزخارف نباتية مودقة .

وعقود هذا المجاز هي الباقية بهذا الإيوان من عقودها القديمة، بينما تغيرت باقي العقود غير مرة . وينتهي هذا المجاز إلى المحراب القديم .

ويملو هذا المحراب قبة مملوكية ترجع إلى القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) حلت محل القبة الفاطمية القديمة . كما كان ينتهي طرفا هذا الإيوان بقبتين غير موجودتين الآن . وليكما استخلصنا وجودهما من أمرين : أحدهما فني، والآخر تاريخي .

أما الفني فتصميم جامع الحاكم إذ اشتمل على ثلاث قباب . وأما التاريخي فقد أثبت المقرئ نصا تاريخيا كان مكتوبا على القبة التي في الرواق الأول على يمين المحراب والمنبر . وكذلك ما جاء في حجة وقف الحاكم بأمر الله على المسجد بما نصه : ” ما قدّر لصيانة القباب فوق السطح “ .

هذا هو وصف جامع المعز لدين الله الذي أنشأه جواهر لسيده وعمل له ثلاثة أبواب في جدرانه القبلة والبحرية والغربية .

العناية بالجامع وإصلاحه في العصر الفاطمي — لم تمض على الجامع فترة حتى عني بإصلاحه العزيز بالله بن المعز فخذ فيه أشياء لعلها أعمال تكميلية . وحوالي سنة ٤٠٠ هـ (١٠٠٩ م) جدده الحاكم بأمر الله ، ووقف عليه وعلى جامع المقبس والجامع الحاكمي ودار العلم أعيانا دونها في وقفية كبيرة ، خص الأزهر بحصة منها وزعت على مرافقه وشؤنه استخلصت منها أنه كان للجامع قباب فوق السطح . وأنه خصص له ثورين وسبعة عشر قنديلا من فضة للاضاءة في شهر رمضان . على أن تعاد لحفظها في مكان خصص لها . وأنه إلى وقت الحاكم كان له صهرج وساقية ولم تعمل له دورة مياه . وقد بقي من عمارة الحاكم بأمر الله باب ذو مصراعين من خشب شوح تركي به حشوات منقوشة . وارتفاعه ٣,٢٠ متر طليه اسم الحاكم ، وبه أثر إصلاح ظاهر . ويبدو أن بعض حشواته حديثة الصنع خصوصا الحشوات الخفيفة الحفر . كما يلاحظ فيه انقلاب الحشوات المكتوبة عند إعادة تركيبها . وصحتها : ” مولانا أمير المؤمنين الامام الحاكم بأمر الله صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه “ . وهو مودع الآن بدار الآثار العربية .

وكذلك ينسب إلى الحاكم أو إلى العزيز بالله الزخارف والكتابات الكوفية الحصية بمؤخر الإيوان الشرقي من الداخل . وقد طغى عليها التجديد فشوه أكثرها . ومن عني بإصلاحه أيضا الخليفة الفاطمي المستنصر بالله . ولكن لم تتخذ ماهية هذه الأعمال . ولكنها لا تعدو أعمالا زخرفية أو تكميلية .

وفي سنة ٥١٩ هـ (١١٢٥ م) أمر الخليفة الأمر بأحكام الله أن يعمل للجامع محراب من الخشب فعمل . وهو محراب مزخرف بالنقوش بطرفيه عمودان رشقان . وعظمه من خشب قرو تركي وتجويفته من فلق وتواشيعه من خشب جميز والحشوات من خشب نبق . ويعلوه لوح مكتوب فيه بالخط الكوفي :

” بسم الله الرحمن الرحيم حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين . إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا . مما أمر بعمل هذا المحراب المبارك برسم الجامع الأزهر الشريف بالمعزية القاهرة مولانا وسيدنا المنصور أبي علي الامام الأمر بأحكام الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين ابن الامام المستعلي بالله أمير المؤمنين ابن الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليهم أجمعين وعلى آبائهم الأئمة الطاهرين بنى الهداة الراشدين وسلم تسليما الى يوم الدين في شهور سنة تسع عشرة وخمس مائة الحمد لله وحده “ .

بقى الجامع على حالته حتى تراءى للخليفة الحافظ لدين الله على ما أرجح أن يزيد فيه في المدة بين سنى ٥٢٤ - ٥٤٤ هـ (١١٢٩ - ١١٤٩ م) فلم يجد منسما سوى الصحن . فأضاف إليه رواقا يحيط به من جوانبه الأربعة وقبة على رأس المجاز . حفلت جوانبها وقطبها بالزخارف والكتابات الكوفية . وكلها آيات من القرآن ، منها آية الكرسي ، وآيات من أول سورة يس .
ومكتوب أعلى المقرنص : "بسم الله الرحمن الرحيم إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض الى قوله تعالى : أدعوا ربكم تضرعا وخفية" .

وقد حفلت هذه الكتابات بزخارف جميلة . وهى من أرق نماذج الخط الكوفى فى العصر الفاطمى . وتعتبر هذه القبة أقدم قبة نقشت من الداخل . وإن كانت قد سبقتها قبة مشهد الجبوشى بالمقطم إلا أن النقش فيها اقتصر على قطب القبة . فقد كتب فيه "مجد" بشكل زخرفى مكرر .
وطريقة إضافة رواق على الصحن هى إحدى التأثيرات التى دخلت الى مصر من بلاد المغرب ، فقد رأيتها فى مساجد عقبة بالقيروان ، والجامع الكبير بسوسة ، والزيتونة بتونس . وتعرف هناك بالمجنبات .
وبمناسبة العقود المعروفة بالفارسية حول هذا الصحن وطرزها ، أحب أن أنه الى خطأ شائع هو أن هذه العقود ظهرت بظهور الدولة الفاطمية بمصر . والحقيقة أن عقود الدولة الفاطمية تقرب من عقود الجامع الطولونى كما هو مشاهد فى عقود المجاز بالجامع الأزهر ، وفى عقود الجامع الحاكمى . وحقيقة كان أول ظهور لهذا العقد فى الدولة الفاطمية ، ولكن فى منتصف حكمها حيث نراه لأول مرة فى قبة بدر الجمالى حوالى سنة ٤٨٠ هـ (١٠٨٧ م) . ثم شاع بعد ذلك فى العمار الفاطمية .
والآن وقد اتينا من الأعمال الفاطمية بالأزهر يجدر بنا أن نلقى نظرة على ما بقى به من تفاصيل فاطمية . وهذه التفاصيل تتعصر فى :

(أولا) عقود المجاز بجانبيه وما اشتملت عليه من زخارف وكتابات كوفية بحافتها . وترجع الى عصر إنشاء الجامع .

(ثانيا) الزخارف والكتابات حول الشبايك الحصية الباقية فى الجنب القبلى ، وفى أول الجنب الشرقى ، وفى الجنب البحرى . وكلها من عصر إنشاء الجامع وتبين حدوده الأصلية .

(ثالثا) المحراب الكبير بكتاباته ونقوشه ، وهو المحراب القديم للمسجد . وقد كان محتجبا لمدة سبعة قرون حتى تم كشفه فى يوم ١٠ أكتوبر سنة ١٩٣٣ . وقد كان لى شرف اكتشافه . فازيلت الكسوة الخشبية التى كانت تكسو طاقية فظهرت نقوشه وكتاباته . فيقرأ حول العقد من الخارج

بالخط الكوفي المزهر قوله تعالى : " قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون " . وبالمقد الداخلي بالخط الكوفي المزهر الصغير قوله تعالى : " قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين " .

وكان بحنية الطائفة زخارف جصية بارزة مذهبة على أرضية خضراء ، تكلت عند تغطيتها بالخشب وبقيت تفاصيلها .

(رابعاً) زخارف وكتابات مؤخر الجامع من الداخل ترجع الى عصر الحاكم بأمر الله لإتقانها مع زخارف الجامع الحاكمي . وقد طغى التجديد عليها . كما طرأ تغيير على عقود طرفيه في عمارة الحافظ لدين الله فقد حوّلت الى عقود فارسية .

(خامساً) القبة على رأس المآذ وقد احتفظت بنقوشها وكتابات الكوفية . وترجع الى عصر الحافظ لدين الله .

أما الزخارف والكتابات حول الطاقات بوجه عقود الصحن فانها حديثة عملت سنة ١٣٠٩ هـ (١٨٩١ م) . كما أن قبة المآذ والعقود حول الصحن أجريت بها إصلاحات كثيرة .

بدء التدريس — كان أول درس ألقى بالجامع الأزهر في شهر صفر سنة ٣٦٥ هـ (٩٧٥ م) إذ جلس على بن النعمان القاضي وأمل مختصر أبيه في فقه الشيعة . ويعرف هذا المختصر بالاختصار .

وفي سنة ٣٧٨ هـ (٩٨٨ م) طلب الوزير أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن كلس من الخليفة العزيز بالله أن يصل رزق جماعة من الفقهاء فقرّر لهم مرتبات ، وأعد داراً لسكّانهم بجانب الجامع الأزهر . فاذا كان يوم الجمعة حضروا الى الجامع وعقدوا حلقات دروسهم بعد الصلاة الى صلاة العصر . وكانت عدّتهم خمسة وثلاثين رجلاً . كما ألف ابن كلس كتاباً في فقه الطائفة الإسماعيلية كان يجلس لقراءته بنفسه . ولما بنى العزيز بالله مسجده المعروف بجامع الحاكم سنة ٣٨٠ هـ (٩٩٠ م) أذن للفقهاء الموجودين بالجامع الأزهر أن يعقدوا حلقات دروسهم فيه .

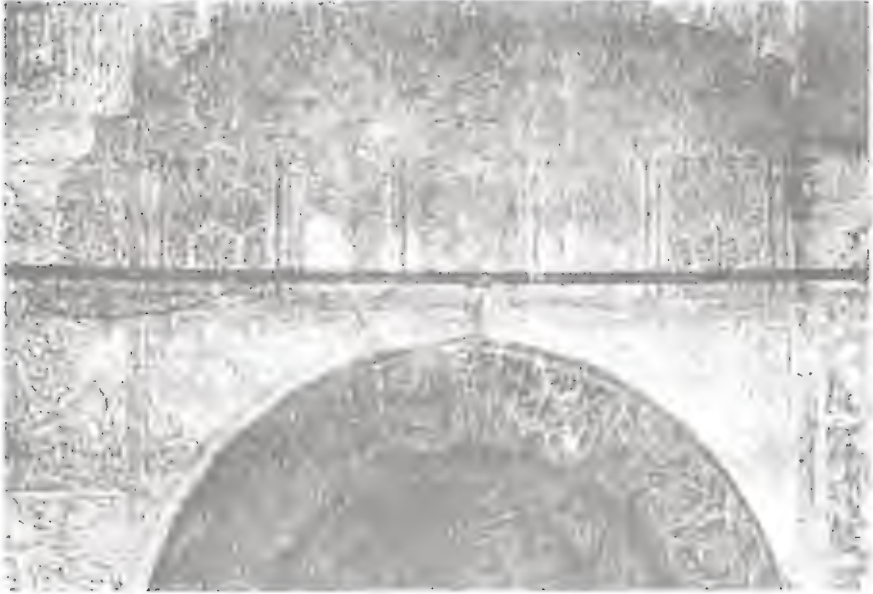
الأزهر في الدولة الأيوبية — لقد أفل نجم الأزهر في الدولة الأيوبية إذ وجه ملك مصر صلاح الدين يوسف الأيوبي همه الى محاربة الشيعة ومؤازرة المذهب السني ، فأبطلت الخطبة^(١) من الجامع الأزهر عملاً بمذهب الشافعي وهو امتناع إقامة خطبتين للجمعة في بلد واحد اكتفاء

(١) المقرئ ج ٢ ص ٢٤١ (٢) المقرئ ج ٢ ص ٢٧٣ (٣) المقرئ ج ٢ ص ٢٧٧

(٤) المقرئ ج ٢ ص ٢٧٥

بإقامتها بالجامع الحاكمي . وظلت معطلة فيه مائة عام الى أن أعيدت اليه في أيام السلطان الظاهر بيبرس البندقداري .

والذي يسترعى النظر في أخبار هذه الحقبة ما علمناه في حوادث سنة ٥٩٠ هـ (١١٩٤ م) من أنه كان للجامع زيادة . لأن المحتسب^(١) هدم في هذه السنة حوائط واصطبل كان صدر الدين بن درباس أنشأها في زيادة الجامع الأزهر بجوار داره .



الزخارف الملوكية أعلى المحراب

دولنا الممالك البحرية والبحرا كسة — لقد عني ملوك وأمراء هاتين الدولتين بالجامع الأزهر وتباروا في إصلاحه والزيادة فيه . ففي يوم الجمعة ١٨ ربيع الأول سنة ٦٦٥ هـ (١٢٦٦ م) أقيمت فيه صلاة الجمعة ، بسبب أن الأمير عن الدين أيمن الخلي كان مجاورا للجامع ، فاستأذن السلطان الظاهر بيبرس البندقداري في عمارته فأذن له ، وتبرع له بمسألة من المال ، كما أمر بعمل منبر له لم يبق منه إلا لوحته التاريخية المحفوظة بمتحف الجزائر ونصها :

” بسم الله الرحمن الرحيم مما أمر بعمل هذا المنبر المبارك للجامع الأزهر مولانا السلطان الملك الظاهر المجاهد المرباط المؤيد المنصور ركن الدنيا والدين أبي الفتح بيبرس الصالحى قسيم أمير المؤمنين

(١) السلوك ج ١ ص ١٢١ (٢) المقرئى ج ٢ ص ٢٧٥

بالديار المصرية أعز الله أنصاره بتاريخ الثالث عشر من ربيع الأول سنة خمس وستين وستمائة من الهجرة النبوية^(١) .

وقد تناولت هذه العمارة إصلاح ما وهى من جدرانها ، وتبييضه وتبليطه وبعض إصلاحات أخرى . وقد بقي من هذه العمارة الزخارف الجصية الدقيقة التى تعلو المحراب القديم ، والكسوة الخشبية التى كانت تغطى طاقته بزخارفها .

وقد تبرع الأمير بيليك الخازندار بعمل مقصورة كبيرة ، عين فيها بعض الفقهاء لقراءة الفقه على مذهب الإمام الشافعى ، ومحدثا للحديث النبوى . ومن ذلك الوقت بدأ الأزهر يشارك بقية مدارس مصر والقاهرة فى أداء رسالته العلمية .

وعلى أثر زلزال سنة ٧٠٢ هـ (١٣٠٢ م) عنى الأمير سلاور بعمارة الجامع . ثم توالى عليه الرعاية والإصلاح . فأصلحه القاضي نجم الدين محمد بن حسين الأسعدى محتسب القاهرة سنة ٧٢٥ هـ (١٣٢٤ م) ، والأمير سعد الدين بشير الجامدار الذى أزال منه الصناديق والخزائن التى كانت تشوهه ، وذلك فى سنة ٧٦١ هـ (١٣٥٩ م) ، وأنشأ سيلا وكلبا عند الباب القبلى للجامع .

الممالك الجراكسة — لما ولى الأمير الطواشى بهادر مقدم الممالك السلطانية نظر الجامع ، استصدر مرسومًا من الملك الظاهر برقوق ، بأن من يموت من مجاورى الأزهر من غير وارث شرعى وترك ثروة ، تؤول ثروته الى مجاورى الجامع . ونقش ذلك على حجر ثبته عند الباب الكبير الغربى .

وقد عثرت على هذا المرسوم وهو منقوش على لوح رخامى ، أحتفظت به فى المسجد ونصه :
” بسم الله الرحمن الرحيم رسم بالأمر الشريف السلطانى الملكى الظاهر أبو سعيد برقوق عز نصره أن يكون موجود من يتوفى الى الله تعالى من الفقراء المجاورين وأرباب وظائفه ولم يكن له وارث شرعى يكون لصالح جامع الأزهر بمقتضى العلامة الشريفة بتاريخ سابع شهر ربيع الأول سنة اثنين وتسعين وسبع مائة “ .

وفى سنة ٨٠٠ هـ (١٣٩٧ م) هدمت منارة الجامع وكانت قصيرة ، وبُنيت مكانها منارة جديدة أطول منها ، كان الفراغ من عمارتها فى شهر ربيع الآخر سنة ٨٠٠ هـ (١٣٩٧ م) . وقد بقيت هذه المنارة حتى هدمت فى شهر شوال سنة ٨١٧ هـ (١٤١٤ م) لظهور خلل بها .

(١) القرزى ج ٢ ص ٢٧٥ (٢) مقدم الممالك : المشرف على منار الممالك وعلى تربيتهم .

ولأجل بناء منارة حجرية أخرى فوق الباب الغربى للجامع ، هدم الباب المذكور وأعيد بناؤه بالجمر ، وأقيمت المنارة الجديدة فوق عقده ^(١١) . غير أن هذه المنارة أيضا لم تعمر كثيرا فهدمت سنة ٨٢٧ هـ (١٤٢٤ م) لظهور خلل بها وأعيد بناؤها .

وهنا نلاحظ أنه لم يرد ضمن العمارات التى أجريت بالجامع منذ العصر الفاطمى حتى سنة ٨٠٠ هـ (١٣٩٧ م) ، عمل ترميم أو إصلاح فى منارته ، مما يعزز وجود منارته القديمة دون أن يؤثر عليها زلزال سنة ٧٠٢ هـ (١٣٠٢ م) لأنها كانت خفيفة وقصيرة كما قيل فى وصفها .

وكذلك أكدت الحوادث أنها كانت فوق الباب (الغربى) للجامع شأن المنارات الفاطمية ، وهو الباب الذى جددته السلطان قايتباى وأقام منارته بجواره ^(١٢) .

وفى شهر شوال سنة ٨٢٧ هـ (١٤٢٤ م) شرع الملك الأشرف برسباى فى عمل صمريخ بالصحن تم بناؤه فى صفر سنة ٨٢٨ هـ (١٤٢٥ م) . وهذه العملية أظهرت آثار فسقية كانت بالصحن . وأهم العمارات التى أجريت فى دولة المماليك الحرا كسنة العمار التى أجراها السلطان قايتباى سنة ٨٧٣ هـ (١٤٦٨ م) ، فقد هدم بابه الكبير الغربى وهو الباب القديم للجامع الذى كانت تعلوه المنارة ، وجددته على ما هو عليه الآن ، وأقام على يمينه منارة رشيقة .

وهذا الباب والمنارة من طرف العمار الاسلامية ، فقد حفل الباب بنقوش وكتابات كوفية من خرفة نصها : ” بسم الله الرحمن الرحيم . وسبق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا . الى قوله تعالى فادخلوها خالدين “ . وانخط الكوفى بهذه القاعدة نادر جدا فى أبواب هذا العصر .

وكذلك حفلت المنارة بنقوش وكتابات نسخية وكوفية ، وهى مكونة من ثلاث دورات ، وأمتازت بدقة الصناعة وجمال التناسب .

وفى سنة ٨٨١ هـ (١٤٧٦ م) زار السلطان قايتباى الجامع الأزهر ^(١٣) ، وأمر بالسير فى ترميمه وإصلاحه ، كما أمر بهدم الخلوات التى كانت بالسطح ، وتجديد دورة المياه .

وفى سنة ٩٠٠ هـ (١٤٩٥ م) أذن السلطان قايتباى للخوaja مصطفى بن الخوaja رستم ، بإجراء إصلاحات بالجامع وعمل مقصورة خشبية على وجه الإيوانات الثلاث حول الصحن ، وأثبت هذه العمار فى لوحة تاريخية مكتوب فيها :

(١) المقرئى ج ٢ ص ٢٧٦ (٢) الضو. الاعم ج ٦ ص ٢٠٩ (٣) التوهم الزاهرة ج ٦ ص ٢
ص ٨٠ (٤) ابن اياس ج ٢ ص ١٦٩ (٥) ابن اياس ج ٢ ص ٢٨٥

”أمر بتجديد هذا الجامع سيدنا ومولانا السلطان الملك الأشرف قايتباي على يد الخوaja مصطفى بن الخوaja محمود بن الخوaja رستم غفر الله لهم بتاريخ شهر رجب عام إحدى وتسعمائة“ .



قطاع رأمى

وفي سنة ٩١٥ هـ (١٥١٠ م) أمر السلطان قانصوه الغورى ببناء منارة للجامع ، تلك المنارة الضخمة ذات الرأس المزدوجة . وحى منارة عالية امتازت بتليس القاشانى ببدن دورتها الثانية . كما امتازت بوجود سلمين فيما بين دورتيها الأولى والثانية لا يرى الصاعد فى أحدهما الآخر . وهى إحدى النكت الفنية فى العمارة الإسلامية .

ولهذا السلم مثلان آخران أحدهما فى منارة قوصون والآخر فى منارة أزبك اليوسفى . وإذ قد انتهينا من أعمال الإصلاح فى الأزهر الى نهاية دولة المماليك الجراكسة ، فنورد المنشآت التى أضيفت اليه ، ثم تتبعها بالإصلاحات التى عملت فى العصر العثمانى لأنها تشملها أيضا .

المدرسة الطيبرسية — هذه المدرسة على يمين الداخل الى الجامع الأزهر ، أنشأها الأمير علاء الدين طيبرس الخازندارى ، نقيب الجيوش فى دولة الناصر محمد بن قلاوون ، وجعلها مسجدا

لله تعالى زيادة في الجامع الأزهر ، وقدر بها دروسا للفقهاء الشافعية ، وألحق بها ميثاة وحوضا لشرب الدواب . وانتهت عمارتها سنة ٧٠٩ هـ (١٣٠٩ م) .

ويقتر المقريزى أن الأمير طبرس عني برخامها وتذهيب سقوفها ، بدرجة أن أحدا لا يمكنه محاكاة ما فيها من صناعة الرخام ، فإن جميعه أشكال محاريب . وألحق بها مكتبة .

وهذا الوصف كشف لنا عن عبقرية المقريزى في الناحية الفنية ، فإن صناعة الرخام في محراب هذه المدرسة ، من أدق ما وجد من نوعها وأندر ، فالجزء الأسفل منه مكون من طاقات مقرنصة ، محمولة على عمد رخامية صغيرة ، لها تيجان رخامية أيضا . وتواشيجها من رخام مدقوق به فروع زخرفية بارزة ، وباقي المحراب من رخام أبيض لبست فيه ألوان الرخام بأشكال زخرفية ، وحلّت تواشيعه وأعلاه بفسيفساء مذهبة . وهو محراب قيم لم يبق منها سواء والوزرة بجانيه . كما بقيت شبابيكها النحاسية المزخرفة بأشكال هندسية . وتعتبر ثاني أنموذج من النحاس المصبوب ، إذ الأول في شبابيك قبة الصالح نجم الدين .

وقد اشتهر الأمير طبرس بحسن السيرة ، وبقي في نقابة الجيش الى أن توفي في ٢٠ ربيع الآخر سنة ٧١٩ هـ (١٣١٩ م) ودفن في مكان بمدرسته باقي حتى الآن ، وعليه قبة بسيطة .

ومما يؤثر عنه أنه لما فرغ من بناء هذه المدرسة ، أحضر اليه المشرفون على عمارتها حساب مصروفها ، فلما قدم اليه استدعى طستا فيه ماء وغسل أوراق الحساب كلها ، من غير أن يقف على شيء منها ، وقال : شيء خرجنا منه لله تعالى لا نحاسب عليه .

وهذا يذكرني بما فعلته السيدة زبيدة زوج هارون الرشيد حينما عرضت عليها مصاريف عين الماء التي أجرتها الى مكة ، إذ أخذت الدفاتر وألقت بها في النهر ، وقالت : تركنا الحساب ليوم الحساب^(٢) . وبما فعله السلطان أبو الحسن ، أحد ملوك المغرب ، لما فرغ من بناء مدرسته بمكتاسة الزيتون ، فانه جلس على كرسي أمام صهر يجها ، وجرى بالحساب المتضمن نفقات البناء ، ففرقه في الماء دون أن يطلع عليه^(٣) .

المدرسة الأقبغاوية : هذه المدرسة على يسار الداخل الى الجامع ، وبها الآن مكتبة الأزهر ، أنشأها الأمير علاء الدين أقبغا عبد الواحد ، أستاذ الملك الناصر محمد بن قلاوون ، سنة ٧٤٠ هـ (١٣٤٠ م) . وعهد بإنشائها الى آبن السيوف ، رئيس المهندسين في أيام الناصر محمد بن قلاوون .

(١) المقريزى ج ٢ ص ٢٨٣ (٢) نزهة الجليس ج ١ ص ٢٠

(٣) الاستغنى في أخبار المغرب الأقصى ج ٢ ص ٨٧

والباقي من قديمها الآن مدخلها ووجهة القبة ومحرابها، ومحراب المدرسة والمنارة، وقد أكلت إدارة حفظ الآثار العربية قبة المنارة سنة ١٩٤٥، وهذه البقايا تدل على أنها كانت مدرسة حافلة بشتى الصناعات؛ لجمال بابها بهمده ونقوشه، ودقة رخامها والفسيفساء المذهبة بمحاريبها. ومكتوب على بابها تاريخ البدء في عمارتها بما نصه :

”بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر. أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة المفضلة الأشرف العالى السيفى أقبغا الأوحدى أستاذ الآدر العالية الملكى الناصرى . وكان ابتداء العمل المبارك فى شهور سنة تسع وثلاثين وسبعائة“ .

ومكتوب بداخل القبة وعلى المنارة تاريخ الفراغ منها سنة ٥٧٤٠ هـ (١٣٣٩ م) .

واختيار هذين الأميرين لإنشاء مدرستيهما لصق الوجهة الرئيسية للجامع، يجعلنى أميل الى أنها كانت فى منتهى البساطة . ولم تكن أكثر من سور به شبابيك علوية، ثم شرفة كما نرى فى الجامع الطولونى .

المدرسة الجوهريّة : هذه المدرسة فى الطرف الشرقى البحرى عند باب السر للجامع الأزهر، أنشأها الأمير جوهى القتبائى، خازن دار الملك الأشرف برسباى . وكان إنشاؤه لها فى سنه الأخيرة . ولما توفى سنة ٨٤٤ هـ (١٤٤٠ م) دفن فى المدرسة^(١) . وهى مدرسة صغيرة، ولكنها اشتملت على جميع تفاصيل المدرسة، لا شتمالها على أربعة إيوانات يتوسطها صحن مفروش بالرخام الملون، كما كانت الإيوانات مفروشة بالرخام الدقيق الملون مثل الإيوان القبلى .

وقد حرص مهندسها على المضاهاة؛ فلم يترك باباً ولا دولاباً إلا فتح أمامه ما يضاويه . وبها شبابيك جصية ملونة، كما عنى بتطعيم نجارة الدواليب والأبواب بالسن .

أما ضلف الشبابيك فقد حليت بزخارف حفرت فى وجهها، تقليداً لأبواب المدرسة الظاهرية . وفى الطرف القبلى الغربى قبة صغيرة حجرية، لعلها أصغر قبة فى الآثار الإسلامية بمصر بعد قبة المدرسة الفاصدية، فرشت أرضيتها بالرخام على شكل محراب، ويتوسطها قبر المنشئ؛ وقد حلى سطح القبة بزخارف مورقة تعتبر من بواكير زخرفة القباب .

العصر العثمانى : كان للأزهر نصيب كبير من ولاية مصر وأعيانها فى العصر العثمانى، فقد أجريت به أعمال ترميمية ووقفت عليه أوقاف كثيرة . فقد قام بممارته سنة ١٠٠٤ هـ (١٥٩٥ م) والى مصر السيد محمد باشا^(٢) .

(١) خازن دار : وظيفته الإشراف على خزينة الملك أو الأمير . (٢) الضو. اللامع للسخارى ج ٣ ص ٨٢ .
(٣) الروضة المأنوسة .

وفي سنة ١٠١٤ هـ (١٦٠٥ م) أجرى به الوزير حسن باشا وإلى مصر إصلاحات ، وعمر رواق الخنفة^(١) . وكذلك أصلح سقفه الأمير إسماعيل بك بن أيواظ بك القاسمي المتوفى سنة ١١٣٦ هـ (١٧٢٣ م)^(٢) .

وفي سنة ١١٤٨ هـ (١٧٣٥ م) أنشأ الأمير عثمان كتنخدا زاوية للعميان خارج الأزهر . وقد هدمت أخيرا . وعمر رواق الأتراك ورواق السلمانية (الأفغانيين) وزاد في رواق الشوام ورتب لذلك مقتررات خيرية^(٣) .

وفي سنة ١١٦٣ هـ (١٧٤٩ م) أهداه منولتين الوزير أحمد باشا كور وإلى مصر ما زالتا به . وإحداها مركبة في الوجهة الغربية للصحن ، ومكتوب عليها :

منزلة متقنة * نظيرها لا يوجد

راسمها حاسبها * هذا الوزير الأجد

تاريخها أتقنها * وزير مصر أحمد

سنة ١١٦٣ هـ

وكانت أكبر عمارة أجريت به تلك التي قام بها الأمير عبد الرحمن كتنخدا سنة ١١٦٧ هـ (١٧٥٣ م) ، فقد زاد في الجامع الأزهر مساحة كبيرة ، بإضافة الأروقة خلف المحراب القديم . وقد جددتها الخديو توفيق باشا سنة ١٣٠٦ هـ (١٨٨٨ م) . وبقي بها محراب من الرخام الدقيق على يساره قطعة مئنة من الرخام مكتوب فيها بالكوفي المربع الله عهد وأسماء العشرة المبشرين بالجنة . وفوق المحراب قبة ، ويجواره منبر خشبي . ويجاور هذا المحراب محراب آخر صغير عرف بمحراب الدردير ، بالقرب منه محراب حديث ، أحدثته إدارة حفظ الآثار العربية لتركيبة الكسوة الخشبية التي كانت تغطي المحراب القديم .

وفي النهاية القبلة لهذا الإيوان يوجد باب يؤدي إلى قبة أنشأها الأمير عبد الرحمن كتنخدا . ودفن فيها سنة ١١٩٠ هـ (١٧٧٦ م) . وأمامها سبيل ، ثم باب الصعايدة الذي أنشأه ، وأنشأ منارة بجواره ، ثم أنشأ باب الشورية في الطرف الشرقى البحرى ، وأنشأ منارة بجواره .

ومن أعماله بالجامع أيضا تجديد وجهة المدرسة الطيرسية ، وأبقى بها شبابيكها . النحاسية ودائرة من القاشاني بها : " الملك لله وحده " . وأنشأ الباب الغربى الكبير الرئيسى للأزهر . وهو محلى بكتابات وزخارف دقيقة في الحجر والرخام يسترعى النظر فيها براعة الخطاط في كتابة " الصلاة عماد الدين

(١) الروضة المأرسة . (٢) الخطط الجديدة ج ٤ ص ١٢ ، الجرنج ج ١ ص ١١٤

(٣) الجرنج ج ١ ص ١٦٨ ، الأزهر للاستاذ محب الدين الخليل ص ٢٠

عجلوا بالصلاة قبل الفوت" بشكل زعرقي نادر، وكان يملوه كتاب ويحاوره منارة . وبهذا الباب ضمت المدرستان الطبرسية والأقبغاوية إلى الأزهر . وقد هدم الكتاب والمنارة وفكت مباني الباب وأعيد بناؤه في سنة ١٨٩٦ م، عند توسعة الشارع وبناء الرواق العبابي .

والحقت بالجامع عدة أروقة للذهاب ، ولأهالي البلاد الإسلامية والبلاد المصرية ، رصدت عليها عدة أوقاف من أمراء مصر وسراتها .

أثر البيت العلوي في الجامع الأزهر — للأسرة الملكية على هذا المعهد مآثر جليلة وأياد بيضاء . ولا يسعني قبل أن أمضي في الحديث إلا أن أبحل لأmirات هذا البيت الكريم ما أسديته من الخير للأزهر ، فقد وقفت عليه المرحومة الأميرة زينب هانم، كريمة المغفور له محمد علي باشا، أوقافا كثيرة تبلغ عشرين ألف جنيه .

ووقفت المرحومة الأميرة جميلة هانم، كريمة المغفور له إسماعيل باشا، أوقافا عظيمة . ولقد مضى على تأسيس الجامع الأزهر ألف سنة، كان فيها موضع رعاية ملوك مصر وأمرائها، ولكنهم لا تعدوا المنن الفردية ، أما البيت العلوي الكريم فقد نتابت مآثره على هذا الجامع العظيم منذ حوالى ١٤٥ سنة .

المغفور له محمد علي باشا — من مآثره أنه في سنة ١٢٢٠ هـ (١٨٠٥ م) أجرى إصلاحات بالأزهر، وأنشأ به رواق السنارية بالتماس الشيخ محمد وداعة السنارى .^(٢)

وكان موضع رواق الحنفية بيوت مملوكة لأصحابها اشتراها المرحوم عباس باشا الأول ، وأمر بهدمها كي يبينها رواقا لأهل بلد الشيخ إبراهيم البيجورى شيخ الأزهر، فوافته المنية قبل إتمام هذا العمل، فأتمه المغفور له السيد أبو بكر راتب باشا .

المغفور له سعيد باشا — ولى مصر سنة ١٢٧٠ هـ (١٨٥٤ م) . وفى عصره عمر الأزهر عمارة حسنة .

المغفور له إسماعيل باشا — أمر بتجديد باب الصعايدة، الموجود بالنهاية القبلية الشرقية . بحدده أدهم باشا ناظر الأوقاف سنة ١٢٨٢ هـ (١٨٦٥ م) ونقش عليه أربعة أبيات من الشعر تضمنت اسمه ، ونصها :

بالمين أقبل باب سعد الأزهر * وسمت محاسنه بأعجب منظر
وغدا مجازا للحقيقة بالهدى * موصول مورده جميل المصدر
باب شريف للنجاح مجزب * انشاؤه نادى بخير الأعصر
في دولة اسماعيل داور عصرنا * يمت يسر كمال باب الأزهر

المغفور له محمد توفيق باشا — كانت عنايته بالأزهر كبيرة، ففى سنة ١٣٠٦ هـ (١٨٨٨ م) عني بتجديد إيوان عبد الرحمن كتبخنا، وقسم كبير من الإيوان الشرق القديم، ورواق الصعايدة ورواق الحرمين، والعقود حول الصحن وإعادة زخارفها وترميمها .

وفى سنة ١٨٩٠ جددت عقود وأكفاف مؤخر الإيوان الغربى، بكتاباته الكوفية وزخارفه، وعمرت القبة الفاطمية برأس المجاز .

المغفور له الحاج عباس حلمى الثانى — ولى الخديو عباس حلمى باشا الثانى، كانت أعمال الإصلاح جارية فى عقود صحن الجامع، فأدى فيه فريضة الجمعة، فى شهر جمادى الأولى سنة ١٣١٠ هـ (١٨٩٢ م) . وأمر بالسير فى تميم العمارة، كما أمر بإصلاح الحواجز الخشبية، وكتب عليها أنها جددت فى عصره سنة ١٣١٠ هـ .

مكتبة الأزهر — وأصدر الخديو عباس حلمى الثانى أمره فى سنة ١٣١٤ (١٨٩٦ م) بإنشاء مكتبة الأزهر، فاخترت لها المدرسة الأقباقوية . فأصاحت وجمعت الكتب من بعض أروقة الأزهر وغيرها وأودعت بها، وبلغت نفقاتها ١٦٠٠ جنيه . شملت العمارة وعمل الدواليب . كما اتخذت بقايا المدرسة الطيرسية ملحقا لها . وما زال لبغض الأروقة مكنتات خاصة تحوى كتباً نادرة .

وبمناسبة مكتبة الأزهر أذكر أنها لازمت منذ إنشائه، وكانت أماتها من الوظائف الكبيرة، ففى سنة ١٣١٧ هـ (١١٢٣ م) تولى أماتها مع خطابة الجامع أبو الفخر صالح .

وكان موضعها فى القرن الحادى عشر الهجرى (السابع عشر الميلادى) بجوار المنبر، فقد جاء فى وقف كتاب تنبيه الأنام فى بيان علو مقام نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام من محفوظات خزانة رواق الصعايدة أنه جعل مقره بخلوة الجامع الأزهر المعروفة بخزانة الكتب بجوار المنبر .

ولاشك أن هذه الخزانة بقيت إلى سنة ١١٦٧ هـ (١٧٥٣ م)، حتى هدمها الأمير عبد الرحمن كتحدا وأدخلها في زيادته . فتفرقت الكتب في الأروقة ، وأودع بعضها في جامع الفاكهاني وجامع العيني .

ولما أنشئت هذه المكتبة ، جمعت فيها الكتب المبعثرة ، ثم أهديت إليها مكتبات أهمها مكتبة المرحوم سليمان باشا أباطه وبها نوادر قيمة ، كما أهديت إليها مكتبات المرحومين أحمد باشا راشد ومختار باشا الغازي ، وكثير من أجلة مشايخ الأزهر وعلمائه .

وقد بلغت مجلداتها نحو مائة ألف مجلد . بينها نوادر اقردت بها عن كثير من المكتبات . كما يوجد بها مصاحف ورمات ملوكية ، إحداها باسم الناصر محمد بن قلاوون ، مودعة في صندوق خاص بها مكفت بالفضة مكتوب عليه اسم صانعه بما نصه : ” من صنعة أحمد بن أبارة الموصل في شهور سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة “ . وقد أضيفت إليها أخيرا مجموعة الرقوق المكتوبة بالخط الكوفي والمغربى وهى بقية عدة مصاحف كانت موقوفة على الأزهر . ثم أودعت في صندوق كان على يمين المحراب القديم ، حيث حوله عدة أقاصيص ؛ إلى أن فتح في ١٠ أبريل سنة ١٩٣٤ وأحدها وقفته السيدة زهرا بنت فايق مولات على بن المبارك التبتى على جامع القاهرة المنصورة .

وفي عهد الخديو عباس حلمى الثانى جددت الوجهة الغربية للجامع الأزهر بما فيها الباب الغربى الكبير وأنشئ الرواق العباسى واحتفل بافتتاحه في ٢٤ شوال سنة ١٣١٥ هـ (١٨٩٨ م) .

المغفور له الملك فؤاد الأول — كان عصر المغفور له الملك فؤاد على الأزهر عصر خير وبركة ، فقد اكتشف في عصره المحراب الفاطمى القديم ، وأصلحت وكلفت زخارفه ، والزخارف الحصية بالإيوان الشرقى .

وقد أصدر جلالته القانون رقم ٤٦ لسنة ١٩٣٠ للأزهر وكان من أكبر مزاياه إنشاء كليات أصول الدين والشريعة واللغة العربية . فافتتح رحمه الله كلية أصول الدين في ٢٨ مارس سنة ١٩٣٣ ، وكلتي الشريعة واللغة العربية في ٢٩ مارس سنة ١٩٣٣ ، وقد تم في عصره إنشاء مساكن الطلبة والإدارة العامة للمعاهد الدينية .

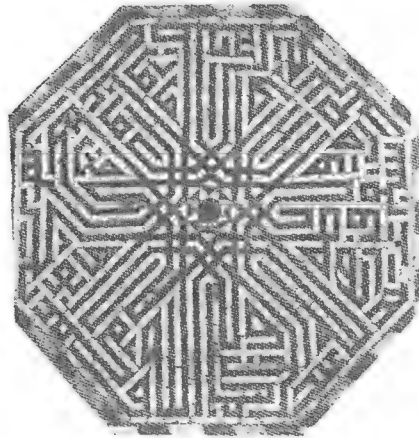
جلالة الملك فاروق الأول — لقد تابع جلالة الملك خطوات والده ، فعنى بالأزهر وعلمائه فقزبهم منه وأستن سنة حسنة باستمائه الى الدرس الدينى من المغفور له الأستاذ الإمام الشيخ محمد مصطفى المراغى . وتشريفه الاحتفال بأول العام الهجرى فيه وهو إحدى حسناته .

وفى عهد الزاهر أصاحت قمة منارتى الأفغايوة وقايتباى ، وفرشت جميع أراضيه بالرخام تنفيذاً لرغبته السامية .

وكذلك أمر بفرشه بالسجاد الفاخر على نفقة جلالته الخاصة ، فنفذت إرادته وتم عمل السجاد الذى بلغ مقاسه ٣٨٩٣ متراً وعدد قطعه ١٩٣ ، بلغت قيمتها ٧٠٠٠ جنيه .

ولأنها لمبة كبرى يذكرها العالم الاسلامى بجلالة الفاروق بالحمد والثناء ، وقد أتمت وزارة الأشغال إعداد مشروعات بناء الكليات وأقسام التخصص والتعليم الابتدائى والثانوى ، وقاعات المحاضرات العائمة والمستشفى ودار الكتب حول الجامع الأزهر ، وستنفذ قريباً فى عهده السعيد إن شاء الله .

وفى يوم الجمعة ٧ صفر سنة ١٣٦٥ . أدى فيه حضرة صاحب بجلالة الملك الصالح فاروق الأول فريضة الجمعة ومعه ضيفه العظيم جلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، ولعمري إنه خير تكريم للجامع الأزهر بل هو عيد ألقى له . فقد ألقى فى شهر صفر من سنة ٣٦٥ هـ أى منذ ألف سنة أول درس فى هذا المعهد الإسلامى الذى حفل تاريخه بشتى الذكريات .



العشرة المبشرون بالجنة

الجامع العتيق

باسمنا^(١٥)

اسسنا — وصفها مؤرخو القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) بأنها بلدة كبيرة حسنة العمارة كثيرة العمران ، بها ما يقرب من ثلاثة عشر ألف منزل ، وبها مدرستان إحداهما للشافعية^(١١) أنشأها الأمير أيبك بن عبد الله الصالحى التجمى المتوفى سنة ٦٩٥ هـ (١٢٩٥ م) وحمامان وأسواق ، وكان بها أسر كبيرة اشتهرت بالعلم والفضائل^(١٢) ، حتى قيل إنه كان بها فى وقت واحد سبعون شاعرا . وإليها ينسب عدد كبير من العلماء والفضلاء منهم بنو السديد ، وبنو الخطيب ، وبنو أشواق ، وبنو النضر ، وابن الحاجب النحوى .

وكانت مركزا تجاريا لشتى السلع^(١٣) ، وفى كل سنة ترد عليها قافلة من سنار ، حاملة تجارات تلك البلاد من الصمغ والريش ومن القيل .

وقد عني بها المغفور له محمد على باشا فيسرها أعمال الرى ، كما أنشأ بها قصراله فى سنة ١٢٥٢ هـ (١٨٣٦ م) . وأنشأ بها مصنعا لنسج القطن ما زال موجودا حتى الآن ، وثكنات للجيش .

ومن أهم مساجدها الجامع العتيق ، ويعرف أيضا بالعمري ، وهى التسمية التى أطلقت على جميع المساجد القديمة بالأقاليم .

المنشئ — منشئ هذا الجامع هو الوزير الخطير بدر الجمالى . كان مملوكا أرمنيا بجمال الدولة ابن عمار ، فلذلك عرف بالجمالى . تنقل فى الوظائف حتى ولى إمارة دمشق من قبل المستنصر بالله سنة ٤٥٥ هـ (١٠٦٣ م) . ثم وليها ثانيا فى سنة ٤٥٨ هـ (١٠٦٦ م) . فبلغه قتل ولده شعبان فى عسقلان بفرج فى شهر رمضان سنة ٤٦٠ هـ (١٠٦٧ م) . فثار عليه العسكر وأخربوا قصره . ثم تقلد نيابة عكا .

ولما ضعفت حالة المستنصر بالله بمصر واختلت دولته ، استدعى بدرا الجمالى على أن يتولى أمورها ، فعرض عليه شروطا كثيرة أجابه إليها . وقدم مصر فى سنة ٤٦٦ هـ (١٠٧٣ م) . فولاه شؤون مصر ، وخلع عليه الطيلسان ، وزاد فى ألقابه ، كافل قضاة المسلمين ، فأصلح الدولة وساس أمورها أحسن سياسة .

وكان وزير السيف والقلم ، وهو الحاكم فى دولته . ومن محاسنه أنه أباح الأرض للزارعين ثلاث سنوات ، حتى عم الرخاء ومكث فى الوزارة إحدى وعشرين سنة ، الى أن توفى فى ربيع الأول ،

(٥) انظر الصور من رقم ٢٩ — ٣٠ بمجموعة الصور التوتوغرافية .

(١) ابن الفرات ج ٨ ص ٢١٥ (٢) معجم البلدان ج ١ ص ٢٤٥ ، الطالع السيد الجامع لأسماء الفضلاء .

والرواة بأهل الصمد ج ١٦ (٣) الخطط الجديدة ج ٨ ص ٦١ و ٦٤

وقيل في جمادى الأولى سنة ٤٨٧ هـ (١٠٩٤ م) على ما رواه المقرئى وابن الوردى وابن ميسر وأبو الفدا . وذهب ابن خلكان الى أن وفاته كانت سنة ٤٨٨ هـ (١٠٩٥ م) ، ودفن في قبة أعدّها لنفسه خارج باب النصر ، وأرجح أنها هي الموجودة الآن هناك ، والمعروفة بقبة الشيخ يونس . وكان مغرماً بالعمارة . بحدّد جامع العطارين بالأسكندرية ، وسور القاهرة الثانى ، وأنشأ أبواب النصر والفتوح وزويلة ، ومشهد الجيوشى^(٢) ، ومشهد الرأس بعسقلان وجامع المقياس ، وعمارة الجامع الطولونى والمشهد النفيسى ، ومسجد النهرى بالحلّة الكبرى ، ثم هذا الجامع .



لوحة تاريخية

وكان الشروع في بناء هذا الجامع في النصف من شهر ذى الحجة سنة ٤٦٩ هـ (١٠٧٧ م) . والفراغ من عمل سقوفه سنة ٤٧٠ هـ (١٠٧٧ م) بإشراف القاضى أبى الحسين على بن أحمد ابن محمد بن النضر . وكلت منارته سنة ٤٧٤ هـ (١٠٨١ م) بأمر الأجل المنتخب نحر الملك سعد الدولة أبى منصور سارتمكين الجيوشى .

(١) أبو الفدا ، ج ٢ ص ٢٠٥ ، وابن ميسر ، ص ٣٠ ، ٣١ ، وفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ ص ٣١٣

(٢) وينسب هذا المشهد أيضا الى ابنه الأفضل شاهنشاه .

وقد جدد المسجد وبنيت وجهاته وعقوده بالطوب ، كما بنيت أبوابه ومحاريبه بالطوب الملقون ، وكتب على بابه القبلى : "جديد فى شهر رجب سنة ١٢٩٥ هـ" . كما توجد به منولة مؤرخة سنة ١٢٨٧ هـ من حساب خليل أفندى إبراهيم مهندس الخريطة الفلكية ، وقد بقى من المسجد القديم اللوحة التذكارية لإنشائه ، مكتوبة بالخط الكوفى ومثبتة على يمين المحراب ونصها :

"بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين صلوات الله وبركاته على مولانا وسيدنا الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين أمر بعمارة هذا الجامع المبارك السيد الأجل أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الإمام أبو النجم بدر المستنصرى أدام الله قدرته وأعلى كلمته القاضى أبا الحسين على بن أحمد بن محمد بن النضر فأسس فى النصف من ذى الحجة سنة تسع وستين وأربع مائة وسقف فى النصف من شهر ربيع الأول سنة سبعين وأربع مائة وفقه الله لمرضاته وأمانه على طاعته كما يصرف اهتمامه الى عمارته " .

وبمناسبة تضمين هذا النص اسم ابن النضر أذكر ما كتبه الأندلسى عن هذه الأسرة وعن الجامع قال :
 "وبنو النضر رؤساء أعيان وهم الذين بنوا جامع الخطبة بإسنا بعد العشرين وأربعمائة .
 وبني الزيادة التى فيه على بن محمد منهم فى سنة تسع وخمسين وأربعمائة . وكان إذ ذاك ناظر الأقباس بالأعمال القوصية " .

وأهم ما بقى من المسجد منارته القديمة الواقعة فى الركن الغربى القبلى ، وهى مبنية بالطوب . وقد طرأ على قاعدتها تغير بسيط ، وهى محتفظة بجميع تفاصيلها . وتعتبر على ما أرجح أقدم نموذج مؤرخ كامل للمنارات الإسلامية بمصر ، وعلى متوالها أنشئت المنارات فى الوجه القبلى . كما بقيت اللوحة التذكارية لإنشائها ، وهى مثبتة على يسار المحراب مكتوبة بالخط الكوفى ونصها :
 (٢)

"بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين . هذا مما أمر بإنشاء هذه المأذنة الأجل المنتخب نحر الملك سعد الدولة تاج المعالى ذو العزى حسام أمير المؤمنين أبو منصور سارتمكين الجوشى نصره الله وظفره ووقفه وأحسن عونه فى شهور سنة أربع وسبعين وأربعمائة ابتغاء مرضاة الله تعالى ونوابه ورجاء الدار الآخرة والأمن من عقابه رحمه الله تعالى وحشره مع مواليه الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين ورحم من ترحم عليهم آمين يارب العالمين " .

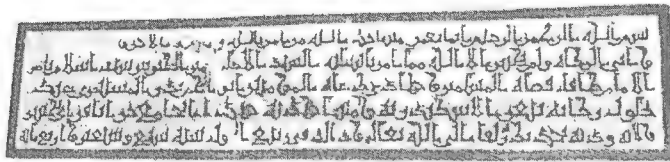
مسجد العطارين

(*)
بشارع جامع العطارين

هذا المسجد من أقدم مساجد الإسكندرية ، وكان قائما في سوق العطارين فعرف به ، غير أن عوادي الزمن اعتدت عليه فخرّبه .

وفي سنة ٤٧٧ هـ (١٠٨٤ م) زار بدر الجمالي وزير الخليفة الفاطمي المستنصر بالله مدينة الاسكندرية ، في طلب أبنه الأوحّد الذي خرج عليه . فرأى هذا الجامع خرابا فأمر بتجديده ، وأشار الى ذلك في لوحة تاريخية لم يبق سواها من المسجد القديم ، ونصها :

” بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله مما أمر بإنشائه السيد الأجل أمير الجيوش سيف الاسلام ناصر الامام كافل قضية المسلمين وهادى دعاة المؤمنين أبو النجم بدر المستنصرى عند حلول ركابه بشفر الاسكندرية ومشاهدته هذا الجامع خرابا فرأى بحسن ولائه ودينه تجديده زلفا الى الله تعالى وذلك في ربيع الأول سنة سبع وسبعين وأربع مائة “ .



لوحة تاريخية

وقد ثبتت هذه اللوحة في قاعدة المنارة على يسار الداخل من الباب البحرى الشرق . ولما كان هذا المسجد حرما كبيرا لمدينة الإسكندرية ، ومن أكبر مساجدها ، فقد نقل ملك مصر صلاح الدين يوسف الخطبة منه الى مسجده الذى أنشأه بالإسكندرية سنة ٥٧٧ هـ (١١٨١ م)^(٣) ، عملا بخطته في مكافئة الفاطميين .

(*) انظر الصورة رقم ٣١ بمجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) تاريخ مصر لابن ميسر ، ص ٢٦ و ٢٧ . (٢) ابن ميسر ، ص ٢٦ و ٢٧ (٣) السلوك ، ج ١ ص ٧٦

وقد كان هذا الجامع مركزاً ثقافياً عرف بالجامع الجيوشي، وبيجام العطارين . قام بالتدريس فيه أجلة العلماء؛ منهم الولي الصالح أبو العباس المرسى، فقد تولى التدريس فيه عقب الإذن له من شيخه أبي الحسن الشاذلي^(١) .

ومن تولى التدريس فيه قاضي قضاة الاسكندرية أحمد بن أبي المعالي محمد ناصر الدين أبو العباس ابن المنير المتوفى سنة ٦٨٣ هـ (١٢٨٤ م) . والعلامة إبراهيم بن محمد بن عبد الواحد بن وثيق^(٢) ، وقد تلقى عليه به المكين الأسمر شيخ القزاء بالاسكندرية . ومن تولى التدريس فيه العلامة أبو محمد الصبيدي شيخ القزاء بالاسكندرية .

وكذلك تولى التدريس فيه العلامة محمد بن سليمان بن أحمد الصنهاجي المراكشي ، واتخذ مسكناً له الى أن توفي سنة ٧١٧ هـ (١٣١٧ م) ودفن فيه . وهو الذي عليه قبة المسجد الحالية^(٣) . وفي سنة ١٣١٩ هـ (١٩٠١ م) أمر بتجديده على ما هو عليه الآن المغفور له الخديو عباس باشا حلمي الثاني . ولهذا المسجد منارة حجرية رشيقة ، وبنيته وجهاته بالجمر ، وحليت أبوابه بالمقرنصات والكفّات .

ويشتمل داخله على خمسة أروقة، وقد نقش المحراب بالبوية تقليداً للرخام، يحاوره منبر بسيط، وفي الطرف البحري الشرق قبة أقيم على وجهها حجاب من خشب الخرط ، وفي مؤخره دكة المبلغ تشغل الجدار الغربي، وتعرف في الاسكندرية بالصندرة .

(١) دقة الأسرار، ص ١٨٢ (٢) بنية الوعاة ص ١٦٨ (٣) طبقات القزاء، ج ١ ص ٢٥
(٤) ابن وثيق توفي سنة ٦٥٤ هـ (١٢٥٦ م) . والمكين الأسمر هو عبد الله بن منصور الإسكندري المتوفى بها سنة ٦٩٢ هـ (١٢٩٢ م) وقبره بجوار مسجد ياقوت العرشي . (٥) طبقات القزاء، ج ١ ص ٤٠٠ - ٤٠١
(٦) ترجمه ابن حجر العسقلاني في الدرر الكامنة وقال عنه : نزى الاسكندرية وذكر وفاته دون محل دفنه . وقد ذكر حضرة الأستاذ بشير الشندي في أهرام يوم ١٠ أغسطس سنة ١٩٤٥ أنه أقام بهذا المسجد الى أن مات ودفن فيه . وقد سألت حضرة عن المصدر التي اعتمد عليه فأجابني أنه اعتمد على وقات من مخطوط مجهول .

الجامع الأقم

شارع المعز لدين الله (التحسين)

مذشئ هذا الجامع هو الخليفة الأمر بأحكام الله أبو على المنصور بن المستعلى بالله، وكان مولده يوم الثلاثاء ١٣ محرم سنة ٤٩٠ هـ (١٠٩٧ م) وبويع بالخلافة يوم وفاة أبيه، وهو طفل عمره خمس سنين وأشهر وأيام^(١). وذلك في يوم الثلاثاء ١٧ صفر سنة ٤٩٥ هـ (١١٠١ م) بتدبير من الوزير الخطير الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالي، الذي كان مشرفاً على شؤون الدولة وخليفته غير المتوج. وقد ولي الوزارة بعد وفاة الأفضل في سنة ٥١٥ هـ (١١٢١ م) أبو عبد الله محمد بن مختار بن فاتك البطائحي، ولقب بالمامون. وكان وزيراً حازماً. ظل قائماً بشؤون الدولة إلى أن قبض عليه الأمر في سنة ٥١٩ هـ (١١٢٥ م) واعتقله وتفرغ بعده للحكم، ولم يبق أمامه منافس إلى أن توفي في ١٤ ذي القعدة سنة ٥٢٤ هـ (١١٣٠ م).

وكان الخليفة الأمر بأحكام الله كريماً اقترن عهده بالرخاء، وأنشئت في أيامه دار وكالة بالقاهرة، وخصصت للوافدين من العراقيين والشاميين وغيرها من التجار، وأمر بعمل دار الضرب سنة ٥١٦ هـ (١١٢٢ م) لصك النقود.

ومما أخذ عليه أنه كان متفاعداً عن الجهاد، منهاوتا في الذود عن بلاده حتى استولت الفرنج على غالب السواحل^(٢).

وعُد من حسناته تعميره مدينتي تنيس ودمياط، وإنشاؤه قصر القرافة، كما أمر بتجديد المشاهد السبعة التي بين القرافة والجبل. وإنشاؤه قصر المودج بالروضة، وعمله محراباً خشبياً للجامع الأزهر مازال موجوداً بدار الآثار العربية. وأجمل منشأته وأحسنها هذا الجامع الذي لم يبق له سواه. والجامع الأقمر من مفاخر العمارة الفاطمية. وقد أشرف على إنشائه وزيره أبو عبد الله محمد ابن فاتك، ودون اسمه مع اسم الأمر في النصوص التاريخية التي كتبت على وجهة المسجد.

(٥). انظر الصور من رقم ٣٢ - ٣٤ بمجموعة الصور الفوتوغرافية.

(١) المقرئ، ج ٢ ص ٢٩٠، النجوم الزاهرة، ج ٥ ص ١٧٠ (٢) المقرئ، ج ١ ص ٤٥١

(٣) ابن ميسر، ص ٦٢ (٤) النجوم الزاهرة، ج ٥ ص ١٧٨ (٥) ابن دقاق، ج ٤ ص ٤١٢١

ابن ميسر ص ٦٢

وهو من المساجد المعلقة ، فقد كانت تحته حوانيت . وألحق به حوضا لشرب الدواب .
 ووجهته الغربية مبنية بالحجر ، وهى أجمل وجهة جافلة بالنقوش والكتابات الكوفية من آيات قرآنية
 ونصوص تاريخية ، كما أشتت على مقرنصات وعقود بمقوصة لتوسطها دوائر مكتوب بها (مجد)
 مكرر وعلى . وأجملها الدائرة الكبيرة فوق الباب وقد كتب بها : ”بسم الله الرحمن الرحيم إنما
 يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا“ . ويتوسط العقد الأيسر للباب دائرة
 كتب حولها بالكوفي (مجد) مكررة وعلى .

كما يوجد بها حنايا وشبابيك صغيرة ، تكتنفها عمد صغيرة حلزونية وبعضها حلزوني من أعلاه
 لعلها أقدم نموذج بمصر ، يتوسطها قنديل ، ومكتوب أعلاها : ”لا إله إلا الله وحده لا شريك له“ .
 وعلى يسار الباب منارة لم يبق منها سوى بدن دورتها المستدير حتى الدورة الأولى . أما علوها
 فقد هدم سنة ٨١٥ هـ (١٤١٢ م) ، وبقياتها تشع أنها كانت منارة ممتازة بالنقوش الغربية بمزامها
 وبطاقات المقرنص . وهى من إنشاء الأمير بلبغا السالمى سنة ٧٩٩ هـ (١٣٩٦ م) . وتنتهى الوجهة
 بناصية بها مقرنص من حطين كتب على جانبيه مجد وعلى وفى طاقاته : إن الله مع الذين اتقوا والذين
 هم محسنون .

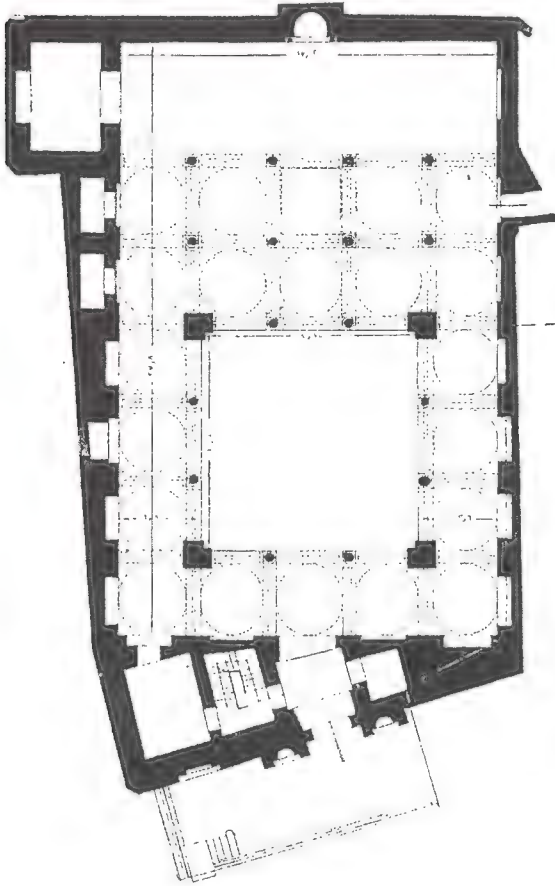
ومما يؤسف له أن هذه الوجهة النادرة ، اعتدى الزمن عليها ففقد نصفها الأيمن ، وحل محله
 منزل نزع ملكيته إدارة حفظ الآثار العربية . ولعل هدمه يساعد على وجود تفاصيل تمكن من
 إعادة بناء بقية هذه الوجهة التى لا شك أنها كانت مثل الجانب الأيسر .
 وتوجد فكرة سائدة فى أن هذه الوجهة هى أول وجهة حجرية فى مساجد مصر ، ولمن ذهب هذا
 المذهب عذره ، لأنها هى أقدم وجهة حجرية باقية فى مصر ، ولأن الشائع فى المنشآت الفاطمية
 البناء بالطوب .

ولكن التاريخ حدثنا عن استعمال الحجر فى الأبنية الفاطمية بجانب الطوب ، فالقصور الفاطمية
 التى ضاعت ، يصفها ناصر خسرو^(١) وقد زارها سنة ٤٣٩ هـ (١٠٤٨ م) بأن جدرانها من الحجارة
 المحكمة الانطباق بعضها على بعض ، حتى ليخيل للإنسان أنها منحوتة فى صخرة واحدة . وقد عثر
 فى أقاض قصر بشتاك المنشأ على رقعة من أرض القصر الكبير ، على قطعة من الحجر المنقوش عليها
 صورة سيدة على رأسها غزال ، فلعلها مغلقة من أحد أبواب القصر الفاطمى ، هى وقطعة حجر
 أخرى منقوشة .

وكذلك نرى باب الجامع الحاكي ومنايريه بنيت بالجحر . ويحدثنا المقرئ عن جامع ولى العهد أمير المؤمنين ، أحد الأتارب فى الأيام الحاكية بقوله : « وكان المسجد بالجحر » . كما يذكر أن جامع راشدة الذى بناه الحاكم سنة ٣٩٣ هـ (١٠٠٣ م) كان مبنيًا بالجحر .^(١)

وقد دَوَّن على وجهة الجامع تاريخ إنشائه فى موضعين : أولها بخط كوفى كبير فى الوجهتين الغربية والبحرية بما نصه :

(« بسم الله الرحمن الرحيم مما أمر بعمله ... فقى مولانا وسيدنا الإمام الأحمر بأحكام الله ابن الإمام المستعلى) بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليهما وعلى آبائهما الطاهرين وأبنائهما الأكرمين تقربا إلى الله الملك الجواد ... آمين ، وأقام ...
اللهم انصر جيوش الإمام الأحمر
بأحكام الله أمير المؤمنين على كافة
المشركين ... السيد الأجل المأمون
أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر
الإمام كافل قضاة المسلمين وهادى
دعات المؤمنين أبو عبد الله محمد الأمرى
عضد الله به الدين وأمتع بطول بقاءه
أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته
فى سنة تسع عشرة وخمسمائة ... لإقامة
البرهان » .



مسقط أفق

والثانى بخط كوفى صغير يمتد مع
الوجهة فوق عتب الباب ونصه :

(« بسم الله الرحمن الرحيم أمر ...
فقى مولانا وسيدنا الإمام الأحمر بأحكام
الله ابن) الإمام المستعلى بالله أمير المؤمنين
صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين
وأبنائه الأكرمين السيد الأجل المأمون

(١) المقرئ ، ج ٢ ص ٢٨٢ (٢) الكدات المحصورة بين قوسين غير موجودة الآن وقد راجعت هذين النصين على

Répertoire Chronologique d'Épigraphie Arabe vol. VIII. p. 146-148.

أمير الجيوش (سيف الإسلام) ناصر الإمام (كافل قضية) المسلمين وهاذى دعوات المؤمنين أبى عبد الله محمد الآمرى عضد الله به الدين وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته (فى سنة) تسعة عشرة ونحسمائة والحمد لله وحسبنا الله ونعم الوكيل .

والمسجد صغير الحجم ، يؤدى إليه باب بارز قليلا عن الوجهة ، له صحن مكشوف يحيط به أربعة إيوانات ، أكبرها إيوان المحراب المشتمل على ثلاثة أروقة بها عمد رخامية تحمل عقودا فارسية مغطاة بقبوات صغيرة .

أما الرواق أمام المحراب فهو أوسعها . ويبسدى أنه كانت توجد مقصورة خشبية على وجه هذا الرواق لأن أثروائها باق فى قواعد العمد .

وتغطية السقف بقبوات صغيرة فى العصر الفاطمى سبقه إليها بدر الجمالى فى بابى النصر والفتوح ، ووجدت فى مشهد إخوة يوسف . كما رأيناها بعد حول الصحن أمام قبة قلاوون . ثم فى خاتمه فرج بن برقوب بالصحرى ، ثم شاعت فى المساجد العثمانية ، وفى كثير من مساجد البلاد التى تكثر فيها الأمطار مثل رشيد ومطوبس وأدفينا .

ويقوم المحراب فى صدر المسجد ، وهو مكسو العقد برخام ملون دقيق تعملوه لوحة تذكارية للعبارة التى أجراها بالمسجد الأمير يلبغا السالمى ونصها :

” بسم الله الرحمن الرحيم فانظر الى آثار رحمت الله كيف يحيى الأرض ... الآية أمر بعمل هذا المنبر والمئذنة وغيره بعد اندراسه فى أيام مولانا السلطان الملك الظاهر أبو سعيد برقوب حرس الله نعمته العبد الفقير الى الله تعالى أبو المعالى عبد الله يلبغا السالمى الحنفى الصوفى . لطف الله به فى الدارين وجعله ... فى شهر رمضان المعظم سنة تسع وتسعين وسبعائة . وكان بنى هذا الجامع فى أيام الخليفة الأمر بأحكام الله ابن المستعلى بالله فى سنة تسع عشرة ونحسمائة من الهجرة النبوية “ .

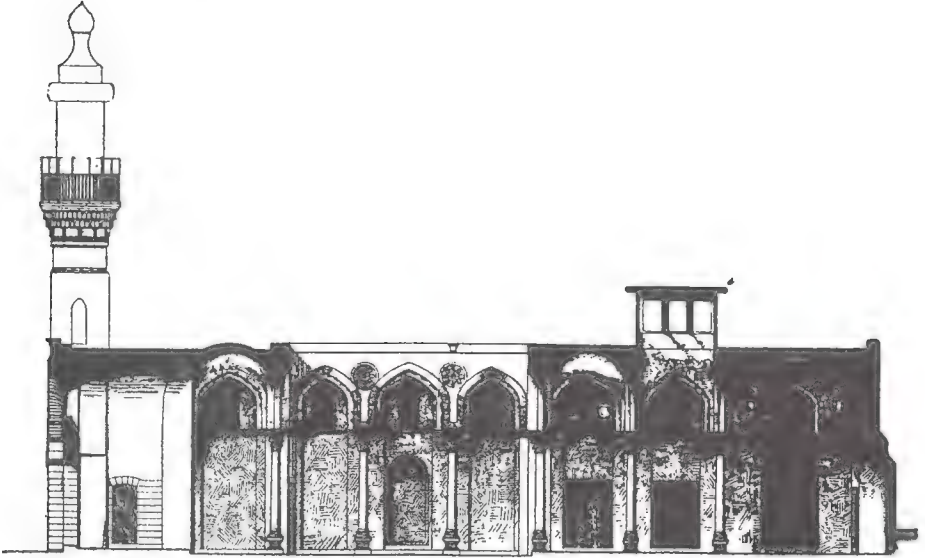
وكتب على باب المنبر أيضا : ” وقالوا الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبرا أمر بعمل هذا المنبر فى أيام مولانا السلطان الملك الظاهر برقوب نصره الله غرس نعمته العبد الفقير الى الله تعالى عبد الله يلبغا السالمى الحنفى الصوفى الظاهرى لطف الله به فى الدارين آمين . فى شهر رمضان المعظم سنة تسع وتسعين وسبعائة “ .

وقد تكررت الإشارة الى عمل المنبر فى النصين المذكورين ، وأحدهما على منبر فى منتهى البساطة ، لما لخصته فى سنة ١٩٣٦ م ، وكشفت أخشابا كانت مثبتة على قناطر مقدمه ، ظهرت

تحتها نقوش فاطمية قديمة، مكتوب بوسطها بالخط الكوفي: "المملك لله" كما تبين أن بظهر جلسة الخطيب زخارف باقية من منبره الفاطمي .

وبفحص جوانب المنبر من الداخل ، تبين وجود حشوات بها صور حيوانات تبلغ نحو ٢٥ قطعة فاطمية، لاشك أنها نقلت من مكان آخر واستعملت على ظهرها، لأنها في مسجد .
إذن فنحن أمام بقايا من منبر الأمر شئت عليها لوحة يلغا . والله يعلم أين ذهب باقي منبر الأمر ومنبر يلغا إن كان عمله .

وقد كان منبر الأمر قيا كما تنبئ بقاياه، لأن صناعة التجارة في المسجد دقيقة، ونتمثل في معبرة المدخل التي امتازت بالبساطة والجمال . كما تتمثل في حشوات الدواليب ومعاربها .



قطاع رأسى

وكانت العقود حول الصحن محاطة بكتابات كوفية بها آيات من القرآن يقرأ منها الان :
”بسم الله الرحمن الرحيم الله نور السموات والأرض مثل نوره كشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء“ .

وقد عنت إدارة حفظ الآثار العربية بإصلاحه في سنة ١٣٢٠ - ١٣٤٧ هـ (١٩٠٢ -

١٩٢٨ م) .

(١) معبرة الباب أو الشباك هي سقف مدخله الذي يعلو مصراعيه .

الجامع الأفحصر

المعروف بالفاسكهاني^(٥)

هذا الجامع على رأس حارة خوش قدم بشارع المعز لدين الله (العقادين) ، أنشأه الخليفة الظافر بنصر الله أبو المنصور إسماعيل بن الحافظ لدين الله أبي الميمون عبيد المجيد بن الأمر بأحكام الله سنة ٥٤٣ هـ (١١٤٨ م) ووقف حوائيته على سدنته^(١) ومن يقرأ فيه ، وقزر به دروسا وفقهاء ومعلمين للقرآن . وفي زلزال سنة ٧٠٢ هـ (١٣٠٢ م) سقطت مثذنة الجامع . وفي سنة ٨٤٤ هـ (١٤٤٠ م)^(٣) جدد الجامع .

وفي القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) عرف بجامع الفاكهيين ، وألحقت به مضاة^(٤) أمر بعمامها العالم الجليل محمد بن أحمد بن محمد الجلال المحلى المتوفى سنة ٨٦٤ هـ (١٤٥٩ م) . وولى إمامته العالم الجليل علي بن أحمد بن علي الكونى ، المتوفى سنة ٨٨٨ هـ (١٤٨٣ م)^(٥) .

وفي نهاية القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) عني بعمارته وزخرفته الأمير يشبك من مهدى . وأزال الأبنية التي كانت تحجبه^(٦) .

وفي سنة ١١٤٨ هـ (١٧٣٦ م) جرده الأمير أحمد كتحدا^(٧) مستحفظان الخربوطلى فهدمه وأعاد بناءه^(٨) . وكما كان المسجد القديم معلقا ، فان ببناءه أعيد معلقا أيضا ، وجعل في أسفله حوائيت ، ولم يحتفظ من المسجد الفاطمي إلا بمصاريع البابين الغربي والبحري ، وهى مصاريع فاطمية حليت حشواتها بنقوش من الأويمة ، تمثل زهرية تفزعت منها فروع نباتية .

وكانت هذه المصاريع بحالة سيئة ، إذ كانت مغطاة بطبقة سميكة من بوية الزيت ، فضاعت تحتها معالم الرسم القديم تقريبا ، كما أن بعض الأجزاء من نجارتها كانت تالفة جدا والبعض مشوه . وفي سنة ١٩١٩ أصلحت لجنة الآثار العربية هذه المصاريع وأزال الدهان فعاد لها رونقها القديم .

(٥) انظر الصور من رقم ٣٥ - ٣٦ بمجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) الميرزى ، ج ٢ ص ٢٩٣ (٢) السلوك ، ج ١ قسم ٣ ص ٩٤٤ (٣) النجوم الزاهرة ، ج ٧ ص ١١٨ طبع كالفرنبا . (٤) الضوء الالامع ، ج ٧ ص ٤١ (٥) الضوء الالامع ، ج ٥ ص ١٧٦ (٦) الضوء الالامع ، ج ١٠ ص ٢٧٤ رسامه الفلكيين . (٧) كتحدا : وظيفته قيم أروكل وتحرف الى كبحية) . (٨) الجبرق ، ج ١ ص ١٦٨

كذلك تخلف من المسجد الفاطمي مداميك حجرية في أعلى الباب الغربي كتب عليها بالخط الكوفي : " لا إله إلا الله محمد رسول الله " . تشعر أن الحجر استعمل في بنائه .

ومما يذكر عن الأمير أحمد كتحدا الخربوطلى الذى سلفت الإشارة إليه ، أنه من أمراء مصر في العصر العثماني ، وقد توفي يوم الخميس ١٢ رجب سنة ١١٤٩ هـ (١٧٣٦ م) ، ودفن في قبة سودون القصرى بالباطنية .

وكان المشرف على تجديده عثمان شلي شيخ طائفة العقادين ، فتمام تجديده وألحق به سبيلا له أرضية رخامية دقيقة يعلوه كتاب بنهاية الوجهة الغربية ، كما أنشأ وكالة بجواره وقد بلغت النفقات مائة كيس^(١) .

ويصعد إلى المسجد الحالى من كلا بابيه الغربى والبحرى بوضع درجات تؤدى إلى الداخل ، حيث أربعة إيوانات يتوسطها صحن مغطى بسقف منقوش في وسطه منور مئمن .

وأكبر هذه الإيوانات الشرقى ، وهى جميعا تسودها البساطة فلا نقوش ولا وزرات رخامية إلا المحراب ، فانه من الرخام الدقيق ، وطاقيته وعقده وتواشيحه^(٢) من القاشانى ، لتوسطه تربية كتب عليها : " ما شاء الله " سنة ١١٤١ هـ . كما يحيط بالشباك المستدير أعلاه كسوة من القاشانى .

وتقوم المنارة على يسار الباب ، وهى منارة أسطوانية تنتهى بمسلة شأن باقى المنارات العثمانية .

وكان فى المسجد مكتبة كبيرة حافلة بمجموعة من المخطوطات فى شتى العلوم والمصاحف المذهبة ، أدركت بقيتها وزارة الأوقاف ونقلتها إلى الخزانة الزكية وقت أن كانت تابعة لها . ثم أرسلت إلى مكتبة الأزهر .

وقد دون تاريخ التجديد فى لوحات تذكارية يقرأ على إحداها وهى بأعلى الباب البحرى ما نصه :

" بسم الله الرحمن الرحيم جدد هذا المكان المبارك وقصد الثواب من الملك التواب الفقير إلى الله تعالى الحاج أحمد كتحدا مستحفظان سابقا فى شهر رمضان سنة ١١٤٨ هـ " .

(١) الكيس يساوى خمسة جنيهات . (٢) طاقة المحراب هى حنيه العليا والتواشيح — جانباً العقد المحيطة به

المشهد الحسيني

بالقاهرة^(١)

الامام الحسين — سيد شباب أهل الجنة، الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، أبو عبد الله، ربحانة النبي صلى الله عليه وسلم وشبيهه . ولد تلحس ليال خلون من شهر شعبان سنة أربع^(١) من الهجرة، وأذن النبي صلى الله عليه وسلم في أذنه، وسماه حسينا، فهو وأخوه الحسن سيدا شباب أهل الجنة . أمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، سيدة نساء العالمين إلا مريم عليهما السلام . روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الحسن والحسين ربحانتي من الدنيا » . وعن أبي يعلى بن مرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حسين مني وأنا من حسين أحب الله من أحب حسينا حسين سبط من الأسباط » . وعن أسامة بن زيد رضى الله عنه قال : طرقت النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة في بعض الحاجة، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو مشتمل على شيء لا أدري ما هو، فلما فرغت من حاجتي قلت : ما هذا الذي أنت مشتمل عليه ؟ فكشفه ؛ فإذا الحسن والحسين على وركيه ! . فقال : « هذان ابناي وابنا ابنتي اللهم إني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما »^(٢) .

وروى بالإسناد عن بريدة رضى الله عنه أنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطبنا، إذ جاء الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنبر، فحملهما ووضعهما بين يديه، ثم قال : « صدق الله ﴿ إنما أموالكم وأولادكم فتنة ﴾ » . نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما » .

وروى بالإسناد إلى عمر بن أبي سلمة ربيب النبي صلى الله عليه وسلم قال : نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ﴾ في بيت أم سلمة . فدعا النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة وحسنا وحسينا فغسلهم بكساء وعلى خلف ظهره . ثم قال : « هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » . قالت أم سلمة : وأنا معهم يا رسول الله ؟ قال : أنت على مكانك، أنت إلى خير .

(١) انظر الصور من رقم ٢٧ — ٤٣ مجموعة الصور الفوتوغرافية .

(٢) تهذيب الأسماء، للزوي ص ٢٠٤، ٢١١، وأسد الغابة ج ٢ ص ١٨، والطبري ج ٣ ص ٢٩

(٣) مصابيح السنة، ج ٢ ص ٢٠٣، وأسد الغابة ج ٢ ص ١١ (٣) أسد الغابة، ج ٢ ص ١٢

كان رضى الله عنه شجاعا مقداما منذ طفولته . فمن المأثور عنه أنه جاء رجل الى الحسن رضى الله عنه فوجده معتكفا في خلوة فاعتذر إليه ، فذهب الى الحسين فاستعان به ففضى حاجته وقال : لفضاء حاجة في الله عز وجل أحب الى من اعتكاف شهر .

وكان رضى الله عنه كثير الصوم والصلاة والصدقة والنج وأعمال الخير جميعا ، وقد حج نحوًا وعشرين حجة مليا ماشيا .

ومن كلامه رضى الله عنه : اعلموا أن حوائج الناس إليكم من نعم الله عليكم ، فلا تملوا النعم فتعود نقما . واعلموا أن المعروف يكسب حمدا ويمقب أجرا ، فلو رأيتم المعروف رجلا لرأيتموه رجلا جميلا يسر الناظرين ، ولو رأيتم اللؤم رجلا لرأيتموه رجلا قبيح المنظر تنفر منه القلوب وتفض دونه الأبصار . وكان يقول من جاد ساد ومن بخل ذل ، ومن تعجل لأخيه خيرا وجده إذا قدم على ربه غدا .

مقتله — إننى في هذا المقام أروى ما قاله العلامة محمد بن على بن طباطبا المعروف بالطقطقى :

” هذه قضية لا أحب بسط القول فيها ، استعظما لما واستفظاما ، فانها قضية لم يمر في الإسلام أعظم فحشا منها . ولعمري إن قتل أمير المؤمنين عليه السلام ، هو الطامة الكبرى . ولكن هذه القضية جرى فيها من القتل الشنيع والسبى أو التمثيل ما تقشعر له الجلود . واكتفيت أيضا عن بسط القول فيها بشهرتها فانها شر الطامات . فلن الله كل من باشرها وأمر بها ورضى بشئ منها ، ولا تقبل الله منه صرفا ولا عدلا ، وجعله من الأخسرين أعمالا ، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا “ .

وسأوجز حادث مقتله فيما يلى : ألفت الدولة الإسلامية قيادها للأمويين ، فتمهدت الخلافة لمعاوية ، وتوطدت قواعد ملكه ، ودانت له الدنيا ، وقبض على ناصية الحكم . ولما توفى في شهر رجب سنة ٦٠ هـ (٦٨٠ م) قام من بعده أبوه يزيد ، فأرسل الى الوليد بن عتبة بن أبى سفيان أمير المدينة يأمره بأخذ البيعة له من الإمام الحسين بن على . فلما استدعاه قال له : مثل لا يبايع سرا . ولكن إذا اجتمع الناس حضرت وكنت واحدا منهم ، فأذن له بالانصراف . ثم خرج مع أصحابه الى مكة المكرمة وذلك لليلتين بقيتا من رجب فأقام بها من شعبان الى ذى القعدة .

وكان للحسين أشياع وأتباع ، وكان له أكثر من سبب في الدعوة لنفسه بعد مقتل أبيه وبعد تنازل الحسن لمعاوية بن أبي سفيان .

ولما بلغ أهل الكوفة وفاة معاوية ونخرج الحسين الى مكة ، كتبوا إليه يسألونه القدوم عليهم ليسلموا الأمر إليه . وقالوا له في أحد كتبهم : إنا حبسنا أنفسنا على بيعتك ، ونحن نموت دونك . فصعدتهم وسار إليهم ومعه أهل بيته ، حتى بلغ كربلاء نخلوه كما خذلوا أخاه وأباه من قبل .

لحق الشهادة في طلب جقه في موقعة الطّف بجانب مدينة كربلاء . وكان ذلك في المحرم سنة ٦١ هـ (٦٨٠ م) بعد أن تألبت عليه جيوش عبد الله بن زياد وإلى الكوفة ، وضيق عليه ومنعوا الماء عنه . فتقدم ليشرب فرمى بسهم فوقه في فمه ، فخال يلته وبين شرب الماء . ثم احتروا رأسه ، وقتلوا معه من أصحابه وعشيرته أنسين وسبعين رجلاً ، حزوا رؤوسهم ووطئوا أجسامهم بخيولهم . ثم بعثت رؤوس القتلى والنساء والأطفال الى عبد الله بن زياد . فجعل ابن زياد يقرع فم الحسين بقضيب في يده . فقال له زيد بن أرقم : ارفع هذا القضيب ، فوالذي لا إله غيره ، لقد رأيت شفقي رسول الله صلى الله عليه وسلم على هاتين الشفتين ثم بكى ! .

وقد جمعوا أشلاء القتلى ، ودفنوا جسد الحسين رضى الله عنه ومن معه في اليوم الثاني بكربلاء ، ويعرف قبره الى اليوم بمشهد الحسين .

وقد عفى ابن زياد بتجهيز على بن الحسين ومن كان معه من الجرم ، ووجه بهم الى يزيد بن معاوية مع زحر بن قيس وآخرين ، فساروا حتى قدموا الشام ، ودخلوا على يزيد بن معاوية بمدينة دمشق ، ومعهم رأس الحسين . ولما وضع الرأس بين يديه دمت عيناه . وقال : ويحكم ! قد كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين ! رحم الله أبا عبد الله ! ثم أمر بالسيدات فأدخلن دار نسائه ، وأمر بتجهيزهم والعناية بهم أحسن عناية . وأرسل معهم حرساً من ثلاثين فارساً ، حتى وصلوا الى المدينة ، وبعث معهم بالرأس الشريف الى عامله بالمدينة عمرو بن سعيد فكفنها ، وأمر بدفنها بالبيع عند قبر أمه وأخيه .

وأكد هذه الرواية العلامة عمر بن أبي المعالي أسعد بن عمار في كتابه عن تحقيق مقرر رأس الحسين .

(١) تاريخ بغداد ، ج ١ ص ١٤٢ ، والقنبري ص ١٠٥ (٢) أبو الفداء ، ج ١ ص ١٩١ ، والأخبار الطوال ص ٢٥٦ — ٢٥٨ ، والطبري ج ٦ ص ٢٦٤ (٣) مرآة الجنان ، ج ١ ص ١٢٦

وهنا تضاربت الأقوال : فن قائل بأمر تجهيز الرأس الى المدينة ودفنه بها . وقيل : إنه أعيد الى الجسد بعد أربعين يوما ودفن معه بكر بلاء . ومن قائل إنه دفن عند باب الفراديس بدمشق . وهناك رواية أخرى أن الرأس وضع بخزانة السلاح بدمشق وبقى بها حتى ولى سليمان بن عبد الملك سنة ٩٦ هـ (٧١٤ م) فحمل الرأس في ثوب وعطره ، ثم صلى عليه ودفنه في مقابر المسلمين . وقيل : إن القبر نبش بعد ذلك وأخذ منه الرأس . والله أعلم ما صنع به . ويرى أن الرأس نقل في وقت ما إلى عسقلان . وبقى بها غير مشتهر الى أن زارها بدر الجمالي وزير الخليفة المستنصر بالله سنة ٤٨٤ هـ (١٠٩١ م) ، فأرشد الى مكانه فأخرجه وأتسا عليه مشهدا كبيرا . وزعم بعضهم أن أبا مسلم الخراساني : لما استولى على دمشق نقل الرأس منها الى مرو ، فدفن بها في دار الإمارة ثم بنى عليه رباطاً^(١) .

ويجانب هذه الروايات المتضاربة وجدت في الأقطار الإسلامية مشاهد متعددة باسم الإمام الحسين أذكر منها :

مشهد مرو — على فرسخين من مرو يوجد رباط ، قالوا : إن فيه رأس الحسين بن علي رضي الله عنه^(٢) .

مشهد حلب — وفي حلب مشهد الحسين ، وهو في وسط جبل جوشن ، بنى في أيام الملك الصالح ابن الملك العادل نور الدين^(٣) .

مشهد دمشق — المشهد الحسيني بدمشق بصحن المسجد الأموي ، وكتب عنه كثير من المؤرخين ، وعينه خليل الظاهري^(٤) لما دخل دمشق سنة ٨٣١ هـ (١٤٢٧ م) . وكتب عنه ابن فضل الله العمري ما نصه «وله بدمشق مشهد معروف داخل باب الفراديس وفي خارجه مكان الرأس على ما ذكرنا^(٥) . وقد جاء في أخبار الدولة العباسية أنهم حملوا أعظم الحسين ورأسه الى المدينة النبوية حتى دفنوه بقبر أخيه الحسن» .

مشهد عسقلان — ذكره أيضا ابن فضل الله بقوله : «كان رأسه بها ، فلما أخذها الفرنج نقل المسلمون الرأس الى القاهرة ، ودفن بها في المشهد المعروف بها على زعم من قال ذلك . والأظن أنه لم يتجاوز دمشق . والمدى بعيد بين مقتل الحسين ومبنى مشهد عسقلان^(٦)» .

(١) نهاية الأرب للتوري ، ج ١٨ مجلد ٢ خط . (٢) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ٣٣٣

(٣) تاريخ حلب لابن الشحنة ، ص ٨٧ (٤) كتاب زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمساكن ، ص ٤٥

(٥) مسالك الأبصار ، ج ١ ص ٢٢٠ ، رسائل تاريخية ص ٢٧ (٦) مسالك الأبصار ، ج ١ ص ٢٢٠

هذا جزء من تضارب أقوال المؤرخين . وفي الوقت نفسه توجد لهم أقوال تناقض بعض هذه الروايات . فزى المسعودي ينقض عن غير قصد رواية دفن الرأس بالبقيع . إذ يقول بمناسبة دفن الحسن بن علي ببقيع الغرق مع أمه — وهناك الى هذا الوقت رخامة مكتوب عليها : «الحمد لله مبيد الأثم وعبي الرم هذا قبر فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدة نساء العالمين والحسن بن علي بن أبي طالب وعلي بن الحسين بن علي ومحمد بن علي وجعفر بن محمد رضوان الله عليهم أجمعين» .

فلو كان الامام الحسين معهم لذكر اسمه بينهم .
وقد أورد هذه الأقوال أيضا ابن كثير المؤرخ ، وناقش رواية إحضار الرأس الى مصر ولم يأخذ بها .^(٢)

وناقش هذه الأقوال عمر بن أبي المعالى أسعد بن عمار بن سعد بن عمار رحمه الله في كتابه «الفاصل بين الصديق المبين في مقر رأس الحسين»^(٣) ووهنها وضعفها ورجح أنه بالمدينة حتى كاد يبلغ به مبلغ القطع فقال ما معناه : أما قولهم : إنه كان في خزان بنى أمية الى أن ظهرت الخلافة العباسية ، وإن أبا مسلم نقله الى خراسان ، فهذا بعيد جدا . لأن أبا مسلم لما فتح الشام كان بخراسان . والذي فتح دمشق هو عبد الله بن علي بن عباس . فكيف يتصور أن ينقله ؟ أو يمكن من ينقله الى مولاهم بخراسان ؟ ولو أنه ظفر به في خزان بنى أمية لأظهره للناس ، ليزدادوا لبني أمية بفضا .

وأيا فقد ولي العبد الصالح عمر بن عبد العزيز الخلافة ، وبعيد أنه كان يترك رأس ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في خزان السباح ولم يواريه .

وقولهم إنه كان بالمدينة عند أمه — قاله محمد بن سعد في طبقاته ، وابن أبي الدنيا وأبو المؤيد الخوارزمي خطيب خوارزم .

وأما قولهم إنه كان بمسقلان ، فلا يوجد في تاريخ من التساويح أنه نقل الى عسقلان ، ولا الى مصر . ويقوى ذلك أن الشام ومصر لم تكن بها الشيعة علوية .

أوردت هذه الأقوال على سبيل المثال لا الحصر . ولما كانت عسقلان هي قنطرة وصول الرأس الى القاهرة ، فإني أورد أقوال من أخذ بها من المؤرخين .

(١) التنبيه والاشراف للمسعودي ص ٣٠١ ، وقد ألفه سنة ٣٤٥ هـ (٩٥٦ م) .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ، ج ٨ ص ٢٠٤ (٣) نهاية الأرب للزيرى مجلد ٢ ج ١٨ ص ١٢٠ خط .

فمن أخذ بها ابن ميسر المؤرخ ، وخط بين بدر الجمالي وابنه الأفضل شاهنشاه في بناء مشهد عسقلان ، ولكنه قال : وكان حمل الرأس الى القاهرة ووضوله اليها يوم الأحد ٨ جمادى الآخرة سنة ٥٤٨ هـ (١١٥٣ م) .

أما القلقشندي فإنه يقتصر نقل الرأس من عسقلان الى القاهرة سنة ٥٤٩ هـ (١١٥٤ م) .
وأيضاً ابراهيم بن وصيف شاه ، وسبط بن الجوزي^(٢) — فقد ذكر الأول أن الرأس نقل من عسقلان الى مصر سنة ٥٤٩ هـ . وذكر الثاني أنه نقل سنة ٥٤٨ هـ (١١٥٣ م) .

واعترف بمشهد الرأس ابن المامون المؤرخ . فذكر في حوادث سنة ٥١٦ هـ (١١٢٢ م)^(٣) أن الأمر بأحكام الله أمر بإهداء قنديل من ذهب وآخر من فضة الى مشهد الحسين بعسقلان . وأهدى اليه الوزير المامون قنديلا ذهبيا له سلسلة فضية .

وأخذ ابن إلياس برواية مشهد عسقلان ونقل الرأس الى مصر سنة ٥٤٩ هـ (١١٥٤ م)، وزاد عليها أنه نقل الى ثلاث أماكن قبل أن يحضر الى القاهرة^(٤) .

أما المقرئ عميد مؤرخي مصر . فقد كان لبقا كيسا أمام هذا التضارب ، وعبر تعبيراً جميلاً يبعث على الارتياح إذ يقول :

«ولحفظ الآثار، وأصحاب الحديث وقلة الأخبار، ما إذا طوّل وقف منه على المسطور، وعلم منه ما هو غير المشهور، وإنما هذه البركات مشاهدة مرئية، وهي بصحة الدعوى ملية، والعمل بالنية» .

ثم ذكر رواية وجود الرأس بعسقلان نقلاً عن ابن عبد الظاهر . وأن المشهد هناك بناه أمير الجيوش بدر الجمالي ، وأتمه ابنه الأفضل شاهنشاه . وأنه لما خيف من سقوط عسقلان في أيدي الفرنج نقل الرأس الى القاهرة .

(١) أخبار مصر لابن ميسر ، ص ٣٨ (٢) صبح الأعشى ، ج ٣ ص ٣٥١
(٣) جواهر البحور ، ص ٥١ خط وقد تفضل حضرة الأستاذ الكبير أمين بك مرسي قنديل وكيل دار الكتب ونهني إلى أن ما بين أيدينا من نسخ هذا الكتاب هو ملخص له مؤلف مجهول وصل فيه إلى عصر النوري .
(٤) مرآة الزمان ، ج ٨ ص ١٣١ (٥) المقرئ ، ج ١ ص ٤٠٨ (٦) ابن إلياس ، ج ١ ص ٦٧
(٧) المقرئ ، ج ١ ص ٤٢٧

ورواية وجود الرأس في عسقلان معززة بنص تاريخي منقوش على المنبر الذي كان موجودا في مشهد الرأس بعسقلان^(١) . ولما خيف من سقوطها في أيدي الفرنج نقل الرأس الشريف الى مصر، ونقل المنبر الى المشهد الخليلي بالقدس، وهو باق به الى الآن .

وهو منبر نفخ ، جميع حشواته الخشبية مدقوقة بالأويمة الدقيقة وهو غاية في الدقة والجمال . ومكتوب على قوائمه :

” الحمد لله وحده لا شريك له محمد رسول الله على - ولّى الله صلى الله عليهما وعلى ذريتهما الطاهرة سبحانه من أقام لموالي الأئمة تسبيها مجدا ورفع راية وأظهر معجزا كل وقت وآية بين ... ربها فضلا عظيما وعناية . وكان من معجزه تعالى إظهاره رأس مولانا الامام الشهيد أبي عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب صلى الله عليه وعلى جده وأبيه وأهل بيته بموضع بعسقلان كان الظالمون لعنهم الله ستروه فيه إعفاء لنوره الذي وعد تعالى آية لظهاره لعنة الله على الظالمين وأباد الله تجاذبه به عن دور المخالفين وإظهاره الآن شرفا لأوليائه الميامين وانشرح صدور شيعته المؤمنين (به عن دور المخالفين وإظهاره الآن شرفا لأوليائه الميامين وانشرح صدور شيعته المؤمنين) الذين علم صفاء ضمائرهم في الولاء والدين وإنجاز المحجة على العالمين ورزق الله [على] قى مولانا وسيدنا معذ أبي تميم الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلى الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الطاهرين السيد الأجل أمير الجيوش سيف الاسلام ناصر الامام كافل قضية المسلمين وهادى دعاة المؤمنين أبا النجم بدر المستنصرى إظهاره في أيامه فاستخرجه من مكانه وخصه باجلاله وتكريم مقامه وتقديم إنشاء هذا المنبر برسم المشهد الشريف الذي أنشأ ودفن فيه هذا الرأس في أشرف محلة قبلة الأمير وصلاة التتقبلين وشفيع المستشفين والزائرين . وبناء من أسه الى علوه وإتباع له الأملاك وحبس منافع على عمارته وسدنته وجماله لليوم وما بعده الى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين وأنفق على جميع ذلك من فضل ما آتاه الله من حلّ ماله وخالص ما ملكه ابتغاء وجه الله وطلب ثوابه وإتباع رضوانه وإعلان شرف هذا الامام ونشر أعلامه بقوله تعالى إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين وقال النبي صلى الله عليه وسلم خلفت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى

(١) عسقلان مدينة فلسطين اسمها في التوراة عسقلون . استولى الفرنج عليها سنة ٥٤٨ هـ (١١٥٣ م) . ومكثوا بها ٣٥ سنة ، واستخلصها منهم السلطان صلاح الدين ، ثم خربها في سنة ٥٨٧ هـ (١١٩١ م) غداة استيلائهم عليها مرة أخرى . (٢) الجملة المحصورة بين قوسين مكررة أيضا على المنبر .

يردا على الحوض كهاتين ويجب على من يؤمن بالله واليوم الآخر تعظيمه وتشريفه والنظر في مصالحه وعمارة ما يحتاجه في أوانه وتطهيره . وكان إنشاء هذا المنبر في سنة أربع وثمانين وأربع مائة^(١) .

ومكتوب على باب المنبر ما نصه :

”بسم الله الرحمن الرحيم نصر من الله وفتح قريب لعبد الله ووليه معد أبي تميم الامام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه البررة الأكرمين صلاة باقية الى يوم الدين مما أمر بعمل هذا المنبر فتاه السيد الأجل أمير الجيوش سيف الاسلام ناصر الإمام كافل قضية المسلمين وهادى دعاة المؤمنين أبو النجم بدر المستنصرى عضد الله به الدين وأمنع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته للشهد الشريف بشفر عسقلان مسجد مولانا أمير المؤمنين أبي عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهما في شهور سنة أربع وثمانين وأربع مائة^(٢) .“

ولما زار الإمام الهروي الرحالة ثغر عسقلان سنة ٥٧٠ هـ (١١٧٤ م) قال : وبمسقلان مشهد الحسين عليه السلام كان رأسه به . فلما أخذتها الفرنج نقله المسلمون الى مدينة القاهرة ، وذلك سنة ٥٤٨ هـ (١١٥٣ م) . وذكره القزويني أيضا ووصفه بأنه مشهد عظيم . وتابعه ابن الطولوني الحنفى المتوفى سنة ٩٥٢ هـ (١٥٤٥ م) بقوله : « وبمسقلان مشهد الحسين كان به رأسه ، فلما أخذها الفرنج نقله المسلمون الى القاهرة سنة ٥٤٩ هـ^(٣) » .

المشهد الحسيني بالقاهرة — كان نقل الرأس الشريف من عسقلان ووصله الى القاهرة في يوم ٨ جمادى الآخرة سنة ٥٤٨ هـ (١١٥٣ م) . ولما وصل الى مصر حمل في سرداب الى قصر الزمرد . ثم دفن في قبة المشهد الذى أنشئ خصيصا له سنة ٥٤٩ هـ (١١٥٤ م)^(٤) .

ولما ولى ملك مصر السلطان صلاح الدين سنة ٥٦٧ هـ (١١٧١ م) أنشأ مدارس للآداب الأربعة منها مدرسة بجوار هذا المشهد ، غلب عليها اسم المشهد ، وقزر بها مدرسين وعهد بالإشراف عليها الى الفقيه البهائى الدمشقى ، فكان يجلس للتدريس عند المحراب الذى خلفه الضريح .

(١) Répertoire Chronologique d'Épigraphie Arabe, vol. VII, pp. 261, 262.

(٢) Répertoire Chronologique d'Épigraphie Arabe, vol. VII, pp. 259, 260.

(٣) آثار البلاد وأخبار العباد، ص ١٤٧ و ١٤٨ (٤) رسائل تاريخية، ص ٤٢

(٥) المفريزى، ج ١ ص ٤٢٧ (٦) النجوم الزاهرة، ج ٦ ص ٥٥

وهذا الوصف يجعلني أعتبر أن المسجد الحالي حل محل تلك المدرسة لوجود الضريح خلف جدار المحراب .
وقد عاين المشهد والمدرسة في مبدأ الدولة الأيوبية الرحالة ابن جبير أثناء رحلته من بلاد
الأندلس قاصدا الحج سنة ٥٧٨ هـ (١١٨٢ م) ، ووصفه وصفا مشوقا بقوله :^(١)

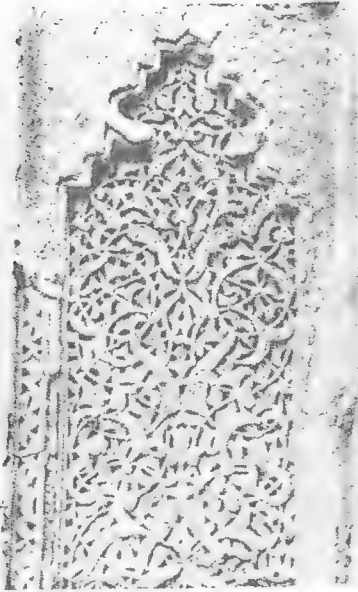
« فن ذلك المشهد العظيم الشأن الذي بمدينة القاهرة ، حيث رأس الحسين بن علي بن
أبي طالب رضي الله عنهما . وهو في تابوت فضة مدفون تحت الأرض . قد بنى عليه بنيان حافل
يقصر الوصف عنه ، ولا يحيط الإدراك به ، مجلل بأنواع الديباج ، محفوف بأمثال العمد الكبار
شما أبيض . ومنه ما هو دون ذلك ، قد وضع أكثرها في أتوار فضة خالصة ، ومنها مذهبة .
وعلقت عليه قناديل فضة ، وحف أعلاه كله بأمثال التفافيح ذهباً ، في مصنع شبيه الروضة ، يقيد
الأبصار حبسنا وجمالا . فيه من أنواع الرخام المجزع الغريب الصنعة البديع الترصيع مما لا يتخيله
المتخيلون . والمدخل الى هذه الروضة على مسجد على مثالها في التأنق والغرابة ، حيطانه كلها رخام
على الصفة المذكورة ، وعن يمين الروضة المذكورة وشمالها بنيان من كليهما المدخل إليها ، وهما أيضا
على تلك الصفة بعينها ، والأسوار البديعة الصنعة من الديباج معلقة على الجميع . ومن أعجب ما شاهدناه
عند دخولنا الى هذا المسجد المبارك حجر موضوع في الجدار الذي يستقبله الداخل ، شديد السواد
والبصيص . يصف الأشخاص كلها ، كأنها المرأة الهندية الحديثة الصقل . نفعا الله ببركة ذلك
المشهد الكريم . وبالجملة فما أظن في الوجود كله مصنعا أحفل منه ، ولا مرأى من البناء أعجب
ولا أبدع منه ، قدس الله العضو الكريم الذي فيه بمنه وكرمه . »

وفي سنة ٦٣٣ هـ (١٢٣٥ م) بدأ أبو القاسم بن يحيى بن ناصر السكري المعروف بالزرزور بإنشاء
منارة على باب المشهد ، أتمها ابنه سنة ٦٣٤ هـ (١٢٣٦ م) ، وهي المنارة الحافلة بالزخارف الجصية فوق
الباب المعروف بالباب الأخضر . والباقي منها قاعدتها المربعة وعليها لوحتان تذكاريتان نصهما :
« ... الشيخ الصالح المرحوم أبو القاسم بن يحيى المعروف بالزرزور ابتغاء وجه الله ورجاء ثوابه .
وكان تمامها على يدي ولده محمد سنة ثلاثة وثلاثين وستة مائة عفا الله عنه » . وعلى الأخرى :

« بسم الله الرحمن الرحيم الذي أوصى بإنشاء هذه المأذنة المباركة على باب مشهد السيد الحسين
تقربا الى الله ورفعنا لمنازل الاسلام الحاج الى بيت الله أبو القاسم ابن يحيى بن ناصر السكري المعروف
بالزرزور قبل الله منه . وكان المباشر بعمارتها ولده لصلبه الأصغر الذي أنفق عليها من ماله بقية
عمارتها خارجا عما أوصى به والده المذكور . وكان فراغها في شهر شوال سنة أربع وثلاثين وستة مائة » .

(١) رحلة ابن جبير ، ص ١٤ (٢) في رحلة البلوى في قواعد فضة .

ومن عني بالمشهد وزاد فيه العلامة معين الدين بن شيخ الشيوخ ، وزير الصالح نجم الدين .
فقد ألحق به إيوانا وبيوتا للفقهاء .



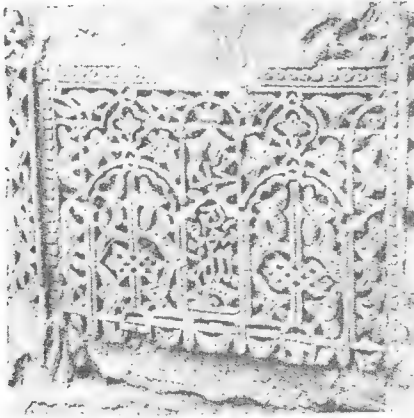
وفي سنة ٦٤٦ هـ (١٢٤٨ م) حصل حريق بالمشهد^(١)، فلم يلبث أن أصلح . ولذلك لما زاره الرحالة ابن بطوطة ، الذي زار مصر حوالى سنة ٧٢٧ هـ (١٣٢٧ م) وصفه بقوله :^(٢)

« ومن المزارات الشريفة المشهد المقدس العظيم الشأن حيث رأس الحسين بن علي عليهما السلام . وعليه رباط ضخيم عجيب البناء على خشب أبوابه حلق الفضة وصفائحها وهو موفى الحق من الاجلال والتعظيم » .

وتابعه خالد البلوى الرحالة المغربي ، الذي زار مصر سنة ٧٣٧ هـ (١٣٣٧ م) ، فوصفه بوصف خلاب ، اقتبسه من وصف ابن جبير .

ومن عني بالمشهد وأصلحه وزخرفه وإلى مصر من قبل الدولة العثمانية السيد محمد باشا الشريف ، الذي ولى مصر فى سنة ١٠٠٤ - ١٠٠٦ هـ (١٥٩٥ - ١٥٩٧ م) .^(٤)

كذلك عني به الأمير حسن كتخدا عزبان الخاني المتوفى سنة ١١٢٤ هـ (١٧١٢ م) . فانه وسع المشهد وزاد فيه ، وصنع له تابوتا من آبنوس مطعم بالصدف والفضة . وجعل عليه سقرا من حرير مزرکش ، نقله إليه باحتفال كبير .^(٥)



تفاصيل من زخرفة المنارة

(١) السلوك ، ج ١ قسم ٢ ص ٣٣٢ ، المقرئى ج ١ ص ٤٢٨ (٢) رحلة ابن بطوطة ، ج ١ ص ٣٠
(٣) تاج المشرق فى تحلية علماء المشرق ص ٢٢ ، ٢٣ . (٤) الروضة المأنوسة .
(٥) الجبرق ، ج ١ ص ١٠٩

وفي سنة ١١٥٦ هـ (١٧٤٣ م) طلب من الشيخ عبد الله الشبراوي أن ينظم أبيتا من الشعر لتكتب على باب الإمام الحسين ، وأخرى على المقصورة فأنشأ برسم ما يكتب على الباب الأول من الخارج :^(١)

يا كرام الأنام يا آل طه * ما على من يهيم فيكم ملام
بابكم كعبة الهدى وحماكم * منهل فيه للأنام ازدحام
باب فضل لما سما أزعوه * من دنا نحو بابكم لا يضام
رضى الله عنكم آل طه * وصلاة منى لكم وسلام

وفي سنة ١١٧٥ هـ (١٧٦١ م) جده الأمير عبد الرحمن كتخدا، وأثبت تاريخ عمارته على عتب رخامى نصه :

”مسجد للحسين أصل المعالى * لا يضاهيه فى البقاع علاء
فيه فضل الرحمن للعبد نادى * زر وأزخ لك المناء والرضا“

وفي سنة ١٢٠٤ هـ (١٧٨٩ م) قام بعمارات وزادات فيه السيد على أبو الأنوار، وأثبت تاريخ عمارته بالباب البحرى للقبه . وهو باب مكسو بالرخام المنقوش وله مصرعان مكسوان بالنحاس . وبتواشيح الباب دوائر كتب فيها : لا إله إلا الله محمد رسول الله — الإمام على — الإمام الحسين — الإمام الحسن — ويعلوه عتبان كتب على أحدهما :

أنشأ على أبو الأنوار سيدنا * بابا لسبط رسول الله ذى الرشد
وحسن إشراق نور الله أزعجه * باب حماء عظيم الجاه والمدد

عناية الأسرة العلوية بالمشهد — عزم على توسيع هذا المسجد عباس باشا الأول، فاشترى الأملاك اللازمة لذلك وهدمها وشرع فى البناء ثم توفى إلى رحمة الله تعالى .^(٢)

وفي سنة ١٢٧٩ هـ (١٨٦٢ م) أمر المغفور له الخديو اسماعيل باشا بتجديده والزيادة فيه، فوضعت المشروعات اللازمة وفتح شارع السكة الجديدة وروعى فى التصميم الحديد ترك القبة على حالها فلم يتناولها التجديد . ونقل إليه متبرا جميلا كان فى جامع أزبك من ططخ بالأزبكية . وكذلك أمر الخديو اسماعيل بشراء العمدة الرخامية من استامبول على حسابه الخاص .

وقد تم بناء المسجد سنة ١٢٩٠ هـ . وماتته سنة ١٢٩٥ هـ (١٨٧٣ — ١٨٧٨ م)، وأمر بعمل ستر مزركش له سنة ١٢٩٠ — ١٢٩٢ هـ . وقد انتقد تصميمه المرحوم على باشا مبارك وله كل الحق .

(١) ديوان التزاري ، ص ٦٧ (٢) المخطط الجديدة ، ج ٤ ص ٨٩ (٣) جامع أزبك — أنشاء الأمير أزبك من ططخ حوالى سنة ٨٨٢ هـ (١٤٧٧ م) وإليه تنسب الأزبكية . وكان موقعه بمدخل شارع الموسكى بميدان الملكة فريدة . وبقى إلى أن هدم سنة ١٢٨٦ (٤) المخطط الجديدة ج ٤ ص ٨٩

وفي سنة ١٣٠٣ هـ (١٨٨٥ م) كسى المحراب بالقاشاني المغربي عبد الواحد التازي وكتب عليه آيات من القرآن ثم ما نصه: "اللهم كن برحمتك خير مجازي لمنشئه عبد الواحد التازي سنة ١٣٠٣ هـ".

وفي سنة ١٣١٦ هـ (١٨٩٨ م) أمر المغفور له الخديو عباس حلمي الثاني بإعادة نقوش القبة، وفتح نوافذ جديدة بها مع المحافظة على كتاباتها ونصوصها التاريخية.

وقد أمر المغفور له الملك فؤاد الأول، بعمل ستر جديد له، أنجز عمله في عصر الملك الصالح فاروق الأول. وقد بلغت نفقاته ٧٠٠٠ جنيه.

وفي عهد الملك الصالح فاروق الأول أصلحت أرضية القبة، وأخرج التابوت الخشبي النادر وتم إصلاحه.

ما تخلف من المشهد القديم — لم يبق من المشهد الفاطمي سوى أحد أبوابه وهو المعروف بالباب الأخضر، وهو باب مبنى بالبحر على يساره دائرة مفرغة بزخارف، وتعلوه بقايا شرفة جميلة.

وقد تخلف من المنارة الأيوبية التي أنشأها فوق هذا الباب أبو القاسم بن يحيى المعروف بالزبور، القسم الأسفل منها، وهو المربع الحافل بالزخارف الجصية النادرة، وتاريخ إنشائها. وهي منارة حل وجه قاعدتها المربعة بمستطيلات، شحنت بالزخارف الجصية يلحظ فيها التأثيرات الأندلسية.

أما القبة، فالمرجح أن قسمها العلوي، هو ومثل المنارة من أثر عمارة المرحوم عبد الرحمن كتخدا سنة ١١٧٥ هـ (١٧٦١ م)، وأيضاً مصاريعها المكسوة بصفايح الفضة.

أما مربعا الأسفل، فقد كسيت وجهته المطلة على المسجد بالرخام الدقيق المطعم بالصدف.

وكذلك محيطها الداخلي، مؤزر بالرخام، والأجزاء الدقيقة منه المطعمة بالصدف ترجع إلى القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي). والأجزاء العلوية من دوائر ونواشيج ترجع إلى العصر العثماني، ولعلها عملت ضمن أعمال النقش والتذهيب التي أجريت بها سنة ١١٨٧ هـ (١٧٧٣ م).

تابوت المشهد الحسيني — وأهم ما بقي من المشهد القديم، التابوت الخشبي الذي كان محتجبا تحت المقصورة، وهو تابوت يزرى بالذهب والفضة، ظل هذا التابوت محتجبا عن الأنظار نحو ثمانية قرون، لم يسعد برؤياه سوى المرحوم السيد محمود البيلالوي، وسماحة السيد محمد البيلالوي أطل الله حياته، لعلاقتهم الوثيقة بالمشهد، وكذلك عاينه السيد محمد عرفة وكيل مشيخة المسجد، ومعه المرحوم المعلم محمد سيور النجار. ولكن لم تكتحل به عين أحد من الأئمة.

وعند ما كتبت في جريدة الأهرام الغراء عن تاريخ المشهد الحسيني ، بمناسبة أداء جلالة الملك فريضة الجمعة فيه يوم ٤ نوفمبر سنة ١٩٣٨ ، كتبت عن هذا التابوت ما نصه : والمعروف أن تحت أرضية هذه القبة ، حجرة بها تابوت من خشب محل بزخارف وكتابات .



بسملة من التابوت

وكانت فرصة سعيدة تلك التي أناحها لي مولانا الملك الصالح "فاروق الأول" فقد أمر بأن يستبدل بالقاشاني الذي بأرضية المقصورة النحاسية رخام جميل ، فكتشفت أرضية القبة وأخليت ، فانتهزت الفرصة يوم ١١ سبتمبر سنة ١٩٣٩ ، وهبطت الى أسفل المقصورة ومعى الأستاذ السيد محمد عرفة ، فبهرتني صناعة التابوت ، كما أحنزنى الحالة التي هو عليها ، فقد دب التلف إلى أجزائه ، فأخذت له في مكانه صورا فوتوغرافية ، رفعتها مع تقريري الى لجنة حفظ الآثار العربية ، ثم أخرجته بعد الاتفاق مع وزارة الأوقاف وأصاحته إدارة حفظ الآثار العربية وأعادته الى مجده الفنى . ثم أودعته دار الآثار العربية في ٢٢ يناير سنة ١٩٤٥ .

والحجرة التي وجد بها التابوت ، هي أسفل أرضية القبة الحالية وتشغل جزءا منها طوله ٥,٢٦ ، مقسمة الى قسمين : القسم الخارجى ٢,٣٨ ، ويهبط اليه من فتحتين بأرضية القبة مقاس كل منهما ٠,٦٠ × ٠,٤٥ .

والقسم الداخلى به فتحة مشروعة في الجدار الفاصل بينهما ، مقاسها ٢,٦٠ بها تركيبة حجرية لصق الجدار الشرقى ، مغطاة بلوح رخامى ، أحيطت بها ثلاثة أجناب التابوت الخشبي .

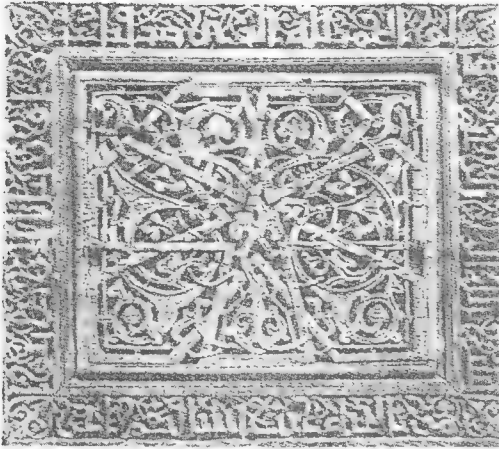
ومن لخص التابوت ، تبين أنه قاصر على الأجناب الثلاثة ولا رابع لها مما يعزز أنه عمل لهذا الوضع ومقاسه ١,٨٥ × ١,٣٢ × ١,٣٥ ، وهو مصنوع من خشب ساج هندي مكون من جنب ورأسين ، ومقسم الى مستطيلات رأسية وأفقية ، يحيط بها ويفصلها بعضها عن بعض إطارات مكتوبة بالخطين الكوفي المزهر والبسيط ، والنسخ الأيوبى . وهذه المستطيلات تحتوى على حشوات نجمية ومستدسة ، محفور بها زخارف نباتية مورقة ، تنوعت أشكالها في جميع التابوت .

وقد أحيطت الحشوات المستدسة بقوائم وأفاريز كتب فيها بالخط الكوفي البسيط كلمات منها :
 ”الملك لله“ ، ”وما توفيق إلا بالله“ ، ”تقتى بالله“ ، ”نصر من الله وفتح قريب“ ، ”الملك لله“ ،
 ”الغزة لله“ ، ”التوفيق بالله“ ، ”وما بكم من نعمة فمن الله“ .

وقد روعي في اختيار الآيات القرآنية ما يناسب تابوت جثمان طاهر من فرع الدوحة
 الحمديدية ، فيقرأ مما هو مكتوب على الوجه بالسطر العلوى بالخط الكوفي البسيط
 ”بسم الله الرحمن الرحيم رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد . إنما يريد الله
 ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا“ .

ومكتوب بالسطر السفلى بالقوائم المحيطة بالمستطيلات المكتوبة والمنقوشة :

”بسم الله الرحمن الرحيم الله لا إله إلا هو الحى القيوم“ الآية بالخط النسخ الأيوبي ، وقوله
 تعالى : ”الله نور السموات والأرض“ الآية .



المصراع الاوسط

ومكتوب بالخط الكوفي حول
 المصراع المربع الأوسط : ”بسم الله
 الرحمن الرحيم وقالوا الحمد لله الذى صدقنا
 وعده وأورثنا الأرض نتبؤاً من الجنة
 حيث نشاء فنعم أجر“ .

والقسم الأسفل من هذا الجنب مقسم
 الى ثلاثة مستطيلات ، مكتوب حولها
 بالخطين الكوفي والنسخ الأيوبي . فمما
 هو مكتوب بالخط الكوفي المزهر ”بسم الله
 الرحمن الرحيم إن الذين اتقوا إذا مسهم

طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون إلى قوله تعالى : هذا بصائر من ربكم وهدى
 ورحمة“ .

ومما هو مكتوب على الجنب الأيمن للتأبوت بالخط الكوفي الصغير البسيط بالسطر العلوى .
 ”بسم الله الرحمن الرحيم إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية إلى قوله تعالى :
 رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك“ .

ومكتوب بالخط الكوفي الكبير المزهر : ” بسم الله الرحمن الرحيم رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت “ .

ومكتوب بالسطر أعلاه وأسفله وبالسطر أسفل الحشوات السادسة والنجمية بالخط النسخ الأيوبي :

” بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا الى قوله تعالى : يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله بإذنه وسراجا منيرا “ .

ومكتوب بالخط الكوفي الكبير المزهر حول المستطيلين بالجزء الأسفل منه قوله تعالى : ” إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الأبواب الى قوله تعالى : ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه ففنا عذاب النار “ .

ومكتوب بالخط النسخ بالقوائم المحيطة به قوله تعالى : ” كنتم خير أمة أخرجت للناس الى قوله تعالى : والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس “ .

ومما هو مكتوب بالجانب الأيسر للتأبوت بالخط الكوفي الصغير البسيط : ” بسم الله الرحمن الرحيم والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا الى قوله تعالى : مستقرا ومقاما “ .

ومكتوب بالخط الكوفي الكبير قوله تعالى : ” لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير ذلك الذي يشر الله عباده الذين آمنوا “ .

ومكتوب بالسطر أعلاه وأسفله وبالسطر أسفل الحشوات السادسة والنجمية وبالخط النسخ الأيوبي :

” بسم الله الرحمن الرحيم إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه الى قوله تعالى : فإن الله غني عن العالمين “ .

ومكتوب بالخط الكوفي المزهر حول المستطيلين :

” بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية الى قوله تعالى : أولئك هم خير البرية جزاؤهم “ .

وإن أبرع وصف لهذا التأبوت لا يفهمه ، فقد تنوعت أشكال الحشوات وزخارفها تنوعا دلت على عبقرية الصانع ، كما تنوعت أشكال الخط الكوفي .

ومن وصف أبي جبير الرحالة ، نفهم أن التأبوت كان تحت الأرض منذ إنشاء المشهد .

وقد خصت هذا تابوت ، وقرأت جميع كتاباته فاذا هي آيات من القرآن الكريم لا أثر معها لنصوص تاريخية. ولكن دقة الزخارف وطرزها ، وقاعدة كتابة الخطين الكوفي والنسخي ، وأجتماع أحدهما بالآخر يضمنه ضمن مصنوعات الدولة الأيوبية .

وكذلك مقارنة بشبيهه تابوت الإمام الشافعي تدل على أنه معاصر له ، بل تجعلني أرجح أنهما صنعا في عصر واحد وبيد صانع واحد . وتاريخ عمل تابوت الشافعي سنة ٥٧٤ هـ (١١٧٨ م) ، أى في دولة ملك مصر صلاح الدين الأيوبي .

وبما أنه ثبت أن لصلاح الدين صلة وعناية بالمشهد الحسيني ، إذ أنشأ مدرسة يجواره ، فزجح أنه أمر بصنع هذا التابوت ، كما أمر بصنع تابوت الامام الشافعي ولم يكتب اسمه على كليهما . وإذا ثبت ذلك نكون قد اهتمدنا الى اسم صانعه أيضا ، وهو النجار البارح الذي صنع تابوت الشافعي ، واسمه عبيد النجار المعروف بابن معالي .

المخلفات النبوية — هذه المخلفات مودعة في حجرة أنشئت خصيصا لها عام ١٣١١ هـ (١٨٩٣ م) ، مجاورة للقبعة من الجهة القبيلة ، ويتوصل لها من بابين أحدهما في جدارها الغربي والآخر في جدارها البحري ، وقد كتب على جدرانها ما نصه :

” تشمل هذه الخزانة من الآثار النبوية الشريفة على قطعة من قميصه الشريف ، ومكحلة ومرودين ، وقطعة من القضييب الشريف^(١) ، وشعرتين من اللحية الشريفة ، وبها أيضا مصحفان كريمان بالخط الكوفي : أحدهما بخط سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه ، والآخر بخط سيدنا الإمام على كرم الله وجهه أمر بإنشاء هذا المكان المبارك من فضل الله تعالى مولانا الخديوي المعظم عباس حلمي الثاني أدام الله أيامه وكان اتماؤه في أواخر شهر ربيع الأول سنة ١٣١١ هجرية . وللآثار النبوية بمصر أخبار تتسلسل في التواريخ ، وتنتقل بالباحث من زمن الى زمن ، ومن مكان الى مكان ، حتى تصل به الى هذا المكان . وأول ما عرف عنها أنها كانت عند بني إبراهيم بينع ، ثم اشتراها الوزير صاحب تاج الدين محمد بن حنا (بكسر الحاء) ونقلها الى مصر وبني لها رباطا على نيل مصر وهو باق الى الآن ، ومعروف برباط الآثار جهة أثر النبي . وكانت مكونة من قطعة من الحربة الصغيرة ومروود وملقط .

ولما زار ابن بطوطة هذا الرباط وصف هذه الآثار ، وزاد عليها مصحف أمير المؤمنين على - ابن أبي طالب .

وقد بقيت هذه الآثار في هذا الرباط حتى أتم الساطان الغورى بناء قبه بالغورية سنة ٩١٠ هـ (١٥٠٤ م)، فاستصدر فتوى بنقل الآثار التى كانت بالرباط، ونقل المصحف العثمانى الى مدرسته، ونقل اليها أيضا الربعة العظيمة المكتوبة بالذهب وهى التى كانت بخانقاه بكنتم .

وزاد ابن إياس أثرًا آخر، فقد ذكر في حوادث سنة ٩٢٦ هـ (١٥١٩ م)، حينما توقف النيل عن الؤاء، أنه أحضر من الآثار الشريفة القميص من القبة الغورية، ووضع في فسقية المقياس وغسلوه في الماء الذى بها، وتضرعوا الى الله تعالى بطلب الزيادة .

ثم رؤى نقلها من قبة الغورى، فنقلت منها سنة ١٢٧٥ هـ (١٨٥٨ م) الى المسجد الزينى، ثم الى القلعة . وقد أمر الخديو توفيق باشا بنقلها الى المشهد الحسينى، فأحضرها من ديوان الأؤاف عام ١٣٠٥ هـ (١٨٨٧ م) الى قصر عابدين وأمر أن تحفظ في شق من الديساج الأخضر، مطرزة بسلك من فضة مذهبة . ثم احتفل بنقلها من القصر الى المسجد، يوم الخميس ٢٥ جمادى الثانية سنة ١٣٠٥ هـ (١٨٨٨ م) احتفالاً فخماً سار فيه العلماء والوزراء الى أن وصلوا بها الى المسجد .

وفي سنة ١٣١١ هـ (١٨٩٣ م) تم بناء الحجره التى أنشئت خصيصاً لها فأودعت بها . وضم اليها شعرتان من اللحية النبوية الشريفة، وأخبرنى السيد محمد عرفه أنه ضمت اليها شعرة مهداة من السيدة خديجة هائم كريمة المغفور له أحمد طلعت باشا الكبير .

وبمناسبة الشعرات الشريفة، أقول : إنه كان يوجد بمصر وغيرها، شعرات نسبت الى النبى صلى الله عليه وسلم . استقصاها المرحوم أحمد تيمور باشا في بحثه الشيق عن الآثار النبوية الذى نشر منه فصلاً ممتعة في مجلة الهداية الإسلامية سنة ١٣٤٨ هـ .

أما المصحف المنسوب الى سيدنا عليّ - فعليه أحد اثنين : المصحف الذى كان موجوداً في جامع عمرو بن العاص حتى سنة ١٦ هـ (١١٢٢ م) . وعنى به الأمر بأحكام الله، أو الذى كان في رباط الآثار . ولم تثبت نسبته اليه لأسباب فنية وتاريخية . وكذلك المصحف الثانى المنسوب الى سيدنا عثمان، وقد عرفنا مصدره فقد كان بالمدرسة التى أنشأها القاضى الفاضل سنة ٥٨٠ هـ (١١٨٤ م)، يدرب ملوخيا (حارة قصر الشوك) بالقرب من المشهد الحسينى . وبقي الى أن استحوذ عليه السلطان الملك الأشرف قانصوه الغورى .

وهو مصحف كبير تجاوزت أوراقه الألف . ومكتوب على رق بالخط الكوفى البسيط الخالى من الإجمام والشكل . وبكل صفحة منه اثنا عشر سطراً . وقد حليت رؤوس السور بأفرز

(١) ابن إياس، ج ٣ ص ٢٢٦ (٢) مجلة الهداية ج ١ مجلد ٢ ص ١٣، الوقائع المصرية العدد ٣٠ ٢٧ جمادى الثانية سنة ١٣٠٥ (١٠ مارس سنة ١٨٨٨ م) . (٣) القرزى، ج ١ ص ٤٠٨

زخرفي ، يتكوّن من دوائر محاطة بنقوش . ومنها ما هو على شكل سلسلة . وهي زخارف بسيطة تدل على بلاءتها . ويلاحظ أن آخره ، ابتداء من قوله تعالى : (وأمراته حمالة الحطب) ؛ مكتوب بخط كوفي أحدث من خطه .

ومن قاعدة خطه ، وبسطة زخارفه ، أرجح أنه مكتوب في نهاية القرن الثاني الهجري أو أول القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) . وأوله مهلهل وعلى حافته احمرار يزعمون أنه دم عثمان ، وهو زعم غير صحيح .

ولهذا المصحف صندوق من الخشب المغلف بجلد ، مخزم بأشكال هندسية متكررة بالذهب . وله مفصلات مذهبة عليها اسم السلطان الغوري بما نصه : ” برسم المصحف الشريف العثماني السلطان — الملك الأشرف قانصوه الغوري “ .

وعلى أحد وجهيه ما نصه : ” جدد هذا المصحف الشريف المعظم الذي من إذا حلف به صادقا نجما وكان له من كل ضيق نجرا . ومن حلف به فاجرا كف وهان وأصبح في ذل ومقت وخذلان بخط من رتب سورة وآياته وأجزائه ومن ختمه في كل ركعة من صلاته وبه أقنذى من سماه نبينا بالأمين ذى النورين زوج بنتيه ورفيقه فى الدارين من استجبت منه ملائكة الرحمن أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، أمر وتشرف بتجليده السلطان الملك الأشرف قانصوه الغوري كان الله له وتجيده على يديه بعد ثمان مائة وأربع وسبعون عاما مضت تقبل الله ذلك منة عليه ببركته وحفظه ونصره وثبت قواعده دولته بمجد وآله “ . ويلاحظ فى هذه الكتابة أن جملة (السلطان الملك الأشرف قانصوه الغوري كان ...) مكتوبة بخط مغاير لبقية الكتابة . مما يؤكد أن القائم بحمل هذا الصندوق غيره ولعله السلطان قايتباى وأن السلطان الغوري أصلحه وعمل المفصلات ثم غير فى الكتابة وكتب اسمه عليه .

أما الزعم بأنه مصحف عثمان فهو زعم منقوض لأسباب كثيرة . أهمها قاعدة الخط والزخرف فانها لا تتفق والقرن الأول وأيضا فان نسبة مصحف عثمان لا زمت كثيرا من المصاحف الموجودة فى قرطبة وفى بلاد المغرب . وفى الشام والجزيرة تراجع أخبارها فى المراجع المذيلة بها هذه الصفحة^(١) ، ولم يثبت أن عثمان رضى الله عنه كتب بخطه مصحفا .

ولذلك نستطيع الجزم مطمئنين بأن هذا المصحف غير مصحف عثمان رضى الله عنه .

(١) بنية المتيسر فى تاريخ رجال الأندلس ص ٣٤ ، وتاريخ الدولتين الموحدية والمغربية ص ٢٣ ، وزبدة كشف المالك ص ٤٥ ، ونقح الطيب ، ج ١ ص ٣٥٦ ، والرحلة الجبازية ص ٢٤٨ ، وممالك الأبيصار ، ج ١ ص ١٩٥ ، والمقرئى ، ج ٢ ص ٢٥٥

مشهد زيد بن زين العابدين

ميدان زين العابدين^(٥)

الإمام زيد بن علي، المعروف بزين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه . كنيته أبو الحسن ، وهو الإمام الذي تنسب إليه الزيدية إحدى طوائف الشيعة . سكن المدينة ، وروى عن أبيه علي بن الحسين الملقب بزين العابدين ، وكان من أجل أهل البيت عليهم السلام ؛ علما وزهدا وورعا وشجاعة ودينا وكرما .

قال أبو اسحاق^(١) السبيعي : رأيت زيد بن علي فلم أر في أهله مثله ولا أعلم منه ولا أفضل . وكان أفصحهم لسانا وأكثرهم زهدا وبيانا . وقال الشعبي : والله ما ولد النساء أفضل من زيد بن علي ، ولا أفضله ولا أشجع ولا أزهد ولا أئين قولا ، لقد كان منقطع القرين ، وكان دائما يتحدث نفسه بالخلافة ، ويرى أنه أهل لذلك . وما زال هذا المعنى يتردد في نفسه ، ويظهر على صفحات وجهه ، وفتات لسانه ، حتى كانت أيام هشام بن عبد الملك ، فاتهمه بoudice لخالد بن عبد الله القسري أمير الكوفة ، فأرسله إلى يوسف بن عمر أميرها في ذلك العصر ، فاستحلفه أن ما لخالد عنده مال ، ثم خلى سبيله ، فخرج ليتوجه إلى المدينة ، فقبه أهل الكوفة وقالوا له : أين تذهب يرحمك الله ومعك مائة ألف سيف نضرب بها دونك وليس عندنا من بني أمية إلا نفر قليل وغير ذلك من أنواع الإغراء ، فقال لهم : إني أخاف غدركم . فقالوا له : نعطيك من الإيمان واليهود والمواثيق ما تشق به ، فإننا نرجو أن تكون المنصور ، وأن يكون هذا الزمان الذي تهلك فيه بنو أمية وما زالوا به حتى أعادوه إلى الكوفة ، وأقبلت الشيعة عليه يبايعونه حتى أحصى ديوانه خمسة عشر ألف رجل من أهل الكوفة ، سوى أهل المدائن والبصرة وواسط والموصل وأهل خراسان والري وغيرها . ولما تم له هذا الحشد وخففت الألوية على رأسه ، قال : الحمد لله الذي أكمل لي ديني . والله إني كنت أستحي من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أرد عليه الحوض غدا ولم أسر في أمته بمعروف ولم أنه عن منكر^(٢) . ثم إن يوسف بن عمر أمير الكوفة حشد جيوشه ، ونخرج لمحاربتة ، وجرى بينهم قتال فتفرق أصحاب زيد عنه وغذوه ، وبقي في شرذمة قليلة فقاتل قتالا شديدا وأبلى بلاء حسنا إلى أن سقط شهيدا على أثر سهم أصابه وذلك لليلتين خلتا من صفر سنة ١٢٢ هـ (٧٣٩ م) .

(*) انظر الصور من رقم ٤٤ - ٤٥ بمجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) المقرئ ، ج ٢ ، ص ٤٣٦ (٢) الفخرى في الآداب السلطانية ص ١١٨ - ١١٩

أما الطبري واليعقوبي فذكر وفاته في سنة ١٢١ هـ على قول الواقدي، وأما هشام بن محمد فزعم أنه قتل في صفر سنة ١٢٢ هـ^(١).

وهنا تضاربت الأقوال ؛ فقليل إن أصحابه حفروا له في ساقية، ودفنوه فيها وأجروا الماء على قبره خوفا من التمثيل به ، ثم أُرشد عن قبره يوسف بن عمر أمير الكوفة أرشده عند حجام حضر مواراته فأخرجه وصلبه ، ثم أحرقه وذرى رماده في الفرات^(٢).

وقيل إنه بعد وفاته حل إلى الكوفة ثم أحرق وذرى نصفه في الفرات ونصفه في الزرع . وقال يوسف بن عمر : والله يا أهل الكوفة لأدعنكم تاكلونه في طعامكم وتشربونه في مائكم^(٣).

وقيل إنه بعث برأسه إلى هشام بن عبد الملك ، فنصبه على باب دمشق ، ثم أرسله إلى المدينة ، ثم سار به إلى مصر^(٤) . وأكّد الكندي رواية قدوم الرأس إلى مصر ، في سنة ١٢٢ هـ (٧٣٩ م) مع أبي الحكم بن أبي الأبيض العبسي . وقيل القيسي .

وشرح رواية دفن الرأس بمصر الشريف محمد بن أسعد الجواني في كتابه الجوهر المكنون في ذكر القبائل والبطون ، فقال : « إنه بعد قدوم رأسه إلى مصر طيف بها ، ثم نصبت على المنبر بالجامع بمصر في سنة ١٢٢ هـ (٧٣٩ م) فسُرقت ودفنت في هذا الموضع ، إلى أن ظهرت وبني عليها مشهد في الدولة الفاطمية » .

وعدّ ابن جبير هذا المشهد ضمن مشاهد أهل البيت حينما زار مصر^(٥).

مشهد زين العابدين — عرف قديماً بمسجد محرس الخصى ويوجد نص تاريخي ريك مكتوب فيه بالخط النسخ .

” بسم الله الرحمن الرحيم ، هاذا مشهد إمام علي زين العابدين ابن إمام حسين ابن إمام علي ابن عمران ابن عبد المطلب صلوات الله عليهم أجمعين في سنة ٥٤٩ هـ “ .

وهذا النص مثبت على مدخل المسجد القديم بالوجهة الغربية ، وهو باب مغطى بمقرنصات ذات دلايات شاع استعمالها في أبواب القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) ، وفتحة هذا الباب صغيرة ومركب عليها مصراع واحد من الجرانيت ، محاطة بمحلق من الجرانيت أيضا .

وهذا النوع من المصاريح غير مألوف في مصر ، ولعله الوحيد من نزهة فيها فهو يكثر في بادية الشام ، وأشار ابن الشحنة إلى وجود مثله في حلب على مشهد باسم المحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب .

(١) الطبري ، ج ٨ ص ٢٦٠ (٢) القنبري ، ص ١١٩ ، كنوز الذهب في تاريخ حلب ص ٢٥ خط
(٣) تاريخ اليعقوبي ، ج ٣ ص ٦٦ (٤) المقرئ ، ج ٢ ص ٤٤٠ (٥) تاريخ مصر رولاتها
للكندي ص ٨١ (٦) رحلة ابن جبير ص ١٥ (٧) تاريخ حلب لابن الشحنة ص ٨٦ .

وفي كتاب العمارة في سوريا الوسطى من القرن الثالث الى السادس الميلادي للساركي دي فوكيه ترجمة حضرة الأستاذ فؤاد مرابط نماذج^(١) لهذه الأبواب .

ولا توجد تفاصيل فاطمية في هذا المسجد سوى عقد فاطمي، من عقود القرن السادس الهجري بالطريقة الداخلية على عيين الداخل للصلى .

والمسجد الحالي عدا البقايا السابقة، يرجع الى آخر عمارة أجراها به عثمان أغا أعات مستحفظان سنة ١٢٢٠ هـ (١٨٠٥ م) فقد جددته وبيضه وزخرفه وأمر بعمل ستر احتفل بوضعه بعد العمارة . ولم تتناول هذه العمارة القبة لأن قاعدتها مع حطتي مقرنص منها ترجع الى القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) . أما غطاؤها المصلى فانه يرجع الى إحدى العمارات المتأخرة .

وأعد عثمان أغا لنفسه وللبيدة حرمه مقبرة بالمسجد ما زالت موجودة، كتب عليها :
”المرحوم المغفور له عثمان أغا مستحفظان مصر سابق ، تابع المرحوم سليمان أغا توفي الى رحمة الله تعالى ووجيكون فاتحة سنة ١٢٣٩ هـ“ .

وعليها شاهد آخر هذا نصه : ” هذا قبر المرحومة الست حفيظة زوجة المرحوم عثمان أغا أمير اللواء مستحفظان مصر سابقا توفيت الى رحمة الله تعالى سنة ١٢٤١ هـ“ .

وأثبت تاريخ عمارته في لوح رخامي فوق الباب الخارجى للقبة . وفي سنة ١٢٨٠ هـ أجرى به عمارة المرحوم محمد خفثاني باشا أثبتها في لوحين : أحدهما على الباب الخارجى ، والآخر على الباب الداخلى ونصه :

”لمحمد خفثاني باشا الأوحدي * فضل به قد ساد كل مسود
فكفاه فخرا أن من خيراته * إتحاف زين العابدين بمعبد
مولى بعمران المساجد مولع * ليفوز بالإسعاد يوم الموعد
ولذلك ناداه القبول مؤرخا * بشراك قد أحكت أيدع مسجد“

وتناولت عمارته عمل مقصورة حديدية تعتبر نموذجا راقيا لصناعة الحديد في مصر منذ خمس وعشرين عاما مكتوب عليها : ” أنشأ هذه المقصورة سعادة محمد قفطان باشا سنة ١٢٨٠ هـ“ .

وعتب باب القبة مكسوق بقاشاني أمر بعمله عبد الواحد التازي سنة ١٣٠٤ هـ (١٨٨٦ م) .
وفي عصر الملك الصالح فاروق الأول جددت وجهة المسجد سنة ١٩٤٤ ، وجدد معها الباب القديم مع المحافظة على تفاصيله القديمة ونصوصه التاريخية .

جامع الصالح طلائع

(٥١) بشارع الدرب الأحمر

ميدان باب زويلة — هذا الميدان حافل بمجموعة أثرية عظيمة من الآثار الإسلامية ، تمثل فيها العصور المملوكية المتعاقبة ، إذ يشرف عليه باب زويلة العظيم أحد أبواب القاهرة الفاطمية ، فقد أنشأه بدر الجمالي وزير الخليفة المستنصر بالله عام ٥٤٨٤ هـ (١٠٩١ م) . وفوقه منارنا الجامع المؤيدى المنشأ سنة ٨٢٢ - ٨٢٣ هـ (١٤١٩ - ١٤٢٠ م) ، وأمامه زاوية فرج بن برقوق المنشأة سنة ٨١١ هـ (١٤٠٨ م) . وقبلها منازل وقصبة رضوان المنشأة سنة ١٠٦٠ هـ (١٦٥٠ م) ، ثم درة هذا الميدان ونغر المساجد الفاطمية جامع الصالح طلائع بن رزيك .

المنشئ — أبو الغارات الملقب بالملك الصالح طلائع بن رزيك . كان واليا لمدينة بني خصب من أعمال صعيد مصر . ثم ولي الوزارة في خلافة الفاتح بنصر الله الخليفة الفاطمي في ١٩ ربيع الأول سنة ٥٤٩ هـ (١١٥٤ م) ، ولقب بالملك الصالح فارس المسلمين نصير الدين . ولما مات الخليفة الفاتح وتولى العاضد لدين الله مكانه ، استمر الصالح على وزارته ، وترقب العاضد ابنه وذلك مما ساعد على امتداد تموضه في جميع شئون الدولة^(٢) .

وفي عصره ازدهرت الآداب وقزب الفضلاء والشعراء ، واتخذهم جاساء له ، وأجزل لهم العطاء . ويقتر ابن الأثير أن الصالح طلائع أرمي الأصل . وتبعه العيني في كتابه عقد الجمان ، وابن تغرى بردى في النجوم الزاهرة .

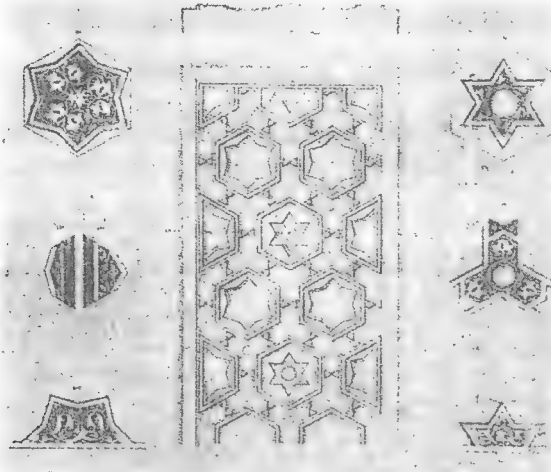
ويقول ابن خلكان : إنه كان جيد الشعر ، ووقف على ديوان شعره وهو في جزائن . ومع أن ابن أبي شامة أورد كثيرا من شعره في كتابه الروضتين ، إلا أنه ينقل عن العباد في كتابه الحريدة قوله في صدد بعض القصائد المنسوبة الى طلائع : « وما يصدق أحد أن ذلك شعره بل هو دته وإحكام معانيه ، فيقال : إن المذهب بن الزير كان ينظم له والجليس ابن الحباب كان يساعده^(٣) » . وفي ١٩ رمضان سنة ٥٥٦ هـ (١١٦١ م) ، قتل بدهليز القصر الفاطمي ، ودفن بترتبته التي أنشأها بجوار مسجده بالقرافة الكبرى .

(*) انظر المصردن رقم ٤٦ - ٥٠ بمجموعة الصور التوثيقية .

(١) ابن خلكان ، ج ١ ص ٣٣٧ . (٢) عقد الجمان مجلد ١٦ قسم ٢ (٣) الروضتين في أخبار الدولتين ، ج ١ ص ١٢٥ ، مفرج الكروب ج ١ ص ١٥٢ (٤) النجوم الزاهرة ، ج ٥ ص ٣٤٥ ، تاريخ الكامل لابن الأثير ، ج ١١ ص ١١١ (٥) الروضتين في أخبار الدولتين ، ج ١ ص ١٢٠ .

هذا باجماع المؤرخين ، عدا سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان ، وابن تغري بردي في النجوم الزاهرة ، فانهما يقولان بوفاته في رجب من السنة المذكورة . أما ابن أبيك فيقول إنه توفي سنة ٥٥٧ هـ (١١٦٢ م) ^(٢) . وقبل سنة ٥٥٦ هـ (١١٦١ م) .

تاريخ إنشاء الجامع — هذا المسجد آخر مسجد أنشئ في الدولة الفاطمية ، وقد تم إنشاؤه سنة ٥٥٥ هـ (١١٦٠ م) ، وعين زين الدين الواعظ به ، فكان الصالح طلائع يحضر مجلسه . وأقيمت صلاة الجمعة فيه سنة بضع وخمسين وستمائة هجرية . وهو من المساجد الكبيرة ، إذ تبلغ مساحته ١٥٢٢ مترا ، وقد اشتمل على مميزات عمارية قل أن تتوفر في مسجد فاطمي آخر . وعند بنائه كانت أرضيته مرتفعة عن مستوى الشارع بنحو ٣,٨٠ ، وله أربع وجوهات مبنية بالحجر ، أسفل ثلاث منها حوانيت ، وأهمها الوجهة الغربية وبها الباب العمومي . وقد أقيم أمام هذا الباب رواق ، محمول على أربع عمد رخامية ، تحمل عقودا حليت حافاتهما بالزخارف ، وينتهي من طرفيه بحجرتين . وحلى صدر هذا الرواق وجانباه بزخارف على هيئة مروحة مخصوصة ، ونقشت بأفاريزه آيات من القرآن كتبت بالخط الكوفي المزخرف .



سقف الرواق الخارجى

ولهذا الرواق سقف من الخشب حلى بزخارف فاطمية عثر على بقاياها في عمارة المسجد فأكل على مثاله . ولعله السقف الفاطمي الوحيد ، إذا استثنينا بقايا السقف بالبيمارستان المنصوري الباقي من القصر الصغير الغربى .

وكان مربكا على هذا الباب مصراعان ، غشى وجههما بالنحاس المشتمل على زخارف جميلة ، وخلفهما حلل بزخارف محفورة بالخشب ، وقد أودع دار الآثار العربية ، ويعتبر أقدم باب نحاسي بمصر ، وقد عمل الباب الحديد على مثاله .

وفي أسفل هذه الوجهة والوجهتين القبليّة والبحريّة نحوانيت مسقوفها معقودة وأرضيتها مرتفعة عن الطريق ، وفي الأكتاف الفاصلة بينهما عمدة رخامية في شمسك البناء كآر بطة لها ، وهي طريقة ألفنا رؤيتها في أبواب القاهرة وأسوارها وأسوار صلاح الدين ، وفي قلعة الصالح نجم الدين بالروضة ، وفي جامع الظاهر بيبرس ، وفي قلعتي قايتباي بالاسكندرية ورشيد ، وقد حليت الوجهتان أيضا بأفاريز كتب عليها آيات قرآنية بالخط الكوفي المنحرف ، وحليت عقود الشبايبك بزخارف هندسية . ويتوسط كلا منها باب يوصل الى صحن المسجد .

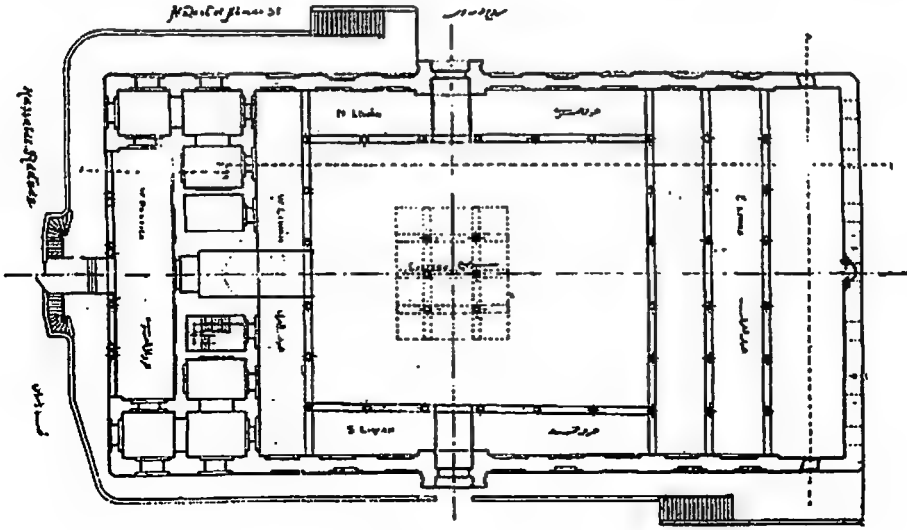
ويعلو الدكاكين إفريز حلل بترايع مزخرفة ، تنوّعت أشكالها تعتبر الثانية من نوعها ، إذ الأولى في منارة الحاكم بأمر الله ، كما نرى نموذجاً آخرها في برج الظفر ، ثم في تربة إسماعيل بن ثعلب ، وأخيرا في المدرسة الصالحية وكلها نماذج دقيقة تدل على تقدّم النقش في المغرب .

وقد كتب على نهاية الوجهة الغربية وأول الوجهة البحرية تاريخ إنشاء الجامع ونصه :

”بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشاء هذا المسجد بالقاهرة المعزية المحروسة قى مولانا وسيدنا الإمام عيسى أبى القاسم الفائز بنصر الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آباءه الطاهرين وأبنائه الأكرمين السيد الأجل الملك الصالح ناصر الأئمة وكاشف الغمة أمير الجيوش سيف الاسلام غياث الأنام كافل قضية المسلمين وهادى دعاة المؤمنين أبو الفارات طلائع الفائزى عضد الله به الدين وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته ونصر ألويته وفتح له وعلى يديه مشارق الأرض ومغاربها في شهور سنة خمس وخمسين وخمسمائة والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين وعلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب أفضل الوصيين وعلى ولديه الم ... الطاهرين أبى محمد الحسن وأبى عبد الله الحسين وعلى الأئمة من ذريتهم أجمعين وسلم وشرف وكرم وعظم الى يوم الدين وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوجينا اليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين — رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد ... “ .

وكانت المنارة تعلو الباب الغربى شأن المساجد الفاطمية ، وقد هدمت في وقت ما وحلت محلها منارة حديثة أزيلت سنة ١٩٢٦ لحدوث خلل بها .

والمسجد من الداخل يتكوّن من أربعة إيوانات يتوسطها صحن كبير، مساحته ٤٥٤,٥٤ متر، به صهريج كان يملأ وقت الفيضان من الخليج. وأهم هذه الإيوانات: الإيوان الشرقى الكبير المكوّن من ثلاثة أروقة ذات عقود بمحولة على عمد رخامية. حليت حافات العقود من الداخل والخارج، بكتابة آيات من القرآن بالخط الكوفي المزهر، وفتحت بخواصر العقود دوائر جصية مزخرفة من وجهيها فترغ وسطها بأشكال هندسية. ويعلو كل عقد شبك صغير مفترغ بزخارف نباتية مختلفة.



نقطة أفق

والكتابة حول العقود سبقه فيها الجامع الأزهر والجامع الأحمر. وقد حليت الطبالي الخشبية فوق العمد بزخارف موزقة، كما حليت الأوتار بنقوش نباتية سبقه بها جامع الحاكم، وأخرى مكتوب بها آيات قرآنية، وهي تعطى فكرة صحيحة عما كانت عليه التجارة في هذا المسجد من رقي.

وفي جدار المحراب شبابيك من الجص حديثة، يحيط بها إنريز جصى مكتوب فيه بالخط الكوفي آيات من القرآن. وفي دار الآثار العربية شبك جصى منقول من المسجد، مكتوب فيه بالخط الكوفي المفترغ قوله تعالى: "إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم" وهو نموذج لشبابيك الجامع القديمة. أما الشباك بالنهاية القبلية لهذا الجدار المشتعل على كتابات كوفية ونسخية فهو من أثر عمارة الأمير بكتمر الجوكندار^(١).

(١) جوكندار: هو الذى يحمل الجوكار (الصولجان) مع السلطان في لب طلكرة.

وتسود المحراب البساطة ، يكتنفه الآن عمودان من الرخام الأحمر ، وقد كسى غطاؤه بكسوة من الخشب منقوشة . وهذه الكسوة وإن كان شكل عقدها فاطميا ، إلا أنها متأخرة عن بناء الجامع ، لأنها قطعت لإفريز الشباك المكتوب أصلاها ، فلعلها من عمارة الأمير بكتمر الجوكندار سنة ٦٩٩ هـ (١٢٩٩ م) وهو الأرجح .

وهذا المحراب يحتمل أنه كان من الجص مثل بقية المحاريب الفاطمية ، كما يحتمل أنه كان من الرخام ، لأنه ثبت أن الفاطميين استعملوه في محاريبهم . وبه إلى الآن قطعة صغيرة من رخام دقيق . المنبر — وعلى يمين المحراب منبر نفيس ، دقت حشواته وقوائمه ووجها بابه وجانبها سلمه وجلسه الخطيب بالأويمة الدقيقة البالغة حد الإتقان ، وقد أمر بعمله الأمير بكتمر الجوكندار سنة ٦٩٩ هـ (١٢٩٩ م) ، ومكتوب عليه فوق جلسة الخطيب : ” إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون أمر بإنشاء هذا المنبر المبارك الجنب العالي الأميري الكبير سيف الدين بكتمر الجوكندار أمير جندار^(١) ، وذلك بتاريخ سنة تسع وتسعين وستمئة ” .

كما أنه مكتوب على باب المنبر : ” أمر بعمارة هذا المنبر المبارك من ماله ابتغاء لوجه الله الكريم المفز العالي الأميري الكبير السيفي سيف الدين مقدم الجيوش بكتمر الجوكندار المنصوري السيفي أمير جندار الناصري وذلك بتاريخ شهر جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وستمئة رحم الله من كان السبب ” . وقد جدد سنة ١٣١٦ هـ (١٨٩٨ م) .

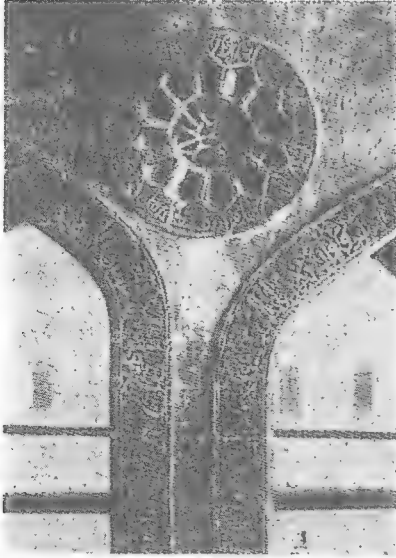
ولا شك أن منبره الأصلي كان من الطرف النادرة ، كما تشير بذلك بقايا نجارة المسجد ، وكما يؤيد ذلك منبره الكامل في مسجده بقوص .

وكان مرصفا على وجه هذا الإيوان مقصورة من الخشب انخرط محلاة بزخارف تفصيله عن صحن المسجد ، وباقي الإيوانات الثلاثة يتكوّن كل منها من رواق واحد .

وكانت جدران تلك الأروقة ، محاطة بهيئة عقود جصية ، نقش عليها آيات من القرآن بالخط الكوفي ، كما تدل بقاياها الموجودة بالجنب البحري بالجامع . وقد دارت مناقشات بين المرحوم محمود باشا أحمد المدير السابق للآثار العربية ومسيو بوتي الذي كان خبيرا فنيا بها حول صحة إعادة بناء الإيوان الغربي ، إذ يرى مسيو بوتي أن بناءه يؤثر على تناسق أبعاد الصحن ، ويؤثر على حسن وضع البابين الجانبين ، وهو متلف لهيئة التركيب الإجمالي المكوّن من محورين عموديين . كما أنه يحتمل حداثة الأساس المكتشف لهذا الرواق عن بقية أسس الجامع .

(١) جندار : حارس الملك .

ورد عليه المرحوم محمود باشا : بأنه بنى هذا الرواق على أثر عثوره على أساسه كاملاً ، وعلى قاعدتين من قواعد أعمدة هذا الإيوان في موضعين متقابلين لتظليلهما من قواعد أعمدة وجهة الإيوان الشرقى . كما أنه لحسن الحظ وجد بإحدى الصور الفوتوغرافية التي أخذت للجامع قبل تجديد الوجهة البحرية الرجل البحرية للعقد البحرى من هذا الإيوان متكئة على الوجهة المذكورة ، وبها كتابة كوفية أصلية ، كالتي تحيط بالعقود الأخرى التي لا يشك في قدمها . وهذه الرجل بكتابتها لاتكفى لإثبات وجود إيوان غربى فحسب ، بل وتدل على أنه من إنشاء الصالح طلائع نفسه .



الكتابة حول العقود ودوائر خواصرها

ثم قال : ولو فرض وصحت حداثة عهد بناء أساس الإيوان الغربى ، فإنه بعد مضى هذه المدة الطويلة على بنائه ، يكون قد اكتسب حق البقاء والقرار ، أسوة بغيره من الأجزاء التي أضيفت الى بعض الأماكن الأثرية بعد إنشائها .

وعن الاعتراض الخاص بتماثل الصحن ، الذى ينحصر فى أنه إذا جدد الإيوان الغربى بحيث يصير للجامع أربعة إيوانات ، فإن تماثل الصحن بالنسبة للباينين البحرى والقبل يختل ، أى أن جزأه الكائن غربى هذين الباين ، يصير أصغر من جزئه الكائن شرقياً ، بخلاف ما اذا لم يجدد الإيوان ،

فان قسمى الصحن يكونان متساويين . وهى ملاحظة وجيهة من ناحية قواعد هندسة البناء فقط ، لكنها قليلة الوجاهة من الناحية الأثرية ، فان تماثل الصحن قد ضحى بأكله فى مسجد الماردانى وفى غيره .

عمارة الأمير بكتمر الجوكندار — وفى سنة ٧٠٢ هـ (١٣٠٢ م) أصاب مصر زلزال كبير تصدع منه كثير من المساجد ، فقام بعمارة هذا المسجد الأمير بكتمر الجوكندار . غير أن الكتابة الموجودة على المنبر ، أثبتت علاقة هذا الأمير وعنايته بالمسجد قبل الزلزال أيضاً بنحو أربع سنوات . وفى سنة ٨٤٤ هـ (١٤٤٠ م) أجرى به عمارة عبد الوهاب العيني أحد التجار ^(١) .

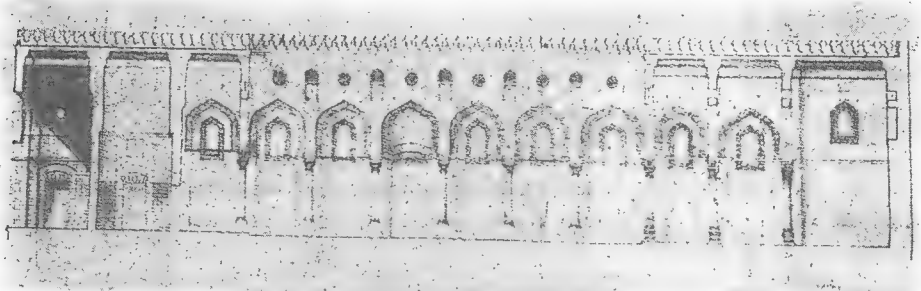
عمارة الأمير يشبك من مهدى — وفى سنة ٨٨٢ هـ (١٤٧٧ م) ، كانت الأرض قد ارتفعت عن منسوب باب زويلة وعن هذا الجامع ^(٢) ، فقام الأمير يشبك من مهدى دوا دار الملك

(١) النجوم الزاهرة ج ٧ ص ١١٨ طبع كلفريا .

(٢) الضوء اللامع ، ج ١٠ ص ٢٧٤ ، ابن إياس ج ٢ ص ١٧٧ ، والنزهة السنية ص ١٣٥

الأشرف قايتباي، بالكشف عن عتبة باب زويلة وعن سلم هذا الجامع، فأنكشفت الدرجات التي كانت مردومة وعدتها عشر، كما ظهرت العمدة، وأزال ما كان بوجهته من أبنية وأجرى به إصلاحات .

عمارة لجنة حفظ الآثار العربية — أدركت لجنة حفظ الآثار العربية هذا المسجد بحالة سيئة جدا، فالدكاكين أسفلهُ احتجبت تحت الأرض، وأقيمت المنازل والدكاكين بداخله ولصق وجهاته فأخفتها، كما تهدمت الإيوانات حول الصحن، ولم يبق منها سوى الإيوان الكبير، فوضعت برنامجا كاملا لتخليته منذ سنة ١٩١١، وفي سنة ١٩١٥ م تسنى لها السير في نزع الملكية، وأعيدت الأرض الى مستواها، وظهرت الدكاكين، وعمل أمامها خندق، ثم نزع ملكية المنازل وهدمت، فأنكشفت الوجهتان وفكت وأعيد بناؤهما، وكل الناقص منهما، مع المحافظة على الأجزاء القديمة جهده المستطاع .



قطاع مـلـول

وقد ساعدت التخليّة والوصول بالمسجد الى مستواه الأصلي، على كشف سلم الجامع القديم بوسط الوجهة الغربية، وأنكشفت تفاصيل جديدة من نظام بناء الوجهات ساعدت على إعادة بناء الرواق الخارجى أمام الوجهة الغربية بعمده، كما أمكن بناء ثلاث وجهات مع المحافظة على تفاصيلها القديمة على قدر الامكان .

والى الآن توجد بين الانقاض الأثرية المخلفة من الجامع، بقايا محاريب صغيرة، يرى مسيو بتريكولو الباشمهندس الأسبق للآثار العربية أنها كانت تكتنف الباب الكبير .

وفي هذا العام تم إصلاح بقية الوجهة البحرية وما ظهر من بقايا ملحقة بها في النهاية الشرقية . وامتد الخندق لنهايتها .

المسجد ورأس الحسين — روى المقرئى قلا عن ابن عبد الظاهر أن الصالح طلائع بن هذا الجامع ليدفن فيه الرأس الشريف . فلما فرغ منه ، لم يمكنه الخليفة من ذلك . وقال لا يكون إلا داخل القصور الزاهرة ، وبني المشهد الموجود الآن^(١) .

وتبعه في هذه الرواية القلقشندى . وقال إن الخليفة الفائز تغلب عليه وأمر ببناء المشهد الحالي^(٢) . ومنذ سنوات ، ظهرت بقايا أبنية متصلة بالنهاية الشرقية للوجهة البحرية للجامع ، كانت محتجبة خلف منزل ودكان . وقد نزع ملكية المنزل وهدم سنة ١٩٤٥ ، فأتضح أن هذه البقايا متصلة بأبنية الواجهة البحرية وهى من نوعها ، كما ظهر بها باب كبير اجتمعت فيه تفاصيل أبواب المسجد من مزررات ونقش وكتابة كوفية حول عقده .

وبالسور الذى يربط هذا الباب بالوجهة باب فى مستوى أبواب الدكاكين ، يؤدى الى ما خلف الجدار الشرقى ، كان له نظير فى النهاية القبيلة الشرقية . كما ظهر أسفل مدخل الباب الحديد بجوة كبيرة لعلها دكان أو مخزن ، لها عتب مزرر مثل أبواب الدكاكين ، وفى ارتفاعها يتصل بوجهتها جدار حجرى يمتد قليلا الى الجهة البحرية ، لعل سلم هذا الباب كان يقوم عليه .

ومكتوب أعلى الجدار المذكور ابتداء من الناصبة الشرقية للمسجد فى إفريز أصغر من مثيله فى الواجهة البحرية بالخط الكوفى ما نصه : ” بسم الله الرحمن الرحيم (فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه الى قوله تعالى يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار) أمر بإنشاء هذا المسجد المبارك قى مولانا وسيدنا عبد الله أبو محمد ... “ .

وقد انقطعت الكتابة عند آخر فتحة الباب وفقدت .

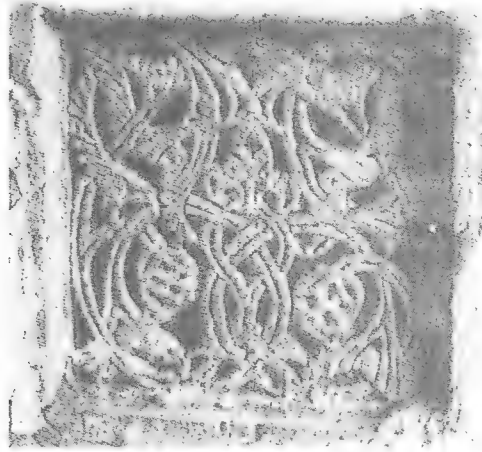
ويقرأ حول عتب الباب قوله تعالى : ” بسم الله الرحمن الرحيم ادخلوها بسلام آمنين ونزعنا ما فى صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين لا يسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين “ .

وهذه الكتابة مع كتابة الواجهة البحرية المتصلة بهذه البقايا واشتمالها على اسم الحسن والحسين ، وقوله تعالى : (رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد) تحدو بى الى الأخذ برواية المؤرخين . ولما كان تصميم المساجد الفاطمية لا تشتمل على مدافن ، فمن المعقول أنه بدأ بإنشاء المشهد بجوار المسجد ، وتكون تلك البقايا باقية منه خصوصا أن الآية الشريفة المكتوبة على بابه : (ادخلوها بسلام آمنين) جرت العادة بأن تكتب على مداخل المدافن .

ولعل ما كتبه ابن دقماق في هذا الصدد يفيد إلى حد ما . فقد كتب عن الصالح طلائع : وهو الذي بنى جامع الصالح بظاهر باب زويلة ، وبنى مشهد الحسين عليه السلام في سنة ٥٥٣ هـ . فهذه الفقرة يجوز إطلاقها على هذا المشهد .

بقيت مسألة الصلة التي تجمع المشهد بالمسجد ، وقد ضاعت معالمها بسبب عمل الخندق الشرقي وتجديد أكثر الجدار الشرقي ، الذي كان يوصل إلى المشهد .

ومن الاطلاع على المسقط الأفقي الذي عمله پريس دافين^(٢) حوالى سنة ١٨٥٠ م للجامع ، يتبين وجود باين في طرفي جدار المحراب من المربح أنهما كانا يوصلان إلى المشهد المذكور .



أحد الشبايك فوق العقود

(١) الجوهر الثمين مجلدا ص ٤٨

(٢) الفن العربي مجلد ٢ لوحات .

قبة ومسجد الإمام الشافعي

شارع الإمام الشافعي^(١)

الإمام الشافعي — محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب الشافعي القرشي رضي الله عنه ، ولد بغزة سنة ١٥٠ هـ (٧٦٧ م) وحمل من غزوة إلى مكة وهو ابن سنتين فنشأ بها وقرأ القرآن الكريم . وكان آية في الفهم والحفظ ، واجتمع له من الفضائل ما لم يجتمع لغيره . ومذهبه ثالث المذاهب الأربعة في القدم^(٢) . أخذ عن الإمام مالك ، ثم استقل بمذهب خاص ، ودخل إلى العراق بعد مالك ، ولقي أصحاب الإمام أبي حنيفة وأخذ عنهم ومزج طريقة أهل الجواز بطريقة أهل العراق ، وخالف مالكا رحمه الله في كثير من مذهبه .

ويذكر أصحاب الطبقات أن ظهور مذهبه كان أولا بمصر ، وكثر أصحابه بها ، ثم ظهر بالعراق وغلب على بغداد وعلى كثير من بلاد خراسان والشام واليمن وغيرها . وكان أكثر المصريين أحنافا ومالكية ، فلما قدم إليها الإمام الشافعي انتشر بها مذهبه .

كان رضي الله عنه كثير المناقب جم المفاجر ، عالما بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وكلام الصحابة رضي الله عنهم وآثارهم واختلاف أقاويل العلماء .

قال عنه الإمام أحمد بن حنبل : ما عرفت ناسخ الحديث من منسوخه حتى جالست الشافعي . وقد أجمع علماء الحديث والفقه والأصول واللغة والنحو والقراءات على ثقته وأمانته وعدله وزهده وعلو قدره . وقال الزعفراني : « كان أصحاب الحديث رقادا حتى جاء الشافعي فأيقظهم فتيقظوا » .

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : « قلت لأبي : أي رجل كان الشافعي ؟ فإني سمعتك تكثر من الدعاء له . فقال : يا بني ، كان الشافعي كالشمس للدنيا كالعافية للبدن ؛ فهل لهذين من خلف أو عنهما من عوض ! » وقال يونس بن عبد الأعلى : « أو جمعت أمة لوسعهم عقل الشافعي »^(٣) .

قدم مصر سنة ١٩٩ هـ . وقيل ٢٠١ هـ (٨١٦ م) . ونزل بها ضيفا على أبي عبد الله بن الحكم الفقيه المالكي المصري . وأخذ عنه مجموعة من العلماء ، ولم يزل بها إلى أن توفي يوم الجمعة آخر يوم من رجب سنة ٢٠٤ هـ (٨١٩ م) . ودفن بقرية أولاد ابن عبد الحكم بالقرافة الصغرى .

(*) انظر الصور من رقم ٥١ — ٥٦ بمجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الأربعة ، ص ٢٨ (٢) وفيات الأعيان لابن خلكان ، ج ١ ص ٦٢٧

(٣) النجوم الزاهرة ، ج ٢ ص ١٧٧

وقد ظلت هذه المقبرة موضع تكريم الزائرين يقصدونها بالزيارة والتبرك بهذا الإمام العظيم .
غير أنها بقيت مساحة حتى غنى بها صلاح الدين^(١)، كما غنى بنشر مذهبه . ففى سنة ٥٧٢ هـ (١١٧٦ م)
بنى تربة الشافعي رضى الله عنه ، وهى أول عمارة على قبره حدثنا عنها المؤرخون^(٢) .
وفى سنة ٥٧٢ هـ (١١٧٦ م) شرع صلاح الدين فى بناء المدرسة الصلاحية بجوار قبر الشافعي ،
برسم الفقهاء أصحاب الشافعي . وكان الفراغ منها فى سنة ٥٧٥ هـ (١١٧٩ م) وعرفت بتاج المدارس ؛
فقد كانت معقلا لشر مذهب الشافعي .

وقد زارها الرحالة ابن جبير عقب الفراغ من بنائها ووصفها بقوله :

« مشهد الإمام الشافعي رضى الله عنه ، وهو من المشاهد العظيمة احتفالا وآساعا . وبنى
بإزائه مدرسة لم يعمر بهذه البلاد مثلها لا أوسع مساحة ولا أحفل بناء ويحيل لمن يتطوف فيها أنها
بلد مستقل بذاته ، بإزائها حمام ؛ الى غير ذلك من مرافقها . والبناء فيها حتى الساعة والتفقه طليها
لا تحصى . تولى ذلك بنفسه الشيخ الإمام الزاهد العالم المعروف بنجم الدين الحبوشاني . وسلطان
هذه الجهات صلاح الدين يسمح له بذلك كله ، ويقول زد احتفالا وتآقا وعلينا القيام بمؤونة ذلك
كله ، فسبحان الذى جعله صلاح دينه كاسمه »^(٣) .

وقد تعاقب على التدريس فيها أئمة علماء المذهب حتى نهاية القرن التاسع الهجرى (الخامس
عشر الميلادى) .

وقد كانت موضع رعاية ملوك مصر وأمرائها . فقد جذبها السلطان قايتباي^(٤) ، كما جذبها
صاحب الخيرات الأمير عبد الرحمن كتحدا^(٥) سنة ١١٧٦ هـ (١٧٦٢ م) ، وأنشأ سبيلا على يسار باب
القبة باقية وجهته حتى الآن هى والكسوة الرخامية للباب الخارجى للقبه بمصراعيه المغشيين بالفضة ،
ونقش على أعقاب باب المسجد الذى كان جده محل المدرسة الصلاحية ما نصه :

”مسجد الشافعي بحر علوم * أشرفت شمس بنور محمد“

وعلى عتب آخر :

”أكرم به من مسجد مصباحه * كتر الهدى المولى الهدام الشافعي“

وعلى يسار باب القبة قطعة مستديرة من الرخام الأسود اللامع محاطة بإطار رخامى منخرف تعتبر
أنظف قطعة من نوعها .

(١) النجوم الزاهرة ، ج ٢ ص ١٧٧ (٢) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ج ٤ ص ٢٢٩

(٣) متخبات من كتاب التاريخ لصاحب حماء ، ص ٢٧٢ ، مفرج الكرب ج ١ ص ١٩٦

(٤) رحلة ابن جبير ، ص ١٧ و ١٨ (٥) حسن المحاضرة ، ج ٢ ص ١٨٦ طبع الوطن .

(٦) التبر المسبوك ، ص ٤٤ (٧) الجبرق ، ج ٢ ص ٦

وتخلف من المدرسة الصلاحية النص التاريخي المكتوب بالنسخ الأيوبي المتضمن انشاءها ، وهو مودع دار الآثار العربية ونصه : ”بنيت هذه المدرسة باستدعاء الشيخ الفقيه الإمام ال ... الزاهد نجم الدين ركن الإسلام قدوة الأنام مفتي الفرق أبو البركات بن الموفق الخبوشاني أدام الله توفيقه لفقهاء أصحاب الشافعي رضوان الله عليه الموصوفين بالأصولية الموحدة الأشعرية على الحشوية وغيرهم من المتبعدة وذلك في شهر رمضان سنة خمس وسبعين وخمس مائة“ . كما بقي منها مصراعان مغشيان بالنحاس مودعان دار الآثار العربية .

ثم أمر المغفور له الخديو توفيق باشا بتجديد المسجد ، فتم تجديده في سنة ١٣٠٩ هـ (١٨٩١ م) على ما هو عليه الآن . وهو مسجد جميل ، وجهاته مبنية بالحجر ، وحليت أعتاب الشبابيك بكتابات كوفية . وله منارة رشيقة عملت على مثال المنارات المملوكية . ومنبره مطعم بالسّن والآبنوس . كان الفراغ من عمله سنة ١٣١٠ هـ (١٨٩٢ م) .

تابوت الشافعي — وقد بقي من عمارة صلاح الدين الأولى لقبر الشافعي تابوت فخر من الخشب مستطيل ، غطاؤه هرمي ، حافل بالنقوش والكتابات الكوفية والنسخية ، وجميع وجوه هذا التابوت مكوّنة من أطباق عربية كبيرة ، منقوشة بزخارف نباتية دقيقة ، من غصون مفزعة ، وأوراق مفزعة ، في مجاميع متناقلة ، تتخللها أشكال نجمية ومسدسة .

صنع عبد الجار المعروف باسم معالي

توزيع النجار

ومن أهم الكتابات به النص المشتمل على تاريخ صناعة التابوت واسم الصانع وهو : ”عمل هذا الضريح المبارك للإمام الفقيه أبي عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن الهاشم بن المطلب بن عبد مناف رحمه الله . صنعت عبيد التجار المعروف بابن معالي ، عمله في شهور سنة أربع وسبعين وخمس مائة ، رحمه الله ورحم من ترحم عليه ودعاه بالرحمة ولجميع من عمل معه من التجارين والتقاشين ولجميع المؤمنين“ . وحول هذا التابوت مقصورة خشبية منقوشة ، عملتها لجنة الآثار العربية لحماية هذا التابوت سنة ١٣٢٩ هـ .

وابن معالي هذا من أسرة نبغت في صناعة التجارة ، رأيت اسم أحد أفرادها على منبر نورالدين الشهيد في المسجد الأقصى بهذا النص : ”صنعة سلمان ابن معالي“ .

وعلى رأس هذا التابوت كتابة تاريخية بالخط الكوفي نصها : ”بسم الله الرحمن الرحيم وأن ليس للانسان إلا ما سعا وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى هذا قبر الفقيه الامام أبي عبد الله

محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن الهاشم بن المطلب ابن عبد مناف . ولد رضى الله عنه سنة خمسين ومائة وعاش الى سنة أربع ومائتين ومات يوم الجمعة آخر يوم من رجب من السنة المذكورة ودفن من يومه بعد العصر .

وأمام القبر عمود من رخام مكتوب عليه بالخط النسخ ١٦ سطرا نصها : ” بسم الله الرحمن الرحيم وأن ليس للانسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى هذا قبر السيد الامام أبي عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع ابن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم ابن المطلب بن عبد مناف جد النبي صلى الله عليه وسلم ولد رضى الله عنه سنة خمسين ومائة وعاش الى سنة أربع ومائتين ومات يوم الجمعة آخر يوم من رجب من السنة المذكورة ودفن من يومه بعد العصر رضى الله عنه وأرضاه آمين “ .

وهذا الشاهد استعمل لارة الثانية لغرض واحد ؛ فقد وجدت على وجهه الآخر كتابة لم تنشر قبل اليوم مكتوبة بالخط الكوفي ونصها : ” بسم الله الرحمن الرحيم وأن ليس للانسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى هذا قبر الفقيه أبي عبد الله محمد بن إدريس بن العباس ابن عثمان بن شافع بن السائب ولد رضى الله عنه سنة خمسين ومائة وعاش الى سنة أربع ومائتين ومات يوم الجمعة في آخر يوم من رجب من السنة المذكورة ودفن من يومه بعد العصر رضى الله عنه “ .

ولاشك أن هذا النص أقدم نص تاريخي باق في المشهد ؛ فهو مكتوب في العصر الفاطمي ، خصوصا أنه خالي من لقب الإمام . ووجدت في تاريخ دمشق لابن عساكر أول لوحة تاريخية كانت على قبره ونصها : ” هذا قبر محمد بن إدريس الشافعي وهو يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن الجنة حق وأن النار حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور وأن صلاته ونسكه ومحياه ومماته لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمر وهو من المسلمين عليه يحيى وعليه مات وعليه يبعث حيا إن شاء الله وتوفي أبو عبد الله ليوم بقي من رجب سنة أربع ومائتين “ . وقد دفن في قبة الشافعي أيضا من أسرة صلاح الدين زوجته الملكة شمس ، وابنه العزيز عثمان ؛ ولكن قبريهما غير محددين . وللهما في المقبرة المحاطة بالمقصورة المطعمة بالصدف والزرنشان وكانت هذه المقصورة حول قبر الشافعي . وعليها اسم صانعها بما نصه : ” عمل عمر “ .

القبة — في سنة ٦٠٨ هـ (١٢١١ م) أنشأ هذه القبة السلطان الملك الكامل محمد ابن العادل لما دفنت أمه هناك . وهى قبة كبيرة من أجل القباب وأجملها بمصر . فكذا تفنن

المهندس في زحرفتها ونقوشها ، بذل قصارى جهده في تخفيف كلفة البناء الضخمة التي سيجعلها مربع القبة . وحليت من الخارج بزخارف وكتابات وشرفات مسننة منقوشة .

وهذه القبة خشبية ومكسوة بالرصاص ، ولعلها أقدم قبة خشبية . وقد عملت على مثالها قبة جامع الظاهر بيبرس البندقداري ، ومن القباب الخشبية أيضا قبة المدرسة الناصرية بالنحاسين ، قبة السلطان حسن قبل هدمهما .

وقد كسيت جدرانها من الداخل بالرخام . وفي جدارها الشرق ثلاثة محاريب ، طواقيها خشبية منقوشة . ثم محراب رابع أحدث لتصويب القبلة .

ويحيط بالمربع إفريز خشبي منقوش بزخارف بارزة ، كما يحيط بها إفريز آخر أسفل رجل المقرنص مكتوب به بالخط الكوفي آيات من سورة يس ، وباقي القبة منقوش . ومكتوب بالخط الكوفي الأندلسي بدائرها العلوى آية الكرسي .

وقد دَوَّن تاريخ إنشائها في سطرين فوق العتب الخشبي للشباك الغربي للقبة ، بما نصه :
” بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشاء هذه القبة المباركة مولانا السلطان الملك الكامل محمد بن مولانا السلطان الملك العادل أبي بكر بن أيوب خليل أمير المؤمنين خلد الله ملكه وذلك في يوم الأحد لسبع خلون من جمادى الأولى من سنة ثمان وستمائة ... الله ... “ .

ولم يكن الكامل في هذا الوقت سلطانا لمصر ، بل كان والده الملك العادل هو السلطان . وهذا يساعد على الأخذ برواية من قال من المؤرخين : « إن أم الكامل هي التي عمرت قبة الشافعي على ما هي عليه ، وأجرت الماء من بركة الحبش الى القبة المذكورة »^(١) .

وبالقبة تابوت آخر فوق قبر أم الملك الكامل لا يقل في أهميته عن تابوت الشافعي ، حليت جوانبه الأربعة بحشوات دقت بالأويمة ذات الفروع النباتية ، تنوسطها حشوات نجمية اثنا عشرية ، آية في الدقة والجمال . ومكتوب بقوائم الرأس القبلية بالخط النسخي المزخرف ما نصه : ” بسم الله الرحمن الرحيم هذا قبر السيدة الشهيدة المرحومة الفقيرة الى رحمة ربها والدة الفقير الى رحمة ربه محمد ولد مولانا السلطان الملك العادل العامل العابد المجاهد المزايط المؤيد المظفر المنصور سيف الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين سيد الملوك والسلاطين قانع الخوارج والتمردين قاهر الكفرة والمشركين أبي بكر بن أيوب خليل أمير المؤمنين اللهم أقم بهما منار الحق وأعله واجعل أيامهما عامت البركات على الإسلام وأهله وأدم إعزاز الدين بماضى عزمهما ونصله وأدق عدوهما نار انتقامك

وأصله برحمتك يا أرحم الراحمين وصلواته على سيدنا محمد خاتم النبيين . توفيت الى رحمة ربها ورضوانه قبل الفجر من الليلة التي صبحها يوم الأحد الخامس والعشرين من صفر سنة ثمان وستانة قدس الله روحها ونور ضريحها وأسكنها الجنة مع المتقين “ .

ويلاصق مقصورة الشافعي مقصورة خشبية بسيطة حول قبر يقال إنه لأولاد ابن عبد الحكم .

وفي سنة ٨٨٥ هـ (١٤٨٠ م) أمر السلطان قايتباي بإصلاح القبة ، وعهد بعارتها الى الخوaja شمس الدين بن الزمن . وقد ذكرت هذه العمارة في كتابة تاريخية بوزرة القبة نصها : ” أمر بتجديد هذه القبة المباركة مولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباي عز نصره . وكان الفراغ من ذلك في شهر جمادى الآخرة سنة خمس وثمانين وثمان مائة من الهجرة الشريفة النبوية “ .

وإذا كان ابن إياس لم يبين الأعمال التي أجراها قايتباي ، فقد أوضحها السخاوي في ترجمة ابن الزمن بين الأعمال المعمارية التي أشرف عليها فقال : « ... وعمر قبة الإمام الشافعي وجدد رخامها وزحرفها^(٢) » .

وكذلك جددها الملك الأشرف قانصوه الغوري ، وكتب على الوزرة ما نصه : ” أمر بتجديد هذه القبة المباركة السلطان الملك الأشرف قانصوه الغوري عز نصره “ .



سقف الشباك

وفي سنة ١١٨٦ هـ (١٧٧٢ م) أجرى بها على بك الكبير عمارة كبيرة . فقد كشف ما عليها من الرصاص القديم من أيام الملك الكامل وقد تشعث ، فجدد ما تحته من خشب القبة البالي بغيره من الخشب النقي الحديث ، ثم كساه بالرصاص ، وجدد نقوش القبة من داخل بالذهب والالزورد^(٣) . وقد دون تاريخ هذه العمارة على مربع القبة بما نصه : ” أمر بتجديد هذه القبة المباركة على التخصيص وتشيد أفنان وضعها بفنون النقش والترصيص

عزيز مصر وحاكمها من ثبت أحكامه في أقاليمها ومعالمها المتوكل على الله مولانا القائم في الرعية بما يحبه ويرضاه على الاسم والقدر والجاه الحاكم بأمر الله أيد الله بالنصر لواءه وخلد عزه وبقاءه وخذل

(١) ابن إياس ج ٢ ص ١٩٨ و ٣٠١ (٢) الضوء اللامع ، ج ٨ ص ٢٦١ (٣) الجبرتي ، ج ١ ص ٣٨٢

أضداده وأعداءه وبلغه قصده ورجاه إنه الملك اللطيف بركة صاحب هذا المقام الشريف وذلك في افتتاح سنة ست وثمانين ومائة وألف من الهجرة أدام الله عزه ونصره .

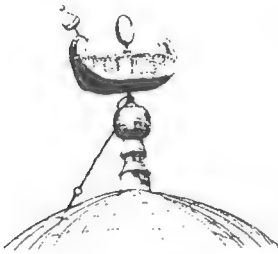
وقد حافظ أثناء عملية النقش على الكتابة الكوفية الأندلسية بقطب القبة، ويسترى النظر معبرة الباب الغربي (شباك) المتخذة من قصب غير مقعرة وهو باكورة لهذا النوع من السقوف . ويلاحظ في مصراعي هذا الشباك أن الوجه مكون من حشوات مسدسة، والظهر من حشوات مربعة ومستطيلة، منقوشة ومكتوبة بالكوفي، وعلى باب القبة مصراعان آخران من الخشب المجمع، دقت حشواتهما بالأوامة الجميلة على مثال دقة تابوت أم الكامل، لهما صنوان مثلهما نقلتا إلى مسجد الإمام الليث .

ومنقوش على هذين المصراعين في أربع حشوات تاريخ الفراغ من القبة "وذلك لسبع خلون من جمادى الأولى من سنة ثمان وستائة". وهذه الأبيات :

الشافعي إمام الناس كلهم * في العلم والحلم والعليا والباس
له الإمامة في الدنيا مسلمة * كما الخلافة في أولاد عباس
أصحابه خير أصحاب ومذهبه * خير المذاهب عند الله والناس

ومن مآثر المغفور له محمد علي باشا أنه في سنة ١٢٣٠ هـ (١٨١٤ م) أنشأ مجراة توصل الماء إلى مiazza مسجد الشافعي، وإلى مدفن الأسرة الذي أنشأه خلف الشافعي .

العشارى فوق القبة — اشتهرت قبة الشافعي بالعشارى^(١) فوقها، وهو مركب صغير مثبت



المركب فوق القبة

في هلال القبة، تتدلى منه سلسلة حديدية، يقال : إنها أعدت ليتسلقها من يريد الوصول إلى هذا المركب لوضع الماء والحبوب للطيور، على ما يزعمون وهو ما يصعب تصديقه . وهذا المركب موضوع في هلال القبة منذ إنشائها، لأن الإمام البوصيرى صاحب البردة المتوفى سنة ٦٩٥ هـ (١٢٩٥ م) عاينها وقال فيها :

بقبة قبر الشافعي سقينة * رست في بناء محكم فوق جلمود
ومذ غاض طوفان العلوم بقبره اسـ * تنوى الفلك من ذاك الضريح على الجودى

(١) العشارى : مركب صغير خاص بالنبل والغايجان، منه ما هو خاص بالملك ومنه ما هو خاص بكبار الدولة، وهو ذو ألوان

وتبعه شعراء القرنين الثامن والتاسع الهجرى (الرابع عشر والخامس عشر الميلادى) فى وصفها؛ فقد أنشد فيها الأديب الكاتب ضياء الدين أبو الفتح موسى بن ملهم^(١) :

مررت على قبة الشافعى * فعين طرفى عليها العشارى

فقلت لصحبى لا تمجبوا * فان المراكب فوق البحار

وقال علاء الدين أبو على عثمان بن إبراهيم النابلسى :

لقد أصبح الشافعى الاما * م فىنا له مذهب مذهب

ولولم يكن بحر علم لما * غدا وعلى قبره مركب

ومن هذه الأشعار نستنتج أن هذا المركب قد يكون رمزا لعلم الامام الشافعى، لأنه بحر العلوم. وأول من أشار إلى أن هذا المركب أعد لوضع الحبوب به هو بهاء الدين العاملى ، وقد زاره سنة ٩٩٢ هـ (١٥٨٤ م)^(٢) ، وتبعه الرحالة عبد الفنى النابلسى فى رحلته « الحقيقة والمجاز » فقد زار مصر سنة ١١٠٥ هـ (١٦٩٢ م) وقال :

ورأينا على قبة الإمام الشافعى من جهة الخارج سفينة من خشب مربوطة بالهلال يوضع فيها الحب للطيور ثم أنشد^(٣) :

يا قبة للإمام الشافعى زهت * بها القرافة فى مصر لهيئت

لو لم يكن تحتها بحر العلوم لما * سفينة الحب كانت فوق قبة

وتبعهما فى رواية إعداد هذا المركب للحبوب المرحوم على باشا مبارك^(٤)؛ فقد وصف المركب بأنه يسع قدر نصف إردب من الحبوب لأكل الطيور .

منشأ العشاريات على القباب والمنارات — لم تكن العشاريات مقصورة على قبة الشافعى، فقد كانت موجودة بهلال منارة الجامع الطولونى، وبقيت بها إلى أن سقطت سنة ١١٠٥ هـ (١٦٩٣ م)^(٥) .

وقد قرر كوربت بك عند ما كتب عن الجامع الطولونى ومنارته والعشارى الذى كان عليها أنه رأى بالأقاليم ، وفى مدينة رشيد عدة مراكب فوق مناراتها^(٦) . وقد زرت كثيرا من هذه البلاد فلم أجد مراكب على مناراتها . وإنما لاحظت فى الأضرحة الموجودة على النيل مراكب صغيرة من الخشب أو الورق تعلق فوق المقاصير .

وقد رأيت بهلال القبة القبلىة فى خانقاه فرج بن برقوق بالصحراء مراكبا صغيرا باقيا حتى الان لا سبيل للوصول اليه . مما يعزز أن هذه المراكب ما هى إلا نوع من الأهلة ، لا لوضع الحبوب للطيور .

(١) المقرئى ، ج ٢ ص ٤٦٢ (٢) الكشكول ص ١٦ (٣) الحقيقة والمجاز، ص ٦٤

(٤) الخطط الجديدة، ج ٥ ص ٢٥ (٥) الجبرق ، ج ١ ص ٢٥ (٦) الجامع الطولونى، ص ٨٣

مدرسة وقبة قلاوون

بشارع المعز لدين الله (النحاسين)^(*)

المنصور قلاوون — هو السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفى الصالحى^(١)
أحد مماليك الأتراك البحرية . اشتراه الأمير علاء الدين آق سنقر الساقى العادلى بألف دينار .
ثم امتلكه الصالح نجم الدين سنة ٦٤٧ هـ (١٢٤٩ م) بفعله من حملة البحرية ، وترقى فى الوظائف
إلى أن عين أتابك العساكر^(٢) .

وفى سنة ٦٧٨ هـ (١٢٧٩ م) عين ملكا على مصر ولقب بالملك المنصور ؛ فكان عصره عصر
رخاء ورفاهية ، انتعشت فيه الفنون وازدهرت العمارة ، وقد ألتى كثيرا من المكوس ، وحارب
التار وهزمهم فى حمص ، كما هزم الصليبيين فى مواقع كثيرة واستخلص منهم بلادا إسلامية .
وغزى النوبة .

انتقل إلى رحمة الله تعالى ليلة السبت ٦ من ذى القعدة سنة ٦٨٩ هـ (١٢٩٠ م) بعد أن حكم
أحدى عشرة سنة وثلاثة أشهر^(٣) ، ودفن فى تربته التى أنشأها فى شارع بين القصرين .

أقيمت هذه المجموعة على رقعة من أرض القصر الفاطمى الصغير الغربى . وكان على جزء منها
قاعة كبيرة لست الملك أخت الحاكم بأمر الله ، ثم آلت ملكيتها إلى الأميرة مؤنسة القطبية الأيوبية .
ولقد ظلب اسم البيارستان^(٤) على هذه المجموعة ؛ لأنه السبب فى إنشائها . ذلك أن المنصور
قلاوون وقت أن كان أميرا سنة ٦٧٥ هـ (١٢٧٦ م) أصابه وهو بدمشق مرض ، فعولج بأدوية
أخذت له من بيارستان نور الدين الشهيد . وبعد إبلاله من مرضه زار البيارستان . فأعجب به
ونذر إن آتاه الله ملك مصر أن يبنى بها بيارستانا .

فلما ولى الملك شرع بالوفاء بنذره ، ووقع اختياره على الدار القطبية وغيرها لإنشاء بيارستان
ومدرسة وتربة ، وعهد إلى الأمير علم الدين سنجر الشجاعى بالتنفيذ . فقد كان خيرا بالعمارة .

(*) انظر الصور من رقم ٥٧ — ٦٤ بمجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) الألفى لأنه اشترى بألف دينار . (٢) أتابك أكبر الأمراء المتقدمين .

(٣) المهمل الصافى ، وفوات الرقيات ج ٢ ص ١٣٣ ، وابن إياس ج ١ ص ١١٩ ، والنجوم الزاهرة ج ٧ ص ٣٢٦ .

(٤) بيارستان — كلمة فارسية مركبة من « بيار » أى مريض ، ومن « ستان » أى محل . ويقال له بالتركية « خسته خانه » .

ويؤثر من عبد الملك بن مروان أنه أول من اتخذ البيارستانات .

كان الأمير سنجر الشجاع متعسفا غشوما ؛ فقد حشد إلى العارة ثلثمائة أسير، كما حشد جميع الصناع ، وأمرهم جميعا بالعمل في هذه العارة ومنعهم من العمل في غيرها . ثم عمد الى قلعة الصالح نجم الدين بالروضة ونقل منها ما احتاج إليه من عمد جرانيتية ورخام وغيرها .

وكان البدء في هذه العارة في شهر ربيع الاخر سنة ٦٨٣ هـ (١٢٨٣ م) . والفراغ منها في جمادى الأولى سنة ٦٨٤ هـ (١٢٨٤ م) . أى أن القبة والمدرسة والبيارستان استغرق بناؤها ١٤ شهرا . ولم يكن هذا تقدير المؤرخين لحسب ، بل نقش ذلك على عتب الباب الرئيسي بما نصه : ” أمر بإنشاء هذه القبة الشريفة المعظمة والمدرسة المباركة والبيارستان المبارك مولانا السلطان الأعظم الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون الصالحى وكان ابتداء عمارة ذلك في ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانين وستمائة والفراغ منه في جمادى الأول سنة أربع وثمانين وستمائة “ .

كما نقش على بقية المجموعة تاريخ البدء والفراغ من أجزائها . وهى مستندات قوية ، ولكن عظم مساحة هذه المجموعة وكثرة زخارفها ودقتها تجعلنى أتشكك — كما تشكك غيرى^(١) — فى تصديق ذلك . وكل ما أستطيع الأخذ به أن هذه التواريخ كتبت عند الفراغ من كتلة البناء أو الوجوهات لا الزخرف . وقد قوى هذا الشك عندى وعززته اختلاف المؤرخين فى تاريخ دفنه بقبته . فقد ذكر كثير منهم أنه دفن بها غداة وفاته . وقال اثنان بخلاف ذلك : أولهما مفضل بن أبى الفضائل الذى يقرر أنه فى ١٠ محرم سنة ٦٩٠ هـ (١٢٩١ م) نقل السلطان الشهيد المنصور من القلعة ودخلوها به من باب البرقية وصلوا عليه بجامع الأزهر . وحمل الى تربته ودفن بالقبة . وثانيهما ابن الفرات فى حوادث سنة ٦٨٩ هـ (١٢٩٠ م) إذ يقرر أن المنصور قلاوون حينما اعترم السفر الى عكا ونزل بنحيمه فى منزلة مسجد التبر^(٢) ، وكان عليلا اشتد مرضه فبقى هناك الى أن توفى يوم ٦ من ذى القعدة^(٣) . وحمل الى قلعة الجبل ليلا واستمر بها الى آخر يوم الخميس غرة المحرم سنة ٦٩٠ هـ (١٢٩١ م)^(٤) . وفى يوم ٢ محرم نقلت جثته من القلعة الى تربته التى أنشأها بالمدرسة المنصورية داخل القاهرة . وعزز هاتين الروايتين ابن شاكر الكتبي ثم المقرئ^(٥) ، فقد ذكر أن الأشرف خليلا أمر بنقل أبيه من القلعة الى القبة المنصورية فى ٢ محرم سنة ٦٩٠ هـ (١٢٩١ م) .

(١) سبغنى الى هذا التشكك النورى حيث يقول : فاذا شاهد الرأى هذه العارة العظيمة وسمع أنها عمرت فى هذه المدة القريبة ربما أنكرك ذلك ، ص ٩٩٨ ملاحق الجزء الأول من السلوك قلا عن نهاية الأرب . - (٢) تاريخ سلاطين المماليك ج ٢ ص ٥٣٧ (٣) مسجد التبر : موجود فى الشمال الغربى لمحلة حمامات القبة بالقرب منها . (٤) تاريخ ابن الفرات ج ٨ ص ٩٧ (٥) المقرئ ، ج ٢ ص ٣٨١ ، فوات الوفيات ج ٢ ص ١٣٤

ومن هذه الروايات يفهم أن هذه المجموعة تمت ببناء ورخاما وزخرفا في أول سنة ٦٩٠ هـ (١٢٩١ م) وتكون قد استغرقت سبع سنين وثمانية أشهر ، وهى المدة المعقولة لبناء هذه المجموعة الشاحنة الحافلة بـ مختلف فنون العمارة الدقيقة .

فإن صحت هذه الروايات فهل يكون التأخر فى العمارة مقصورا على القبة ؛ لأنها أحفل قسم بالزخرف والرخام الدقيق ؟ فقد ورد أنه فى سنة ٦٨٦ هـ (١٢٨٧ م) جلس قاضى القضاة برهان الدين السنجارى للحكم فى المدرسة المنصورية بين القصرين ^(١) . وأنه فى شهر رمضان سنة ٦٨٤ هـ عين مذهب الدين المعروف بابن أبى حليقة لتدريس الطب بالبيارستان ، فيجوز أنهما قاما بوظائفهما فى جزء من البناء قبل الفراغ منه ، كما حدث فى الجامع المؤيدى وغيره . وكثيرا ما رأينا مدارس ومساجد احتفل بافتتاحها وعين مدرسوها قبل أن يتم بناؤها .

وصف القبة والمدرسة — تقع هذه المجموعة فى شارع المعز لدين الله بين القصرين . والواقف أمام هذه البناية الضخمة يرى قسمين : الأول وهو القبلى وجهة المدرسة ، والثانى وهو البحرى وجهة التربة ، تعلوها قبة كبيرة . وفيما بين هذين القسمين الباب الذى يسلك منه الى المدرسة والقبة والبيارستان .

والناظر الى هذه المجموعة يرى منظرا من أروع المناظر للعمارة الاسلامية بالقاهرة ؛ فقد اشتملت الواجهة على عقود محمولة على عمد رخامية ، وبداخل تلك العقود شبابيك مفزعة بأشكال هندسية ، بها افريز مكتوب به اسم المنشئ والقباه ، وتاريخ الإنشاء . وتنتهى من أعلاها بشرفة مسننة حلى وجهها بزخارف . وهى وجهة ذات طراز غير مألوف فى عمارات مصر . وهذا بلا شك من ظواهر التأثيرات السورية عليها .

وعلى الطرف البحرى المنارة المكونة من ثلاثة أدوار : الأسفل والأوسط مربعان ، فتحت بهما شبابيك تتوزعت عقودها . والثالث مستدير به نقوش دقيقة ، وكتابات فى الجص متوج بكرنيش مصرى الطراز . أما خوذتها فليست منها ، ولعلها كانت مضلعة مخوصة مثل منارات الجسولى وبيرس الجاشنكير ، وهو الطرز الشائع فى منارات هذه الفترة .

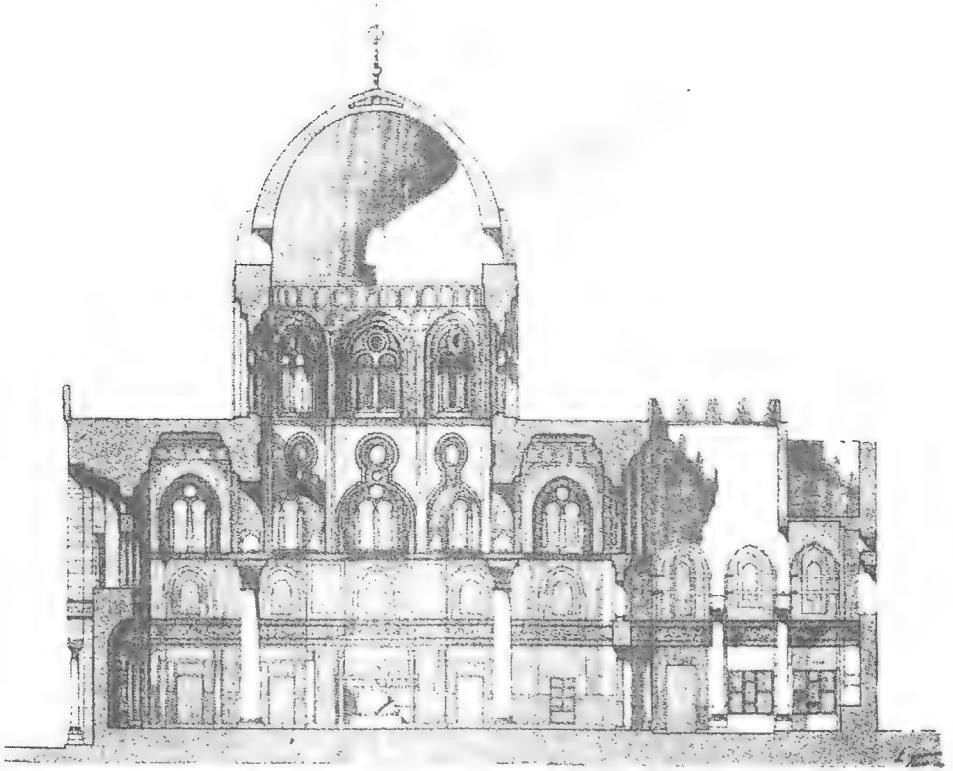
وهذه المنارة أنشأها ابنه الناصر محمد بن قلاوون فى سنة ٧٠٣ هـ (١٣٠٣ م) بمعرفة الأمير سيف الدين كهرداش المنصورى على أثر سقوطها فى زلزال سنة ٧٠٢ هـ (١٣٠٢ م) . ونقش تاريخ ^(٢)

(٢) السلوك ، ج ١ ، قسم ٣ ص ٧٢٩

(١) السلوك ، ج ١ ، قسم ٣ ص ٧٢٤

(٣) الدرر الكامنة ج ٣ ص ٢٦٩

التجديد في أربعة أسطر تحيط بمربع الدورة الأولى أسفل المقرنص بما نصه : ” بسم الله الرحمن الرحيم اللهم جدد الرحمة والرضوان على روح الملك المنصور رحمه الله أمر بتجديد هذه المأذنة في أيام ولده مولانا السلطان الملك الناصر أبو الفتح محمد وذلك عند ظهور الآيات المتزلة وسقوط أعاليها عند حدوث الزلزلة في شهر سنة ثلاث وسبعائة من الهجرة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام “ . كما أثبت ذلك أيضا في لوحة ثانية على وجه قاعدتها في الناحية البحرية .



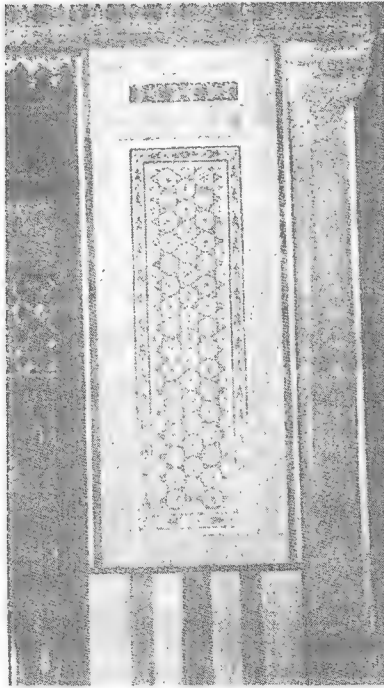
قطاع طول للقبة المنصورية

ويتوسط هذه الوجهة الباب الذي يسلك منه الى المدرسة والقبة والبيارستان ، وهو مكسو بالرخام الملون ، وعلى مصراعيه كسوة نحاسية مفزعة برسوم هندسية جميلة ، وسماعته على شكل رأس حيوان .

وهذا الباب يؤدي الى دهليز له سقف خشبي جميل ، فتحت على جانبيه أبواب وشبابيك متقابلة للتربة والمدرسة ، ينتهي الى باب يؤدي الى البيارستان حلى عقده بنقوش .

وللتربة بابان مفتوحان على هذا الدهليز ، يدخل إليها مباشرة من أولها ، ومن الثانى الى القاعة أمامها . وقد أدخل الأمير عبد الرحمن كتنخدا فى عمارته التى أجزاها سنة ١١٧٤هـ (١٧٦٠م) تغييرات على هذا الباب وعلى باب المدرسة المقابل له وهما البابان الرئيسيان ، كما هدم القبة الكبيرة ^(١) .

وتصميم هذه القبة غريب بالنسبة للقباب غيرها بمصر ، لكنه مقتبس الى حد ما من تصميم قبة الصخرة بالقدس الشريف ، فالقاعدة مربعة ، أقيم وسطها أربعة عمد ضخمة من الجرانيت متقابلة مذهبة تيجانها ، وأربعة أكثاف من البناء ، فى نواصى كل منها أربعة عمد رخامية ، كسيت أجنابها الخارجية بالرخام الدقيق المطعم بالصدف ، يجمعها من أعلى إفريز رخامى دقيق ، فوقه إفريز منقوش مذهب ، ثم إفريز آخر به آيات من القرآن وتاريخ تجديدها بحروف مذهبة على أرضية زرقاء . وبقى الأكتاف مكسوة بالخشب المنقوش .



وزرة القبة

وهذه الأكتاف مع العمدة تحمل عقودا ، حلى باطنها بزخارف جصية ، كما حليت حافتها الخارجية بهذه النقوش ، وتنتهى من أعلى بعمدة فوقها شباك مستدير هو وإطاره من الجص المنقوش . وفتح بأضلاع المثلث شبايك قندلية من الجص والزجاج الملون ، أحيطت بزخارف جصية مؤزقة ، ثم مقرنص خشبى فالقبة .

وهذه القبة أعادت بناءها لجنة حفظ الآثار العربية سنة ١٣٢٦هـ (١٩٠٨م) على مثال قبة الأشرف خليل بن قلاوون المعاصرة لها .

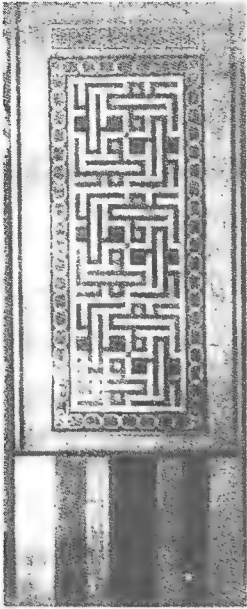
وقد غطى ماحول المثلث بأسقف خشبية مذهبة ، بعضها قصع نقش بها اسم المنصور قلاوون ، والآخر من برطوم ومربوعات ملونة مذهبة .

أما جدران القبة وفتحات الشبايك والدواليب المحيطة بها فهى مؤزرة بالرخام المطعم بالصدف من أدق أعمال الرخام بالآثار الإسلامية بمصر ، نقش بعضها على هيئة رسوم هندسية ، والبعض الآخر كتب به بالكوفى المربع عهد مكررة اثنا عشر مرة ، يعلوها إفريز رخامى دقيق الصنع للغاية .

(١) الجبرق ج ٢ ص ٦٦ ، الخطط الجديدة ج ٥ ص ١١٠ (٢) الشبايك القندلية هى شبايك كل شاكين منها متجاوران يفصلهما عمود و يعلوما شباك مستدير .

أما المحراب فهو أكبر وأنخم محراب في آثار مصر يكتنف كلا من جانبيه ثلاثة عمد رخامية، وتجويفته أربع طبقات من تجاويف محارية مذهبة محمولة على عمد رشيقة، وباقيه من الرخام والصدف الدقيق.

ومن أرضية القبة إلى قمتها لا ترى إلا لونا زاهيا، وتذهيبا براقا، وزجاجا ملونا بالشبابيك، وعقودا محلاة بزخارف جصية مورقة. وبوسط المثلث قبر عليه بقايا تابوت من الخشب المنقوش والمكتوب بالخطين الكوفي والنسخي. وهذه البقايا منحصرة في الرأسين القبلي والبحري للتابوت وتشتمل على حشوات مثثة ومستدسة محفورة بالأويمية الدقيقة ومكتوب عليه " ... الدنيا والدين قلاوون الصالحى سلطان الاسلام والمسلمين قدس الله روحه ونور ضريحه انتقل الى رحمة الله تعالى... ". وقد دفن بهذا القبر المنصور قلاوون، وابنه الناصر محمد، وابنه عماد الدين اسماعيل بن محمد بن قلاوون. وفي سنة ١٢٣١ هـ (١٨١٦ م) أقام أحد نظاره شاهدين رخامين على أحدهما عمامة عثمانية بها ريشة مذهبة وعلى الآخر أبيات من الشعر.



محمد مكررا بوزدة القبة

وقد أحيط هذا المثلث بمقصورة خشبية حليت بنقوش وكتابات أمر بعملها الناصر محمد بن قلاوون، وكتب اسمه عليها. وحليت الوجهة الغربية للتربة بشبابيك وبزخارف جصية وكتابات كوفية. وأمامها صحن مكشوف تحيط به أروقة معقودة بقبوات. وكان ملحقا بها مكتبة ومتحف لحفظ ملابس من دفن بها. وهو ثالث متحف نسمع باقامته لحفظ مخلفات العظماء؛ إذ الأول متحف عقبة بن عامر في مسجده، والثاني هو الذى أقامته شجر الدر ملكة مصر بقبة زوجها الصالح نجم الدين تجاه هذه القبة.

أجترئ من وصف هذه القبة العظيمة بهذا القدر : لأننى مهما أطنبت فى وصفها فلا أوفىها حقها. ومن العجب أن العمل فيها استغرق خمسة أشهر، من شوال سنة ٦٨٣ هـ الى صفر سنة ٦٨٤ هـ (١٢٨٤ - ١٤٨٥ م) كما هو منقوش على باب القبة

بما نصه : "أمر بإنشاء هذه القبة الشريفة المعظمة مولانا وسيدنا السلطان الأعظم الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون الصالحى قسم أمير المؤمنين أدام الله أيامه وحرس إنعامه ونشر

في الخلفين ألويته وأعلامه وكان ابتداء عمارتها في شوال سنة ثلاث وثمانين وستمائة والفراغ منها في صفر سنة أربع وثمانين وستمائة للهجرة المحمدية النبوية .

وهذه المدة تضاعف تشككي وتشكك كل من يزور القبة ويرى عظمتها ودقنة صناعتها ، سواء في الرخام أو الخشب أو الجص . وفي ذلك يقول ابن الفرات المؤرخ بمناسبة الفراغ من البناء : ” وإذا شاهد الرائي هذه العمارّة العظيمة واتساع فضاءها وعلو أسوارها ومكنة بنيانها ، ثم سمع أنها عمرت في هذه المدة القريبة ربما أنكر ذلك ” .

وكان التوفيق خليف لجنة حفظ الآثار العربية في ترميم هذه القبة ؛ إذ وجه إليها عنايته المهندس العظيم هرتس باشا ، واستمر العمل في إصلاحها من سنة ١٩٠٣ إلى سنة ١٩١١ ، إذ جدد زخارفها وسقوفها وشبابيكها ونجارها وأقام قبتها ، وكان موافقا كل التوفيق في هذا الإصلاح .

المدرسة — وأمام باب القبة باب المدرسة المنصورية ، ويتوصل إليها الآن من بايين متقابلين لباب القبة . وقد كانت تخربت فعنت إدارة حفظ الآثار العربية بإصلاح الإيوان الشرقي ، بها وأتمت الأعمال فيه في سني ١٩١٦ - ١٩١٩ م .

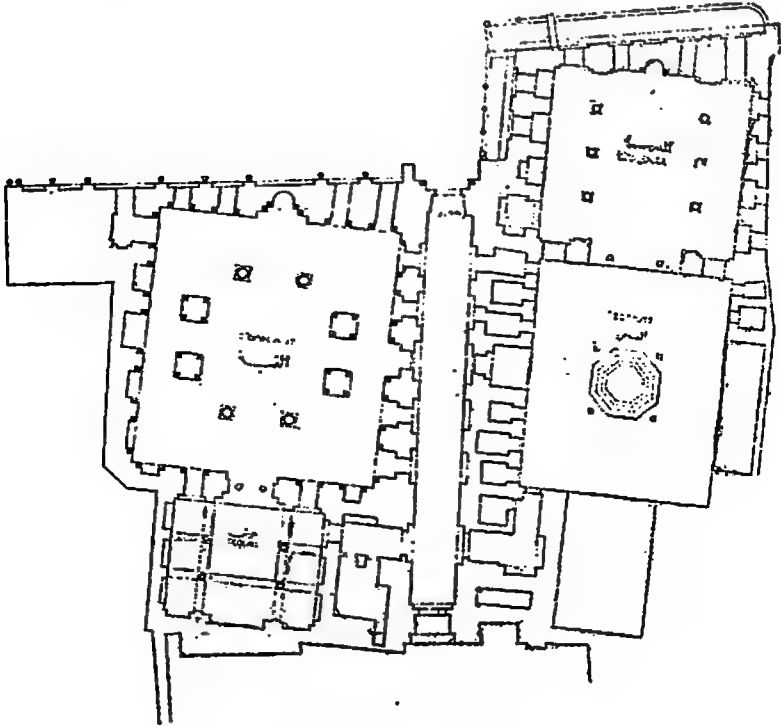
ونلمس في هذا الإيوان نظاما خاصا لم يسبق له مثيل بمصر . فقد أقيم على فتحته عمودان يحملان عقدتين كبيرين ، يكتنف كلا منهما فتحتان معقودتان مستطيلتان ، يعلو ذلك شبك مستدير ، يكتنفه كتفان بكل منهما ثلاثة شبابيك بعضها فوق بعض . ولا شك أن هذه العقود والشبابيك كانت علامة بزخارف جصية كما تنبئ بقاياها .

وينقسم الإيوان إلى ثلاثة أروقة ، أوسطها أكبرها ، وسقفه محمول على عمد رخامية ، تعلوها عقود حليت هي والشبابيك المستديرة أعلاها بزخارف جصية ؛ كما أنه توجد كوابيل متقابلة بوجه أزجل العقود أعلى الأعمدة موجودة على استواء مبدأ الطارات المنتهية بها الوجهتان القبليّة والبحرية من الإيوان .

والقسم الأوسط من الإيوان وإن غطى في عمارته الأخيرة بسقف مسنن إلا أن العقد الدائر بالشبابيك الثلاثة الحافلة بالزخارف فوق المحراب يدل على أن هذا السقف كان مغطى بقيو معقود . ومن رأى أستاذي المغفور له محمود باشا أحمد أن الكوابيل الموجودة كانت تحمل عقودا في باطن هذا القبو . كما أن سقوف جانبي هذا الرواق كانت من عقود مصلبة ، وهذا من تأثيرات العمار المسيحية في فلسطين .

والحجرات أقل نخامة من محراب القبة، إلا أن طاقته وتواشيعه من الفسيفساء المذهبة، يحاوره منبر بسيط، ليس بالمنبر الأصلي بل عمله الأمير أزيك من ططخ سنة ٨٩٩ هـ (١٤٩٤ م) إنشاء عمارته للمدرسة وعمله قبة أعلى القسقية التي كانت بالصحن^(١).

أما الإيوان الغربي فقد تخرّب وضاعت معالمه وأجريت به إصلاحات لصيانته . والمرجح أن الجانب القبلي للصحن كانت به حجرات مثل الجانب البحري المقابل له يتوسط كلا منهما إيوان صغير.



مخطط أفق للقبة والمدرسة

وقد استغرق بناء هذه المدرسة على سعتها أربعة أشهر؛ كما دُون على عتَاب شبايك المدرسة وأعلى المحراب بما نصه : " أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة السعيدة مولانا وسيدنا السلطان الأعظم الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون الصالحى قسم أمير المؤمنين أدام الله أيامه وحرس إنعامه ونشر في الخافقين ألوته وأعلامه . وكان ابتداء عمارتها في صفر سنة أربع وثمانين وستمائة، والفراغ منها في جمادى الأول من السنة المذكورة للهجرة المحمدية " .

(١) ابن إياس، ج ٢ ص ٢٨٢

وبعد الفراغ من المدرسة والقبة عين بهما المدرسون للذهاب الأربعة ولتختلف العلوم، كما خصص مدرسون لتعليم الأطفال بكتاب السبيل؛ فهي والحالة هذه جامعة للطب ولتختلف العلوم .

وقد أُلحق بوجهة هذه المدرسة^(١١) سبيل وكتاب أنشاء السلطان الناصر محمد بن قلاوون على روح والده سنة ٧٢٦ هـ (١٣٢٦ م) بمباشرة الأمير آقوش نائب الكرك . ووضعه هذا وإن جاء مشوها للوجهة إلا أنه تخلص به من حوض كان معداً لشرب الدواب . ويعلو هذا السبيل قبة صغيرة كسيت رقبتهما بالقاشاني المكتوب وفتحت بها شبابيك خشبية مفترقة بنقوش وكلاهما يعتبر الأول من نوعه .

البيمارستان — كان الدافع الأول لإنشاء هذه المجموعة هو البيمارستان، ولذلك كان البدء به في أول ربيع الآخر سنة ٦٨٣ هـ (١٢٨٤ م) . ويقول المقرئى : إن علم الدين الشجاعى أبى قاعة ست الملك على حالها وعملها بيمارستانا . ثم وصف الحالة التي رأى عليها البيمارستان فقال : وهي ذات إيوانات أربعة ، بكل إيوان شاذروان وبدور قاعتها فسقية يصير الماء إليها من الشاذروان (سلسبيل) .

والحقيقة أن البقايا الباقية من البيمارستان وتختصر في بقايا إيوانين كبيرين ترجع إلى عصر المنصور قلاوون . وقد عثرت إدارة حفظ الآثار العربية في القسم البحرى للبيمارستان على أجزاء من سقف خشبية ، بها رسوم طيور وحيوانات ، وبها كتابات كوفية نقلت إلى دار الآثار العربية . وباق منها قسم آخر، أريج أنه منقول من القصر الصغير وباق منه .

ومن وصف المؤرخين وحجة الوقف عرفنا أنه كان بيمارستانا كاملا ومدرسة للطب له صيدلية كاملة خصص لمعالجة جميع الأمراض ؛ إذ كانت به أقسام للزمد والجراحة وللا مراض الباطنية والعقلية وأمراض النساء . وجميع هذه الأقسام داخلية وخارجية . كما أنه كانت تصرف الأدوية والأغذية لمن يعالجون في منازلهم^(١٢) .

وقد ظل البيمارستان يؤدى وظيفته إلى سنة ١٨٥٦ م . حيث دب إليه الانحلال، فلم يبق به سوى المجانين الذين نقلوا منه إلى ورشة الخوخ في بولاق ، ثم نقلوا إلى العباسية سنة ١٨٨٠ م . ثم تحول البيمارستان لمعالجة جميع الأمراض ، ثم اقتصر على معالجة أمراض العيون .

(١) المقرئى ، ج ٢ ص ٤٠٧

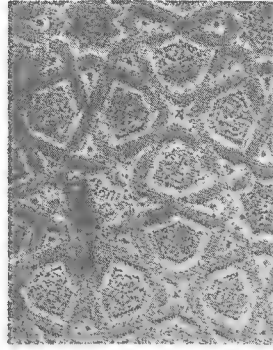
(٢) ملحق الجزء الأول للسلوك قلا من نهاية الأرب ص ٩٩٩ قسم ٣ ج ١

(٣) تاريخ البيمارستانات في الإسلام ص ١١٠

وفي سنة ١٩١٥ أقامت وزارة الأوقاف بقسم من البيارستان مستشفى لمعالجة أمراض العيون هو الباقي إلى الآن .

ولم يبق من البيارستان القديم سوى قسم من الإيوان الشرقي به فسقية رخامية كانت تنساب إليها المياه على سلسيل صغير، تندفع منه إلى مجرة من الرخام الدقيق . كما يوجد به شبابيك أحيطت أفاريزها بكتابات كوفية . وكذلك توجد بقايا من الإيوان الغربي ، وبه سلسيل حليت حافته بحيوانات تنحدر عليها المياه إلى فسقية فيجراة من الرخام لتتلاقى مع المجرة المقابلة لها . ومثل هذا موجود في قصر الحمراء بالأندلس .

ومما يؤثر عن المنصور قلاوون أنه لما زار البيارستان عقب فراغه تناول قدحا من شراب البيارستان وشربه وقال : « قد وقفت هذا على مثل فمن دوني وجعلته وقفاً على الملك والمملوك والذكور والإناث والكبير والصغير والحر والعبد والجندى والأمير » .



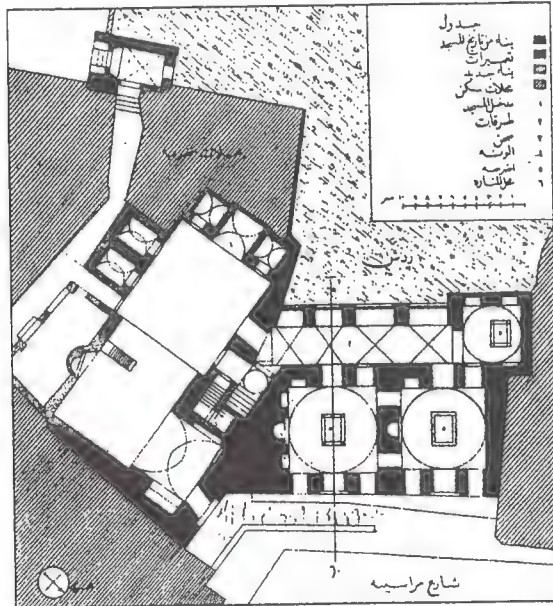
سماعة الباب رأس حيوان

الخانقاه الجاولية

(*)
بشارع مراسينه

هذه الخانقاه في شارع مراسينه، الآخذ من ميدان السيدة زينب إلى القلعة، وهى مبنية على ربة عالية وقد اقترن اسم هذه الخانقاه بشخصيتين كبيرتين :

أولاهما من عرفت به وهو الأمير الكبير سننجر الجاولى الشافعى . فقد ولد سنة ٦٥٣ هـ (١٢٥٥ م) بآدم ثم امتلكه الأمير جاولى فنسب إليه، ثم انتقل إلى أسرة المنصور قلاوون . وترقى إلى أن صار مقدما بالشام، ثم واليا لغزة، وصادفته عن انتهت في سنة ٧٢٨ هـ (١٣٢٨ م) بتعيينه أميراً مقدماً بمصر . ثم واليا لجماء بعد موت الناصر، فواليا لغزة . فأقام بها أربعة أشهر، ثم عاد إلى مصر وبقي بها إلى أن توفى في ٩ رمضان سنة ٧٤٥ هـ (١٣٤٦ م) . وقد قارب مائة سنة .



سجده سنجر الجاولى بقلعة الكيش بالقاهرة
رسم افق

وكان من المشتغلين بالعلم متخصصا في الحديث وفي فقه الإمام الشافعى . روى مسند الشافعى وحديث به غير مرة . ورتب مسنده وشرحه في مجلدات بمعاونة غيره . وله مذكرات خيرية بمصر

(*) انظر الصور من رقم ٦٥ — ٦٨ مجموعة الصور الفوتوغرافية .

والشام : منها جامع بالخليل ، وآخر بغزة ومدرسة بها وبمبارستان^(١) . وقد وصفت منشأته بالإتقان والجمال . ولما ترجمه العلامة عبد الوهاب السبكي لم يذكر من منشأته هذه الخلافة^(٢) .

والشخصية الثانية الأمير سيف الدين سلاار نائب السلطنة . فقد كان مملوكا للنصور قلاوون ، وتنقل في عدة وظائف عند أولاده إلى أن عين نائبا للسلطنة في دولة الناصر محمد بن قلاوون . وقد كان قليل الظلم كبير العقل شجاعا مهيبا ، تمكن من شؤون الدولة إحدى عشرة سنة ، ورشح للسلطنة في غيبة الملك الناصر محمد بن قلاوون وفاز بها ببيرس الجاشنكير .

وقد أثرى ثراء كبيرا بولغ فيه ، ولكنه كان شرا عليه فلم ينفعه ، فمات جوعا حينما قبض عليه الناصر محمد بن قلاوون وسجنه إلى أن توفي في ربيع الآخر سنة ٧١٠ هـ (١٣١٠ م) .

وبعد موته عهد الملك الناصر محمد إلى الأمير علم الدين سنجر الجاهلي — وكان صديقا لسلاار — بأن يتولى خزانته وجازاته ، فدفنه بتربته التي أنشأها بجانب مدرسته بقاعة الكباش^(٣) .

ويذكر المؤرخ ابراهيم بن مغطاي وفاة سلاار سنة ٧١٠ هـ (١٣١٠ م) . ويقول : « ونقل إلى تربته التي على الكباش فدفن فيها »^(٤) .

ولعل هذه الجملة تلتقي ضوءا على الغموض الذي يحيط بهذه الخلافة ولئن تنسب ؛ إلى سلاار قارون زمانه أم إلى سنجر الجاهلي ؟ وقد كان في سنة ٧٠٣ هـ (١٣٠٣ م) أميرا فقيرا .

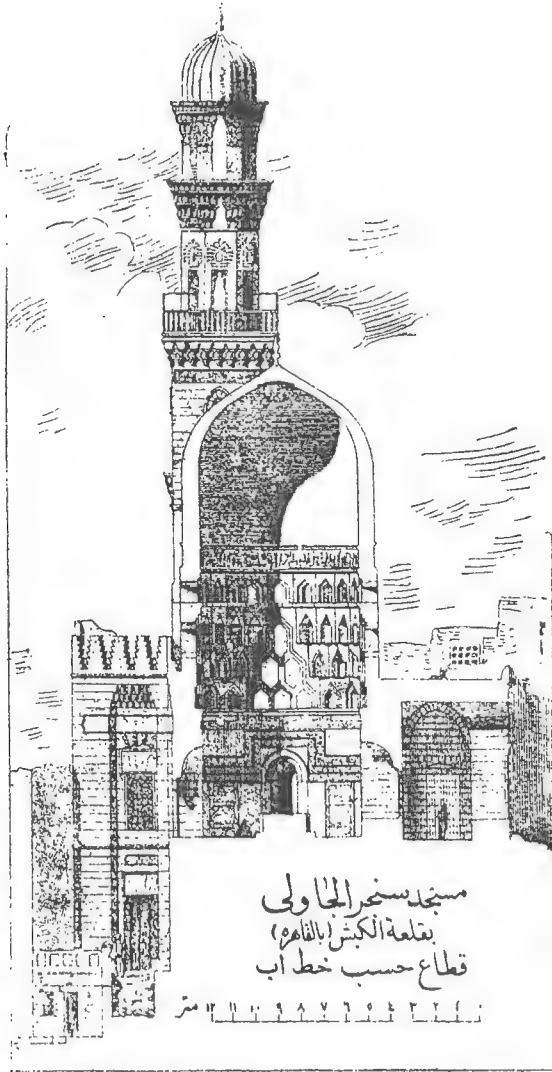
ولا بأس من الإشارة إلى أن النصوص التاريخية المدونة عليها لم تنسبها إلى أحدهما . ولكني أرجح أن منشأها هو الأمير سلاار ؛ ولذلك يقرأ على مشكاة له : « مما عمل برسم تربة العبد الفقير إلى الله تعالى سيف الدين سلاار نائب السلطنة المعظمة عفا الله عنه » .

وهذا الأثر نمته المقرئزي بأنه مدرسة ثم عاد وسماه خانقاه^(٥) . ولكن تصميمه شاذ عن تصميم المساجد والمدارس ؛ فلا هو تصميم مسجد ولا هو تصميم مدرسة . كما أن النصوص التاريخية التي فيه لم تتحدد ذلك . وعندى أنه أقرب إلى تصميم الخوانق لتفاصيله المعمارية . وهي مبنية على الصخر مباشرة . وبابها العمومي على ارتفاع ثلاثة أمتار ونصف من مستوى الشارع ، وهو يؤدي إلى دركاة سقفها معقود بها باب عقده مثلث يؤدي إلى سلم مكون من ٢٣ درجة يوصل إلى الخلافة . ومسقطها الأفقي غير منتظم ، ويبلغ مسطحها ٧٨٠ مترا مربعا . والوجهة البحرية لها فريدة في بابها ، فقد اشتملت على قبتين : إحداهما أكبر من الأخرى ، وتجاورها منارة ثم الباب العمومي .

(١) شذرات الذهب ج ٦ ص ١٤٢ — ١٤٣ ، المقرئزي ج ٢ ص ٢٩٨ (٢) طبقات الشافعية ج ٦ ص ١٠٦

(٣) النجوم الزاهرة ج ٩ ص ١٩ (٤) تاريخ المسالك ص ١٥٢ (٥) المقرئزي ج ٢ ص ٤٢١

وبوجهة كل من القبتين ثلاثة شبابيك ، أكبرها أوسطها ، حليت أعتابها بنقوش ، كما غطيت بمقرنصات مختلفة ما بين حالية وبلدية . ثم شرفة مسننة .



والقبتان مبنيتان بالطوب ، حليت أضلاع قاعدتهما بأفاريز من الجص المنقوش ، وبخاريات صغيرة منقوشة ، ثم رقبة بها شبابيك من الجص والزجاج الملون ، يعلوها إفريز به كتابات جصية ، تتخللها زخارف موزقة يعلوها إفريز آخر صغير به كتابات كوفية .

وجود الكتابات الكوفية في هاتين القبتين من مميزات قباب نهاية القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) ، وأول الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) فقد رأيناها في قبة الخانقاه البندقدارية سنة ٦٨٤ هـ (١٢٨٥ م) ، وفي قبة زين الدين يوسف سنة ٦٩٧ هـ (١٢٩٧ م) . ويجاور القبة الكبيرة المنارة المبنية فاعدها المربعة بالجحر حتى الدورة الأولى ، أما دوراتها العلويتان فقد بنيتا بالطوب . ويلاحظ في القاعدة المربعة تتوَع عقود الشبايك . كما يسترى النظر فيها بابها المعقود ذو المكستين ، وهو الأول من نوعه ، يليه باب منارة مسجد بشتاك بشارع درب الجمايز .

وبدن الدورة الثانية مثنى ، وقد حل بعقود معارية . وبدن الدورة الثالثة مثنى أيضا ، وينتهى بترس فوقه خوذَة مضلعة . وهذا القسم الأخير من مميزات المنارات الأيوبية ، لازم كثيرا من المنارات المملوكية حتى منتصف القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) إذ نراه في منارات مساجد أبي الفضل^(١) ، والصالح نجم الدين ، وزاوية الهندود ، والجامع الطولونى ، وبنى منارتى الحاكم ، وبيرس الجاشنكير ، وقوصون ، وبنجك اليوسفى ، وتنكرينا . وفي الثلاث الأخيرة تطورت من طوب الى حجر . ثم رأينا هذا النوع يظهر في منارات الوجه البحرى في القرنين التاسع والعاشر الهجرى (الخامس عشر والسادس عشر الميلادى) وخاصة في المحلة الكبرى وسمندود .

ويجاور المنارة باب المسجد المغطى بمقرنص من ثلاث حطّات . ومكتوب عليه : ” بسم الله الرحمن الرحيم إنا يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله عمل هذا المكان المبارك في شهور سنة ثلاث وسبع مائة “ .

وهذا الباب يؤدى الى طرقة مربعة فسلم فطرقة مربعة بها باب المصلى والمدفن وبها منور حجرى مستدير به أربع زوايا . والمصلى مكوّن من قسمين : بحرى وبه محراب وسقف حديتان ، وبه أيضا إيوان غربى معقود يشرف على المدخل . والقسم القبلى على حالته الأولى ، به فى الجنب الشرقى ثلاث خلوات للصوفية ، يعلو باب اثنتين منها شابكان من الحجر المقرغ بأشكال زعفرانية . والجنب القبلى منه به إيوان معقود ، ويكتنفه خلوتان يعلوهما شابكان صغيران مقرغان . ويعلو هذا الجنب شبايك صغيرة خشبية ، محلاة بزخارف محفورة ، ويحيط بها إنريزجصى مكتوب تتخلله زخارف . ونظام هذا الإيوان يؤكد أن هذا الأثر أنشئ ليكون خانقاه ومدفنا .

(١) منارة أبي الفضل بشارع الدزاسة ، وذهب كثير من الأثرين الى أنها منارة فاطمية والحقيقة أنها وقيتها أيوبية .

(٢) رفع خطأ مطبعى فى كتاب الخطط للقرزى ج ٢ ص ٤٢١ ، ٣٩٨ طبع بولاق فوردت سنة ١٩٢٣ هـ .

وباب المدفن يؤدى الى طريقة طولها خمسة عشر مترا وعرضها ثلاثة أمتار ، معقودة بثلاث مصلبات . ويفتح على هذه الطريقة بابا القبتين وشبابيكهما المحلاة أعتابها بزخارف جميلة . فالباب الأول يوصل الى القبة الكبيرة ، وقد دفن فيها الأمير سلا . ومكتوب على عتبها : ” بسم الله الرحمن الرحيم كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام هذه تربة العبد الفقير الى الله تعالى سيف الدين سلا نائب السلطنة المعظمة الملكى الناصرى المنصورى المستغفر من ذنبه الراجى عفو ربه رحم الله من دعا له بالرحمة ولجميع المسلمين عمل هذا المكان المبارك فى شهور سنة ثلاث وسبعائة “ .

وهى قبة أكبر من زميلتها وأخفل منها زخرفا ، إذ يتوسطها تابوت به بقية من حشواته المدقوقة أويمة ، وبصدرها محراب حليت طاقيته برخام دقيق أيضا . وهى ميزة لم تتوفر فى كل المحاريب ، رأيناها فى قبة قلاوون ، ثم فى مساجد الماردانى وقطلوبى الذهبى وتيجاس الاسحاق والأشرف برسباى بالحقاقه ، ثم زاوية فرج بن برقوق . أما ما عدا ذلك فأشرطة رخامية ملونة . وأسفل الطاقية وعلى جانبي المحراب إفريز رخامى دقيق يعاوه إفريز آخر محفور بنقوش دقيقة . وهذا المحراب والمحاريب المعاصرة له متأثرة صناعة الرخام فيها بمثلتها فى قبة قلاوون .

ويحيط بالمحراب وجداره إفريز خشبى مكتوب به آية الكرسي ، كما يحيط بمربع القبة أسفل المقرنص إفريز رخامى به آيات من القرآن . والمقرنص من ثلاث حطات ، وقد حليت رقبة القبة بإفريز جصى مكتوب .

والباب الثانى يؤدى الى القبة الثانية . وقد دفن بها الأمير سنجر . ومكتوب على بابها : ” بسم الله الرحمن الرحيم كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام هذه تربة العبد الفقير الى الله تعالى المستغفر من ذنبه الراجى عفو ربه سنجر الجاولى أستاذ الدار العالية الملكى الناصرى المنصورى رحم الله من دعا له بالرحمة فى شهور سنة ثلاث وسبعائة “ .

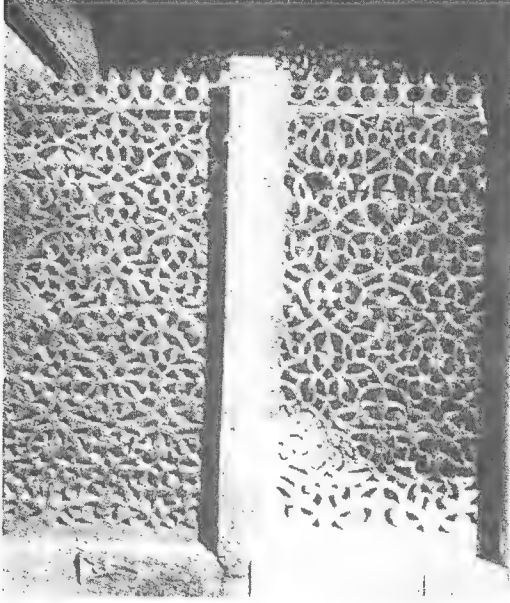
وهى أصغر من سابقتها وأقل منها زخرفا ، غير أنها تتفق معها فى كثير من تفاصيلها . ويتوسطها تابوت رخامى ، ومحرابها مجرى حليت طاقيته بمقرنصات .

وفى النهاية الغربية لهذه الطريقة توجد قبة صغيرة من الحجر خالية من النقوش ومقرنصها من حطتين . وهى تعتبر أقدم قبة حجرية باقية فى الآثار . تليها قبة سنجر المظفر سنة ٥٧٢٢ (١٣٢٢م) . والثانية قبة بالمعنى الصحيح .

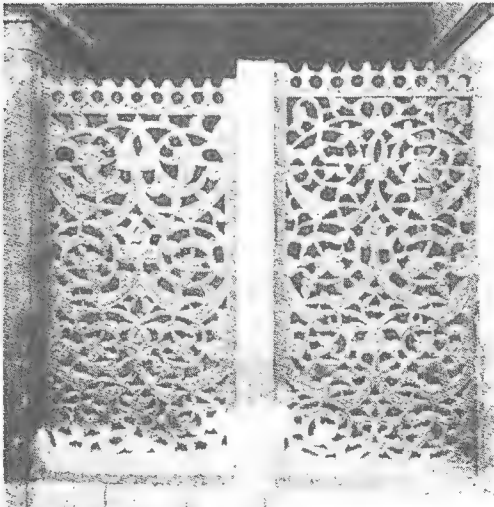
وقد عرفت هذه القبة بقبة عبد الله الزاكر . ولعل المدفون فيها أيضا الأمير بشتاك المنقول

إليها من الاسكندرية سنة ٧٤٨ هـ

(١٣٤٧ م) .



نماذج للشبابيك الحجرية بخانقاه الجاولي



والجدار القبلي للطريقة أمام القبتين به ثلاث فتحات ، كل فتحة منها غطيت بشريحتين من الحجر ، فزغنا بأنواع مختلفة من النقوش المورقة حليت من الداخل والخارج ، وقد بلغت حد الاتقان ، ولا مثال لها في أثر آخر .

وأمام هذه الشبابيك صحن مكشوف به بقايا قبور ، يجداره الشرقي محراب يتصل به سطر مكتوب فيه بالخص المحلى بالزخارف آيات من القرآن الكريم ، تتخللها زخارف ودوائر على هيئة عش النحل . وخلف هذا الجدار في الجزء المعترف في المسقط الأفقي ، بحلات متخربة خلوات للصوفية ، ما زال موجودا على أبوابها شبابيك حجرية مفرغة مثل الموجود منها أعلى الخلوات بالصحن ، تعلوها خلوات أخرى تتصل بالخلوات العلوية المشرفة على المصلى . ويوجد بهذا الجزء مزولة من عمل عبد الرحمن الطولوني سنة ١٠٦٤ هـ (١٦٥٣ م) .

وفي النهاية الشرقية القبلىة لهذه البقايا يوجد باب محلى بالمقرنصات ، يوصل الى قلعة الكبش
كى ينتفع به صوفية الخانقاه . ويدخل منه سنجر الجاولى ؛ اذ كانت داره مجاورة للخانقاه من هذه
الناحية .

أعمال الاصلاح — وقد عينت لجنة حفظ الآثار العربية بالخانقاه منذ سنة ١٨٩٢ فقامت
بتخليتها من الجهة الغربية . كما قامت بإجراء إصلاحات بها من الداخل والخارج فى سنة ١٨٩٩ ،
١٩٠٩ ، ١٩٢٨ فقامت مبانيها وأصلحت رخامها وشبابيكها الحجرية والحصية والخشبية وزخارفها
الحصية .



بخارية

خاتمه بېرس الجاشنكير

بشارع الجمالية^(١)

أنشئت هذه الخانقاه على رقعة من أرض دار الوزارة الكبرى الفاطمية التي أنشأها الوزير الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالي، والتي كانت تمتد على وجه التقريب من وكالة ذى الفقار حتى حارة الروم الجوانية .

منشئ الخانقاه — السلطان الملك المظفر ركن الدين بېرس بن عبدالله المنصورى الجاشنكير .
اشتراه الملك المنصور قلاوون صغيراً وألحقه بخدمته ، وظل ينتقل في الوظائف الى أن عينه جاشنكيراً^(١) .
ولما قتل الأشرف خليل بن المنصور قلاوون كان ممن ساعد في القبض على المعتدين عليه .
وقتل الأمير بيدرا وغيره . ولما ولي الناصر محمد بن قلاوون سلطنة مصر للزة الثانية تاللاً لنجم بېرس ، ورقى الى وظيفة أستاذ دار^(٢) ، وجج سنة ٧٠١ هـ (١٣٠١ م) . ففضى على كثير من الخرافات الشائعة هناك .

وفي سنة ٧٠٨ هـ (١٣٠٨ م) خرج الناصر محمد الى البرك ، وكتب الى أمراء مصر بتنازله عن الملك ، فاستقر رأيهم على تولية بېرس الجاشنكير ، ولقب بالملك المظفر ، وذلك في يوم السبت ٢٣ شوال سنة ٧٠٨ هـ (١٣٠٩ م) .

وكان موصوفاً بالعقل والميل الى الخير ومحاربة الموبقات . جدد جامع الحاكم سنة ٧٠٣ هـ (١٣٠٣ م) وفي عهده أبطلت الخجارات ، ومواطن الريب ، وأريق الخجور . وعمل جسراً من قليوب الى مدينة دمياط ، وهو مسيرة يومين .

ولحبة الشعب للناصر محمد بن قلاوون لم يتعاونوا مع بېرس ، وكتبوا الناصر . وتغلب عليه الأمراء والماليك مما اضطره لترك المملكة في شهر رمضان سنة ٧٠٩ هـ (١٣١٠ م) حينما علم بقدوم الناصر محمد من الشام .

وفي أول شوال سنة ٧٠٩ هـ (١٣١٠ م) قدم الملك الناصر محمد الى قلعة الجبل ، واستولى على ملك مصر للزة الثالثة . ثم قبض على بېرس الجاشنكير في شرقي غزة ، وأحضر الى القلعة

(*) انظر الصور من رقم ٦٩ - ٧٤ بمجموعة الصور الفوتوغرافية .

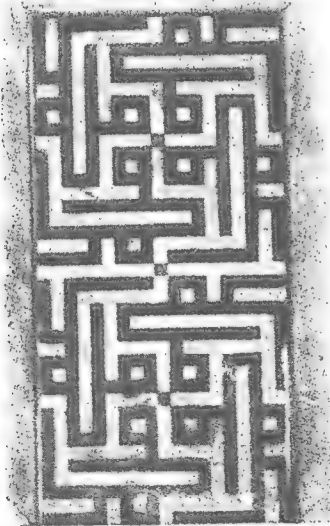
(١) جاشنكير : هى وظيفة الأمين على تذوق الأطعمة والمشروبات قبل تقديمها الى السلطان . للتحقق من سلامتها .

وفي الدولة العثمانية رئيس السفريجية . (٢) أستاذ دار : وظيفته الإشراف على الشؤون الخاصة بالملك بمثابة ناظر الخاصة .

في ١٣ ذى القعدة سنة ٧٠٩ هـ (١٣١٠ م) وقتل ليلة الجمعة ١٥ ذى القعدة سنة ٧٠٩ هـ (١٣١٠ م) .
ثم دفن بتربة الفارس أقطاي ، ثم نقل الى تربته المجاورة لزاوية الشيخ إبي السعود بن أبي العشاء
بالقراة الصغرى . ثم نقل مرة ثالثة الى قبة هذه الخاتناه^(١) .

الخاتناه — بدأ في إنشائها الأمير ببيرس الجاشنكير في سنة ٧٠٦ هـ (١٣٠٦ م) قبل أن
يلى السلطنة . وأنشأ بجانبها رابطا كبيرا يتوصل اليه من داخلها . وألحق بها قبة كبيرة ، يقول المقرئى :
إنه ركب على أحد شبائيكها الشباك الكبير الذى كان بدار الخلافة في بغداد ويجلس الخلفاء فيه .
كذلك أخذ من دار الوزارة أنقاضا . كما اشترى كثيرا من الدور المشهورة وأخذ أنقاضها وأدخلها
في عمارة الخاتناه . وأدخل في عمارتها كثيرا من الرخام الذى كان مودعا أحد سرايب الفاطميين^(٢) .
واستمرت الأعمال جارية بها الى أن كملت في شهر رمضان سنة ٧٠٩ هـ (١٣١٠ م) . وقتر بها
أربعمائة صوفى ، وبالرابط مائة من الجند ، وبعض الأفراد الذين أخنى عليهم الدهر . ووقف عدة
ضياغ بمصر والشام لعمارتها والصرف عليها .

وعقب الفراغ منها وافتتاحها قبض عليه الناصر محمد بن قلاوون وقتله وأمر بغلقها وأخذ
ما كان موقوفا عليها . وظلت عشرين سنة معطلة الى أن صدر الأمر بفتحها ثانيا في أول سنة ٧٢٢ هـ
(١٣٢٦ م) . فأعاد اليها ما كان موقوفا عليها .



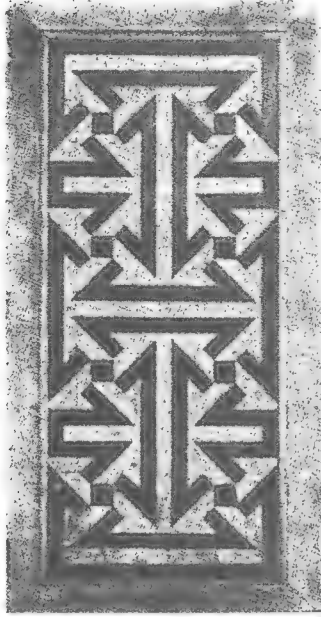
محمد مكررا بوزرة القبة

وصف الخاتناه — قبل الدخول في وصفها ناقي
نظرة على الوجهة الغربية وهى العمومية ، فنرى وجهة كبيرة
مبنية بالحجر ، ينتهى طرفها القبلى بباب عظيم كسى
بالرخام ، وكتب عليه آيات من القرآن بالرخام الأبيض
الملبس في الرخام الأسود ، وبه مقرنصات . ويكتنفه
من جانبيه صفف مجوفة مكسوة بالرخام ، مخلق بها
عمد وتيجان رشيقة . ويغضى هذا المدخل عقد مجيدى
كبير بداخله مقرنص . وفي هذا الباب نرى تطورا
جديدا وابتكارات في المداخل العامة نهج على منوالها
بعد ذلك .

(١) النجوم الزاهرة ج ٨ ص ٣٧٦ ، المقرئى ج ٢ ص ٤١٨ ، تاريخ ابن خلدون ص ١٥١ و ١٥٢
(٢) عثر في هذه الخاتناه على لوح رخامى كان مقلوبا على وجهه وقد نقش عليه صور أسماك وطيور وكعبة كوفية تهشمت .

وقد غطيت الشبابيك بالوجهة بمقرنصات متنوعة، وبها كتابة نصها : ” بسم الله الرحمن الرحيم في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ... الى قوله تعالى : بغير حساب أمر بإنشاء هذه الخانقاه السعيدة وقتما مؤبدا على جماعة الصوفية من فيض فضل الله تعالى وبجزيل إحسانه راجيا بذلك عفو غفرانه العبد الفقير الى الله تعالى (ركن الدين بيبرس المنصورى عبيد الله والفقير اليه الراجى رحمته يوم القدوم عليه ضاعف الله ثوابه وزكى أعماله ويسر له أسباب ما نشط اليه من المعروف آماله بمنه وكرمه وإفضاله وصلى الله على سيدنا محمد “ .

ويلاحظ في هذه الكتابة أن القسم الواقع بين كلمتي « تعالى » و « ركن الدين » وطوله نحو متر بحيث كتابته . وأرجح أن الكلمات التي محيت هي ” السلطان الملك المظفر “ .



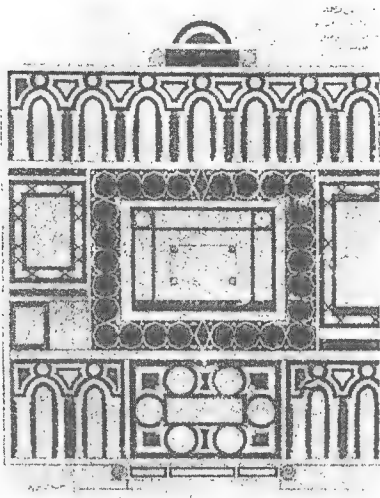
تفاصيل من الوزرة

والمعروف أن الأمر بمحوها هو الملك الناصر محمد . فكان وفاء منه ألا يعترف له بصفة الملك فيمحوها من البناء، بينما ترك اسمه على الخانقاه لتظل منسوبة الى منشئها . ويتوسط هذه الوجهة شباك كبير من النحاس . وهنا نتساءل : هل هذا الشباك هو الذى حدثنا عنه المقرئى بأنه نقل من دار الخلافة فى بغداد ثم دار الوزارة بمصر، ثم هذه الخانقاه؟ الجواب على ذلك أن شباك دار الخلافة كان من الحديد وهذا من النحاس وتبدو عليه الجدة كما تبدو على الشبابيك المجاورة له مع تطابقها جميعا فى الصناعة . فأين ذهب شباك دار الخلافة ؟ — العلم عند الله — وكل ما وصل إلينا أن الشيخ محمد الأبراشى ناظر الخانقاه أزال ثلاثة شبابيك كانت بوجهتها وحولها الى دكاكين .

ويعلو المدخل منارة قاعدتها من أربعة ضخمة حليت بالمقرنصات . وبدن دورتها الثانية مستدير . وقد كسيت قمتها المضلعة بالقيشاني الأزرق . وهى أول تكسية عثرت عليها بروس المنارات ، ولم تكن معروفة من قبل، تليها منارتا مسجد الناصر محمد بن قلاوون بالقلعة .

وعلى الباب مصراعان من النحاس الدقيق، بهما تكفيت بسيط بالفضة ومكتوب عليهما اسم المنشىء . وقد حلى ظهرهما بزخارف جميلة، مدقوقة أو يمة .

نبتاز الباب العظيم الى دركاة مربعة على يسارها باب القبة . وهى من القباب الكبيرة ، فرشت أرضيتها بالرخام الأسود والأبيض على هيئة محاريب ^(١) ، وبسطها قبر المنشئ ، وجدرانها مؤزرة بالرخام الدقيق بارتفاع ٣,٦٠ كتب بها بالخط الكوفي المربع : ” محمد “ مكررة ، كما يوجد بها تقاسيم هندسية ملونة . وبها مجموعة من الشبابيك الحصينة الدقيقة ذات الزجاج الملون . ولها محراب شاذق كسى بالرخام الدقيق ، بأسفله وأعلاه طاقات مخصوصة محمولة على عمد صغيرة وخلفه مئذنة لحنة حفظ الآثار العربية سنة ١٩٠٩ للهوية ، يتوصل إليه من مدخلين على يمين ويسار المحراب على هيئة دواليب . وأقيم على وجه العقد الغربى لقاعدة القبة سياج من الخشب الحارط ، مكتوب عليه ” بسم الله الرحمن الرحيم إن المتقين فى مقام أمين فى جنات وعيون . الى قوله تعالى فارتقب لآنهم مرتقبون وافق الفراغ من هذه القبة والخانقاه فى شهر رمضان المعظم سنة تسع وسبعائة “ .



أرضية القبة

يجاور باب القبة باب آخر ، يوصل إلى طريقة مستطيلة فرشت بالرخام الملون توصل الى صحن الخانقاه ، وتصميمها لإيوانان كبيران معقودان شرق وغربى . أما الجانبان البحرى والقبلى فقد أنشئ بهما خلوات للصوفية بعضها فوق بعض ، حليت أعتابها بمقرنصات وعقود متنوعة ، وانفردت بنوع غريب من العقود يكتنف فتحى الايوانين الشرقى والغربى . يتوسط كلا منهما إيوان صغير معقود ، غطيت فتحته بباب معتب ، يعلوه شبك مغطى بمقرنصات لطيفة كي ينسجم مع باقى الوجهة .

والإيوان الشرقى أكبرها ، وقد قسم إلى ثلاثة أقسام ، يتوسطه محراب من الحجر تسوده البساطة وهو عاز من الزحف . ولعل هذا راجع الى وفاة المنشئ قبل أن يتمها أو لأنها خانقاه أعدت للتصوفين .

(١) الأرضيات المحاريب والأبسطحة المحاريب شاعت فى هذا العصر . فقد كانت أرضيات المدرسة الطبرسية وأبسطها على شكل محاريب . والفاطميون أسبق فى ذلك فقد استعملوا الحصر المحاريب المبطن .

وعلى ذكر الخانقاه اذكر أن الخانقاه أو الخانكا — كلمة فارسية معناها ديار الصوفية والرباط هو المكان المخصص للافعال الصالحة والعبادة وإقامة المتقطعين من الأهل ، ويجوز للفقهاء الإقامة في الربط وتناول مرتباتها ، ولا يجوز للتصوف الإقامة في المدارس وأخذ جراتها لأن المعنى الذى يطلق على المتصوف موجود في الفقيه ولا عكس .

أعمال الإصلاح — عنت لجنة حفظ الآثار العربية بهذه الخانقاه منذ سنة ١٨٩٢ ، فوجدتها في حالة تحزب . مبانيها مهتمة ورخامها مفكك ومفقود وسقف الطرقة أمام القبة آيل الى السقوط وشبابيكها محولة الى دكاكين ، فقامت بإجراء إصلاحات متعاقبة فيها ، فقومت مبانيها من الداخل والخارج . وأصاحت رخامها بالأرضيات والوزرات ، وأصلحت سقف الطرقة أمام القبة . كما عنت بإصلاح الباب النحاسى النادر والشبابيك الحصية بالقبة . وأزالت الدكاكين التى كانت تحجب وجهة القبة وأعادت الشبابيك الى أصلها وركبت عليها مصبغات نحاسية . كما أصلحت المنارة وكان لهذه الأعمال أثر كبير فى صيانة هذه الخانقاه وإقامة الشعائر الدينية فيها .

مسجد الماس الحجاب

بشارع الحلبية^(*)

يقع هذا المسجد عند أول الحلبية من جهة شارع محمد علي، وقد أنشأه الأمير سيف الدين الماس ابن عبد الله الناصري حجاب الحجاب في الديار المصرية .

الأمير الماس — أناس (بضم الألف وسكون اللام وفتح الميم) معناه باللغة التركية «خالد»، كان مملوكا للناصر محمد بن قلاوون، وظل يتدرج في وظائف الدولة حتى صار من أكبر الأمراء . ولما عين الأمير أرغون نائبا لحلب وبقى منصبه في مصر شاغرا عظمت مكانة الماس وصار في منزلة النائب، إلا أنه لم يأخذ لقب نائب . والأمراء في خدمته وصار يجلس في باب القلعة من قلعة الجبل في منزلة النائب، والحجاب وقوف بين يديه .

وفي سنة ٧٣٢ هـ (١٣٣٢ م) خرج الناصر محمد إلى الحج وتركه في القلعة هو وبعض الأمراء . وفي سنة ٧٣٣ هـ (١٣٣٣ م) غضب عليه الناصر بسبب سوء تصرفه في غيبته وعدم إخلاصه، وضاد أمواله فوجد لها شيئا كثيرا، وضاد ما عنده من التحف وكانت كثيرة كذلك . وقبض عليه في ٢٠ ذي الحجة سنة ٧٣٣ هـ (١٣٣٣ م) وظل مقبوضا عليه إلى أن خنق في سجنه في ١٢ صفر سنة ٧٣٤ هـ (١٣٣٣ م) ودفن في هذا المسجد^(٢) .

وصف الجامع — بدأ العمل في هذا الجامع في شهر سنة ٧٢٩ هـ (١٣٢٩ م) . واتمى في سنة ٧٣٠ هـ (١٣٣٠ م) . وله وجهتان : إحداها بحرية تسودها البساطة وبها الباب البحري، والأخرى غربية وهي الرئيسية، وتشتمل على المنارة والقبعة، ويتوسطها المدخل الرئيسي تكنته نافذتان حليت أعابهما ومزرتاهما برخام ملون، وملوكلا منهما شابا كان من الخشب المقرغ بزخارف جميلة .

والوجهة محلاة من أعلاها بأفريز مكتوب به أدعية، منها : «اللهم يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه اجمع بيننا وبين الصدق والإخلاص والخشوع والهيبة والنور واليقين والعلم والمعرفة والحفظ والعصمة والنشاط والقوة والبيان والفهم في القرآن وأدخلنا مدخل صدق وأخرجنا مخرج صدق واجعل لنا من لدنك سلطانا نصيرا ...» .

وهذا النوع من الكتابة غريب في وجهة رئيسية لمسجد ؛ لأننا لقنا أن نقرأ في مثل هذا الوضع آيات من القرآن، أو تاريخ إنشاء الجامع .

(*) انظر الصور من رقم ٧٥ — ٨٠ بمجموعة الصور الفوتوغرافية . (١) النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٣٠١ ،

المقرري ج ٢ ص ٣٠٧ ، الدرر الكامنة ج ١ ص ٤١٠ (٢) تاريخ الحالك ص ١٨٧

ويحجر الباب العمومي مستطيل الشكل يكتنفه عمودان رخاميان، وقد غطى بمقرنصات حجرية ذات دلايات . وهذا النوع من الأبواب من مميزات العمارة في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) حيث نراه قد شاع بعد ذلك في قصرى بشتاك وقوصون ومسجد بشتاك .

وتوجد الى جانب هذا المدخل نافذة كانت مصاريحها مكسوة بالنحاس المزخرف كما يبدو عليها، تملوها نافذتان أخريان حليت نواصيهما بعمد رخامية صغيرة وغطيت بشبابيك خشبية مفزعة بأشكال نباتية جميلة وغطيت بمقرنصات ويقابلها مثلها .

ومصراعا الباب من الخشب المحلى بزخارف نحاسية مفزعة، تتكون أطباقا اثني عشرية، يتوسطها ترس يحيط به إنريز نحاسي ينتهى من أعلى وأسفل بحزامين، كتب بالعلوى منهما قوله تعالى : ” إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة “ . وبالرأس الأسفل تاريخ ترميمه سنة ١٣٣٠ هـ (١٩١١ م) وبما يلاحظ أن حشوات النحاس في هذا الباب مثبتة على الخشب مباشرة . وهذا قليل ، إذ أن المؤلف تكسية الخشب بالواح نحاسية توضع فوقها تلك الحشوات . وثمت ملاحظة أخرى وهى خلل الحشوات من الأثانات^(١) التى تحيط بالحشوات . ويملو الباب شباكاً من الخشب المفزع ، يملوها سطر مكتوب فيه : ” أمر بإنشاء هذا المسجد المبارك الفقير الى الله الماس أمير حاجب في شهور سنة تسع وعشرين وسبع مائة وكاله سنة ثلاثين من الهجرة النبوية “ . وهذا النوع من الشبابيك الخشبية حل هنا محل الشبابيك الجصية ، ويعتبر الأتموزج الثانى ؛ لأن أول ما ظهر منه فى قبة السبيل الذى أنشاه الملك الناصر محمد بن قلاوون بالنحاسين ، ثم فى هذا المسجد . ورأيناه بعد ذلك فى مسجد بيدمر البدرى ، فوجهة مسجد برقوق بالنحاسين . وأخيراً فى مسجد اينال الأتابكى ، وهو أقلها من الناحية الفنية .

ومن الباب العمومي يتوصل إلى صحن المسجد، وهو محاط بأربعة إيوانات ذات أعمدة رخامية وعقود ، وأكبرها إيوان المحراب . وقد حليت حافة العقود حول الصحن بزخارف جصية ؛ كما فتحت بنواصرها شبابيك صغيرة، حليت أطرافها الخارجية بزخارف جصية، تنوعت عن زخارف العقود فيها، كما يوجد بالجدار الشرقى بقايا زخارف جصية .

ومن النادر أن نرى فى دولة المماليك البحرية حافة عقود مزخرفة، بينما لم تستعمل زخرفة العقود إلا فى الجامع الطولونى، وتطوّرت إلى كتابات فى مساجد الأزهر والأقصر والصالح طلائع، ثم رأيناها فى مدرسة قلاوون .

(١) الأثانات : انمطة تحيط بالحشوات وقد سبقه فى ذلك باب الإمام الشافى بدار الآثار العربية .

وكذلك يسترعى النظر زخرفة باطن العقد الكبير أمام المحراب ، وهذا النوع أيضا لم نجده إلا في الجامع الطولوني ومدرسة قلاوون . وأخيرا في بعض مدارس عصرى قايتباى والغورى .

والمحراب مكسو برخام ، ولكنه أقل دقة من محراب القبة ، تعلوه زخارف جصية وبخاريات ، ويجاوره منبر خشبي ليس بالمنبر القديم ، بل يرجع الى العصر التركي .

وبؤخر هذا الإيوان دكة المبلغ من الرخام ، وهى محمولة على ثمانية عمد رخامية — والدلك الرخامية شاعت في هذا العصر — ولعل هذه أول ظهورها ، وقد رأيناها بعد ذلك في مساجد آق سنقر والسلطان حسن والماردانى وبرقوق والمؤيد وعبد الغنى الفخرى .

ويحيط بجدار المحراب إفريز رخامى مكتوب فيه آيات من سورتي الفتح وتبارك . وقد بقى في هذا الإيوان بقايا وزرة رخامية بسيطة أرجح أنها باقية من ترميم أجرى بالمسجد في وقت متأ ، لأنه باق به بقايا أخرى من الرخام المنحرف والمكتوب بالكوفي المربع والمطعم بالألوان والمفزع منبئة في الإيوان البحرى ، لاشك أنها باقية من وزرات المسجد القديمة . ولا عجب ، فإن ابن تغرى بردى المؤرخ يقول عن المنشئ إنه عنى جدا برخام هذا المسجد وبالقاعة التى أنشأها بالقرب منه . كما أن بقايا السقوف القديمة الباقية بالإيوان الشرقى كانت مدقوقة بالأويمة وملونة ، وفي الجنب البحرى مقصورة خشبية على وجه مزينة ، وفي النهاية البحرية للإيوان الغربى توجد القبة ، وهى وإن كانت بسيطة من الخارج إلا أن داخلها يشتمل على دوائر جصية منخرفة ، وقد ركب على بابها مصراعان من الخشب حليا بأشرطة وجامات نحاسية غريبة وغير شائعة .

ويتوسط القبة قبر المنشئ ، عليه تركيبة من الرخام ، أجمل ما فيها باباتها^(١) . وبها محراب ، تدل بقايا الرخام الموجودة به والعمد المزخرفة المكتنفة له على مقدار دقة صناعة الرخام بهذا المسجد .

وقد بقى من مصاريع الشبابيك القديمة مصراعان دقت حشواتهما المسدسة بالأويمة وطعمت بالسق . أما متارة المسجد فحديثة بالنسبة إليه ، ويدل طرازها وتأنر صناعتها على أنها ليست بالمتارة الأصلية ، بل ترجع الى العصر التركي .

وقد قامت إدارة حفظ الآثار العربية بعدة إصلاحات في هذا المسجد انتهت سنة ١٣٣٠ هـ (١٩١١ م) تناولت تقويم الأعمدة والعقود ، وإصلاح الباب النحاسى والنوافذ الخشبية وأعمال الرخام .

جامع قوصون

بشارع محمد علي^(*)

الأمير الكبير سيف الدين قُوصُون الساقى الناصرى ، قدم مصر ضمن من وفد إليها من بلاد
بركك مع خوند ابنة القان أزبك زوج الناصر محمد بن قلاوون في ٢٣ ربيع الآخر سنة ٧٢٠ هـ (١٣٢٠ م).
وما إن رآه الناصر حتى أمر بشرائه ؛ فاشترى بثمانية آلاف درهم . ونال حظوة عنده ، ورفاه في جملة
وظائف : من أمير عشرة إلى إمرة طبلخاناه ، ثم أمير مائة ، فقدم ألف . وأحضر أفراد أسرته إلى
مصر ، وعظم مركزه عند السلطان فتزوج أخته وزوجه ابنته في سنة ٧٢٧ هـ (١٣٢٧ م) . واحتفل
بزواجه احتفالا كبيرا تبارى الأمراء في تقديم الهدايا فيه حتى بلغ في تقدير قيمتها^(٢) .

وكان يقيم في قصره الفخيم الذى أنشاه خلف مسجد السلطان حسن الموجودة بقاياها حتى الآن ،
ويعيش فيه عيشة بذخ وترف زائد ؛ فقد كانت الآنية من الذهب والفضة . هذا عدا الجواهر
وكيات الذهب الكثيرة ، حتى إن سروج خيله كانت من الذهب والفضة . وكان أميراً جليلاً كريماً .
وقد وجد في مخازن قصره كيات كبيرة من الأبسطة صناعة مصر بلغت ١٨٠ زوجاً ، منها ما طوله
من أربعين إلى ثلاثين ذراعاً ، و ٣٢ أخرى عمل الشريف بمصر منها أربعة من الحرير .

وفى دولة الأشرف علاء الدين بكك بن الناصر محمد بن قلاوون تقلد نيابة السلطنة بمصر . ثم انتهى
أمره بالقبض عليه وإرساله إلى الإسكندرية ؛ فسجن بها إلى أن توفى في آخر شوال سنة ٧٤٢ هـ
(١٣٤٢ م) . وكان خيراً كريماً جزيلاً العطاء ، رحمه الله وعفا عنه . وله بمصر منشآت عمارة هامة ؛
منها بقايا خانقاه القرافة الصغرى ، ووكالة بشارع باب النصر ، وبقايا القصر الذى كان يسكنه .

موقع الجامع وتاريخ إنشائه — كان موقع هذا الجامع قبل إنشائه داراً للأمير أقوش نيله ،
ثم عرفت إدار الأمير جمال الدين قتال السباع الموصل . فأخذها الأمير قوصون وهدمها وأنشأ
مكانها هذا الجامع .

وفى ٢١ رمضان سنة ٧٣٠ هـ (١٣٣٠ م) تم بناء الجامع ، وإفتحه الملك الناصر محمد بن
قلاوون . وكان الخطيب يومئذ قاضى القضاة جلال الدين القزوينى .

(*) انظر الصور من رقم ٨١ - ٨٤ مجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) برکک من قرى بخارى ، معجم البلدان ج ٢ ص ١٤٩ (٢) التل الساقى ، والمقرئى ج ٢ ص ٧٢ و ٣٠٧ .

والدرر الكاشفة ج ٢ ص ٢٤٧ . (٣) المقرئى ، ج ٢ ص ٣٠٧ ، تاريخ المسالك ص ٢٢٦

ويبدو لي أن محته كان لها تأثير كبير على منشأته فقد وصات إلينا مشوّهة بسبب الاعتداء عليها، ولم نجد أحدا من المؤرخين عني بذكرها تفصيلا، ولم نسمع أن دروسا أقيمت بها مثل بقية المساجد. وقد زاد تحزب هذا المسجد عقب فتح شارع محمد على سنة ١٢٩٠ هـ (١٨٧٣ م) فانه أخذ منه قطعة من ضمنها الساقية والمنارة .

تجديد المسجد الحالي — وعقب فتح شارع محمد على وضع المغفور له على باشا مبارك تصميا لتجديده شرعت وزارة الأوقاف في تنفيذه ، ولم تتم عمارته إلا في عصر المغفور له الخديو عباس حلمي الثاني سنة ١٣١١ هـ (١٨٩٣ م) وهو مبنى بالحجر من الداخل والخارج . ويتكوّن من أربعة إيوانات ، يتوسطها صحن مغطى بقبة من الخشب منقوشة . كما يعلو المحراب قبة . أما المحراب فهو مزخرف بالبويا الملوّنة ، يحاوره منبر من الخشب المجمع بأشكال هندسية . وفي الإيوان الغربي دكة المبلغ وهي من الرخام . غير أن تصميمه وتفصيله المعماري لا تمت من الناحية الفنية بأية صلة إلى الجامع القديم .

الأجزاء القديمة بالمسجد — لم يبق من المسجد القديم إلا الباب البحري، وهو مع ضخامته تسوده البساطة ، تجاوره بقايا الزخارف والشبابيك الحصية التي تلاصق المسجد الجديد من بحريه ، ولعلها جزء من الإيوان الشرقي للجامع القديم . وتدل هذه الزخارف على أن الزخارف الحصية كانت شائعة في المسجد القديم كما أن الإفريز الزخرفي الذي كان يحيط بجدران الجامع أسفل الشبابيك لا نظير له . وقد تنوّعت أشكال الشبابيك كما تنوّعت زخارفها ، وعقودها المديبة متركزة على عمد رشيقة ، وبشواشيحها زخارف موزقة ، كما أحيط بعضها بنكايات . كذلك بقي أحد أبواب المسجد . وهذا الباب بشارع السروجية يتوصل منه إلى حارة خلف المسجد الجديد، توصل إلى شارع محمد علي ، تعرف بمظفة المحكة . وهو من الأبواب الفخمة، مبنى بالحجر وأعتابه مكسوّة بالرخام الملوّن، وينتهي أعلاه بمقرنصات ذات دلايات ظريفة، ومكتوب على جانبيه ما نصه : ” أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك بكرم الله تعالى العبد الفقير إلى الله تعالى قوصون الساقى الملكى الناصرى في أيام مولانا السلطان الملك الناصر أعز الله أنصاره وذلك في سنة ثلاثين وسبع مائة “ .

وعلى الكنف الأيسر للباب منزلة مكتوب عليها بالخط الكوفي ” عمل أحمد الحريري عام خمس وثمانين وسبع مائة “ .

وكان مرجا على هذا الباب مصراعان مغشيان بالنحاس أودعا دار الآثار العربية ، كما كان يعلوه إحدى منارتى الجامع .

ونشر مسيو فان برشم كتابة تاريخية أخرى نصها :

”بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله... الآية — أمر بإنشاء هذا الجامع العبد الفقير إلى الله تعالى السيفي قوصون الملكي الناصري في أيام مولانا السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين محمد ابن قلاوون وذلك في شهور سنة ثلاثين وسبعائة من الهجرة“ .

هذه هي المخلفات القديمة من جامع قوصون، وهي لا تاتي ضوءاً جديداً عليه، بل تزيد أمره تعقيداً ؛ فإن المسافة بين هذا الباب وبين البقايا الزخرفية بحرى الجامع الجديد كبيرة جداً . ولا شك أن الجامع كان كبيراً كما وصفه ابن حجر العسقلاني وعلى ذلك يكون هذا الباب موصلاً إلى ملحقات حول المسجد، مما يرجح أن الأمير قوصون لم ينشئ الجامع في هذه المنطقة فقط بل أنشأ حوله منشآت أخرى داخلية في حدوده لم يتعرض لذكرها أحد . واشتماله على منارتين يعزز أنه كان مسجداً كبيراً . فقد ألفنا أن نرى المساجد ذات المنارتين كبيرة جداً مثل مساجد الحاكم والسلطان حسن وبرقوق بالصحراء والمؤيد .

معماري المنارتين — وقد عرفنا جنسية المعماري الذي قام ببنائهما ، وهو فارسي قدم من تبريز، فبنى المنذنتين على مثال المنذنة التي عملها خواجه علي شاه وزير السلطان أبي سعيد في جامعهم بمدينة توريز من بلاد فارس .

وإذا كان المعماري فارسيًا فهل نستطيع أن نتخيل طراز المنارتين من شكل منارة خانقاه قوصون المنشأة سنة ٧٣٧ هـ (١٣٣٦ م) والبالغة إلى الآن بالترافة الصفري؟ يجوز ذلك، كما يجوز أن يكون هو الذي قام ببنائها أيضاً . كذلك يحتمل أن يكون طرازهما على مثال منارتى مسجد الناصر محمد ابن قلاوون بالقلمة المنشأ سنة ٧٣٥ هـ (١٣٣٥ م) . وقد غشيت قمتها بالقاشاني . ونظن إلى حد كبير أن بناءهما كان فارسيًا أيضاً ، بل لعله البناء التبريزي .

وقد حدثنا الجبرقي عن سقوط إحدى المنارتين بما نصه : « وفي آخر شعبان سنة ١٢١٥ هـ (١٨٠١ م) سقطت منارة جامع قوصون ، سقط نصفها الأعلى فهدم جانباً من بوائك الجامع ، ونصفها الأسفل مال على الأماكن المقابلة له بمطقة الدرب النافذ لدرب الأغوات . وأظن سقوطها من فعل الفرنسيين بالبارود » .

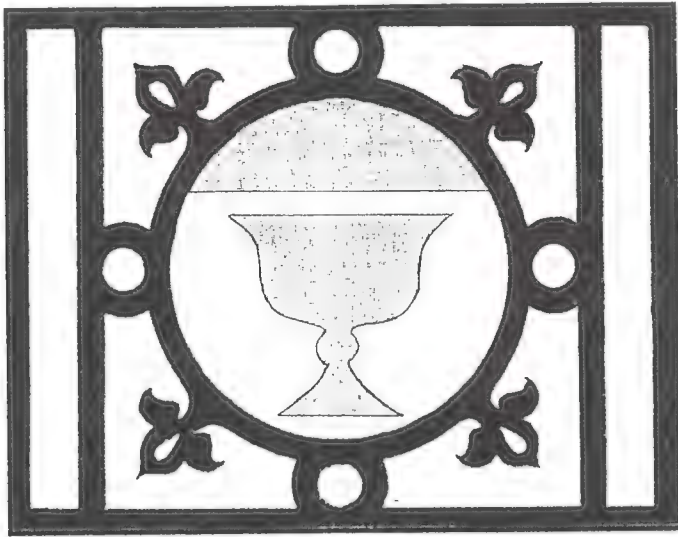
كذلك أخبرنا المرحوم علي باشا مبارك بضياع بقايا المنارة عند فتح شارع محمد علي سنة ١٢٩٠ هـ (١٨٧٣ م) وأن به قبة قديمة .

(١) المقرئى، ج ٢ ص ٣٠٧ (٢) الجبرقي، ج ٣ ص ١٤٢ ١٤٤ (٣) الخطط الجديدة، ج ٥ ص ٨٨

وقد أدرك الجامع قبل نهاية تجربته المهندس القدير پريس دافين، الذى ظهر كتابه سنة ١٨٧٧م وعين الجامع ووصفه بأن تخطيطه كان مربعا، وأن به أعمدة تحمل عقودا مدببة. ولم يعين به سوى إيوان المحراب، وأشار إلى شبائكه الجصية ورسمها. وقال: إنه كان يعلو المحراب قبة لها تصميم جميل. وكذلك وصف مقصورة من الخشب منقوشة بنقوش جميلة، وكرسين للقرآن، وتنورا من النحاس يبلغ طوله حوالى ثلاثة أمتار^(١). ثم وصف المنبر وحشواته الدقيقة، ونعته بأنه تحفة فنية، تفوق نقوشه نقوش منبر جامع طلائع بن رزيك بقوص. ونشر له فى كتابه الفن العربى أربع لوحات تناولت تفاصيله الدقيقة.

ومن نص تاريخى نقله فإن برشم عرف أن المنبر انتهى سنة ٧٢٩ هـ (١٣٢٩ م). أما التنور (ثريا) فإنه مصنوع من النحاس الأصفر المخزم ذو إثنى عشر ضلعا مكون من أربع طبقات مزينة بأشكال نجمية كثيرة الأضلاع وأشكال هندسية. ويقول صانعه بدر بن أبى يعلا إنه أتمه فى مدة أربعة عشر يوما.

أما الصينية أسفل التنور فمنقوش عليها جامات باسم السلطان حسن، وهو مودع بدار الآثار العربية ومعرض ضمن مقتنياتها.



رنك قوصون على وكالته بشارع باب النصر

ولما أذى فيه فريضة الجمعة يوم ٢٩ ذى القعدة سنة ١٣٥٧ حضيرة صاحب الجلالة الملك الصالح فاروق الأول أم المصلين، وهو حادث له أهميته فى تاريخ مصر.

(١) كراسة محاضر وتقاير لجنة الآثار سنة ١٩١٠ ص ١٤٩

جامع بشتاك

بشارع درب الجمايز^(١)

الأمير بشتاك الناصري من أمراء الناصر محمد بن قلاوون . اشتراه الناصر بستة آلاف درهم .
وعهد إلى الأمير قوصون بترتيبه ، فكانت له حظوة عند الناصر . وتقلب في جملة وظائف من أمير
شكار^(٢) ، إلى كاتب سر . وكان موضع احترام الناصر محمد بن قلاوون ، وكثيرا ما كان يفره بهداياه .
وبعد وفاة الناصر محمد قبض عليه واعتقل بالإسكندرية . ثم قتل في شهر ربيع الآخر سنة ٧٤٢ هـ
(١٣٤١ م) . وفي سنة ٨٧٤٨ (١٣٤٧ م) نقلت جثته من الإسكندرية ودفن بقرية سنجر الجاولي ،
وله منشآت عمرارية هامة ، منها قصره العظيم بشارع بين القصرين ، والحمام بسوق السلاح ، ثم خانقاه ،
فمسجده هذا .

تاريخ إنشاء المسجد — اختار الأمير بشتاك الحافة الغربية لبركة الفيل ، والشاطئ الشرقي
للخليج المصري ، فأنشأ على شاطئ الخليج خانقاه احتفل بافتتاحها في أول شهر ذي الحجة سنة ٧٣٦ هـ
(١٣٣٦ م) .

وفي شهر رمضان سنة ٧٣٦ هـ (١٣٣٦ م) أنشأ المسجد تجاهها ، فوق الفراغ منه في شهر رجب
سنة ٧٣٧ هـ (١٣٣٧ م) وقيل في ذي الحجة سنة ٧٣٧ هـ (١٣٣٧ م) . وأنشأ بينه وبين الخانقاه
ساباطا يصل أحدهما بالآخر . ولما تم بناء المسجد واحتفل بافتتاحه خطب فيه العلامة تاج الدين
عبد الرحيم ابن قاضي القضاة جلال الدين القزويني . ويذكر إبراهيم بن مغطاي المؤرخ أن الجمعة
أقيمت فيه في ٢١ شعبان سنة ٧٣٦ هـ (١٣٣٦ م) .

وقد ظلت هذه المنشآت عامرة بذكر الله تعالى إلى أن تخرّبت الخانقاه ولم يبق لها أثر .
أما المسجد فإنه باق إلى الآن ، وإن كان أكثره قد جدد .

ومن يواضع الأسف أننا لم نثر على وصف تلك المنشآت ، وإن كان الأمير بشتاك قد عودنا
أن نرى الفخامة والضحامة تسود منشآته . وهاهو قصره العظيم الباقي حتى الآن بشارع بين القصرين
تجاه المدرسة الكاملية ، نخر المنشآت المدنية في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) .

(١) أنظر الصور من رقم ٨٥ - ٨٦ بمجموعة الصور الفوتوغرافية .

(٢) الدرر الكامنة ج ١ ص ٤٧٧ . (٣) أمير شكار (أمير الصيد) ويشرف على شؤون الصيد ولوازمه .

(٣) المقرئ ج ٢ ص ١٩٩ (٤) السلوك ج ٢ ص ٢٢٣ (٥) تاريخ المالك ص ٢٢٦

وقد رأينا المقرئ المؤرخ الجليل يعبر عن إعجابه بهذا المسجد بإيجاز حيث يقول : « وهو من أبهى الجوامع وأحسنها رخاما وأزهرها » .

أما كونه من أبهى الجوامع وأزهرها فيكفيه موقعه ، وأنه يشرف على بركة الفيل إحدى متزحات مصر التي فنتت الشعراء والكتاب . فقد وصفها ابن سعيد الأديب الأندلسي فقال :

انظر الى بركة الفيل التي اكتفت * بها المناظر كالأهداب للبصر
كأنما هي والأبصار ترمقها * كواكب قد أداروها على القمر

وأما أنه أحسن الجوامع رخاما فهذا طبيعي ؛ لأن صناعة الرخام في الآثار المعاصرة لهذا الجامع بلغت أوج مجدها في الدقة والجمال والتطعيم بالصدف . كما أن البقايا القليلة التي عثرت عليها إدارة حفظ الآثار العربية بوزرة قاعة قصره العظيم دلت على مقدار دقة صناعة الرخام بها .

ثم إن صناعة الرخام في باب حمامه بشارع سوق السلاح لا نظير ولا ثاني لها في باب آخر . والبقايا القديمة التي لا تزال ترى في المسجد بعد تجديده ، وتختصر في الباب العمومي الداخل والمئارة ، تدل دلالة واضحة على أنه كان مسجدا كبيرا فخا حافلا بشتى الصناعات .

أعمال التجديد — في سنة ١٢٧٨ هـ (١٨٦١ م) أمرت المغفور لها والدة المرحوم مصطفى فاضل باشا أنهى المغفور له إسماعيل باشا بتجديد هذا الجامع ، بمناسبة إنشاء دارهما المجاورة له وعهدت الى نيازى بك بهذا العمل الخيري ؛ فأعاد بناءه من الداخل ، وحافظ على الباب العمومي القديم والمئارة على يساره ، وأنشأ له بابا ووجهة جديدة .

وصف المسجد — تقع الواجهة العمومية الغربية — وبها الباب الحديد — على شارع درب الجاميز وتسودها البساطة . ويملو الباب لوح رخامى به تاريخ التجديد والثناء على المجددة بأبيات من الشعر تقتطف منها :

لقد أسست ذات العفاف بناءه * على دائم التقوى فتم لها الخير
بهبت من أضحى له السعد خادما * نيازى هو اليك الذى زانه الفخر
وجاءت بشارات القبول وأزخت * بإتمام بيت الله دام لها الأجر

واجتياز هذا الباب يؤدي الى رحبة ، يقابل الداخل إليها الباب القديم ، وهو باب عظيم مبنى بالحجر يكتشف عمودان من الرخام ، ويجانيه صفتان غطيتا بمقرنصات . ينطى ذلك سقف من الحجر به مقرنصات متدلية ، تتوسطه سرة بها تضاليع محارية يملوه سطر مكتوب فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر ... الآية » .

وداخل المسجد جديد، وهو مكوّن من ستة أروقة يتوسطها منور . والمحراب من الرخام كتب أعلاه : ” هو العلي الأعلى . فنادته الملائكة وهو قائم يصلى في المحراب “ . وقد فرش المسجد بالسجاد ذى المحاريب .

وفي الجدار القبلى مدفن يضم رفات المرحوم أحمد رشدى بك المتوفى سنة ١٢٩٦هـ (١٨٧٩ م) . وهو نجل المغفور له مصطفى باشا فاضل . ولما نقل أخيراً جثمان المغفور له مصطفى باشا فاضل المتوفى سنة ١٢٩٢هـ (١٨٧٦ م) الى هذه المقبرة أضيف الى الكتابة التى على الباب السطر الأعلى منها فأصبح نصها : ” ضريح المغفور له الأمير مصطفى باشا فاضل وضريح الأمير المرحوم أحمد رشدى بك نجل الأمير المغفور له مصطفى فاضل باشا نجل الأمير الشهير المبرور ابراهيم باشا نجل ساكن الجنان عزيز مصر الحاج محمد على باشا فى عشرين ذى القعدة سنة ١٢٩٦هـ الى أرواحهم الفاتحة “ .

وهذا التاريخ هو تاريخ وفاة أحمد رشدى بك كما هو منقوش على قبره الذى تعلوه قبة منقوشة بحولة على عمد . أما مصطفى باشا فاضل فكانت وفاته فى الآستانة عام ١٢٩٢هـ (١٨٧٦ م) — ثم نقل جثمانه الى هذه المقبرة . وكان من غواة جمع الكتب ، وكانت له مكتبة حافلة بنوادير المخطوطات التى لا نظير لها . اشتراها بعد وفاته المغفور له الخديو اسماعيل باشا بمبلغ ١٣,٠٠٠ ليرة عثمانية ، دفعها من ماله الخاص وأهداها الى دار الكتب المصرية . وهى مميزة بين فهرسها بحرف « م » بعد رقم كل كتاب .

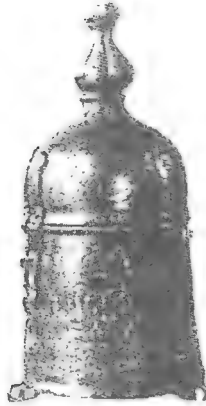
وفي مؤخر المسجد باب يوصل الى سلم حلزونى قديم ، يؤدى الى السطح فالمئارة ؛ وهى من المنارات العظيمة المبينة بالحجر والحافلة بالنقوش والكتابات ، وامتازت بكثير من التفاصيل المعمارية التى لا توجد فى غيرها . وأولى تلك المميزات بابها ذو المكسلتين . نعم سبقتها فى هذا مثارة مسجد الجاولى ، ولكن الباب من غير مقرنصات ولم يكتب عليه نص تاريخى مثل هذه . ومكتوب فوق الباب : ” بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما مهده لنفسه المقر الأشرف بشتاك المالكى الناصرى والابتدا فى مستهل شهر رمضان المعظم سنة ست وثلاثين وسبعمائة وفرغ آخر شهر رجب الفرد سنة سبع وثلاثين وسبعمائة “ .

(١) يبادل بالتقريب مبلغ تسعة آلاف جنيه مصرى فى ذاك الوقت .

وثاني مميزات تلك التجاويف الرأسية في بدن الدورة الثانية ، فهي مقصورة عليها . وقد تنوعت النقوش المفرغة بشقق الدرايزين وشملت قوائمها . أما الدورة الثالثة فهي حادثة ودخيلة عليها . ولعلها عملت سنة ١٢٧٨ هـ (١٨٦١ م) .

ومن مآثر السيدة والددة فاضل باشا لإنشائها على جزء من أرض الخانقاه سيلا وكتابا في سنة ١٢٨٠ هـ (١٨٦٣ م) كسيت وجهته بالرخام المحلى بالنقوش والكتابات . وهو تجاه الخارج من باب المسجد .

وبأعمال هذه السيدة الجليلة أضيفت صفحة ناصعة من صفحات سيدات البيت العلوى الكريم الى أثر المرأة في العمارة الاسلامية .



مسجد الطنبغا المارداني

بشارع التبانة^(٥)

كان الخارج من باب زويلة في عهد الدولة الفاطمية حين يأخذ الطريق على يساره (الدرب الأحمر) الآن يجد فضاء كبيرا لا بناء فيه .

وفي سنة ٥٥٥ هـ (١١٦٠ م) أنشأ الصالح طلائع بن رزيك مسجده تجاه الخارج من هذا الباب . وبعد إنشائه له أقيمت في هذا الفضاء مقابر لأهل القاهرة . فلما زالت الدولة الفاطمية وأنشأ صلاح الدين الأيوبي القلعة على رأس الشرف المطل على القطائع ، كان يسلك الى القلعة من هذا الطريق .

وفي نهاية القرن السابع الهجري (السادس عشر الميلادي) أنشئت في هذا الشارع المساجد والأبنية ، وقسم الى أخطاط عرفت بسوق البسطيين : نخط الدرب الأحمر ، نخط جامع المارداني ، نخط سوق الغنم ، نخط التبانة ، نخط باب الوزير حتى القلعة .

وأكثر هذه الأخطاط باقى الى الآن وأكثرها بأسمائه القديمة . وهى حافلة بشتى المنشآت المعمارية فى مختلف العصور ، ما بين مسجد ومدرسة وخانقاه وسبيل وكتاب ودور وقصور . وقد أبقى الدهر على أكثر هذه المنشآت . ومن أجلها جامع المارداني .

المنشئ — الطنبغا بن عبد الله المارداني^(١) الساقى الأمير علاء الدين ، أحد ممالك الملك الناصر محمد بن قلاوون . كان الناصر كثير العناية به فعينه ساقيا ثم أمير طبائخاناه^(٢) فى مدة يسيرة ، ثم عينه أمير مائة ومقدم ألف بالديار المصرية وزوجه أخته . وبعد وفاة الناصر محمد تولى ولده المنصور أبو بكر قبض عليه فى صفر سنة ٧٤٢ هـ (١٣٤١ م) . ولما خلع المنصور وتولى أخوه الملك الأشرف بكك بن محمد بن قلاوون سنة ٧٤٢ هـ (١٣٤١ م) أفرج عنه .

(٥) انظر الصور من رقم ٨٧ — ٩١ بجومة الصور الفوتوغرافية .

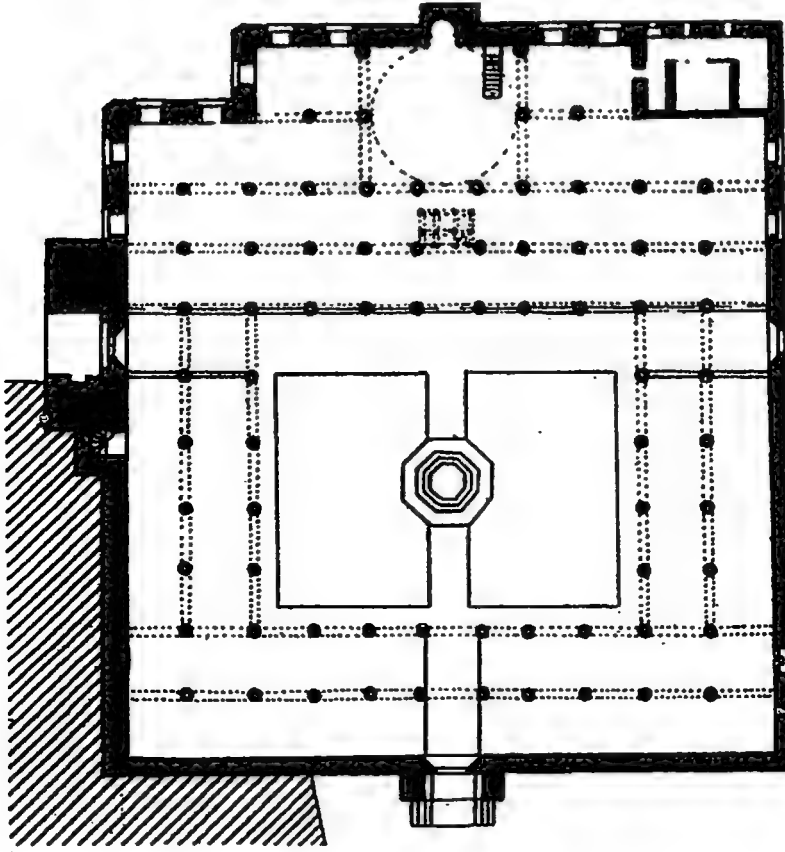
(١) الدرر الكامنة ج ١ ص ٤٠٩ — المنهل الصاقى — أبو القدا ج ٤ ص ١٣٩

(٢) الساقى : وظيفته إعداد مأذنة السلطان . ثم تقديم المشروب عقب رفع المأذنة .

(٣) الطباخانة : بها الآلات الموسيقية للفرقة التى تعزف على باب القصر الملكى .



وحين استقر الملك الصالح إسماعيل بن محمد بن قلاوون، في المملكة عين الطنبغا نائباً على حماه، فتوجه إليها في شهر ربيع الأول سنة ٧٤٣هـ (أغسطس سنة ١٣٤٢ م) .
وفي شهر رجب عين نائباً لحلب، فاستمر بها إلى أن توفي في صفر سنة ٧٤٤هـ (١٣٤٣ م) .



مسقط أفق

تاريخ إنشاء الجامع — شرع الأمير الطنبغا المارداني سنة ٧٣٨هـ (١٣٣٧ م) في بناء هذا الجامع، ويقال : إنه كان يخاف في نزع الملكية للأماكن اللازمة له . وقيل : إنه أخذ عمده مما كان في جامع راشدة الفاطمي واستمر العمل جارياً فيه بهمة كبيرة حتى كل ، واحتفل بافتتاحه بأول خطبة أقيمت في يوم الجمعة ٢٤ رمضان سنة ٧٤٠هـ (مارس سنة ١٣٤٠ م) هذا ما ذكره المقرئ وقد جاء مطابقاً لما كتب على جدران المسجد ومدخله والوجهة القبيلة له .

(١) المقرئ، ج ٢ ص ٢٠٨ ثم نراه في ج ٢ ص ٢٨٢ ينقض هذه الرواية ويقرر أن جامع راشدة كان عامراً إلى

ما بعد سنة ٨٠٦هـ (١٤٠٣ م) .

ويظهر أن مدة السنة لم تقنع ابن بهادر المؤرخ فذكر أنه أنشئ — وطبعاً يقصد أنه بدئ فيه — سنة ٨٧٣هـ (١٣٣٥ م) ، وهو ما أقوه عليه . وهذا ما قرره أيضاً المقرئ فقد ذكر في حوادث سنة ٨٧٣هـ (١٣٣٤ م) الشروع في نزع ملكية الدور اللازمة له بمعرفة النشو فاعتصبها بنصف قيمتها^(٢) . وصف الجامع — وضع تصميمه على مثال المساجد الجامعة أربعين إيوانات ذات أروقة يتوسطها صحن مكشوف . أكبرها إيوان القبلة . فهو يحتوي على ثلاثة أبواب : غربي وقبلي وبحري . والأخير أحفلها زخرفاً ؛ فقد كسى بالرخام المازن الملبس في الحجر ومكتوب عليه ما نصه : ” بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر . وكان الفراغ من هذا الجامع المبارك في شهر رمضان المعظم سنة أربعين وسبعائة “ .

وفي هذا الباب ظاهرة معمارية هامة ، وهي بروزه عن سمت الوجهة ونماذجها معدودة . وعلى يسار هذا الباب منارة مكونة من ثلاث دورات . وإن انقطاع الكتابة من الجدران الحاملة لهذه المنارة وانفصالها عن باقي كتابة المدخل مع وجود تكملة لها بهذه الوجهة مما يحال على اليقين بأن عمارة جديدة أجريت بالمدخل في وقت غير معلوم . وتمدته إلى المنارة فجذدت أيضاً . كما يحتمل أن تكون قد عملت تقوية جديدة لأساس المنارة وقاعدتها فقط فحجبت ما خلفها من كتابات . والرأى الأول أرجح . ويفصل الإيوان الكبير عن الصحن سياج من الخشب الخلط المحفور من وجهيه بزخارف جميلة . وقد كتب على وجهيه من أعلا آيات من سورتي الفتح والنجم .

ويتوصل إلى داخل الإيوان الكبير من أبواب شرعت في هذا السياج . ولعله أقدم سياج باقي الآثار العربية بمصر ، أو هو الثاني إذا عدنا سياج مسجد آل ملك الجوكندار . ويليهما سياج قايبتاي بالجامع الأزهر .

والإيوان الشرقي غني بمختلف الصناعات ؛ فقد أقيمت عقوده على عمد من الرخام والجرانيت الأحمر ، ويعلو هذه العقود سقوف حفرت بها زخارف ، لونت وزهبت بالوان زاهية جميلة . كذلك كسيت الجدران إلى ارتفاع نحو ثلاثة أمتار بوزرة مكونة من أشرطة من الرخام ، ومن أجزاء دقيقة جدا من الرخام والصدف ، بعضها يمثل أشكالاً هندسية ، والبعض الآخر كتابات بالخط الكوفي المربع بالرخام الأخضر ، يقرأ فيها : ” لا إله إلا الله محمد رسول الله “ واسم ” محمد “ مكرراً . ويتوسط بعضها دوائر كتبت حولها : ” بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون “ . وتنتهي بإبريز رخامي على شكل شرفات .

أما المحراب فعدود من الحاريب الدقيقة بالقاهرة ، إذ أنه كسى بالرخام الدقيق والصدف المكون لأشكال هندسية غاية في الدقة . وغطاؤه المعبر عنه بالطاقيّة من النماذج القليلة المعدودة فهو ملبس بالرخام الأسود والأحمر والفيروزى ويمجازه منبر حشواته مدقوقة بالأويمة ومطعمة بالسن ، وبه حشوات من السن المحفور بنقوش دقيقة . ومن الطريف في هذا المنبر أن نحواً من أربعين حشوة من حشواته سرقت قبل تشكيل لجنة حفظ الآثار العربية بعشر سنوات ، ونقلت إلى أوروبا ، ثم أعيدت إلى مصر حوالى سنة ١٩٠١ لتباع فيها ؛ فاشترتها اللجنة بمبلغ ثمانين جنيهاً ، وأعادتها إلى منبرها الأصلي ، وأتمت إصلاحه سنة ١٣٢٠ هـ (١٩٠٢ م) .

وفوق المحراب قبة كبيرة حملت على ثمانية أعمدة من الجرانيت الأحمر لها تيجان مصرية . ولهذه القبة مقرنصات من الخشب المحلى بزخارف مذهبة ، ويحيط بمربعها إفريز خشبي مكتوب مذهب ، وبأجانبها شبابيك جصية بها زجاج ملون . ويوجد فوق المحراب ، وبين مقرنصات القبة وشبابيكها زخارف جصية تمثل أشجاراً وبخاريات آية في الدقة والجمال بها أثر تلوين .

وبهذا الإيوان دكة المبلغ من الرخام ، وهى محمولة على اثني عشر عموداً من الرخام . وقد اشتمل هذا الإيوان على كتابات تاريخية . منها لوحان في الجدار البحري حفرت كتاباتهما في الحجر ولبست بالرخام الأخضر تضمنتا اسم المنشئ وتاريخ الفراغ من إنشائه ، وهو شهر رمضان سنة ٧٤٠ هـ .

والكتابة الثالثة على يمين المنبر ونصها : ” بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك العبد الفقير إلى الله تعالى الراعى عفوره أطنبغا الساقى الملكى الناصرى وذلك في شهر سنة أربعين وسبعمئة وصلى الله على سيدنا محمد وآله “ .

ويحيط بمحدران هذا الإيوان شبابيك من النحاس ، حلوقها مزخرفة ممّوّهة بالذهب ، يعملوها شبابيك جميلة من الجص والزجاج ، تتخللها بخاريات جصية كانت مذهبة .

أما باقى الإيوانات فكل منها يشتمل على رواقين ، وهى عبارة عن عمد تحمل عقوداً فتحت في خواصرها عقود . وهى خالية من الشبابيك وعارية من الزخرف ، ولا يوجد بها سوى بخاريات جصية . ويتوّج وجهاً هذه الإيوانات شرفة مسننة محلاة بزخارف ، غاف أعلاها بقطع مفرغة من الخزف ، تعتبر النموذج الوحيد بين الآثار . وعلى أبعاد مختلفة أقيم فوق إحدى الشرفات خوذة مخصوصة انتهت بالحلية الخزفية . وهى مقتبسة من مثلها في مسجد الناصر بالقلة . وسبقتهما نماذج مبسطة في الجامع الطولونى وفي الجامع الأزهر .

كذلك حليت وجهات العقود بزخارف ماين مستديرة ونجمية وعقود محارية محاكاة لمثلاتها في الجامع الطولوني والأزهر .

ويتوسط الوجهة الغربية الباب الغربي . وهو من الأبواب العظيمة ، حلى بمقرنصات تنغار بمقرنصات الباب البحري . وقد كتب عليه تاريخ البدء في العماره بما نصه : ” بسم الله الرحمن الرحيم حمد رسول الله والذين معه أشدء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا أنشأ هذا الجامع المبارك من فضل الله وكرمه العبد الفقير إلى الله تعالى الطنبغا الملكي الناصري وذلك في شهور سنة تسع وثلاثين وسبع مائة للهجرة النبوية عليه السلام “ .

أما الباب القبلي فهو أبسطها . وقد حليت ظهور الأبواب الثلاثة من الداخل بالرخام وبزخارف حجرية مورقة كانت ملونة ، كما يعلو كل باب منها شبك من القاشاني المألون بالأخضر والأبيض والأسود ، والمقرغ بزخارف مورقة . ولا نظير لهذه الشبايك في مسجد آخر . ويتوسط الصحن حوض من الرخام للوضوء ، تعلوه قبة من الخشب نقلت إليه من مسجد السلطان حسن سنة ١٣١٧هـ (١٨٩٩م) . ومع أن مصاريع الأبواب خالية من كسوتها النحاسية فقد كانت مكسوة بالنحاس على شكل نجوم بوسطها صرة مخزمة ، نقلت بقاياها إلى دار الآثار العربية .

المهندس — عرفنا أن مهندس هذا الجامع مهندس قدير ، وهو ابن السيوفي كبير مهندسي دولة الناصر محمد بن قلاوون . كما أنه هو مهندس المدرسة الأقباقوية بالأزهر^(١) . وبجهوده في كليهما يدل على براعته وأقتداره . وليس بعيد أن يكون هو الذي أشرف على الكثير من العمارات المنشأة في دولة الناصر محمد بن قلاوون .

أعمال الإصلاح — في سنة ١٨٨٤ م عاينت لجنة حفظ الآثار العربية لأقول مرة هذا الجامع وكان متخربا ؛ بجدرانته مائلة ومهتمة ، ومنارته ناقصة ، وأكثر رخامه مفقود ؛ فقررت اتخاذ الاجراءات اللازمة لصلب المبانى المهتدة بالسقوط . ثم نتابت عنايتها به ؛ فجددت ما وهى من جدرانته ، وأبدلت ما تداعى من أساطينه وأصلحت وزراته ومحرابه . كما أصلحت المنبر والشبايك والأبواب ، وأنشأت القبة فوق المحراب ، وأصلحت مقرنصاتها القديمة وأعادت إليها نقوشها كأصلها ، كما أعادت بناء الدورية العليا من المنارة ، وأصلحت السياج الخشبي والسقف . وأستقرت هذه الأعمال في المدة من سنة ١٣١٤ هـ (١٨٩٦ م) إلى سنة ١٣٢١ هـ (١٩٠٣ م) . وبهذه الإصلاحات أعيد إلى هذا الجامع العظيم جماله وبهيجته .

جامع آق سنقر (ابراهيم أغا)

بشارع باب الوزير^(*)

الأمير آق سنقر الناصري أحد ممالك الناصر محمد بن قلاوون ، عينه في عدة وظائف من أمير مائة إلى مقدم ألف وأمير شكار^(١) . وزوجه إحدى بناته . ثم عين والياً لغزة بعد وفاة الناصر . ثم عين أميراً خور في دولة الصالح اسماعيل بن الناصر محمد . ثم ولى نيابة طرابلس . ومما يؤثر عنه أنه كان عفيفاً عن أموال الرعية ، وكان حسن الخط . وفي دولة الكامل شعبان تلا لأخيه ، وعمل على انتقال الملك إلى المظفر حاجي ابن الناصر محمد بن قلاوون ، حتى صار نافذ الكلمة . ولعب دوراً كبيراً في سياسة الدولة إلى أن قبض عليه في ربيع الآخر سنة ٧٤٨هـ (١٣٤٧ م) وقتل رحمه الله ، ودفن في هذا المسجد^(٢) .

تاريخ إنشاء المسجد — شرع الأمير آق سنقر الناصري في ١٦ رمضان سنة ٧٤٧هـ (يناير ١٣٤٧ م) في بناء هذا الجامع ، وأنشأ بجواره مكتباً وسبيلاً ، ومكاناً ليدفن فيه ونقل إليه ابنه . وقد عني بممارته عناية كبيرة ، حتى إنه كان يشرف على العارة بنفسه ويشجع العمال . وعين له المدرسين ، وافتتحه للصلاة في يوم الجمعة ٣ ربيع الأول سنة ٧٤٨هـ (١٣٤٧ م) ووقف عليه ضيعة من قرى حلب للصرف عليه وتعميره .

وهنا نلاحظ أن الفترة بين البدء في الإنشاء وإقامة الصلاة فيه دون ستة أشهر، وذلك مما يجعلني أؤكد أنه أقام الصلاة فيه قبل الفراغ من بنائه . وهذا كثير الوقوع . ويميز هذا الرأي ما هو مكتوب على الباب القبلي للجامع ونصه : ” بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر أمر بإنشاء هذا الجامع العبد الفقير إلى الله تعالى آق سنقر الناصري تغمده الله برحمته وكان ابتداء عمارته سادس عشر رمضان المعظم سنة سبع وأربعين وسبعائة وكانت الصلاة فيه يوم الجمعة ثالث ربيع الأول سنة ثمان وأربعين وسبعائة وتوفى إلى رحمة الله تعالى تاسع عشر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين وسبعائة “ .

(*) أنظر الصور من رقم ٩٢ — ٩٧ بمجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) أمير شكار : وظيفته الإشراف على الطيور والكلاب المخصصة للصيد .

(٢) أمير أخور كبير : هو المشرف على الاصطيالات الخاصة والبريد والمجن .

(٣) الدرر الكامنة لابن حجر ، ج ١ ص ٣٩٤ والمثل الصافي لابن تقي بردي .

ويؤخذ من هذا النص أنه كتب بعد وفاته ، لأنه تضمن تاريخ الوفاة ولم يتعرض لتاريخ الفراغ منه ، ولا للتعريف بمن قام بتكليفه .

وفي سنة ٨١٥ هـ (١٤١٢ م) أنشأ في صحنه الأمير طوغان الدوادار فسقية ، أقام فوقها سقفا محمولا على عمد لم يبق لها أثر اليوم . وربما حلت محلها الحديقة الموجودة في وسط الجامع أو المظلة بجوارها .

وصف الجامع — وضع تصميمه على مثال المساجد الجامعة ، أربعة إيوانات يتوسطها صحن مكشوف ، أكبرها إيوان القبلة المشتغل على رواقين . أما الإيوانات الثلاثة فكل منها رواق واحد . ويتوصل إلى داخله من ثلاثة أبواب في وجهاته الغربية والبحرية والقبليّة . والأخيرين غير متعامدين إذ البحرى منهما منحرف إلى الجهة الغربية .

وتعدّ الوجهة الغربية أهم وجهاته ، بها الباب العمومي المحمول عقده على كوابيل ظريفة . وعتب الباب ملابس بمزرات رخامية خضراء . وعلى يساره قبة علاء الدين بكك ، المحلاة بشبابيكها بمزرات رخامية ملونة ما بين خضراء وبيضاء ، يعلوها شبك مستدير ، ليس ما حوله بالرخام الملون المنحرف ، يغطيها مقرنص واحد . وبها لوح رخامي نصه : ”بسم الله الرحمن الرحيم كل نفس ذائقة الموت هاذ القبة المباركة عمرت لدفن العبد الفقير إلى الله تعالى مولانا السلطان السعيد الشهيد الملك الأشرف علاء الدين بكك وكانت وفاته في شهر جمادى الأول من سنة ست وأربعين وسبعمائة“ .

وعلى يمين الباب شابكان ، حليت أعناهما بمزرات رخامية خضراء ، يغطيها مقرنص واحد . وتنتهى الوجهة بمنارة وشبكة مكونة من ثلاث دورات . بدن الدورة الأولى منها مستدير ، والثانية قنوات مستطيلة ، والثالثة مستدسة ، فوقها خوذة خشبية مغلقة بالرصاص ، قصد بها هرس باشا عند تجديدها التخفيف . ترك الوجهة ونجتاز الباب العمومي ، فنجد على اليسار قبة أنشئت قبل الجامع ليُدفن فيها السلطان الملك الأشرف علاء الدين بكك ابن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون المتوفى في شهر جمادى الأولى سنة ٧٤٦ هـ (١٣٤٥ م) وهى قبة ظريفة ، بها إيوان وبها دوائر وبخاريات جصية . ويحيط بها إفريز جصى مكتوب به آية الكرسي وأسم من دفن بها وألقابه . ومقرنصها من حطة واحدة ، وهو من شواذ العمارة في ذلك العصر .

وعلى يمين الداخل بمؤخر الإيوان القبلى حجرة أنشأها إبراهيم أغا مستحفظان سنة ١٠٦٢ هـ (١٦٥٢ م) جدرانها مؤزرة بالرخام ، وبها محراب رخامى . ثم كسيت بالقاشانى حتى السقف ، يتوسطها قبر من الرخام أنشأه في حياته سنة ١٠٦٤ هـ (١٦٥٤ م) ومكتوب عليه : ”أنشأ هذا المكان

المبارك الراجى عفو ربه ستر الله عيوبه وغفر ذنوبه هو الغفور الرحيم إبراهيم أغا مستحفظان حالا بتاريخ شهر شعبان المبارك في سنة ١٠٦٤ هـ .

ومثبت فوق شباك المدفن من الخارج لوحة رخامية بتاريخ عمارته للمسجد نصها : "إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله وعمر وجدّد هذا الجامع الشريف المبارك إبراهيم أغا مستحفظان حالا بتاريخ سنة إحدى وستين وألف من الهجرة النبوية".

وتوجد لوحة أخرى على الوجهة البحرية للدفن نصها : "أنشأ هذا المدفن المبارك من فضل الله تعالى في زمن عبد الرحمن باشا حاكم مصر المحروسة إبراهيم أغا مستحفظان حالا بتاريخ سنة ١٠٦٢ هـ".

ويجاور هذه التربة الباب القبلى للجامع ، يلاصقه مربع بسيط من البناء بداخله قبر تسوده البساطة . ويقرأ في لوحة مثبتة عليه : "هذا قبر المرحوم آق سنقر الناصرى المعروف بجامع النور وكان ابتداءه سادس عشر رمضان سنة ٧٤٧ هـ والفراغ في سنة ٧٤٨ هـ" .

ومن المؤكد أن هذه المقبرة حديثة، لأنه معلوم أن آق سنقر أعد لنفسه مقبرة بجوار الجامع ، حلت محلها الآن الأبنية التي تحجب باقى الوجهة القبلى على ما أرجح . والتربة في وضعها الحالى هى وتربة إبراهيم أغا يشغلان جزءا كبيرا من الإيوان القبلى ، ولم يسبق إقامة قباب أو قبور في مثل هذا الوضع في المساجد فهى من عمل إبراهيم أغا الذى بخل على المنشئ الأصلى بمقبرة تناسب عمله الخيرى العظيم .

والإيوان الشرقى أكبر الإيوانات ، وهو يشتمل على رواقين كانت عقودهما محمولة على أكتاف حجرية مثمنة وسقوفها معقودة . وما زال الرواق أمام المحراب محتفظا بأصله لم يتغير ، بخلاف الرواق الثانى المشرف على الصحن ، فان عقودها استبدل بها سقف من الخشب وبقي طرفاه على أصلهما ، وأبدلت بدعائمه عمد رخامية وأكتاف حجرية مربعة ، وكذلك الرواقان القبلى والبحرى . أما الرواق الغربى فانه محتفظ بكثير من تفاصيله القديمة .

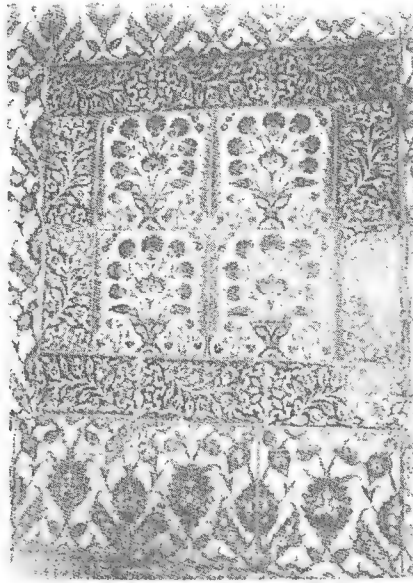
وهذا التغيير أخذه إبراهيم أغا مستحفظان في عمارته الكبيرة التى أجراها بالجامع سنة ١٠٦١ - ١٠٦٢ هـ (١٦٥١ - ١٦٥٢ م) ، كما هو منقوش في غير موضع بالجامع . ولم يقتصر على هذه العمارة ؛ بل كسى الجدار الشرقى حتى السقف بالقاشانى الملون الجميل . وهى أكبر مجموعة منه وجدت في أثر واحد بمصر . ويزيد في أهمية هذه المجموعة أنها عملت خصيصا لهذا الجامع برسوم موضوعة ، ولذلك نجد أطرافها كاملة ونقوشها متماثلة ؛ فبعضها يمثل محرابا يعلوه قنديل وكتب فيه : "يا الله يا محمد"

يكتنفه عودا سرو . وبداخله زهرية تفرعت منها فروع نباتية تحمل زهورا . والبعض الآخر يمثل زهريات مختلفة وزخارف وزهورا ملونة .

ولذلك عرف الجامع ، وخاصة عند الزائرين الأجانب ، بالجامع الأزرق ، نسبة الى مجموعة القاشاني العظيمة الموجودة فيه .

ومما يسترعى النظر في هذا الإيوان المنبر الرخامي الملون ، ودرازينه الحافل بالزخارف البارزة المورقة وعناقيد العنب . وهو أقدم منبر رخامي باقٍ في مساجد مصر ، يليه منبر مدرسة السلطان حسن .

وأقدم ما عرف من المنابر الرخامية منبر مسجد الخطيرى المنشأ سنة ٧٣٧ هـ (١٣٣٧ م) وبقياه



تفاصيل من القاشاني

محفوطة بدار الآثار العربية . ويجاور المنبر محراب كبير كسى بأشرطة دقيقة من الرخام والصدف . وطاقاته الصغيرة من خرفة ومحملة على عمد ، وغطاؤه المعبر عنه بالطاقيّة من الرخام المحلى بزخارف نباتية ملونة بارزة ، ولعلها الأولى من نوعها . وقد ثبت على يسار هذا المحراب لوح من الرخام مكتوب فيه : "رأى النبي صلى الله عليه وسلم في هذا المحراب المبارك في ليلة السبت تاسع شهر ذى القعدة الحرام سنة ثمان وستين وثمان مائة وهو قائم يصلى عمر هذا الجامع الشريف إبراهيم أغا مستحفظان حالا في تاريخ سنة ١٠٦٢ هـ" .

ويعلم المحراب قبة كبيرة مقرنصها من طاقة واحدة . وغريب أن نرى مقرنصات قباب هذا المسجد وبقية مسجد أم السلطان شعبان وبقية تنكربغا وكلها في عصر واحد ومن طاقة واحدة . وهى ميزة امتازت بها القباب الفاطمية فى نشأتها . وبمؤخر هذا الإيوان دكة المبلغ وهى من الرخام .

أعمال الإصلاح — فى سنة ١٣٠٧ هـ أجريت بالجامع عمارة تناولات المنارة وذلك فى عصر المغفور له توفيق باشا . ثم توالى عناية لجنة حفظ الآثار العربية بهذا الجامع ، فأصبحت العقود والقاشاني ، وأصبحت المنبر ، وكشفت الوجوهات من الأبنية التى كانت تحجبها حتى ظهر المسجد بهذا المظهر الجميل .

(١) لهذا الأمير منشآت عمارية كثيرة فى شارع باب الوزير ما بين حوض لشرب الدواب الى دور وأسبلة ، كما أن منزله كان هناك .

جامع الأمير شيخو الناصري

شارع شيخون بالصليبية^(*)

الأمير شيخو — شيخو العمري الناصري ، أحضره الى مصر الخواجا عمر ؛ فاشتراه الملك الناصر محمد بن قلاوون . وقد علا نجمه في دولة الملك المظفر حاجي ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون . وحظي عنده فشفع في كثير من الأمراء وسعى في الإفراج عنهم . وفي دولة الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون عظم شأنه وصار زمام المملكة بيده . يتصرف في شؤون الدولة كيفما شاء الى شهر شوال سنة ٧٥١ هـ (ديسمبر سنة ١٣٥٠ م) . حيث عين نائباً لطراباس . ولما وصل إلى دمشق في طريقه إليها صدرت الأوامر بإقامته بها ، ولم يلبث أن قبض عليه وأحضر الى الإسكندرية وسجن بها .

ولما ولي الملك الصالح صالح بن الملك الناصر محمد بن قلاوون أفرج عنه في رجب سنة ٧٥٢ هـ (١٣٥١ م) . وأنعم عليه بتقدمة ألف . وأبلى في مكافحة العرب النافرين بالصعيد بلاء حسناً . ولما عاد الملك الناصر حسن الى الملك للمرة الثانية سنة ٧٥٥ هـ كافأه فأنعم عليه بوظيفة أمير كبير ؛ فتكاملت عظمته واشتد نفوذه وكثرت ثروته ؛ الى أن كان يوم الخميس ثامن شهر شعبان سنة ٧٥٨ هـ (١٣٥٧ م) وثب عليه مملوك وهو جالس في دار العدل بالقلعة وضر به بالسيف في يده وفي وجهه ، فحمل الى بيته فأقام به قليلاً نحو ثلاثة أشهر عاده فيها السلطان غير مرة . وقبض على المعتدى وقتل . وفي ليلة الجمعة ٢٦ ذى القعدة سنة ٧٥٨ هـ (نوفمبر سنة ١٣٥٧ م) . توفي متأثراً بجراحه ودفن بالخانقاه الشيخونية . وكان أميراً جليلاً خيراً ديناً . وله منشآت خيرية باقى منها السبيل الجميل النادر المثال المحفور في الصخر بالحطابة ، والخانقاه العظيمة ، والجامع الذى أمامها بالصليبية . ومنهما تتكون مجموعة أثرية عظيمة أكسبت هذا الشارع روعة وعظمة .

تاريخ إنشاء الجامع — هذا الجامع أول منشآت الأمير شيخو في هذه المنطقة . وتاريخ البدء فيه غير معلوم ، ولم يذكره أحد من المؤرخين ، ولا يوجد به نص تاريخي يفيد تاريخ البدء فيه . بينما وجد تاريخ الفراغ من بنائه في شهر رمضان سنة ٧٥٠ هـ (١٣٤٩ م) .

وإني أرجح أن البدء في العمارة كان عام ٧٤٨ هـ (١٣٤٧ م) في آخر دولة الملك المظفر حاجي . ويعزز هذا الرأي عندي وجود اسم الملك المظفر على شباك من النحاس المكشفت بالذهب والفضة .

(*) انظر الصور من رقم ٩٨ — ١٠١ بمجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) القرينى ج ٢ ص ٣١٤ ، شذرات الذهب ج ٦ ص ١٨٤ (٢) في التل الصافي ١٦

اكتشفته بالجامع سنة ١٩٣١ م ، وأودع دار الآثار العربية . وهو شباك من رماح ونخزات ، حلى وجه الرمح بزخارف وتطعيم بالفضة ، وحلى وجه المخترزة بنقوش مكشوفة بالذهب . وكتب بوسطها :
” الملك المظفر “ .



مشكاة من زجاج بالمينا باسم شيخو الناصري

وصف الجامع — يرى القادم من ميدان صلاح الدين قاصدا الجامع الطولوني بنائيتين متقابلتين ، تماثلت وجهاتهما : إحداهما على اليسار ، وهي الخانقاه التي أمر بإنشائها الأمير شيخو سنة ٧٥٦ هـ (١٣٥٥ م) ونقل إليها صوفية الجامع وزادهم وأعد بها مساكن لهم ، كما أعدها لتكون دار حديث ومدرسة للمذاهب الأربعة وعلم القراءات . ولما مات دفن بها .

وأمام الخانقاه الجامع من إنشاء الأمير شيخو أيضاً، وهو جامع جميل يبلغ مسطحة ٩٩٠/٣٩ متراً له وجهة عالية، حليت بالشبابيك الحصية المتنوعة، والمقرنصات المختلفة، والآيات القرآنية. وفي طرفها الباب العمومي، حلى بمزرات رخامية ملونة وشباك من الخشب المغطى بالنحاس، فوفقه مقرنص ظريف، يعلو ذلك مقرنص الباب ذو الدلايات، ومكتوب في طاقيته لفظ الجلالة. وتواشيع الباب محلاة بزخارف نباتية موزقة. وتعلوه منارة كبيرة من ثلاث دورات، متمثلة مع منارة الخانقاه في الطرز والارتفاع، وتستريح النظر برشاقها والنقوش الموجودة في بدن دورتها الأولى، ووجود شرفة واحدة بها، والزخارف والكتابات بخوذتها، والكرائيش المصرية الطرز الغربية في نوعها. يجوارها قبة صغيرة حلى سطحها بقنوات رأسية.

والكرائيش المصرية نازها لثالث مرة في الآثار الإسلامية بمصر؛ فأقول ما رأيناها في منارة قلاوون، ثم في منارة منجك اليوسفي، فهاتين المنارتين. وقد هدم طرفا الوجهة القبلية الرئيسية للجامع، وكانت مماثلة لوجهة الخانقاه في الطول، كما كانت مماثلة لها في كثير من التفاصيل والارتفاع.

والباب العمومي يؤدي إلى دركاة على يمينها باب القبة، وقد ثبتت في جنبات الدركاة ثلاث قطع من رخام أسود له بريق كالمرآة. ألفنا رؤيته في مداخل بعض المساجد، رأيته في قبة الإمام الشافعي، وفي المدرسة القاصدية، فمدرسة السلطان حسن، فقبة سيدى عقبة، كما عاين ابن جبير الرحالة قطعة منه في مدخل المشهد الحسيني، ووصفها بأنها كالمرآة الهندية الحديثة الصقل. ولعل هذا هو الغرض المقصود منها.

ويتوصل من هذه الدركاة إلى صحن المسجد المفروش بالرخام الملون، ويحيط به أربعة إيوانات، بكل من الشرق والغرب منها رواقان. أما القبلي والبخري فكل منهما رواق واحد صغير، قصدهما إيجاد التماثل فقط.

ويغطي النوافذ العليا للمسجد شبابيك حصية، بها زجاج ملون من أبدع النماذج، جذدت حديثاً طبقاً لبقاياها، وسقف المسجد محلاة بنقوش وكتابات.

والمنبر من الحجر وقد دقت قوائمه وجوانبه بزخارف جميلة، كما حليت عمدته وتيجانها بزخارف كانت ملونة. ودكة المبلغ بمؤخر هذا الإيوان، وهي من الحجر أيضاً، محولة على عمد منقوشة، ولها سلم مجرى حلزوني، ومكتوب بها آيات من سورة الفتح، ثم ما نصه: "أنشأ هذه الدكة المباركة

الحج محمد بن شعبان بن سعيد النقلي غفر الله لهم وللسلمين وكان الفراغ من ذلك في شهر صفر سنة أحد وستين وتسعمائة .

وهي أول دكة حجرية، إذ المؤلف أن تكون رخامية أو خشبية. والمرجح أنه هو الأمر بعمل هذا المنبر أيضاً، الذي يعتبر ثاني منبر حجرى؛ إذ الأول الذى أنشأه السلطان قايتباى لخلائفه فرج بن برقوق سنة ٨٨٨ هـ (١٤٨٣ م) . والمحراب مكسو أعلاه بالرخام وأسفله بالقاشانى المغربى .

وبهذا الإيوان كرسى المصحف . وهو كرسى جميل ، نجارة الخروط فيه دقيقة . وقفه هو ومصحفه الأمير الشهابى أحمد ولد الملقز السيفى بكلاس الظاهرى فى شهر جمادى الآخرة سنة ست وأربعين وثمانمائة من الهجرة .

والإمام عبد الرحمن السيوطى العالم الكبير والمؤرخ الجليل المتوفى سنة ٩١١ هـ (١٥٠٥ م) صلة وثيقة بهذا المسجد، فقد ولى إحدى وظائفه وهو صغير . وألقى فيه أول درس بحضور أساتذته . وكان يعلم المحراب قبة احترقت مع سقف هذا الإيوان سنة ٩٢٣ هـ (١٥١٧ م) بسبب اختفاء السلطان طومانباى بالجامع وقت حروبه مع السلطان سليم .

وفى شهر رمضان سنة ٩٢٥ هـ (١٥١٩ م) جدد هذا السقف . ويشق الإيوان الغربى الى الباب الثانى للمسجد ممر ، وهو باب بسيط ، يستريح النظر فيه بروزه عن سمت الوجهة .

ويرى مسيو باتريكولو الباشمهندس الأسبق للآثار العربية أن الوجهة الغربية المشرفة على حارة الميضة مبنية على أسلوب يخالف أبنية الأمير شيخو، لأن مداميكها مرتفعة ومن قطع كبيرة من الحجر . وبالمسجد حوض رخامى (سبيل) محلى بزخارف وكتابات أمر بعمله الأمير ابراهيم الرزناجى سنة ١١٥٠ هـ (١٧٣٧ م)

وقد وقف على الجامع مجموعة من الكتب الأمير الصالح أحمد جاويش أرناؤد باش اختيار . المتوفى سنة ١٢٠١ هـ (١٧٨٦ م) .

أعمال الإصلاح — عنت إدارة حفظ الآثار العربية بالجامع منذ أمد بعيد، وكانت أهم الأعمال التى أجريت به فى سنى ١٩٣١ — ١٩٣٣ حيث تم إصلاح المنبر وكرسى المصحف والمحراب والشبابيك الجلصية، وتقويم عمد وجدران الإيوان الغربى، وإصلاح الأرضيات الرخامية . وبهذه الإصلاحات عاد للجامع رونقه .

(١) شذرات الذهب ج ٨ ص ٥٢ (٢) عن الدرس الدينى الذى ألقاه فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق شيخ الجامع الأزهرين يدى صاحبى الجلالة الملكين العظيمين فاروق الأول وعبد العزيز آل سعود .

(٣) ابن إياس، ج ٢ ص ١٠٤ (٤) الجبرى، ج ٢ ص ١٥٠

مدرسة صرغتمش

بشارع الخضرى^(٥)

الأمير صرغتمش — سيف الدين صرغتمش الناصرى من ممالك الناصر محمد بن قلاوون، اشتراه سنة بضع وثلاثين وسبعائة بثمان كبير وعينه جمدارا^(١). وفى دولة الملك المظفر حاجى بن محمد ابن قلاوون بدأ بنجه يتلألا، وظل يترقى حتى عين أميراً للطبلخاناه.

وفى سنة ٧٥٢ هـ (١٣٥١ م) رقى الى رأس نوبة كبير، وأعطى سلطة كبيرة^(٢). ثم زاد نفوذه فى دولة الصالح صالح، وانفرد بتدبير شؤون الدولة بعد الأمير شيخو.

ولما عاد السلطان حسن إلى ملك مصر ورأى تدخله وعظم نفوذه وتصرفه فى شؤون الدولة، قبض عليه فى ٢٠ رمضان سنة ٧٥٩ هـ (١٣٥٨ م) وحبس به بالإسكندرية، وبها مات فى شهر ذى الحجة سنة ٧٥٩ هـ (١٣٥٨ م) ثم نقلت جثته إلى قبة هذه المدرسة^(٣).

وكان أميراً حازماً، اشتغل بالعلم، وتفقه على مذهب الإمام أبى حنيفة وتمصب له. وكان يقرب علماء فارس ويجلهم إجلالاً زائداً.

تاريخ المدرسة ووصفها — أنشئت هذه المدرسة لصق الزيادة الغربية للجامع الطولونى. وبسببها سد بابان من أبواب هذه الزيادة.

وكان الفراغ من إنشاء المدرسة فى شهر ربيع الآخر سنة ٧٥٧ هـ (١٣٥٦ م). وهى من المدارس الجليلة التى أعدت لتدريس فقه السادة الحنفية.

ويصفها المقرئى بأنها جاءت من أبدع المباني وأجلها وأحسنها. واحتفل صرغتمش بافتتاحها بحضور الأمراء وقضاة القضاة الأربعة والعلماء، وعين أستاذ الفقه بها قوام الدين أمير كاتب الاتقانى، ورتب بها درسا للحديث النبوى، ورصد عليها أوقافاً منها مئنة حلقاً بالقرب من قناطر أبو منجا^(٤).

وكانت هذه المدرسة معقلاً لعلماء الحنفية وخاصة الفرس منهم فى القرنين الثامن والتاسع الهجرى (الرابع عشر والخامس عشر الميلادى). وتولى التدريس فيها علماء أجلاء أذكر منهم :

(*) انظر الصور من رقم ١٠٢ - ١٠٥ بمجموعة الصور التوثيقية.

(١) جام دار مركب من كلمتين : جام، أى مرآة، ودار أى حامل؛ فهو الذى يحمل المرآة أمام الملك ويثول خدمه حيناً يلبس. (٢) رأس نوبة. لقب لمن يثول رياسة الممالك. (٣) المقرئى، ج ٢ ص ٤٠٤ والدرر الكاشفة ج ٢ ص ٢٠٦ (٤) السلوك، ج ٣ ص ٣٦ مجلد ١ (٥) ابن دقاق، ج ٥ ص ٤٧

محمد بن قطلوشاه أرشد الدين المتوفى سنة ٧٧٥ هـ (١٣٧٣ م) . ومحمد بن أحمد التلمساني المتوفى سنة ٧٨١ هـ (١٣٧٩ م) ، ومولانا زاده أحمد بن أبي يزيد المتوفى سنة ٧٩١ هـ (١٣٨٩ م) ، وجلال الدين التيزي المتوفى سنة ٧٩٣ هـ (١٣٩١ م) ، وعبد الرحمن التفهني المتوفى سنة ٨٣٥ هـ (١٤٣٢ م) . ولما توفى العلامة قوام الدين الاتقاني دفن بالايوان الغربي بها .

وقد انفردت هذه المدرسة بمميزات معمارية قيمة . وكان لاهتمام المنشئ بالفرس وإكرامهم أثر كبير في التأثيرات الفارسية الملموسة في عمارتها مما يذهب بالظن إلى أن مهندسها كان فارسيا .

وللمدرسة وجهتان : إحداهما قبلية، وبها شبابيك المدرسة، وأسفلها دكاكين أمامها سلم يعرض ٤٦٠ متر يصعد منه إلى الرحلة أمام الباب الغربي للجامع الطولوني على ارتفاع عشرة أمتار .

ويرى مسيو باتريكولو الباشمهندس الأسبق للآثار العربية^(١) أن هذه المدرسة بنيت على أساس أبنية تسبقها في القدم ، سدت فتحاتها لتكون منها قاعدة قوية للأبنية التي أقيمت عليها على رسم مغاير لها في الشكل . وهذا يبدو جليا وبخاصة في هذه الوجهة .

والوجهة الثانية غربية وهي العمومية . وبطرفها القبلي القبلة، وهي بارزة عن بقية الوجهة . وقد فتح بقاعدتها شبابيك عليها مصبغات النحاس، تعلوها أخرى مغطاة بشراخ من الجص مفرغة برسوم هندسية متنوعة ، وتنتهي من أعلى بشرفة مسننة . وبطرفها القبلي المنارة ، ويجوارها الباب العمومي ، وقد حل عتبة بنقوش نباتية موزقة ومكتوب على جانبيه : ” أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة المقر الأشرف العالي المولوى العالمى العادلى الفاضلى السيفى صرغتمش رأس نوبة الملكى الناصرى [مربى العلـكـماء مقوى الضعفاء باني المدارس والمساجد فى ربيع الآخرة سنة سبع وخمسين وسبعائة“ .

وقد غطى الباب بمقرنصات جميلة ، ونقشت تواسيحه برسوم نباتية موزقة ، وهذا الباب يؤدى إلى دركاة بها على اليسار باب الميضأة ، وعلى اليمين باب يؤدى إلى سحرة كبيرة تطل على الوجهة ، ثم باب يصعد إليه ببعض درجات يوصل إلى داخل المدرسة .

وتصميمها من الداخل كبقية المدارس : أربعة إيوانات حول صحن مكشوف تتوسطه فسقية حولها ثمانية عمد رخامية، ليست هى بالفسقية القديمة . ولعل الباقي منها عمدها .

Compte Rendu du Comité de Conservation des Monuments de l'Art Arabe (١)

(1915—1919) p. 103—104.

(٢) فان برثم ج ٢ ص ٢٤٠ .

ويكتنف الإيوان الشرقى أربعة أبواب : آثنان منها لخلوات ، والآخراثن يوصلان إلى المدارس ، كما يكتنف كلا من الإيوانين القبلى والغربى أربع خلوات . ويكتنف الإيوان البحرى أربعة أبواب .

وعقود هذه الأبواب فارسية الطراز ومكسوة بالرخام الأبيض والأسود . وهذه الكسوة طارئة عليها ؛ لأنه تبين أن فتحاتها كانت معتبة وأوسع مما هي عليه الآن .

ويستريح النظر فى الإيوان الشرقى أشتماله على مميزات نماذجها قليلة : أولها القبة فوق المحراب ؛ فهى أول قبة باقية فوق محراب مدرسة ، وقد هدمت القبة فى وقت ما ، وأعادت بناءها إدارة حفظ الآثار العربية سنة ١٩٤٠ طبقا لصورة فوتوغرافية قديمة لها . ولها مقرنصات خشبية . وهذا الإيوان ينقسم الى ثلاثة أقسام ، أكبرها أوسطها وتعلوه القبة .

وثانيها وجود فتحتين فى كل من جانبيه اقتبستا من مدرسة قلاوون وخانقاه ببيرس كما اقتبسهما بعد ذلك مهندس مسجد أبلجى اليوسفى .

وعلى جانبي المحراب بقايا وزرة مكونة من ألواح رخامية منها آثنان تتوسطهما بخارية بهارنكه^(١) ، ومحاطة بخاراف موزقة ومكتوب بهوسهما : ”عما عمل برسم المقر العالى السيفى الملكى الناصرى صرغتمش أسبغ الله ظلالة“ كما يوجد لوح آخر اشتمل على بخارية بوسطها فنذيل . وبها زخارف موزقة وعناقيد عنب بأوراقها . وتوجد دائرة رخامية زخارفها بارزة موزقة مذهبة حولها أربعة نواشيع من الرخام الملون .

ونقل الى دار الآثار العربية تسعة ألواح من وزرة هذه المدرسة ودائرة مثل التى بها الآن . ومنقوش على بعض هذه الألواح نقوش عربية على هيئة أوراق مفترغة ، وعلى البعض الآخر أوراق مصمتة . كما يوجد على البعض عدا الزخارف النباتية صور تمثل بعض الأواني ، ويدان قابضتان على غصنين ، ومشكاة ، وبعض الطيور .

ونقل الى مسجد قانى باى المحمدى القريب من المدرسة لوحان بهما نقوش وبخاريات .

وأثناء إصلاح الأرضية الرخامية بالصحن سنة ١٩٤٥ وجد لوح كبير به عناقيد عنب بأوراقها ، تتخلله فروع زخرفية ، وتتوسطه زهرية تتفرع منها فروع نباتية بأوراقها . وبأسفله صور حيوانات متقابلة .

وجود حيوانات وطيور في وزرة مسجد ، ظاهرة غريبة لعلها الأولى في مثل هذا الوضع ، لأنه وجدت رسوم حيوانات وطيور حول ساسيلات الأسبلة الملحقة بالمسجد وفي سماعات بعض الأبواب النحاسية .

كما وجدت بهذه الأرضية دوائر منقوشة وأخرى مكتوب عليها : ” عز لمولانا السلطان الملك المظفر العالم “ ولاشك في أنها كانت بالوزرة .

وهذه المجموعة تعطى فكرة عن مقدار رقي صناعة الرخام في هذه المدرسة مما دفع ابن الصائغ الشاعر الى أن يصفها بقوله :

لينك يا صرغتمش ما بنيتنه * لأثراك في دنياك من حسن ببيان
به يزدهي الترخيم كالزهر بهجة * فله من زهر والله من باني^(١)

والحراب من أشرطة رخامية ماونة ، وبعضها به نقوش موزقة ، وطاقيته منقوشة ومكتوب عليها آية الكرسي ، يحاوره منبر مجمع مكتوب عليه : ” أنشأ هذا المنبر من فضل الله تعالى قيومي أحمد كتحداي عزبان عمره الله سنة ١١١٨ هـ “ .

ويحيط بجدران الإيوانات والصحن إزار خشبي . وبسقف الإيوان القبلي بقايا زخرف وكتابات تنفي عما كانت عليه سقف المدرسة من جمال ، وكذلك حليت معابر الأبواب والنداليب بزخارف محفورة ورنك المنشي .

وفي الركن القبلي للإيوان الغربي باب القبة ؛ وهي على مثال القباب السمرقندية ، لها رتبة مستطيلة أحيطت بأفرز منقوش ومكتوب . وهذا النوع من القباب نادر بمصر وظهر لأول مرة في هذه المدرسة ، إذ تتكوّن القبة من غطاءين . فالقبة يبدأ تكويرها من الداخل ابتداء من عقد شباك الرتبة ، بينما يبدأ تكويرها من الخارج على مسافة كبيرة من عتب الشباك المذكور . ولهذا القبة نظير آخر أرق منها وهو قبلة خانقاه خوند سمرا بصحراء السيوطي ، وقبة يونس الدوادار بالخطابة ، ويحيط برقبتهما شبابيك جصية وجدرانها مؤزرة بالرخام . ويتوسط هذه القبة تركيبة رخامية تعتبر نموذجا راقيا جدا لهذا النوع من التراكيب ، تحتها قبر المنشي وأبنة الأمير إبراهيم المتوفى سنة ٧٧٠ هـ (١٣٧٨ م)^(٢) .

وبهذه القبة إيوان فربى على جزء منه مقصورة من الخشب انخرط ، له سقف من مصلبات صغيرة .

ويوجد بحرى الإيوان الغربى حجرة مستطيلة بها سقف حافل بالنقوش الملونة والمذهبة .

وقبل مغادرة المدرسة نلقى نظرة على منارتها ، وهى منارة رشيقة مبنية بالحجر ارتفاعها — عن

(١) حسن المحاضرة ، ج ٢ ص ١٩٢ طبع الوطن . (٢) السلوك ، (النسمة القوتوغرافية) ج ٣ مجلد ١ ص ٦٨

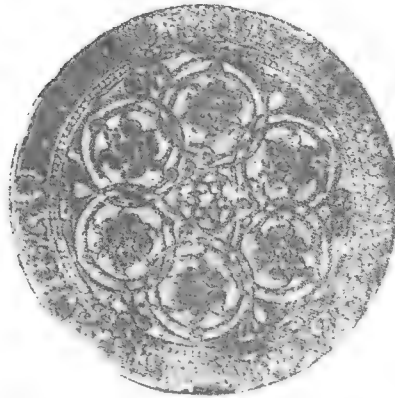
مستوى الطريق الى قمتها — أربعون مترا ، ومن سطح الجامع الى تلك القمة ٢٤/٦٠ مترا مكوّنة من ثلاث طبقات : أولاها السفلى التي تعلو سطح الجامع مئنة . ومثلها الطبقة الثانية . أما الدورة الثالثة فتشتمل على عمدة رخامية تحمل مقرنصات لطيفة فوقها خوذة منقوشة .

ويستريح النظر فيها تليس الحجر الأحمر في الأبيض على شكل دالات بدورها الثانية وهو من مميزات منارات هذا العصر . وثمة ميزة أخرى وهى اقتصارها على شرفة واحدة (بالكون) فى أحد أضلاع قاعدتها الأولى ، بينما المألوف وجود أربع منها . وقد سبقها فى ذلك منارة مسجد الناصر محمد بالقيلة ومناراتا خانقاه ومسجد شيخو .

وقد طرأ عليها خال فقامت إدارة حفظ الآثار العربية بفكها وأعادت بناءها فى سنة ١٩٣٤ ، ثم أنشأت دارا صغيرة بجوارها لتجميل المنطقة .

وفى عهد الملك الصالح فاروق الأول أعيد بناء القبة أعلى المحراب وأصاحت الأرضية الرخامية بالصحن .

وما زالت المدرسة فى حاجة الى إصلاحات أخرى فى الأجزاء الملحقه بها .



دائرة رخامية من الوزرة

مدرسة السلطان حسن

بميدان صلاح الدين^(١)

السلطان حسن — السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون ولد في سنة ٧٣٥ هـ (١٣٣٤ م) . وسمى أولا قماري^(٢) ، ولما ولي ملك مصر اختار اسم حسن فعرف به . ولي الملك في ١٤ رمضان سنة ٧٤٨ هـ (ديسمبر سنة ١٣٤٧ م) . وعمره ثلاث عشرة سنة . ولصغره ناب عنه في إدارة شؤون الدولة الأمير بيغا روس نائب السلطنة ، وأنتم على الأمير منجك اليوسفي وعين في الوزارة والأستادارية^(٣) .

وفي سنة ٧٥١ هـ (١٣٥٠ م) . أثبت القضاة أنه بلغ سن الرشد . وقبض على الأميرين منجك وبيغا روس ، مما دعا الأسراء الى التآمر عليه وإقصائه عن الملك في ١٧ جمادى الآخرة سنة ٨٧٥٢ هـ (١٣٥١ م) . واعتقاله في الدور السلطانية وتعيين أخيه الملك الصالح صالح .

وفي الثاني من شهر شوال سنة ٧٥٥ هـ (أكتوبر سنة ١٣٥٤ م) . أعيد الناصر حسن الى ملك مصر فاستبد بالملكة وصفت له الدنيا ولم يشاركه أحد في الحكم ، فبالغ في أسباب الطمع الى سنة ٧٦٢ هـ (١٣٦٠ م) . حيث تزايد سلطانه وكثرت مماليكه . وأهدى إليه بعض ملوك اليمن خيمة غريبة الشكل تتكون من قاعة وحمام عملة بالنقوش .

ومن أجل تغير الجو في مصر خرج مع حاشيته الى ضواحي البحيرة فأقام بها ثلاثة أشهر . وفي هذه الفترة أشتدت الفتنة بينه وبين الأمير يلغا الخاصكي ، وحاول السلطان حسن الفتك به فلم يوفق ، فهاجمه يلغا في القلعة فهرب السلطان حسن ، ثم قبض عليه وعلى من معه جهة المطرية ، وذلك في جمادى الأولى سنة ٧٦٢ هـ (١٣٦١ م) . وهنا يقول أغلب المؤرخين : كان هذا آخر العهد به ، وقيل : إنه خنق وألقي به في البحر ولم يعرف له قبر .

ويقول المقرئى : إنه دفن في مصطبة كان يركب عليها من داره بقلعة الكيش . كما قيل : إنه دفن بكيمان مصر وأخفى قبره . وتبعه في الأخذ برواية دفنه في مصطبة داره ابن أبي الفلاح^(٤) المؤرخ . كان رحمه الله ملكا حازما شجاعا متزها عن كثير من نقائص الممالك . وكان ينفر منهم ويقرب غيرهم من أبناء الأسر ويعينهم في حاشيته .

(٥) انظر الصور من رقم ١٠٦ — ١١٤ مجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) الدرر الكامنة ، ج ٢ ص ٣٨ (٢) المقرئى ، ج ٢ ص ٣١٧

(٢) السلوك ، ج ٣ ص ٢٦ — ٢٧ النسخة الفوتوغرافية . (٤) شذرات الذهب ، ج ٦ ص ١٩٦ — ١٩٧

مدرسة السلطان حسن — إن حق لمصر الفرعونية أن تفخر بأهرامها فإن لمصر الإسلامية أن تقيه عجا بمدرسة السلطان حسن التي لا يماثلها بناء آخر في الشرق بأجمعه ؛ فقد جُمعت شتى الفنون فيها .

ويعرف موقعها قديما بسوق الخليل، وكان به قصر من أجل القصور، أمر بإنشائه الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٣٨ هـ (١٣٣٧ م) لسكنى الأمير يلغا إلجياوى . وقد بقي هذا القصر حتى هدمه الملك الناصر حسن وبني محله هذه المدرسة . ففى سنة ٧٥٧ هـ (١٣٥٦ م) بدأ هذا السلطان فى بنائها وعنى بها عناية شديدة واستمرت العمارة جارية فيها مدة حياته، وكان يصرف عليها بسطاء عظم . ونسب الطواشى مقبل الشامى الى السلطان حسن أنه قال : « لولا أن يقال إن ملك مصر عجز عن إتمام بناء بناه لتركت بناء هذا الجامع من كثرة ما صرف عليه » . وليس بمستبعد أن يقول هذا ؛ فالبناء شاخ يدل على العظمة والجبروت وعلى المقدرة الفنية ، كما ينم عن كثرة النفقات . وقد ابتكر مهندسه فى هذا البناء الضخم زخارف دقيقة وكتابات ونقوشا ونحاسا مكفئا آية فى الحسن والبهاء . ويصفه المقرئى المؤرخ بقوله : « فلا يعرف فى بلاد الإسلام معبد من معابد المسلمين يحاكي هذا الجامع وقبته التي لم يبن بديار مصر والشام والعراق والمغرب^(١) واليمن مث لها » .

وقد أجمع على هذا رأى جميع المؤرخين والرحالة الذين زاروها، فيقول عنها ابن تغرى بردى « إن هذه المدرسة ومثلتها وقبتها من عجائب الدنيا، وهى أحسن بناء بنى فى الاسلام^(٢) » .

ويقول عنها غرس الدين خليل بن شاهين الظاهرى المتوفى سنة ٨٧٣ هـ (١٤٦٨ م) ما ملخصه : « ليس لها نظير فى الدنيا؛ فقد حكى أن الملك الناصر حسن لما أمر بعمارها طلب مهندسين من أقطار الأرض وأمرهم بعمارة مدرسته — ولم يعمر أعلى منها — فعمرت وعمر بها أربع منارات وقيل : ثلاث فى ارتفاع المدرسة أيضا؛ ثم هُدم بعض المنارات واستمرت الآن على اثنتين، وهى عجيبة من عجائب الدنيا » .

ووصفها السلطان سليم^(٣) وقد زارها سنة ٩٢٣ هـ (١٥١٧ م) بقوله : هذا جصبار عظيم .

ويقول الوريثيلى الرحالة المغربى — وقد زار مصر فى القرن الثانى عشر الهجرى، (الثامن عشر الميلادى)^(٤) — : « إنه مسجد لا ثانى له فى مصر ولا فى غيرها من البلاد فى نخامة البناء ونباهته ،

(١) المقرئى، ج ٢ ص ٣١٦ (٢) منتخبات من حوادث الدهور، الفصل الثانى ص ٢١٩

(٣) زبدة كشف المالك لفرس الدين، ص ٣١ (٤) أخبار الأول ص ١٢١ (٥) الرحلة الوريثيلى،

وارتفاعه وإحكامه، واتساع حناياه وسعة أبوابه كأنه جبال منحوتة، تصفق الرياح في أيام الشتاء بأبوابه كما تفعل في شواهي الجبال . وفي أحد أبوابه سارية رخامية لطيفة يقال إنها من إيوان كسرى؛ وفيها نقوش عجيبة^(١) .

ويصفه عبد الغنى النابلسي^(٢) - وقد زاره سنة ١١٠٥ هـ (١٦٩٣ م) فيقول - : « إن هذا الجامع من أعظم الجوامع على شكل القاعة العظيمة ، ونظرنا الى إيوانه القبلي الذي فيه المنبر والمحراب فإذا هو إيوان كبير عظيم » .

وقد أحصى هرتس باشا أقوال الرحالة والمؤرخين الأجانب في هذا المسجد فنقتطف منها ما يأتي :
بيترودي لافاللي سنة ١٦١٦ م : « وتجاه القلعة جامع لم أر أجمل منه منظراً ، ولا أبعد منه شكلاً^(٣) . وأحسن ما راقني منه قبته وشكلها الغريب التي لم أشاهد مثلاً ، فأنك بينما تراها ضيقة من الأسفل لتسع في عينك كلما تملو ثم تأخذ في الضيق على هيئة بيضة الدجاج » .

مسيو تيشنو - وقد جاء مصر سنة ١٦٥٧ م ووصفه في رحلته ببلاد الشرق ص ٢٦٦ :

« هذا الجامع متقن البناء عظيم الارتفاع وكله مبنى بحجر الآله » .

كتاب وصف مصر للعملة الفرنسية : « إنه جامع جميل بل من أجمل مباني القاهرة بل الدولة المصرية بأسرها » . وقد بالغ واضع هذا الفصل في ضخامة قبته وارتفاع منارتيه ، وذكر الكتابات المنقوشة على جدرانها فقال : « إنها ملونة بألوان شتى . وأشار الى المصابيح الجميلة المعلقة في عقود إيوانه وفي قبة التربة ... » .

وقد غنى حضرة الأستاذ الخليل مسيو جاستون ثيت مدير دار الآثار العربية بجميع طائفة كثيرة من تلك الآراء في بحثه الذي نشره تحت عنوان جامع السلطان حسن ، وأبدأ بفقرات من وصفه له :
« وقد يكون في وصف الجامع وصفا مسهباً ما يدعو الى السآمة والملل بالرغم من أن الجزئيات تشترك في إبراز الكليات . ولكن هذا الأثر بحاجة الى قلم بليغ وأسلوب شاعري حتى يمكن إبراز دقائقه وجزئياته حتى لا يكون ما يراه القارئ قاصراً على هذه الجزئيات فحسب ، وإن كانت بعض هذه الجزئيات غاية في الطرافة والابتكار وكأنها بيوت شعر من قصيدة عصماء . والفنان في هذا الجامع لم يوجه همه الى الزخرفة كعادل جوهري في العمارة بل اقتصد فيها وسيطر عليها وأخضعها للكل فأذت أغراضها . وقد يكون هذا الجامع هو الوحيد بين جوامع القاهرة الذي

(١) الرحلة الوريثانية ص ٢٦٥ (٢) الحقيقة والمجاز ص ١٠٣ (٣) تاريخ جامع السلطان حسن ص ١٥ - ١٦

(٤) نشره في (Lu Revue du Caire) ومزجه الأستاذ محمد دهمي ، ونشر في المقتطف .

يجمع بين قوة البناء وعظمته ورقة الزخرفة وبجمالها . وأثره قوى في نفوسنا إذ له خصائصه التي لا يشترك معه فيها غيره . إن جامع السلطان حسن هو العمل العظيم في الإسلام الذي روعى في تشييده متانة البناء ، فهو كالمعابد القديمة يتحدى الزمن وينطبق عليه ما تخيله شاعر عربي من أن الزمن هو الذي يقاوم قوة هذه المباني الضخمة . ولا ريب في أن هذا البناء العالى الشهرة والعظيم القيمة رمز لمجد الإسلام وقوته وعظمته مقترنة معترف بها » .

وقال إيرس « إن كل ما نراه في الجامع مركب في مكانه تركيبا هادئا منسججا ، فإذا أمعنت النظر في زخارف إيوان القبلة وقاعة القبر جزءا جزءا أحسست إحساس الرضا . فهناك ثروة فنية وأشكال رشيقة بأربعة » .

وكتب جومار في كتاب وصف مصر : « إنه من أجمل مباني القاهرة والإسلام ، ويستحق أن يكون في الرتبة الأولى من مراتب العمارات العربية بفضل قبته العاليه ، وارتفاع مئذنتيه وعظم اتساعه ونخامه وكثرة زخارفه التي تكسو الأرضية والحيطان في أوضاع بسيطة خاصة بهذه العمارات ، كما أن خشوات الخشب والبرونز التي تكسو الأبواب الخشبية والنحاسية محفورة حفرًا فنيًا » .

وكتب عنه المصور لينوار : « إن جامع السلطان حسن المملوك يشرف على القاهرة كلها ، وأسلوب بنائه من أرق الأساليب الممارية ، ومساحته عظيمة ؛ ولذا يمتد أجمل جامع في الشرق كله بسلا نزاع » .

وقال آرثر روني : « إن العبقرية هي التي أتاحت لصاحبها السيطرة على الأشكال التقليدية أو الهندسية فيث فيها روحا من عنده ؛ فلكل زخرفة في جامع السلطان حسن طابع خاص تمتاز به عن سواها من زخارف الأبنية الأخرى » .

تصميم المدرسة — وقد وضع تصميمها على طريقة التعمد (Cruciforme) التي تشمل على أربعة إيوانات يتوسطها صحن مكشوف . وكان المقر في مشروع بنائها أربع منارات فرغ من بناء ثلاث : منها اثنتان تكتنفان القبلة بالوجهة الشرقية ، والثالثة كانت على الكتف الأيمن للباب العمومي ، وقد سقطت يوم السبت ٦ ربيع الآخر سنة ٧٦٢ هـ (١٣٦١ م) فأبطل السلطان حسن بناء المائة الرابعة التي كان مقررا لها الكتف الأيسر للباب المذكور ، وأكتفى بالمنارتين . وفي شهر جمادى الأولى سنة ٧٦٢ هـ (١٣٦١ م) قتل السلطان حسن ، وكانت المدرسة كاملة هذا بعض أعمال تكميلية أتمها من بعده الطواشي بشير الجمدار .

أعمال بشير الجمدار — قد قام الطواشي بشير بأعمال تكبيلية كثيرة بهذه المدرسة دون أن يتمها أيضا. منها أعمال الرخام بالوزرات والأرضيات، ولذلك نراها بسيطة ويدخل فيها الكسوة الرخامية لأبواب المدارس بالصحن، ولذلك يقرأ على كل منها ما نصه :

”بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة مولانا السلطان الشهيد المرحوم الملك الناصر حسن ابن مولانا السلطان الشهيد المرحوم الملك الناصر محمد بن قلاوون وذلك في شهور سنة أربع وستين وسبعائة“ . (مع ذكر المذهب المخصصة له المدرسة : المذهب الشافعي أو المذهب الحنفي الخ) ويستعنى النظر فيها مزارقاتها وتطعيم القاشاني والتفيس المكتوب فيه لفظ الجلالة . كما أتم قبة النسقية بالصحن سنة ٧٦٦ هـ (١٣٦٤ م) ، وهي قبة خشبية أقيمت على ثمانية عمد وخامية وكتب بدائرها آية الكرسي وتاريخ الفراغ منها سنة ست وستين وسبعائة .

وعمل المصراعان النحاس للباب الكبير الموجود الآن في جامع المؤيد؛ إذ يقرأ عليهما ما نصه : ”أمر بإنشاء هذا الباب المبارك العبد الفقير الى الله تعالى مولانا السلطان الشهيد أبو المعالي حسن ابن مولانا السلطان الشهيد الملك الناصر محمد بن قلاوون وذلك في سنة أربع وستين وسبعائة“ .

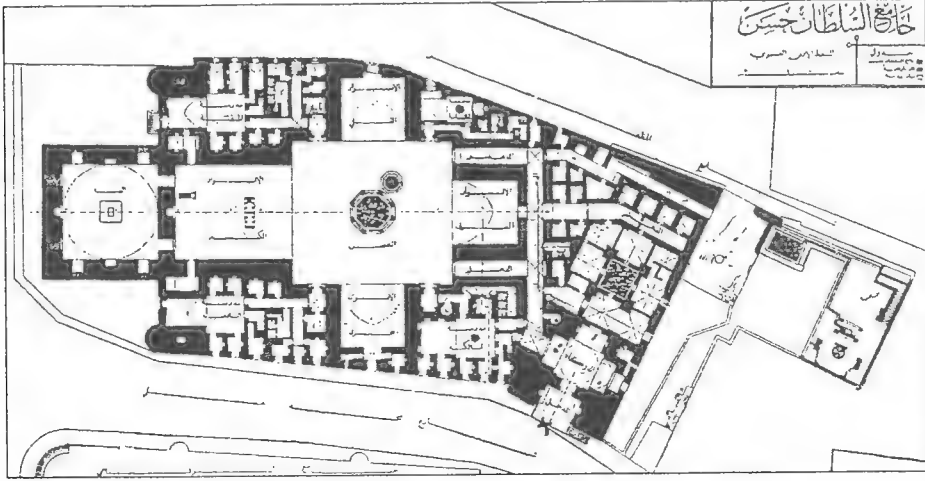
كما أتم بناء القبة الكبيرة وكتب بأفرزها آية الكرسي ، ثم : ”وكان الفراغ من هذه القبة ، المباركة في شهور سنة أربع وستين وسبعائة“ . والمرجح أنه لم يتم بناء القبة ، كما كان مقررا لها ، ببناء عظيم يتناسب مع الجدران الضخمة التي أعدت لحملها ، بل أقامها من الخشب وغطاها بالواح من الرصاص . وعلى ذلك تكون هذه رابع قبة خشبية كبيرة في مصر؛ إذ الأولى قبة الإمام الشافعي ، ثم قبة مسجد الظاهر بيبرس البندقداري ، قبة الناصر محمد بن قلاوون بالنحاسين .

هذه هي أعمال بشير الجمدار — أما الزخارف وبقية أعمال الرخام بالوجهات فقد تركها دون أن يتمها كما تركها السلطان حسن .

غير أن وفاة السلطان حسن قبل إجراء باقي الأعمال التكبيلية ليس معناه أن المدرسة لم تفتح في حياته ، فقد احتفل السلطان حسن بافتتاحها وصلى بها الجمعة وأنعم على البنائين والمهندسين ، وأقيمت بها الدروس في حياته أيضا . كما حرر لها وثيقة مؤرخة في شهر رجب سنة ٧٦٠ هـ (١٣٥٩ م) ، ورصد عليها وعلى غيرها عقارات وأراضى تنال للصرف عليها ، وعين بها الموظفين والقراء ، وفرشها وعلق بها الثريات والمشكوات الجميلة ، وعين لها إماما .



وصف المدرسة — إن المطلع على رسم هذه المدرسة يرى في وضعها بعض آزرار ، بل يصعب عليه تحديد شكلها . وغاية ما انتهى إليه الوصف أنه شكل كثير الأضلاع . وتبلغ مساحتها ٧٩٠٦ متر مربع ، إذ امتداد أكبر طول ١٥٠ متر ، وأطول عرض ٦٨٠ متر ، ولها أربع وجهات : شرقية وبها القبة ومئذنتان أقدمهما القبليّة ؛ ويبلغ ارتفاعها عن صحن الجامع ٨١٫٦٠ ، وبحرية وقد سقطت سنة ١٠٧٠ هـ (١٦٥٩ م) وجددت في عمارة إبراهيم باشا سنة ١٠٨٢ هـ .



مسقط أفق (عن هرتس باشا)

وقد حليت أعتاب شبابيك القبة بمقرنصات وعقود غربية ، كما طعّمت بأشرطة من القاشاني . وحليت نواصيا بعمد من الحجر ظريفة بها كتابات كوفية . ويتجلى منظرها من ميدان صلاح الدين ومن أعلى القلعة .

وأخرى قبليّة بها شبابيك مدرستي الحنابلة والحنفية ، وغربية وتحتها دورة المياه ، وأمامها الساقية التي كانت توصل المياه إلى المدارس وإلى المسجد بواسطة مجرة على كوابيل بالوجهة القبليّة . وبحرية ويبلغ ارتفاعها عند الباب ٣٧٫٧٠ وهي الوجهة العمومية ، وبطرفها الغربي الباب العمومي ، وهذا الباب طرفة أثرية ؛ فقد حلّ من جانبيه بالزخارف المتنوعة الممتدة إلى أعلى . وأكثرها لم يتم إلى الآن . كما أن أجزاء كثيرة في الباب والوجهات كان مزمعا تلبسها بالرخام ولم يتم . ويكتنف هذا المدخل حنيتان برأسيهما مقرنصات لبستا بالرخام الأخضر بأشكال هندسية وكتب أعلاهما بالخط الكوفي المزهر قوله تعالى : ” إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله “ ، يعلوهما تربيعتان كتب على احداهما بالكوفي المربع ” لا إله إلا الله محمد رسول الله “ وبالأخرى : ” أبو بكر . عمر . عثمان . علي “

وقد كان لهذا الباب مصراعان من الخشب مغشيان بالنحاس من أنفاس الأبواب النحاسية ، نقلهما السلطان المؤيد شيخ إلى مسجده بالسكرية سنة ٨١٩ هـ (١٤١٦ م) . ويغطي هذا الباب مجموعة كبيرة من المقرنصات رأينا هرتس باشا يأخذ على مهندسها بعض الهفوات في وضعها . ويحلى نهاية الوجهات مقرنصات بإرتفاع ستة مداميك ، وبرزت بمقدار ١٫٤٠ أضيفت إليها شرفة موزقة في وقت ما قامت إدارة حفظ الآثار العربية بإزالتها من الوجهة البحرية .

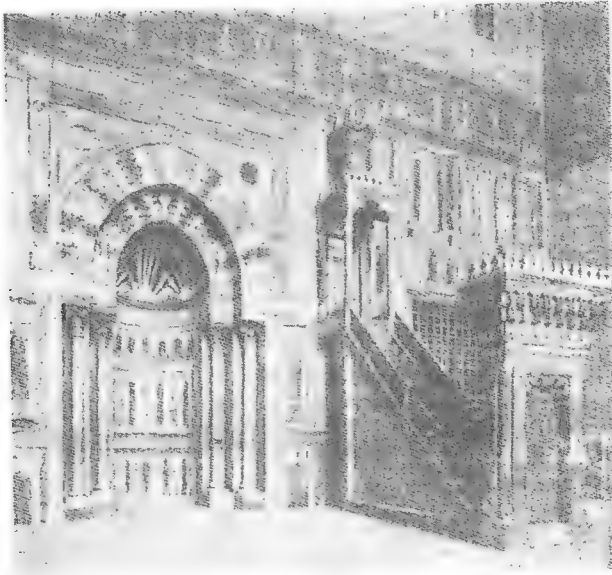


الباب العام

ويقتر هرتس باشا أن زخارف هذا الباب الكثيرة لا نظير لها في الديار المصرية ، وأن أمثالها كثيرة الوجود في آثار آل ساجوق التي تمتاز الأبواب فيها عن باقي البناء بكثرة زخارفها .

وهذا الباب يؤدي إلى مدخل مربع الشكل مكون من ثلاثة إيوانات مغطاة بمقرنصات يتوسطها قبة ملبسة بالجر الأحمر ، وبصدر هذا المدخل مسطبة حلى صدرها بالرخام الملون الملبس في الرخام الأبيض ، وشباك من الجص ودوائر ومستطيلات زخرفية دقت في الحجر لاتقل دقة عن الأويمة في الخشب أو الجص ، ومن هذا المدخل يتوصل إلى سلم ذي خمس درجات يؤدي إلى دهليز معقود

ينتهي دفعة واحدة إلى اليسار وينتهي إلى صحن كبير مفروش بالرخام المأون مساحته ٣٤,٦٠ متر في ٣٢,٠٠ متر، يتوسطه فسقية تعلوها قبة محمولة على ثمانية أعمدة مكتوب بدورها آية الكرسي وتاريخ الفراغ منها ، وبها تاريخ عمارة أجريت بها سنة ١٠٨٨ هـ (١٦٧٧ م) ، وحول الصحن أربعة إيوانات أكبرها إيوان القبلة ، وهو إيوان كبير لا نظير له في سعته وارتفاعه ، إذ تبلغ فتحته ١٩,٢٠ ، يحيط به إفريز نادر من الجص مكتوب عليه بالخط الكوفي المزهر مانصه : ”أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم . إنا فتحنا لك فتحا مبينا - إلى قوله تعالى : فوزا عظيما“ ، ويتخلل الكتابة زخارف دقيقة ، ويتوسطه دكة من الرخام يلفت النظر فيها تلييس عمد الرخام المأون في نواصيها ، وبصدره المحراب المغشى بالرخام المأون والمحلى بزخارف موزقة تتخللها عناقيد العنب . ويجاور المحراب منبر من الرخام له باب من النحاس المفتوح ، ويكتنف المحراب بابان يوصلان إلى القبة خلف المحراب أحدهما قبلي مغشى بالنحاس المكثف بالذهب وعليه أسم السلطان حسن ، والآخر فقدت كسوته . وعلى جانبي المحراب لوحان مكتوب عليهما : ” جدد هذا الميكان المبارك حسن أغا خزیندار - الوزير إبراهيم باشا بيد الفقير محمد سنة ١٠٨٢ “ .



المحراب والمنبر

والقبة مربعة طول كل ضلع من أضلاعها ٢١,٠٠ متر ، وارتفاعها إلى ذروتها ٤٨,٠٠ متر ، وبها محراب من الرخام محلى بزخارف دقيقة ، ووزرة مرتفعة نحو ثمانية أمتار ، تعلوها إفريز خشبي به كتابة بارزة نصها : ” بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا هو الحى القيوم “ - الآية - ” وكان

الفراغ من هذه القبة المباركة في شهور سنة أربع وستين وسبعائة وصلى الله على محمد . يعلو ذلك شبايبك ودوائر حصية ومقرنصات خشبية محلاة بزخارف ملونة ومذهبة . وغطاء القبة الحالى ليس هو القديم ؛ فقد كانت القبة خشبية مكسوة بالرخام .

وقد زار مصر السائح بيترودى لأفالليه وكتب رحلته سنة ١٠٢٥ هـ (١٦١٦ م) . ومن وصفه للقبة يعتبر طرازها كطراز القباب السمرقندية ؛ كذلك ذكر بريس دثين أن القبة سقطت سنة ١٠٧١ هـ (١٦٦١ م) ، وكانت أعظم ارتفاعا ، وباطنها حافلى بالنقوش . وقد جددتها إبراهيم باشا سنة ١٠٨٢ هـ (١٦٧١ م) ، وهى محاطة من الخارج بدعامات أسطوانية الشكل ، ويتوسط القبة تركيبة من الرخام كتب عليها أنها أنشئت سنة ٧٨٦ هـ (١٣٨٤ م) برسم تربة السلطان السعيد الشهيد الملك الناصر حسن وذريته . ولكن السلطان حسنا لم يدفن فيها كما شرحناه في ترجمته ودفن فيها ابنه الشهاب أحمد المتوفى في ١٤ جمادى الآخرة سنة ٧٨٨ هـ (١٣٨٦ م) . وقد أودع بهذه القبة كرسى المصحف المكون من حشوات سن وآبنوس وخشب دقت بالأويزة الدقيقة .

ووضع القبة خارجا عن سمت جدار المحراب وخارجا عن المسجد يعتبر وضعا شاذا سبقه فيه المشهد الحسينى ، ونسج على منواله فيما بعد فى مساجد أمير حسين والمحمودية وألتي يروق بمصر وبعض مساجد الوجه البحرى . ويتبدل من عقود الإيوانات مجموعة من السلاسل النحاسية كانت معدة لحمل مشكاوات زجاجية مشغولة بالملينا وعليها آسم السلطان حسن ، وقد حفظ ما تبقى منها وعددها ٣٤ صياحا مع ثريتين من النحاس بدار الآثار العربية إحداهما باسم الأمير قوصون . وبمناسبة الثريات النحاسية (التناير) الخاصة بالمسجد أذكر أن الملك المؤيد شيخ . كان نقل إحداهما إلى مسجده مع الباب النحاسى .

ويحيط بالصحن أربع مدارس للأذهاب الأربعة تعتبر من تصميمها مساجد صغيرة محدة بالجامع الكبير ، أكبرها المدرسة الحنفية ؛ إذ تبلغ مساحتها ٨٩٨ متر ، ويتكوّن كل منها من إيوان وصحن لتوسطه فسقية ، ثم طبقات بعضها فوق بعض تشرف على صحن المدرسة وعلى الوجهات . وبقاى فى اثنتين منها طراز جصى مكتوب بالخط الكوفى على مثال الإيوان الشرقى ، أحدهما فى مدرسة المالكية ومكتوب فيه : ” بسم الله الرحمن الرحيم الذين إن مكّاهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمرؤا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور ، اللهم أكثر الخير وأتبع العطا نسالك وأنت خير مسئول دوام دولة من أسس هذا الخير وأصله مولانا السلطان الأعظم الما ... والمساكين ... يته ... فى عقبه ... “ .

نظام المدارس : وقد قزر السلطان حسن^(١) لهذه المدارس مدرسين ومراقبين وعين لهم مرتبات تنبها فيما يلي :

قزر لكل مذهب من المذاهب الأربعة شيخا ومائة طالب ، من كل فرقة خمسة وعشرون متقدمون وثلاثة معيدون ، وعين مدرسا لتفسير القرآن ، وعين معه ثلاثين طالبا عهد الى بعضهم أن يقوموا بعمل الملاحظة ، وعين مدرسا للحديث النبوي ، ومقرنا لقراءة الحديث ، وثلاثين طالبا يحضرون يوميا عهد الى بعضهم أن يقوموا بوظيفة النقيب والبعض الآخر يقوم بوظيفة داع للسلطان عقب الدروس . ثم عين بالإيوان القبلي بالجامع شيخا عالم مفتيا ، ورتب معه مقرنا مجيدا للقراءة على أن يحضر أربعة أيام من كل أسبوع ، منها يوم الجمعة فيقرأ المقرئ ما ينسر من القرآن وما ينسر من الحديث الشريف ، وعين مدرسا حافظا لكتاب الله عالم بالقراءات السبع ليجلس كل يوم ما بين صلاة الصبح والزوال بالإيوان القبلي ، وقارنا آخر يجلس معه ليلقن القرآن لمن يحضر عنده ، ثم عين اثنين لمراقبة الحضور والغياب ، أحدهما بالليل والآخر بالنهار . وأعد مكتبة عين لها أمينا ، وألحق بالمدرسة مكتبتين بمدرسيهما لتعليم الأيتام القرآن والخط ، وقزر لهم الكسوة والطعام ، فكان إذا أتم اليتيم القرآن حفظا يعطى خمسين درهما ويمنح مؤذبه خمسين درهما مكافأة له .

وعين طينين مسلمين أحدهما باطنى والآخر للعيون ، يحضر كل منهما كل يوم بالمسجد ليداوى من يحتاج الى علاج من الموظفين والطلبة ، ورتب طبيبا ثالثا جراحا : وقد أُرصد في وقفه مرتبات الأساتذة والطلبة والموظفين . وقيمة ما يصرف لهم من المال كل ليلة جمعة وما يصرف لهم في الأعياد .

المدرسة كقلعة — لوقوع هذه المدرسة أمام قلعة الجبل اتخذها المماليك حصنا لهم يدافعون به عن أنفسهم أماءها ، فحينما تقع فتنة بينهم يصعد الأمراء وغيرهم الى أعلى مدرسة السلطان محسن ويضربون القلعة . ففى سنة ٧٩١ هـ (١٣٨٩ م) نصبت مكحلة^(٢) أعلى المدرسة رعى بها على باب السلسلة فهرب المماليك . ولما تكررت هذه الحوادث أمر السلطان الظاهر برقوق في ٨ صفر سنة ٧٩٣ هـ (١٣٩١ م) بهدم السلم الموصل الى سطح المدرسة وسد ما وراء الباب النحاسي الكبير^(٣) ، ثم فتح شباك من شبابيك المدرسة يوصل الى داخلها .

وفى شهر رمضان سنة ٨٢٥ هـ (١٤٢٢ م) صُرح بالأذان في المنارتين وأعيد بناء الدرج والبسطة وركب باب بدل الذى أخذه المؤيد شيخ .

(١) الخطط الجديدة ج ٤ ص ٨٤ — ٨٥ (٢) ابن اياس ج ١ ص ٢٧٨ والمكحلة (مدفع) .

(٣) القرىزى ، ج ٢ ص ٣١٦

ولما عاد الأمراء الى مهاجمة القلعة من منارة المدرسة أمر السلطان أبو سعيد جقمق بهدم^(١) السلام الموصلة الى المنارات ، وذلك في سنة ٨٤٢ هـ (١٤٣٨ م) .

وفي ٢٩ ذى الحجة سنة ٨٥٨ هـ (١٤٥٤ م) عهد السلطان أبو النصر اينال الى المهندسين بفحص المنارة القبلية للمدرسة خوفا من حدوث خلل بها . وفحصها تبين لهم سلامتها ، ولكن تبين أن رصاص القبة به ثغرات من كثرة إصابتها بالمكاحل في أيام الحروب ، وأعوجاج هلالها فرفع و بقيت القبة بدونها .

وفي سنة ٩٠٢ هـ (١٤٩٧ م) كانت موقعة أبردی ؛ فحاصر القلعة وضر بها من أعلى المدرسة بمكحلة أصاب أول حجر منها باب السلسلة ، فقبول الاعتداء بمثله وصوبت المكحلة المعروفة^(٢) بالمجنونة الى من في مدرسة السلطان حسن فأصاب المدفع شبك المدرسة فقتل ثلاثة من المالك . ونهبت بسط المدرسة وقناديلها ورخامها .



وفي سنة ٩٠٣ هـ (١٤٩٧ م) جدد الأمير طومانباي الدوادار الثاني جدران المدرسة وأصلح ما تلف منها ، وأقيمت الخطبة بها بعد أن كانت معطلة نحو عشرة أشهر^(٤) .

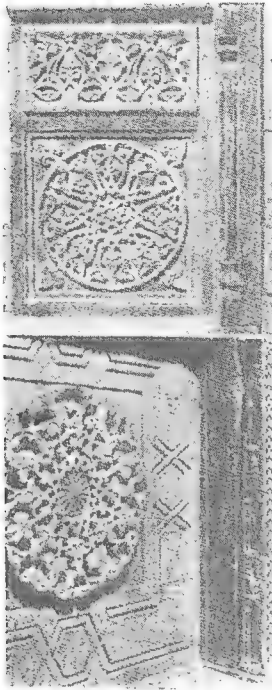
وفي سنة ٩٠٦ هـ (١٥٠٠ م) هدم الأشرف جان بلاط جزءا بسيطا خلف محراب القبة بصعوبة ثم أوقف الهدم^(٥) .

(١) النجوم الزاهرة ج ٧ ص ١٤٩ طبع كفرنيا . (٢) مستخبات من حوادث الدهور قسم ٢ ص ٢١٩ طبع كفرنيا . (٣) ابن إياس ج ٢ ص ٣٢٦ (٤) ابن إياس ج ٢ ص ٣٤١ (٥) ابن إياس ج ٢ ص ٣٨١

ولما ولي ملك مصر الملك العادل طومانباي أمر بترميم جميع ما فسد من جدران مدرسة السلطان حسن^(١) في مدة محاصرة القلعة .

ولما زار مصر الرحالة المغربي الورشلافي سنة ١١٧٩ هـ (١٧٦٥م) وجد جدارا كبيرا مهدوما من المسجد وكان العمل جاريا في رفع أنقاضه . وبعودته من الحج بعد سنة ونصف سنة وجدهم قد فرغوا من ترميمه . ولعل هذه العمارة لإصلاح ما هدمه جان بلاط ، أو من أثر المعركة التي قتل فيها أحد عشر أميرا في بيت محمد بك الدفتردار سنة ١١٤٩ هـ (١٧٣٦م) وتسبب عنها سد الباب الكبير مرة ثانية لمدة ٥١ سنة ؛ الى سنة ١٢٠٠ هـ (١٧٨٥م) حيث أصلح المسجد سليم أغا^(٢) وفتح بابه وأزال الدكاكين التي أحدثت بأسفله ؛ وبني له سلالم ومصطبة جديدة .

ومن هذه الحوادث نرى كيف كالفت هذه المدرسة وصمدت أمام تلك التقلبات وبقيت محتفظة بكانها أكثر من القلعة .



ملحقات الجامع — وقد اتخذت خلف الدكة والإيوان الغربي أبنية فرعية ؛ الدور الأرضي منها يشتمل على دورة مياه فسيحة مساحتها ٤١٣ متر وتركت الجهة الوسطى من هذا المكان مكشوفة لتجديد الهواء ودخول الضوء .

وتتخفض أرضية هذه الجهة عن أرضية الجامع بستة أمتار ونصف متر . ويتوصل إليها من باب في غاية الجمال ، وفي وسطها ميضأة من الرخام الأبيض ، وعلى امتداد جدران هذا المكان مرافق ومنافع متنوعة ، ومن ملحقات الجامع أيضا الساقية ، وهي في الزاوية القبالية الغربية .

المهندس — أخذ المرحوم هرتس باشا على مهندس السلطان حسن اتخاذه مقرنصات مقلوبة لتحلية قواعد الأعمدة . ومنها استنتج أن المهندس أجنبي عن هذه البلاد ، وعلق على ذلك بقوله : «وايكن أني لنا العلم ببلده وهو لم يترك لنا اسمه ولا أثره ؛ ولذلك جعلنا جميعا متشوقين لمعرفة» .

زخارف حجرية ر بها الدعامة الصغرى

(١) ابن إياس ج ٢ ص ٣٨٨ (٢) نزعة الأنظار ص ٢٦٥ — ٢٦٦ (٣) الجبرتي ج ١ ص ٩٦ (٤) الجبرتي ج ٢ ص ١٠٧

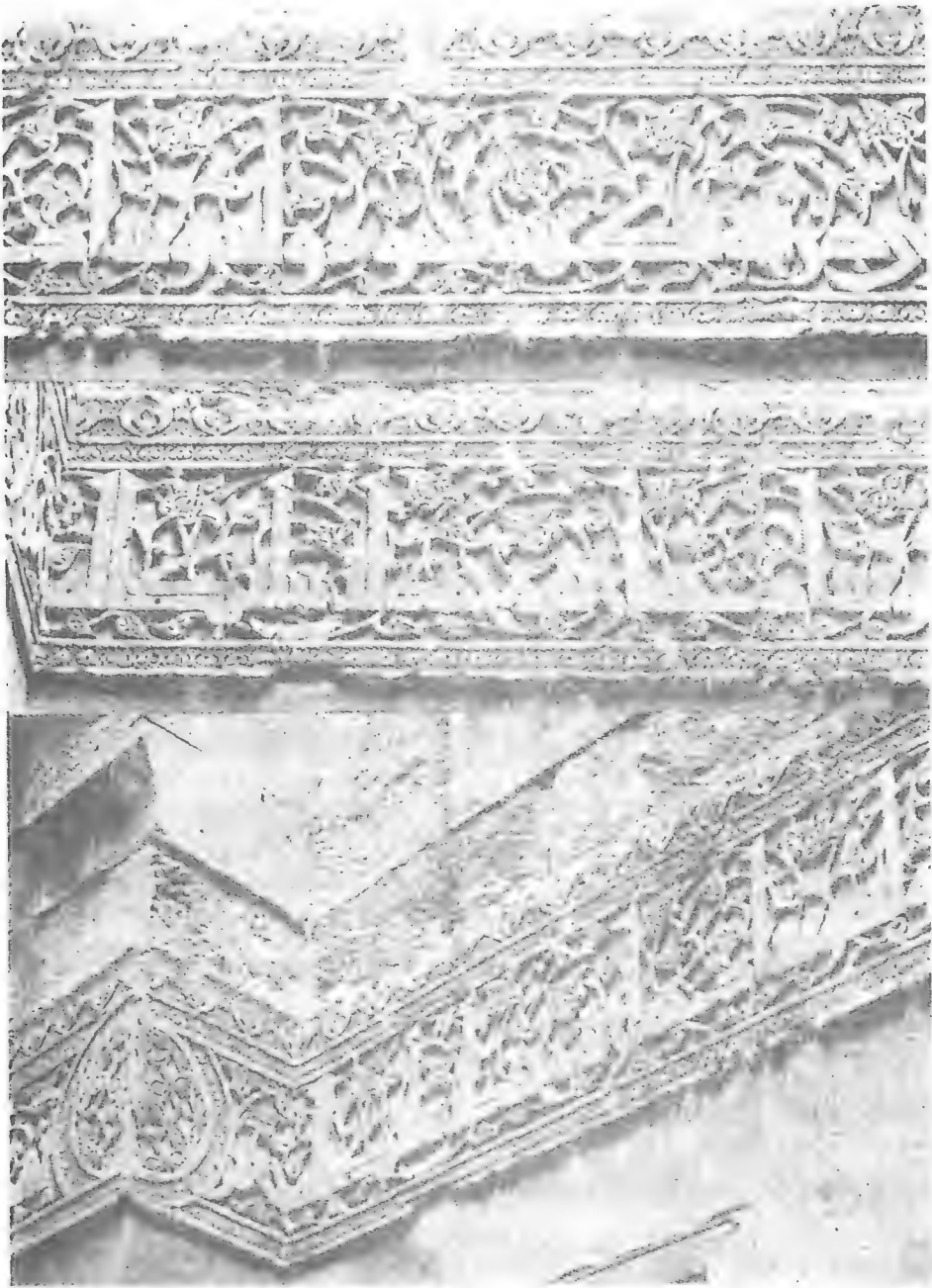
وأستطرد فقال : ” ولم يذكر أحد من المؤرخين — حتى ولا المقرئ الذى يكثر الكلام على الآثار — أسم هذا المهندس ، كما أننا لم نثر على شئ يتضمنه فى الكتابات الكثيرة المنقوشة على جدران الجامع ؛ ولذلك تضطرننا الحال إلى معاودة البحث فى عمله عن أثر يدلنا عليه ، أو إشارة تهدينا إليه بالتأمل فى كيفية تصميم دقائق البناء وكيفية توقيعهما . والوصول إلى هذه الغاية جعلنا الدعامة الصغرى المركبة على أحد وجوه كنف الباب محل نظرنا فدللتنا على أن المهندس — لعدم استطاعته تدوين اسمه فى عمله — اكتفى بنسبة الفخر إلى وطنه فأشار إليه إشارة ليب فى ركن صغير . وهى إشارة تخفى على العامة ، ولكنها كافية لأن يهتدى بها من كان بسرّ الأحجار عالما .

وبيان ذلك أن هذه الدعامة ترى عليها ستة سطوح بعضها فوق بعض متعاقبة بين صغير وكبير ، وكلها محلاة برسوم بارزة . أما الجار فرسومها متشابهة أو تكاد تكون كذلك ؛ فان فى جميعها أقواسا متينة مرتكزة على زوج من العمدة الصغيرة ، وهذه الأقواس — وإن لم يكن فيها ما يستوقف النظر خلاف كون الرسومات الزهرية النباتية التى فى السطح الباطن جلية اليان — فإن العمدة تسترعى النظر بأبدانها المهندمة الدالة على أنها من طراز قديم عن الطراز العربى . أما الرسومات المنقوشة فى السطوح الصغيرة فأغرب من ذلك ؛ إذ قد مثل فى الأسفل منها بيت صغير ذو طبقتين سطحه على شكل جملون وبجانبه بناءان أعلا منه ، ومن الباطن بناء آخر له باب وعدة نوافذ ، وفى السطح الذى يليه كنيسة ، وطبقة أرضية عالية لها باب ينتهى عاليا بشكل جملون ، وعليها طبقة أخرى أقل منها فى الأهمية ومتخذة قاعدة لقبة يزيد حجمها عن نصف كرة ، وهى ترتكز على قاعدة مخروطية .

واستخلص من هذا الوصف مستنجا أن المهندس وضع هذه الدقائق فى الرسم ليكشف بها عن جنسيته ، ورجح أن المهندس يزنطى تلقى أصول الطرز الإسلامى فى أحد البلاد السلجوقية ، مما مكنته من تصميم بناء فائق فى بابه مثل جامع السلطان حسن . وهو رأى يؤيده ما كان من الروابط والعلاقات المستمرة بين يزنطة وملوك بنى سلجوق “ .

وإن الغموض الذى أحاط بالفنان الذى أبدع هذه المدرسة أحاط غيره من بقية المنشآت المعمارية فى مصر . ولكن عقريه هذا الفنان كانت حافزة دائما لمعرفة ؛ لأنه شاد بناء عظيم لم يسبق ولم يلحق .

وفى هذا الصدد كتب الأستاذ الجليل مسيو جاستون ثييت عند بحثه لهذه المدرسة : أن جامع السلطان حسن عمل عظيم خالد ، ولكن شخصية الفنان العبقرى الذى ابتدعه يكتنفها الظلام .



اسم المهندس : و يقرأ في السطر العلوى . ذريته كُتِبَ تحو دوله وشاد ،
 وفي السطر الأوسط : وشاد عمارته محمد ابن بليك الم...
 وفي السطر الأخير : دوله وشاد عمارته محمد ابن بليك المحسنى

وفي يوم ١٤ نوفمبر سنة ١٩٤٤ -- أثناء اشتغالي بمراجعة كتابات الجامع لنشرها مع أستاذي
الجليل مسيو فينت ضمن مجموعة الكتابات التاريخية الجارية نشرها -- عثرت في المدرسة الحنفية على
اسم المهندس مكتوبا في طرازها الجصى بما نصه : " بسم الله الرحمن الرحيم إن المتقين في جنات
وعيون أدخلوها بسلام آمنين ونزعنا ما في صدورهم -- إلى قوله تعالى : وما هم منها بنجسين . اللهم يادائم
لا يفنا يا من نعمه لا تحصى أدم العز والتمكين والبصر والفتح المبين ببقاء من أيدت به الإسلام
والمسلمين وأحييت ... حسن ابن مولانا السلطان الـ ... عنه على ما وليته وخلده في ذريته
كثبة تجمو دولته . وشاد عمارته محمد ابن بيليك المحسنى "

وكثبة تجمو (أى أن هذه الأدعية مكتوبة لحماية دولته) ، وقد كتب تجمو بدلا من تجمى --
ومثل هذا الخطأ وقع في نفس الكتّابة ؛ فقد كتب : " يادائم لا يفنا يا من نعمه لا تحصى " بالألف
بدل الياء .

والمعروف أن السلطان حسنا ، حينما شرع في عمارة مدرسته ، أشرف عليها مهندسين ومشدين^(٢)
(ملاحظى عمارة) ، فاذا وجدنا أسم ابن بيليك بجانب أسم السلطان حسن فلا شك أنه لأكبر
مهندس فيهم ، خصوصا إذا عرفنا أنه من البيوتات الكبيرة الذين اصطفاهم السلطان حسن . وقربهم
منه ، وكان من أمراء الألو ف .

ومن تتبع تراجم أسرة ابن بيليك -- وقد نشأت هذه الأسرة في عصر المنصور قلاوون ، وتقلب
أفراد أسرته في وظائف الدولة في عهد هذه الأسرة ، وكثير منهم تسمى بمحمد -- وجدنا المؤرخين
يخلطون فيهم . وآخرهم محمد بن بيليك الذين خلطوا ترجمته بترجمة أبيه . وكل ما عرفناه عنه أنه
كان من أمراء الألو ف ومن أولاد الناس ، وأنه وقف بجانب السلطان حسن في محنته مع يلبغا .
ولم نقف على بقية ترجمته ولا سنة وفاته .

ولا ضير علينا في عدم العثور على نعت بالمهندس في الفقرات الصغيرة التي بين أيدينا من ترجمته ؛ لأن
كثيرا من المهندسين لم يكونوا محترفين للمهندسة ، بل اشتغل بها ملوك وأمراء وعلماء ، كما اشتغلوا بغيرها
من الفنون والصناعات . والشواهد كثيرة . فقد ثبت أن الناصر محمد بن قلاوون هندس بنفسه^(٣)

(١) لم يكن اسم هذا المهندس معروفا قبل اليوم ، بل لم يكن هذا النص معروفا بجمهرة الأثرين ومن اشتغل في المدرسة
من المهندسين وغالبهم موجود أمده الله في حياتهم ، ولم ينشر قبل نشرى له في جريدة الأهرام بأى وسيلة من وسائل النشر .

(٢) النجوم الزاهرة ، ج ٥ فصل ١ ص ١٥٠ ، طبع طهرانيا . (٣) الدرر الكامنة ، ج ٤ ص ٢٧ .

قصر الأمير بلبغا الجياوى وقد كان قصرا عظيما، وأن الملك الصالح صالح بن الناصر محمد بن قلاوون كان مغرما بالصناعات وأجاد صناعة الزجاج وغيرها ، وأن الأمير قطلوبك بن قرا سنقر أحد أمراء الطليخاناه كان مهندسا للرى . فقد عمّر قناة بالقدس واستقدمه الناصر محمد بن قلاوون الى مصر ليعهد إليه بمشروع عمل قناة للماء من بركة الحبش .

وأن العلامة أحمد بن على بن إبراهيم النسانى الأسوانى المصرى كان طالما كاتباً شاعرا مؤرخا مهندسا ، وأن الأمير سنجر بن عبد الله الشجاعى المنصورى وزير الديار المصرية كان خبيرا بالسياسة والعبارة . وهو الذى نفذ منشآت المنصور قلاوون .

هذا عدا الكثير من الملوك والوزراء والأمراء الذين اشتغلوا بكثير من العلوم ونبغوا فيها . ولدينا مسألة طريفة تعزز أن ابن بيليك هو المهندس . ذلك أن كلمة بيليك التركية معناها بالعربية سعد .

وقد كتب المؤرخون أن السلطان حسنا لما صلى صلاة الجمعة فى المسجد لافتتاحه أنعم على البنائين والمهندسين ، كما كافأ الفعلة لكل واحد عشرة دنائير ؛ فأنشد الشاعر ابن نباتة المصرى مقطوعة فى المعنى ضمنها اسم المهندس فقال :

ملك التقي هيت بالجامع الذى * وجدت الى مبناه سعدا موافقا
وشعراء هذا العصر من دأبهم تضمين الأسماء فى شعرهم ؛ فنجد أن هذا الشاعر قد هنا الملك الكامل شعبان بملك مصر إبيات منها :

طلعة سلطانتا تبذت * بكامل السعد فى الطلوع
فأعجب لها كيف منه أبدت * حلال شعبان فى ربيع^(٦)

وإذا لم يكن محمد بن بيليك هذا مهندسا فذا لما استطاع بناء هذه المدرسة وما أذن له بوضع اسمه بجانب اسم السلطان ، ولا لهج الشعراء باسمه مع اسم السلطان .

(١) الدرر الكامنة، ج ٢ ص ٢٠٤

(٢) الدرر الكامنة، ج ٣ ص ٢٥٤

(٣) معجم الأدباء، ج ١ ص ٤١٦

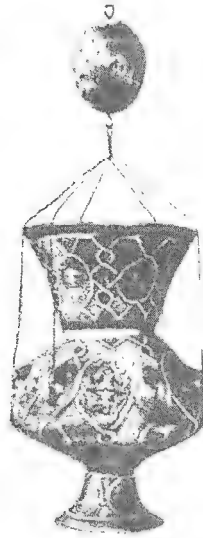
(٤) المنهل الساقى .

(٥) ابن إياس ج ١ ص ٢٠٤ ، ديوان ابن نباتة ص ٣٥٣

(٦) سكران السلطان ص ٣٤

وقد قيض الله لهذه المدرسة لجنة حفظ الآثار العربية فبذلت في إصلاحها مجهودا جبارا فاكملت بناء منارتها وأصلحت جدرانها ورخامها ونجارتها وأرضيتها حتى أعادت إليها رونقها، بعد أن صرفت عليها ٤ ألف جنيه .

وانتهت هذه الأعمال في منتصف سنة ١٩١٥ تحت إشراف المهندس الكبير هرتس باشا كبير مهندسيها ، وصاحب الفضل في تعمير الكثير من الآثار الإسلامية بمصر .



شكاة وكرتها من زجاج بالمينا

مدرسة أم السلطان شغبان

بشارع باب الوزير^(*)

يقترن اسم هذه المدرسة باسم شخصيتين عظيمتين . الأولى السيدة الجليلة خوند بركة أم السلطان شغبان وقد كانت من السيدات الخيرات اشتهرت بميلها الى أعمال البر . ويضرب المثل ببذخها حينما خرجت الى الحج سنة ٧٧٠ هـ (١٣٦٩ م) فقد استصعبت حاشية كثيرة ومائة من الممالك السلطانية ومعهم الموسيقىات ، كما اشتهت راحلتها على قطار من الجبال محل محارفة زرعت فيها البقول والخضروات حتى سميت تلك السنة بسنة أم السلطان .

توفيت في أوائل الكهولة في ذى القعدة سنة ٧٧٤ هـ (١٣٧٣ م) ودفنت في هذه المدرسة . أما الشخصية الثانية فهو الملك الأشرف أبو المنافر شغبان بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون . ولد سنة ٧٥٤ هـ (١٣٥٣ م) وولى ملك مصر في يوم الثلاثاء ١٥ شعبان سنة ٧٦٤ هـ (١٣٦٣ م) وزمام الدولة في يد الأتابك يلغا العمرى والأمير طيغيا الطويل . ولم يلبث الأشرف شغبان كثيرا حتى تخلص منهم ومن غيرهم من الأمراء الذين يراحمونه السلطة ، وصفا له الوقت وعنى بالممالك وأغدق عليهم هباته وقرب من بلاطه من ينق به من الأمراء .

ومن المأثور عنه أنه هو الذى أمر في سنة ٧٧٣ هـ (١٣٧١ م) بأن يُمَيَّرَ^(٢) الأشراف بمصر والشام عمائمهم بعلامة خضراء تمظيا لقدرهم ليقابلوا بالتعظيم ويمتازوا عن غيرهم . وفي عصره راجت سوق العلم والعلماء ، وافتتحت سبىس .

وفي سنة ٧٧٨ هـ (١٣٧٧ م) اعتزم الحج وأمر بإعداد راحلة حوت أنواع البذخ والترف ، فاقت راحلة والدته ومعه الجبال محملة بالأنقشة والهدايا والخضر المزروعة ، غير أنه لم يوفق الى إتمام رحلته بسبب تأمر الأمراء عليه وقتله في ليلة الثلاثاء خامس ذى القعدة سنة ٧٧٨ هـ (١٣٧٧ م) ودفن في قبة هذه المدرسة بإجماع المؤرخين ، عدا ابن إياس فانه يقول بدفنه في قبة أمام المدرسة^(٤) .

حقيقة توجد بقايا قبة تلاصق منارة تكية الهنود تجاه المدرسة ، ولكنى أميل الى الأخذ بإجماع المؤرخين خصوصا وأن ابن تفرى بردى يقرر دفنه في قبة المدرسة ويقول : «وقيل فى موته غير ذلك والصحيح

(*) أنظر الصور من رقم ١١٥-١١٩ بمجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) الدرر الكامنة ج ١ ص ٤٧٤ ، دور الفرائد المنقطة ، ج ٢ ص ٤٠٨ ، والمقريزى ج ٢ ص ٤٠٠

(٢) المنهل الصافي ، ابن إياس ج ١ ص ٢٢٧ (٣) السلوك ج ٣ قسم ٢ ص ٩٨ والنجوم الزاهرة ج ٥ قسم ١

ص ٢٢٢ طبع كفرنبا والمنهل الصافي . (٤) ابن إياس ج ١ ص ٢٢٤

ماذكرناه » ثم وصفه بأنه كان ملكا جليلا شجاعا مهابا كريما، لم يل الملك في الدولة التركية أحلم منه ولا أحسن منه خلقا وخلقا . ومن آثاره العمارية مدرسته التي أنشأها بالصوة^(١)، فقد شرع في إنشائها في شهر صفر سنة ٧٧٧ هـ (١٣٧٥ م) وانتهت عمارتها في شهر شوال سنة ٧٧٨ هـ (١٣٧٧ م) وكانت غنية بشتى الصناعات كفتت أبوابها وشبابيكها بالذهب . وكان بها مكتبة اشتملت على مجموعة من المصاحف المكتوبة بخط ياقوت وابن البواب وغيرهما من مشاهير الخطاطين، وبعض هذه المصاحف محفوظ بدار الكتب المصرية . وفي سنة ٨١٠ هـ (١٤٠٧ م) اعتدى عليها جمال الدين الأستاذدار وأخذ شبابيكها وأبوابها ونقلها الى مدرسته التي أنشأها بالجالية، وفي سنة ٨١٤ هـ (١٤١١ م) هدمت .

ومع أن النصوص التاريخية المنقوشة في أنحاء المدرسة تجمع على أن الأشرف شعبان قد أنشأها لوالدته، فإن صفرسنة وقت إنشائها يجعلني آخذ برواية المؤرخين من أن والدته هي المنشئة لها وكتبت اسمه عليها في حين أن من ترجمه منهم ذكر مدرسته بالصوة ولم يذكر هذه المدرسة، كما أنها كتبت أيضا اسمه على القيسارية التي أنشأها بالدرب الأصفر بالجالية .

تاريخ المدرسة ووصفها — كان الفراغ من إنشاء هذه المدرسة في سنة ٧٧٠ هـ (١٣٦٨ م) وأعدت لتكون مدرسة للشافعية والحنفية . وقيل للذهاب الأربعة . وقد حفلت بشتى الصناعات . وهى وإن كان الزمن أعتدى عليها فأفقدها الكثير من تفاصيلها العمارية من خشب ونحاس ورخام إلا أن مابقى منها يشعر أنها كانت مدرسة غنية بمختلف الفنون، فقد كانت السقوف مازونة مذهبة والأرضيات مفروشة بالرخام، كما أن التذهيب كان يشمل الكثير من زخارفها الحجرية والرخامية ولا عجب فهي منشاء لسيده، وهى ظاهرة ألفتها في المنشآت التي أمرت بتشيدتها السيدات .

ووجهة المدرسة جمعت حوضا لشرب الدواب منفصل عن الوجهة يعلوه كتاب . فالمدخل العام فسيل ثم ملحقات للمدرسة فالمئارة، وقد كانت مكونة من ثلاث دورات فقدت دورتها الثالثة مع الخوذة وقد كانت قائمة على أكتاف حجرية غلّقت بها عمد . ويكتنف الوجهة الشرقية قبتان .

والباب العام من أحفل الأبواب زخرفا وأندرها تصميما، فقد انفرد بطرزه وعقوده ومقرنصاته المذهبة وزخارفه الموزقة بتواشيعه، والكتابة الكوفية المحيطة به وقد اشتملت على آية الكرسي .

(١) هذه المدرسة كانت على شرف عال بالحجر ووصفها ابن تفرى بردى بأنها كانت من محاسن الدنيا ضامى بها مدرسة عمه السلطان حسن وقد أنشأ مكانها الملك المؤيد شيخ بخارى حوّل الى مسجد لا زالت بقاياه موجودة حتى الآن .

(٢) المنزل الصافي . (٣) القرى ج ٢ ص ٤٠٠، والسلوك ج ٣ ص ٧٧ والتجويد الزاهرة ج ٥ ص ٢٢٢ والدرر الكامنة ج ١ ص ٤٧٤، وابن ايس ج ١ ص ٢٢٧

وهذا النوع من الأبواب متأثر بالعمائر السلجوقية التي تعنى بزخرف المداخل — ومكتوب على جانبي هذا الباب :

”بسم الله الرحمن الرحيم الذين إن مكّاهم في الأرض أقاموا الصلاة — الآية — أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة لوالدته مولانا السلطان الملك الأشرف شعبان بن المرحوم حسين سلطان الإسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين محيي العدل في العالمين مظهر الحق بالبراهين حامى حوزة الدين عز نصره“.

ويملوه سطر آخر تحت رجل المقرنص يحيط بالعقود الجانبية وبالعقد أعلى المدخل مكتوب فيه :

”بسم الله الرحمن الرحيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة لوالدته مولانا السلطان المالك الملك الأشرف شعبان بن المرحوم حسين سلطان الإسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين محيي العدل في العالمين مظهر الحق بالبراهين حامى حوزة الدين سيد الملوك والسلطين قسم أمير المؤمنين قاهر الخوارج والتمردين كثر الغزاة والمجاهدين منصف المظلومين من الظالمين ذخر الأراذل المحتاجين صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية والحصون الإسلامية والنغور السكندرية والقلاع الساحلية والأقطار المجازية والأعمال القرانية ناصر الملة المحمدية أعز الله أنصاره وذلك في شهور سنة سبعين وسبعائة للهجرة النبوية وصلى الله على سيدنا محمد وآله“.

ويقوم على يسار الباب سبيل أقيم على وجهه حجاب من الخشب المجمع بأشكال هندسية يعتبر النموذج الأول من نوعه رأيناه بعد ذلك في أشعة الأبواب حول الصحن في مدرسة إينال اليوسفي بالخيمية ثم في شبابيك المدرسة الظاهرية ثم في أمجية مثل هذا بخانقاه فرج بن برقوق بالصحرَاء — ومكتوب على هذا الحجاب : ”أمر بإنشاء هذا السبيل المبارك لوالدته مولانا السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين عز نصره في شهور سنة سبعين وسبعائة“.

والمدخل العام يؤدي إلى طريقة مربعة بصدرها صفة على يمينها باب يؤدي إلى الكتاب ، وعلى يسارها باب يوصل إلى طريقة مستطيلة بصدرها باب مفتى بمقرنصات ومكتوب عليه :

”أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة لوالدته سيدنا ومولانا ومالك رقنا السلطان المالك الملك الأشرف شعبان بن حسين أعز الله أنصاره بمحمد وآله وسلم“ وهذا الباب يؤدي إلى ملحقات للمسجد غير منتظمة فهي سراديب ومتاور تنتهي إلى إيوان يطل على الوجهة ، أمامه صحن مكشوف بصدره باب به مصراعان حشواتهما من السن والآبنوس المدقوق أوعية دقيقة يوصل إلى طريقة أمام قبة أم السلطان . نعود إلى الطريقة الأولى فتجد بها لوحة رخامية مئنة مكتوب عليها : ”الحمد لله أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة مولانا السلطان الملك الأشرف أعز الله أنصاره لوالدته تقبل الله منهما فن أبطل

شيئا منها أو من أوقافها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خصمه يوم القيامة فمن بدّله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم“ .

وهي طريقة طويلة معقودة تشق جدارين أصمين بالنهاية اليمنى منها باب يوصل للجزء العلوى .
وبصدرها باب يؤدى الى صحن المدرسة .



عنب منقوش يعلوه نفيس فوقه مرزق

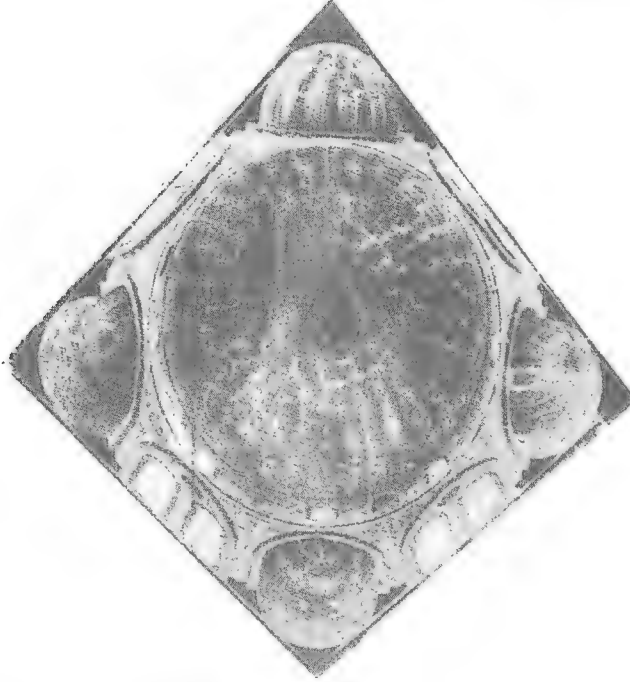
وللمدرسة أربعة إيوانات متعامدة يتوسطها صحن مكشوف . وقد حليت أعتاب الأبواب بزخارف غربية مذهبة . كما غطيت هذه الأبواب بمقرنصات لطيفة ومكتوب على جوانبها :
”أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة لوالدته مولانا وسيدنا السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين عز نصره“ .

ويسترعى النظر في الإيوانات القبلى سقفه المحلى بنقوش زرقاء ومذهبة ، وهو مثال اسقوف الإيوانات التى كانت على غاية من الأهمية .

أما الإيوان الشرقى فقد احتفظ بكسوة الرخام بالمحراب والشباكين بجانبيه . وهو كبقية المحاريب ، غير أن ما يلفت النظر فيه تلك الزخارف التى دقت فى تواشيع الشبايك وكذلك عمد المحراب المثمنة فقد نقش بعض أضلاعها بزخارف موزقة ، ويقوم الى جانب المحراب منبر خشبي بسيط أمر بعمله الأمير على أحد أمراء الجراكسة ، وصناعته ترجع الى القرن الثانى عشر الهجرى ، ويكتنف هذا

الإيوان قبتان ، القبليّة منهما خصصت لدفن السلطان شعبان ودفن فيها أيضا ابنه الملك المنصور حاجي المتوفى سنة ٨١٤ هـ (١٤١١ م) وهي قبة صغيرة بنيت بالحجر وخارجها مضلع . أما من الداخل فإن مقرنصها من طاقة واحدة ولا محراب لها . والقبة البحرية أعدت لدفن خوند بركه ، وقد دفنت معها ابنتها خوند زهرة ويتوسطها قبر مكتوب عليه :

”هذا ضريح ريحانة الجنة الست المرحومة الدرة المكنونة ست الستات زين الخواتين الست زهرة ابنة المقام المرحوم الأحمّد سيدي حسين ولد المقام الشهيد المرحوم الملك الناصر كريمه سيدنا ومولانا المقام الشريف المالك الملك الأشرف ناصر الدنيا والدين شعبان بن حسين توفت في يوم الاثنين ثامن عشرين جماد الآخر سنة أحد وسبعين وسبعائة“ .



مقرنص القبة من طاقة واحدة

ونلاحظ في هذا النص أنه عبر عن الشقيقة بكريمة وهذا له نظير في مدرسة تترالجزاية ابنة الناصر محمد بن قلاوون فقد ورد فيه ” كريمة الناصر حسن بن محمد بن قلاوون وهي شقيقته “ . وهو تعبير صحيح يغير الشائع بيننا الآن .

وهي قبة شاهقة الارتفاع مبنية بالحجر ومضلعة من الخارج ويتوسط شباكها محراب رفيع يكتنفه عمودان مثنان حليا بنقوش . ويلاحظ في تيجان هذه العمدة أثر التذهيب .

أما مقبرص هذه القبة والقبة الأخرى فهو من طاقة واحدة . والمقبرص من طاقة واحدة ، غريب في قباب دولة المماليك لأنه من مميزات القبة الفاطمية في نشأتها ، ولكن ظهوره في دولة المماليك اقتصر على بعض قباب النصف الثاني من القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي .

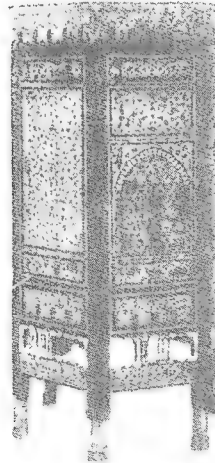
ولكل من القبتين شبك يشرف على الإيوان الشرقي لهما مصاريع خشبية حشواتها من السن المدقوق بالأوime الدقيقة ومحاطة بإفريز منقوش بالسن ، وهي مصاريع دقيقة وغنية جدا .

ووجود قبتين يكتنفان الإيوان الشرقي من النماذج المعدودة في المدارس القائمة ، فقد كان الإيوان الشرقي في كل من الأثر المعروف بالمنوفى وخانقاه أم آتوك وخانقاه خوند سمرا تكتنفه قبتان ، هدمت إحداهما وبقيت الأخرى .

والمساجد أسبق من المدارس في ذلك ، فقد كان الإيوان الشرقي للجامع الحاكم بأمر الله ينتهى بقبتين ومثله الجامع الأزهر ، كما انتهى الإيوان الشرقي لخانقاه فرج بن برقوق بالصحرى بقبتين ، ومثله مسجد المؤيد ولم تكمل القبة الثانية .

وقد نقل من المسجد إلى دار الآثار العربية كرسى من خشب ، ذى ستة أضلاع ، محلاة بزخارف دقيقة من السن والآبنوس ، كما نقلت إليها مشكاوات من زجاج بالمينا .

المهندس — لا نعرف جنسية المهندس وربما كان أجنبيا عن مصر . ونلمس عدم توفيقه في تصميم المدرسة وماحققتها كما يلاحظ في القسم الواقع بين المدخل وصحن المدرسة وفيما بين المدخل والقبة البحرية الذى دل على ارتباكهم ، ولكنه بجانب هذا كان موفقا كل التوفيق في تصميم المدخل العام وفي أعمال الزخرفة التى دلت على عبقريته وتفوقه .



كرسى مطعم بالآبنوس والسن

مدرسة أبحائ الؤسفى

شارع سوق السلاح^(*)

أبحائ الؤسفى — الأمير أبحائ بن عبد الله الؤسفى سىف الدين؁ كان من أجلة الأمراء . وقد تقلب فى مناصب عدة الى أن عينه الملك الأشرف شعبان أمير مائة ومقدم ألف؁ ثم ترقى الى وظيفة أتابك العساكر؁ وناظر البيارستان المنصورى بدلا من الأمير منكلى بغا الشمسى فى سنة ٧٧٤ هـ (١٣٧٢ م)؁ وتزوج بخوند بركة أم الأشرف شعبان؁ وألقى إليه السلطان مقاليد الدولة يتصرف فيها كيفما شاء؁ وظل كذلك الى أن توفى فى المحرم من سنة ٧٧٥ هـ (١٣٧٣ م)؁ ودفن فى قبة مدرسته^(١) .

وكان عمل هذه المدرسة مقابرأزالها وأنشأها مدرسة للشافعية والحنفية وألحق بها مكتبة . ومن تولى التدريس فيها العلامة جلال الدين البنائى الحنفى؁ وكان يسكن فى مسكن ألقى بها فى ألبلب البحرى من المدرسة .

تاريخ إنشاء المدرسة — حدثنا المقرئى بأن هذه المدرسة شيدت سنة ٧٦٨ هـ (١٣٦٦ م)؁ فى حين أن الكتابة المنقوشة على بابها تفيد أن الفراغ منها كان فى شهر رجب سنة ٧٧٤ هـ (١٣٧٣ م)؁ وقد عرفت بالسائس^(٢) لأن الأمير علاء الدين على بن أحمد الطيرسى الشهير بأبن السائس ولى نظارتها بعد وفاة منشأها فعرفت به .

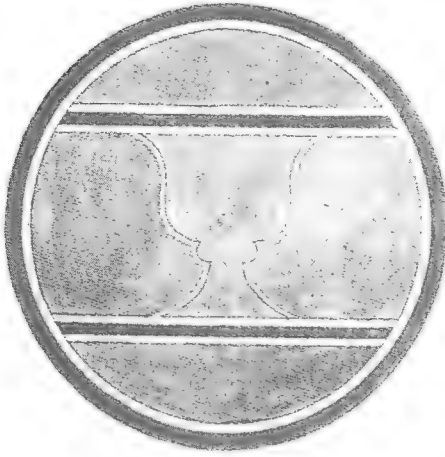
والوجهة الغربية هى الرئيسية وتجمع القبة والمنارة والمدخل ثم سيلا وكابا؁ إذ ينتهى طرفها القبلى بقبة شاهقة مضلعة تضليعا حلزونيا نعتبره الأول من نوعه؁ له نموذج ثان فى قبة أيتمش البجاسى مع تنوع بسيط فى مبدا التضليع . ثم شبابيك الإيوان الغربى؁ ويستريح النظر فيها أن ثلاثة منها يجمعها حجر واحد ينتهى بمقرنصات متعددة الحطاط؁ كما أن كلا من وجهة القبة والمسجد قد حل بعقود محارية . وهذا النوع من العقود قد ألقنا مشاهدته فى الأثار الفاطمية والأيوبية؁ ويندر استعماله فى الوجيهات المجرية الملوكية؁ وقد سبق الى استعماله مهندس مسجد المهندار المنشأ سنة ٧٢٥ هـ (١٣٢٥ م)؁ كما يوجد فى صفة مدخل مدرسة السلطان حسن .

(*) انظر الصور من رقم ١٢٠ — ١٢٤ بمجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) المقرئى ج ٢ ص ٣٩٩ (٢) تملق أستاذنا المرحوم محمد بك رمزى بهاش ص ٢٠٥ ج ٨ النجوم الزاهرة .

وتنتهى الوجهة بشرفة موزقة تشعر بأنها أخذت مكانها بجانب الشرفة المسننة منذ النصف الثانى للقرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) .

وتقوم المنارة على يمين الباب، وهى منارة مبنية بالحجر وحليت بزخارف ومقرنصات . ويستقرى النظر فيها عدا رشاقها تلبس الحجر فى بدن دورتها المستدير بشكل شرفات ، وظاهرة اتخاذ تلبس الحجر الأصفر فى الأبيض أو الأحمر فى الأبيض فى المنارات ، ألفنا رؤيتها فى هذا العصر ، بل تعتبر من مميزاتهما . وتقوم دورتها الثالثة على عمد رخامية رشيقة تحمل خوذة ، وفى هذه الدورة نرى ابتكارا جديدا لعله الأول من نوعه ؛ فقد استبدلت بشقق الدرابزين حول قاعدة الخوذة شرفات صغيرة ، وقامت رأس الخوذة على ترس تحته حطة مقرنص ؛ نعم وجدت الشرفة فى منارة مسجد بشتاك ولكنها حديثة ، وكذلك رأينا الدورة الثالثة لمنارة آسبغا البوبكرى ، مطابقة لهذه ، وكلتاهما من المنارات الرشيقة ، وهما متعاصرتان .



والباب الرئيسى قد كسى بالرخام وعليه رنك المنشئ، ومكتوب على جانبيه : ”بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله — الى المهتدين . صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم . أمر بإنشاء هذا الجامع والمدرسة المباركة المقر الأشرف العالى المولوى الأميرى السيفى أبلجى أتابك العساكر المنصورة الملكى الأشرفى عز الله نصره بتاريخ شهر رجب سنة أربع وسبعين وسبعائة“ .

رنك المنشئ

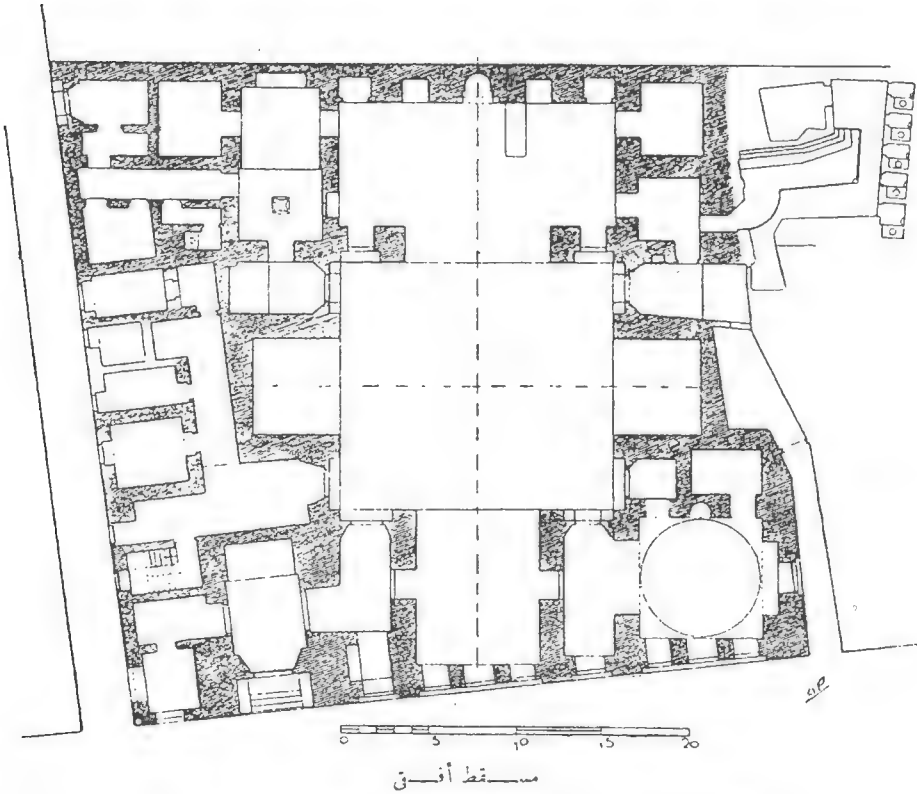
وعلو الباب لوح رخامى مكتوب فيه : ”بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشاء هذا الجامع والمدرسة المباركة المقر الأشرف أبلجى أتابك العساكر المنصورة الملكى الأشرفى غفر الله له ولجميع المسلمين بتاريخ شهر رجب سنة أربع وسبعين وسبعائة“ .

وهذان النصان تضمنا أن هذا البناء أعد ليكون جامعا ومدرسة ، وهذا مؤيد لنظرية أن هذه المنشئات روعى فى تسميتها الأغراض التى خصصت لها لا لطرز بنائها .

وعلى يسار الباب سبيل ناصيته قائمة على عمودين أحدهما فوق الآخر، له سقف جميل من برطوم ومربوعات مطعم بالصدف وتحته مقرنص ومكتوب عليه لوحة تاريخية نصها : ”جده الأمير

محمد أعا سنة ست وأربعین وألف". وكان مصراعا الباب مغشین بالنحاس، كما تدل على ذلك بقایاه، وهو یؤدی الى طرقة بها مصابة غاية فى الفخامة ودقة الصناعة، ومن الداخل تصمیم مدرسة، أربعة إیوانات حول صحن مكشوف.

ومن أهم ما عنى به المهندس حرصه على المضاهاة، فلیس هناك باب ولا شبك إلا ویقابله مثله، فکما یكتنف الإیوان الغربى بابان یكتنف الإیوان الشرقى شبا كان یعلوها شبابیک کی تندجم أیضا مع فتحات الناصیتین یجوارهما، وقد غطیت الشبا بیک العلیا فى الزوايا الأربع للصحن بمقرنصات ذات دلایات أکسبها منظرا رائعا.



والمسجد وإن كان طراً علیه تغییر أفقده سقوف الإیوانین الشرق والغربى فإن سقوفی الإیوانین البحرى والقبل ینبئان على ما كان علیه من جمال، كما أن الشباك الجصى الباقى بالإیوان الغربى ینبئ على ما كانت علیه بقية الشبا بیک من دقة.

والمحراب حجرى بسیط حلیت تواشیحه بزخارف وزرقة، یجاوره منبر حشواته مدقوقة بالأویمة ومحاطة بأشرطة من السن، وهو طرفة قيمة، ومکتوب أعلى بابه: "بسم الله الرحمن الرحیم فى بیوت

أذن الله أن ترفع وبذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال وكان الفراغ في شهر سنة أربع وسبعين وسبعائة” .

والقبة في الركن القبلى الغربى، وقد دفن بها المذنبى؛ وهى قبة حجرية شاهقة الارتفاع، بابها يؤدى الى طرفة بسيطة غطيت بسقف به بقايا قصع غير مقعرة حافاتها مئمة، ومكتوب على الباقى من الإزار: ”... تبارك الذى إن شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويعمل لك قصورا ... أتأبى العساكر المنصورة الأشرفى ختم الله بالصالحات أعماله“. وفى هذه القبة تعددت الشبابيك من جصية وغيرها بقصد المضاهاة أيضا .

أعمال الإصلاح — أدركت لجنة حفظ الآثار العربية هذا المسجد فى حالة سيئة جدا؛ فقد كانت شبابيك القبة والمسجد بوجهته الغربية محولة الى دكاكين، فترعت ملكيتها وأصلحت الوجهة وأعادتها الى أصلها، وكذلك عثيت برفع الأنقاض وإزالة المباني المحدثه بالمدرستين على يمين ويسار الإيوان البحرى، وأسفرت التخلية عن أن القسم الذى على يسار الإيوان البحرى كان مخصصا لسكنى الشيخ الذى يتولى التدريس بالمدرسة، وعن أن القسم الذى على يمين هذا الإيوان كان مخصصا لإقامة الطلبة، وكلاهما ما زال فى حاجة الى الإصلاح والتدعيم .

وفى عهد المغفور له الملك فؤاد الأول عنى بإصلاح القبة والمنارة فقوّت مبانيهما . وفى عهد الملك الصالح فاروق الأول عنى بإصلاح وجهة المسجد وتقوية مبانيه .



مدرسته وخانقاه الظاهر برقوق

شارع المعز لدين الله^(١) (بين القصرين)^(٢)

الظاهر برقوق — الملك الظاهر برقوق بن أنس بن عبد الله الجركسي العثماني كان اسمه الطون بغا، فلما أحضره الخواجه عثمان تاجر الرقيق باعه الى الأمير يلبيغا الكبير فمياه برقوقا لتتوء في عيذه ، وبقى في خدمته الى أن تقي الى الكرك، ثم ألحق بخدمة منبجك نائب الشام، ثم حضر معه الى مصر فأنصل بخدمة الأشرف شعبان ورق الى إمرة أربعين. ومقدم ألف ثم أتاكبا للعساكر في دولة المنصور على . ولما عين طشتمر العلائي مدبرا للملكة كان برقوق في خدمته حتى سنة ٧٧٩ هـ (١٣٧٧ م) حينما ثار عليه المماليك، فأنتهى الأمر باستقرار بركة وبرقوق في تدبير المملكة بعد القبض على طشتمر . فلم تطل الأيام حتى اختلفا وتباينت أغراضهما وقامت بينهما حروب دامت أياما الى أن قبض على بركة وسجنه بالاسكندرية . وانفرد برقوق بتدبير المملكة الى أن حل شهر رمضان سنة ٧٨٤ هـ (١٣٨٢ م) ، فتم له الأمر واستقبل بالملك ولقب بالملك الظاهر وبإمه الخليفة المتوكل محمد بن المعتضد، واستمر في الملك الى أن عزل عنه في جمادى الأولى سنة ٧٩١ هـ (١٣٨٩ م) بالملك المنصور حاجي . ثم عاد الى ملك مصر ثانية في ١٤ صفر سنة ٧٩٢ هـ (١٣٩٠ م) وبقى فيه الى أن توفي ليلة نصف شوال سنة ٨٠١ هـ (١٣٩٩ م)، وقد أثنى عليه كثير من المؤرخين فوصفوه بالشجاعة وميله للقروسية وإجادته للألعاب بالرخ وأنه أبطل كثيرا من المكوس . وقد اتسع ملكه حتى خطب باسمه في ماردين والموصل وسنجار وغيرها . ودفن بالصحرَاء مع مجموعة من العلماء والصالحين منهم الشيخ علاء الدين السيرامي، وأوصى ببناء تربة عليهم يلحق بها مسجد وخانقاه، فنفذ وصيته ابنه الناصر فرج .

(*) أنظر الصور من رقم ١٢٥ — ١٣١ مجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) لشارع بين القصرين ذكرات تاريخية مجيدة لازمت حاضرة القاهرة في أزهى عصورها الاسلامية . فقد عرف بهذه التسمية لوقوعه بين القصرين الفاطميين : (الشرق الكبير) . وقد حل في قسم من أرضه المدرسة والقبعة الصالحية والمدرسة الظاهرية القديمة وسبيل محمد على وسوق السلاح القديم وقصر بشتاك ، (والقصر الصغير الغربي) . وكذلك حل في قسم من أرضه مدرسة وقبة وبيمارستان ولاون ومدرسة ابنه الناصر محمد والمدرسة الظاهرية (برقوق) ومدرسة الحديث الكاملية . ثم جددت هذه التسمية في القرن الثامن الهجري — (الرابع عشر الميلادي) بسبب إنشاء قصر الأمير يسرى وقصر الأمير بشتاك تجاهه وقد ضاع الأول . وكان الشارع متسعا تعرض فيه الجند في الدولة الفاطمية . ومنذ قيام الدولة الأيوبية خصص لبيع الحلوى والمأكولات والفواكه ، وكان من أهم أسواق القاهرة يزوره في الليل أعيان مصر وسكانها للتنمتع برؤيته مضاء — كذلك كان به مجتمعات لقراءة السير والأخبار وإنشاد الأشعار والغتن في أنواع الألعاب والملاهي ، حتى إن الوافدين على مصر كانوا يعجبون بعمران هذا الشارع ويهرعون إليه للتنمتع بمجالة ومعا حواه .

(٢) تربة القوس والأبدان ج ١ ص ٣٠٨

وكان محبا للعامة فأجرى إصلاحات في الحرمين المكي والمدني، وجدّد خزائن السلاح بالإسكندرية وسور دمنهور، وعمر زاوية البرزخ بذيياط، وقناة بالقدس، وأصلح قناطر المياه بمصر، وأنشأ قبة الشيخ رجب الشيرازي بالمحجر سنة ٧٨١ هـ (١٣٧٩ م)، ثم هذه المدرسة .

تاريخ إنشاء المدرسة — هذه المدرسة أولى المنشآت المارية في دولة المماليك الجراكسة وكان بموضعها قبل إنشائها فندق يعرف بخان الزكاة^(١) كان مملوكا لورثة الناصر محمد بن قلاوون . ففي ١٢ رجب سنة ٧٨٦ هـ (١٣٨٤ م) ، اشتراه منهم وعهد الى الأمير جركس الخليلي الأمير آخور^(٢) بالإشراف على العمارة، فابتدأ في الهدم يوم الأحد ٢٤ رجب من هذه السنة .

وفي يوم الخميس أوائل شوال سنة ٧٨٦ هـ (١٣٨٤ م)، وضع الحجر الأساسي لإنشاء مدرسة وخانقاه عرفت «بالمدرسة والخانقاه البروقية» ، واستحضر لبنائها أحمارا ضخمة أعدها المعجول لسحبها على عَجَلٍ خصص لقلها من الجبل . ومن ذلك الحين أطلق المعاريون على المجارة الكبيرة أسم « عجالي » . وفي ١٤ جمادى الأولى سنة ٧٨٨ هـ (١٣٨٦ م)، نقل رفات والده أنس وآبن له من تربة الأمير يونس الدوادار الى قبة هذه المدرسة .

وفي يوم الخميس ١٢ رجب سنة ٧٨٨ هـ (١٣٨٦ م) فرشت المدرسة بالحصر العبداني^(٣) والأبسطة عمل الشريف، واجتمع القضاة والعلماء والأمراء وأعدت الأطعمة وملئت الفسقية بالسكر وحضر الظاهر برقوق إلى المدرسة بمناسبة الفراغ من عمارتها . وبعد أن عاينها أنعم على الأمير جركس الخليلي وعلى معلم المعلمين شهاب الدين أحمد بن الطولوني (المهندس) ، كما أنعم على ممالك الأمير جركس الخليلي الذين عاونوه في مباشرة العمارة وعدّتهم خمسة عشر . ثم شرح العلامة علاء الدين علي بن أحمد السيرامي قوله تعالى : ﴿ قل اللهم مالك الملك ﴾ — ثم قرأ القارئ ما تيسر من القرآن ودعى للسلطان وانهت الحفلة .

وفي يوم الجمعة ١٠ رمضان سنة ٧٨٨ هـ (١٣٨٦ م) أقيمت الجمعة فيها^(٤) ، وحضر قاضي القضاة الحنفى وحكم بصحتها، طبقا للتقاليد ثم عين بها المدرسين فقرر دروسا للذهاب الأربعة وللتفسير والحديث والقراءات .

(١) الضوء اللامع ج ٣ ص ١١ ، والمثل الصافي ، نزهة النفوس والأبدان ج ١ ص ٤٣

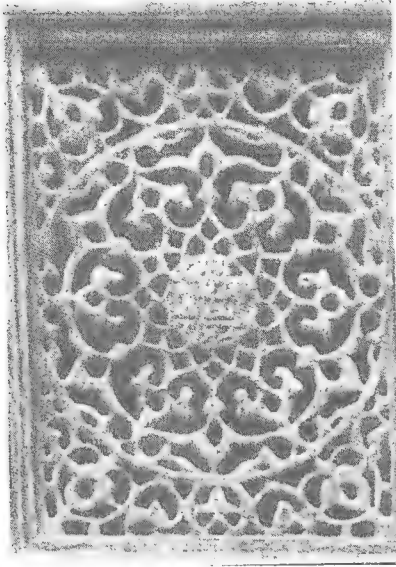
(٢) أمير آخور كبير : وظيفة للأمير الذي يشرف على الاصطبلات السلطانية بما فيها الهجن والبريد .

(٣) هذه القبة بجوار خانقاه فرج بن برقوق بالصحراء من الجهة البحرية الغربية وتعرف بقبة أنس .

(٤) الحصر العبداني يستنبت سمارها بمصر جهة الفرما وتصنع بالإسكندرية (الفضائل الباهرة) .

(٥) نزهة النفوس ج ١ ص ٦٧

وصف المدرسة — قبل الدخول في وصفها نلقى نظرة على وجهتها الرئيسية المشرفة على الشارع فنرى وجهة عالية مبنية بالحجر، يتدنى طرفها القبلي بالباب العمومي المكسى بالرخام الملون، الملبس بطريقة فنية، نماذجها قليلة، اقتبست من مسجد أصلم السلحدار في مثل هذا الوضع، وبها شباك مستدير مفرغ بالنحاس يعلوه المقرنص؛ تتخلله فروع زخرفية. ويتهى الطرف البحري بمنارة عظيمة مكونة من ثلاث دورات امتازت بتلبيس الرخام في بدن دورتها الثانية، وهو أقدم النماذج لتلبيس الرخام في بدن المنارات بمصر. فقد سبقه تلبيس الحجر الملون في المنارات السابقة لها. ويتوسط الوجهة شبابيك من النحاس، بأعتابها مزرورات من الرخام، وخلقت في أكثافها عمد من الحجر نقش تيجانها، تعلوها شبابيك غطيت بمصاريع من الخشب المجمع بأشكال هندسية آية في الإبداع، وغطاء الشبابين بمصاريع خشبية بدل الحصية نماذجها معدودة، أقدمها في سبيل الناصر محمد بن قلاوون بالنحاسين، ثم في جامع ألماس فمدرسة بيدمر البدرى.

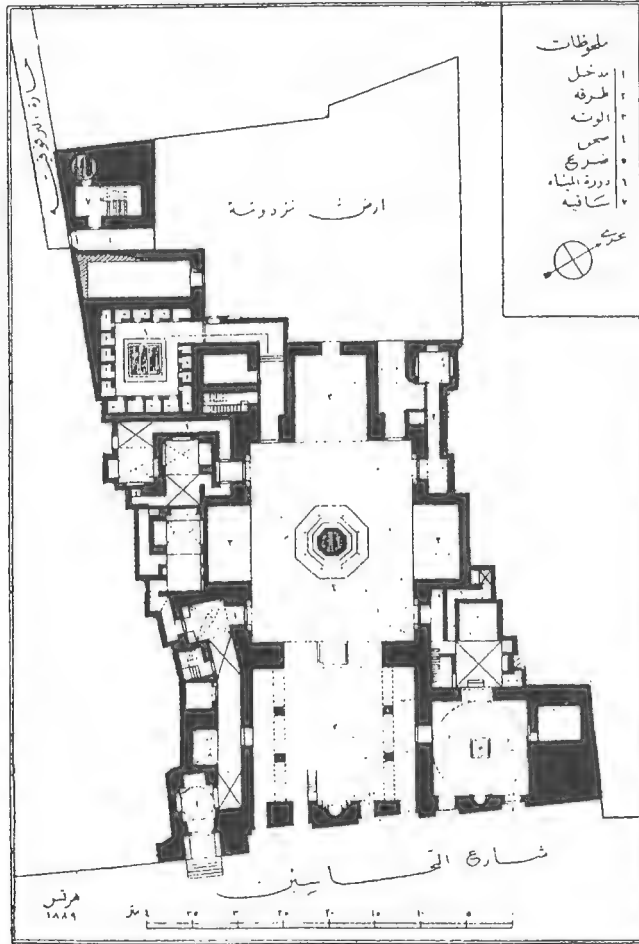


شباك نحاسى مصبوب

وتتوج الوجهة بطراز كتب فيه أسم المنثى وألقابه وتاريخ الفراغ من العماره بما نصه :
”بسم الله الرحمن الرحيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم . أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة والخانقاه مولانا السلطان الملك الظاهر سيف الدنيا والدين أبو سعيد برقوق سلطان الإسلام والمسلمين نصره الغزاة والمجاهدين حامى حوزة الدين ذخرا لإيتام والمساكين كثر الطالبين صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية عز نصره وذلك فى مباشرة العبد الفقير الى الله تعالى المقر السيفى جركس الخليل أمير آخور الملك الظاهر أبو سعيد برقوق أدام الله أيامه بمحمد وآله يارب العالمين وكان الفراغ فى مستهل ربيع الأول سنة ثمان وثمانين وسبعمائة“

ترك الوجهة لتجتاز الباب الرئيسى، وقد ركب عليه مصراعان مغشيان بالنحاس المفرغ بنقوش دقيقة ومكفت بالفضة، وقد كتب عليه أسم المنثى وألقابه وتاريخ مستهل ربيع الأول سنة ٧٨٨هـ، وهما أقرب المصاريع شها بمصر اعى السلطان حسن بجامع المؤيد، وكلاهما من أنفص المصاريع

النحاسية. وهذا الباب يؤدى الى طرقة مربعة غطيت بقبة صغيرة ممثلة الأضلاع ملبسة بالجر الأحمر والأبيض ، على يمينها باب يؤدى الى طرقة مستطيلة فرشت أرضيتها بدوائر الرخام المآون تؤدى الى صحن المدرسة ، وقد أحيطت به الأبواب الأربعة التى غشيت مصاريعها بالنحاس وحليت أعتابها بالرخام الملبس بالجر. ويعلو كل باب شبك صغير من النحاس المفرغ بأشكال هندسية لعلها النموذج الثالث لشبائك النحاس المصبوب ؛ إذ الأول فى قبة الصالح نجم الدين والثانى فى المدرسة الطيرسية بالأزهر .



ويكتنف الإيوان الغربى بابان أحدهما يؤدى الى الخانقاه وما زالت بقاياها موجودة وقد لبست أعتابهما بمزرات رخامية. وبوسط الصحن فسقية عليها قبة أقيمت على ثمانية أعمدة جددتها لجنة حفظ الآثار العربية سنة ١٣١٤ هـ حلت محل سابقتها القديمة الباقى منها فوارتها .

ومكتوب حول الصحن : ”بسم الله الرحمن الرحيم الله لا إله إلا هو الحى القيوم الى قوله تعالى لا إكراه فى الدين الآية – آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه الى قوله تعالى وإليك المصير صدق الله العظيم وكان الفراغ فى مستهل ربيع الأول سنة ثمان وثمانين وسبعمائة“ .

أما تصميمها فهو كبقية المدارس : أربعة إيوانات أحدقت بصحن مكشوف ، وأهمها إيوان القبلة فقد فرشت أرضه بالرخام . القسم الأمامى منه على هيئة محاريب مقبسة من مثلتها فى خاتاه بيبرس الجاشنكير ، وكلاهما مقبستين من فكرة الحصر الفاطمية ذات المحاريب التى انتشرت فيما بعد فى السجادة . وجانبها الإيوان مؤزران بالرخام ، وبصدره المحراب ؛ وهو من أدق أعمال الرخام فى هذه المدرسة ؛ فقد لبس الرخام الأسود على شكل شرفات فى أرضية بيضاء بها فصوص صدفية وفيروزية وحمراء . وعلى جانبي هذا الإيوان إيوانان صغيران كل منهما أقيم على عمودين ضخمين من الجرانيت ، ولكل منهما سقف مذهب ذو دلايات . أما سقف القسم الأوسط فهو مستو ويتوسطه صرة غنوصة ، وقد حلى بنقوش مذهبة ، وهو من أنفاس السقوف . وقد حاكاه فيما بعد الأشرف برسباى فى سقف الإيوان الغربى بمدرسته بالأشرفية . والمنبر تسوده البساطة ، ومنشئه الملك الظاهر أبو سعيد جقمق ، وأسمه منقوش عليه بما نصه : ”أنشأ هذا المنبر المبارك السلطان الملك الملك الظاهر محمد أبو سعيد جقمق عز نصره“ .

وبطرف هذا الإيوان دكة المبلغ من الرخام ؛ كما يوجد به كرسى المصحف طعمت جوانبه بحشوات من السن ملبسة فى الخشب ، أما الإيوانات الثلاثة فهى معقودة . وفى الطرف البحرى قبة يتوصل إليها من باب على الصحن يؤدى إلى المدرسة ثم إليها ، وأمامها طرفة مربعة يحديق بها أربعة أبواب حفرت مصاربعها بزخارف نباتية موزقة بشكل مبتكر ؛ فقد حفر بوسطه رسم بخارية يحيط بها أربع زوايا مثل كسوة الأبواب النحاسية ومكتوب عليه : ”عز مولانا السلطان الملك الظاهر برقوق“ . وقد عممت هذه الطريقة فى الشبايك العلوية للدارس المشرفة على الصحن . وقد رأيت مثالا ثانيا لهذا النوع فى شبايك الوجهة البحرية للمدرسة الجوهرية بالجامع الأزهر . وعلى فتحة القبة حجاب من خشب الخراط مكتوب عليه : ”بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشاء هذه القبة المباركة من فضل الله تعالى مولانا السلطان الملك الظاهر سيف الدنيا والدين أبو سعيد برقوق عز الله نصره وذلك بتاريخ مستهل ربيع الأول سنة ثمان وثمانين وسبعمائة“ .

وهى قبة غنية بزخارفها فى الوزرات الرخامية ، وفى المحراب والنقوش ؛ فقد ارتفعت الوزرة فى جدرانها الأربعة إلى عقد المحراب . ويتوسطها قبر دفن فيه والد المنشئ وأولاده وفاطمة أم خوند وخوند شيرين زوجته .

ويحيط بمربها افرز مذهب ينتهى بشرفة صغيرة مكتوب فيه : " بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذى إن شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجسرى من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا ، أمر بإنشاء هذه القبة المباركة والمدفن المبارك والمدرسة المباركة وخانقاه مولانا السلطان المالك الملك الظاهر سيف الدنيا والدين أبوسعيد برقوق العالم العادل المجاهد المرباط المؤيد الغازى الحاكم بأمر الله والنابى لحجاب الله سلطان الإسلام والمسلمين نصرة الفتناء والمجاهدين حامى حوزة الدين ذخر الأيتام والمساكين صاحب الصدقات والمعروف المغيث لكل مظلوم ومهلوف أدام الله أيامه وأعز أحكامه وختم بالصالحات أعماله يا رب العالمين ، وكان الفراغ فى مستهل ربيع الأول سنة ثمان وثمانين وسبعائة " .

أما القبة فقد أنشأتها لجنة حفظ الآثار العربية سنة ١٣١١ هـ - (١٨٩٣ م) واحتفظت بمقرنصها القديم المشحون بالزخارف المازونة والمذهبة .

ويلحق بهذه القبة فى جدارها البحرى مكتبة لحفظ المصاحف عثرت فيها سنة ١٩٣٨ على نحو مائة وخمسين قطعة زجاجية من مشكاوات منقوشة بالميناء أودعت دار الآثار العربية . ومن حسن المصادفات أنها اكملت مشكاوات ناقصة كانت منقولة إليها من هذه المدرسة . وهى مخصصة للإضاءة .

المهندس — لم نعرف من أسماء المهندسين الذين شادوا تلك المنشآت المعمارية العظيمة إلا النذر اليسير . ومن حسن الحظ أن نعرف أسم مهندس هذه المدرسة وهو شهاب الدين أحمد ابن الطولونى^(١) ، وهو مهندس ابن مهندس من أسرة اشتغلت بالهندسة وقامت بأعمال معمارية فى مصر والنجاز . وقد بلغ من إعجاب الملك الظاهر برقوق به وتقديره له أن صاهره فى ابنته . ويملق المغفور له أحمد تيمور باشا^(٢) على تلك المصاهرة بأنها تدل على ما كان للمهندسين ونحوهم من المكانة العظيمة بين الناس بحيث لا يترفع السلطان عن مصاهرة أحدهم .

أعمال الإصلاح — لقد قامت لجنة حفظ الآثار العربية بأعمال جليلة فى هذه المدرسة ؛ فاصلحت رخامها ونجارتها وقومت مبانيها وأصلحت السقوف وزهبتها ، كما أنشأت القبة الكبيرة سنة ١٣١١ هـ - (١٨٩٣ م) طبقا لصورة قديمة وقبة الصحن سنة ١٣١٤ هـ (١٨٩٦ م) . والحق أنه عمل جليل يعد من مفاخر هذه اللجنة وبرهان ساطع على مقدار دقتها وعنايتها بالآثار الإسلامية .

(١) المثل الصافى ، ج ١ ص ٣١٧ وزهرة القوس والأبدان ج ١ ص ٦٤ (٢) المهندسون الإسلاميون .

مسجد الإمام الليث

بشارع الإمام الليث^(*)

الليث بن سعد — الإمام الكبير الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي^(١) — نسبة إلى فهم، وهم بطن من قيس عيلان — الأصمهاني الأصل، المصري، فقيه مصر وأحد أعلامها. كنيته أبو الحارث وهو من تابعي التابعين.

ولد في شعبان سنة ٩٤هـ (٧١٣م) حسب روايته. وقيل: إنه من أهل قلقشندة إحدى قرى مديرية القليوبية وبها ولد.

كان من الشخصيات البارزة في مصر، وكان الإمام الشافعي رضي الله عنه يتأسف على فوات لقائه. وكان مع علمه وثرائه ممتعا جوادا؛ فقد كان دخله كل سنة حوالى مائة ألف دينار. وما وجبت عليه زكاة قط. لأن الحول لا ينقضي حتى ينفقها ويتصدق بها لذلك لقب بأبي المكارم. وقيل: إن الإمام مالكا كتب إليه من المدينة:

”بأنني أنك تأكل الرقاق وتلبس الرقاق وتمشي في الأسواق“ فكتب إليه الليث بن سعد^(٢) (قل من حرم زينة الله) الآية. وقد استقل بالفتوى في عصره بمصر.

وقيل أيضا: إنه أول من دُون ديوان الأحياس بمصر في أيامه. وأُفرد للارزق الاحباسية ديوانا يختص بها دون ديوان الجيش. وأجمع العلماء على أمانته في الفقه والحديث.

وقال يحيى بن بكير^(٣): ما رأيت أحدا أكل من الليث بن سعد؛ فقد كان قميها عربى اللسان يحسن القرآن والفقه والنحو، ويحفظ الحديث والشعر، حسن المذاكرة بها.

توفي إلى رحمة الله يوم الخميس متصفا شهر شعبان سنة ١٧٥هـ (ديسمبر سنة ٧٩١م) ودفن يوم الجمعة بالقرافة الصغرى. وقد أسف عليه أهل مصر وصار يعزى بعضهم بعضا.

ولما أتى الإمام الشافعي مصر زار قبر الليث وقال: «ما فاتني شيء كان أشد عليّ من ابن أبي ذئب والليث بن سعد». كما يروى أن الإمام الشافعي لما وقف على قبره قال: «لله درك يا إمام! لقد حزت أربع خصال لم يكملهن عالم: العلم والعمل والزهد والكرم».

(*) انظر الصور من رقم ١٢٢ — ١٣٥ مجموعة الصور الفوتوغرافية. (١) ابن خلكان ج ١ ص ٦٢٥، تهذيب الأسماء ص ٥٢٩. (٢) النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٨٢، الكواكب السيارة ص ٩٩ — ١٠٠. (٣) حسن المحاضرة ج ١ ص ١٦٤ طبع الوطن. (٤) وقال أبي حيان سنة ١٧٦، ٧٧ وقال أبي سعد سنة ٦٥ (٥) الكواكب السيارة ص ١٠٠.

موقع المسجد وتاريخه — بعد أن انتقل الى رحمة الله تعالى الامام الليث بن سعد دفن في مقابر الصديين بالقرافة الصغرى . وكان قبره كالمصطبة مكتوب عليه : ” الإمام الفقيه الزاهد العالم الليث بن سعد بن عبد الرحمن أبو الحارث المصرى مفتى أهل مصر “^(١) .

وبعد سنة ٦٤٠ هـ (١٢٤٢ م) أقام أبو زيد المصرى كبير التجار بناء على القبر، وأسبغ أهل الخير يتبارون في زيادة هذا البناء . وحوالى سنة ٧٨٠ هـ (١٣٧٨ م) جدد قبره الحاج سيف الدين المقدم .

وأخبرنا المقرئ المؤرخ عن عمارة أجريت بالمسجد في دولة الناصر فرج بن بوقوق على يد الشيخ أبى الخير محمد ابن الشيخ سليمان المادح في محرم سنة ٨١١ هـ (١٤٠٨ م) . ويوجد بالمسجد باب صغير مبنى بالحجر أمام قبة الليث ، ونجهه من الخارج محاط بالنقوش ، ومكتوب على جانيه بسملة أدخلوها بسلام آمين (الآية) ومكتوب أعلاه : ” هذا مقام السيد الإمام الليث بن سعد تفننا الله به آمين “ . ومكتوب فوق العتب : ” جدد هذا المقام المبارك في أيام سيدنا ومولانا السلطان الأعظم الملك الظاهر محمد عز نصره ، على يد الفقير الى الله تعالى أبو بكر بن يونس شيخ القرافتين الصوفى خدام السنين الإمامين الشافعى وليث بن سعد لطف الله به في المحرم عام أحد عشر وثمان مائة “ .

وهذا الباب بقى من العمارة التى أجريت بهذا المسجد بأشراف الشيخ أبو الخير محمد المادح .

ولكن التناقض الموجود في هذا النص يحتمل على القول بأنه حدث في دولة الملك الظاهر محمد أبى سعيد جقمق أن قام شخص ما — ولعله أبو بكر بن يونس — بنحو اسم الناصر فرج وأثبت اسم سلطان وقته الظاهر محمد ، كما يحى اسم سلفه أبى الخير المادح شيخ القرافتين الصوفى وخادم الإمامين وأثبت اسمه مكانه . ثم فاته تغيير التاريخ فتم ذلك مع أسباب فنية أخرى على هذه السريقة التاريخية .

وفي سنة ٨٣٢ هـ (١٤٢٩ م) جددته السيدة مرجيا بنت إبراهيم بن عبد الرحمن . وفي سنة ٨٨٤ هـ (١٤٧٩ م) أنشأ الأمير يشبك من مهدى أحد أمراء الملك الأشرف قايتباى منارة في الطرف القبلى الغربى للمسجد الحالى ، وهى منعزلة عنه الآن ، وقائمة على ساباط ، ولها قاعدة مربعة تعلوها كسرات هرمية ، وبكل من أضلاع المشمن بخارية منقوشة . ومن مميزات أن خضراف جلستها الأولى به نقوش بدل المقرنصات . ومكتوب عليها ما نصه : ” أمر بإنشاء هذا المنار المبارك المقتر الأشرف العالى المولوى الأميرى الكبيرى المالكى المخدمى المجاهدى المرباطى المشاغرى المؤيدى الذخرى المهامى القوامى السيدى السندى السيفى يشبك من مهدى أمير دوا دار كبير الملكى الأشرفى

عز نصره بتاريخ أربع ... “ . وباقي الكتابة محتجب خلف بناء منزل مجاور لأحد أضلاع المنارة .
كما أن بدن دورتها الثانية منقوش بنقوش دقيقة .

وفي سنة ٩١١ هـ (١٥٠٥ م) جدد المسجد السلطان الغوري . ولم يبق من عمارته سوى الباب الثالث الكبير المؤدى إلى المسجد . وهو مبنى بالخر و به دائرتان بهما أسم الغوري ، وتاريخ العمارة مكتوب على جانيه بما نصه : “ أمر بإنشاء هذا الباب الشريف من فضل الله تعالى سيدنا ومولانا ومالك رقابنا السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغوري عز نصره . وكان الفراغ من إنشاء هذا المكان في مستهل رجب الفرد من سنة إحدى عشرة وتسعمائة “ .

وهو من الأبواب البارزة عن الواجهة مثل بابي مسجدى الحاكم بأمر الله والظاهر بيبرس بميدان الظاهر . ومكتوب على الجنب الغربي منه : “ بسم الله الرحمن الرحيم للذين أحسنوا الحسنى وزيادة .
الآية “ . وعلى الجنب الشرقى : “ ... ناظر الاصطبلات الشريفة وناظر هذا المكان الشريف غفر الله له “ .

ولا شك أن هذه الكتابة كانت متضمنة اسم المباشر لهذه العمارة لاشتمالها على وظائفه .

وفي شهر ذى القعدة سنة ١١٣٨ هـ (١٧٢٦ م) جدد المسجد والقبة الأمير موسى جوريجى مرزا مستحفظان . ومن أثر عمارته القبة والمقصورة الموجودتان حتى الآن . وأثبتت هذه العمارة في لوحة تاريخية مثبتة بالقبة نصها : “ بسم الله الرحمن الرحيم هذا تاريخ تجديد رحاب الإمام الأعظم والملاذ الأكرم الليث بن سعد قدس الله روحه ونور ضريحه الذى جدده الجنب المعظم المخدم المكرم الأمير موسى جوريجى مرزا مستحفظان تابع المرحوم مصطفى جوريجى مرزا مستحفظان . وكان الفراغ يوم الخميس فى ٢٥ شهر القعدة سنة ١١٣٨ “ .

وفي سنة ١١٩٤ هـ (١٧٨٠ م) . أجريت عمارة بالمسجد ، كما أجريت به عمارة أخرى سنة ١٢٠١ هـ (١٧٨٦ م) . بقى منهما لوحان ثبتا على الباب الخارجى تضمنتا أبياتا من الشعر فى مدح الإمام الليث . وكذلك أجرى به عمارة الأمير مصطفى أغا قوردزلى سنة ١٢٧٧ هـ (١٨٦٠ م) . وبقى من عمارته لوح رخامى يقرأ فيه :

هذا مقام فيه ليث ضارى * أعنى وليا من عباد البارى

وقد كانت أعمال الإصلاح المتداولة على هذا المسجد داعية الى التغيير والتبديل فيه وعدم الإبقاء على أجزاء قديمة كثيرة ؛ اللهم إلا أجزاء بسيطة سأتناولها بالشرح حينما أقف أمامها .

فالقادم الى المسجد يهبط بضع درجات . فأقول ما يصادفه باب حديث ثبت عليه لوحتان مؤرختان سنة ١١٩٤ و ١٢٠١ يقرأ على السفلى منهما .:

إذا رمت المكارم من كريم * فيعم من بنى للفضل بيتا
فذاك الليث من يحيى حماء * ويكرم جاره حيا وميتا ١٢٠١

يل هذا الباب باب آخر حادث أيضا يؤدي الى طريقة كبيرة بها عمودان رخاميان ، ثم باب ثالث مبنى بالحجر أنشأه السلطان الغوري سنة ٩١١ هـ (١٥٠٥ م) . ونقل إليه من الإمام الشافعي مصراعان من الخشب بهما أويمة دقيقة وتاريخ سنة ٦٠٨ هـ . واسم الإمام الشافعي ؛ وهما طبق الأصل من صنوهما هناك . ويماور هذا الباب مقصورة خشبية بها قبر الشيخ محمد الليثي .

وهذا الباب يؤدي الى المسجد ، وهو مستطيل . على عين الداخل إليه باب الضريح ، وهو حجرة مربعة أقيمت بوسطها قبة صغيرة محمولة على أربعة أعمدة رخامية بها قواعد وتيجان بها زخارف عربية وكتابات كوفية يقرأ عليها : ” بركة كاملة — نعمة شاملة “ لعلها باقية من عمارة سنة ٦٤٠ هـ (١٢٤٢ م) . يحيط بها سقف عليه نقوش وكتابات .

وتحت القبة تركيبة رخامية كتب على دائرها آية الكرسي ، وحولها مقصورة خشبية مطعمة بالصدف عليها تاريخ ٢٥ القعدة سنة ١١٣٨ هـ ، وهو تاريخ البعارة التي أجزاها الأمير موسى جور يحيى .
وأمام هذه القبة قبة صغيرة فيها قبر محمد بن هارون الصدقي ، والإمام المحدث شعيب ابن الإمام الليث بن سعد ومكتوب على بابها : ” هذا مقام سيدنا ومولانا الشيخ شعيب ابن الإمام الليث بن سعد نفعنا الله ببركاتهم “ يماوره الباب الباقي من عمارة الناصر فرج .

أما باقي المسجد ، بحرابه ومنبره ، فحديث يرجع الى عمارة المرحوم إسماعيل بك ابن المرحوم راتب باشا الكبير سنة ١٢٩٤ هـ (١٨٧٧ م) ، وهو الذي جدد الإيوان بالقبة أيضا .
ومنذ سنة ٧٠٠ هـ (١٣٠٠ م) أو بعدها بتليل اعتاد القراء الاجتماع كل يوم جمعة بعد الظهر بهذا المسجد لتلاوة القرآن الكريم تلاوة مجودة يختمونه فيها عند السحر ؛ وقد ظلت هذه العادة الى ما قبل خمسة وعشرين عاما .

أما الآن فيجتمع كبار القراء بالمسجد كل يوم جمعة من قبيل العصر الى قبيل الغروب ويتناوبون القراءة . وقد كان ملوك مصر يقصدون قبر الإمامين : الليث والشافعي للزيارة والتبرك ، خصوصا السلطان قايتباي والسلطان الغوري . وكثيرا ما كانت تقرأ فيهما ختمات القرآن وتوزع الصدقات تقربا الى الله تعالى وإهداء ثوابها الى سلطان الوقت .

(١) الكواكب السيارة ص ١٠١ (٢) المخطوط الجديدة ج ٥ ص ٩٧ (٣) القرطبي ج ٢ ص ٦٣

المدرسة الباسطية

سكة الخمرنقش^(*)

القاضي عبد الباسط — القاضي زين الدين عبد الباسط بن خليل الشافعي ، ولد بدمشق سنة ٧٨٤ هـ (١٣٨٢ م) ، وقيل : سنة ٧٩٠ هـ ، ونشأ بها في خدمة البدر محمد بن موسى كاتب السر ، ثم اتصل من بعده بالمؤيد شيخ الحمودي حينما كان نائبا بدمشق . وظل ملازما له حتى قدم معه مصر سنة ٨١٥ هـ (١٤١٢ م) .

ولما ولي المؤيد شيخ ملك مصر عينه ناظرا للخزانة والكسوة الشريفة ، فعنى بالكسوة عناية كبيرة وأدخل عليها تحسينات كثيرة . وبقي في هذه الوظيفة مدة اشترى خلالها قصر الأمير تنكر نائب الشام فأصلحه وزاد فيه وأتخذ مسكنا له ، وهو القصر الذي آل الى المغفور له عباس باشا الأول فأنشأه إنشاء جديدا ، ثم آل الى أسرة البركي .

وقد أقام تجاهه مدرسة جميلة تم تشييدها سنة ٨٢٣ هـ (١٤٢٠ م) .

وبلغ القاضي عبد الباسط من الثراء جانبا كبيرا ، وعاش عيشة بذخ وترف ، واشترى كثيرا من الممالك . وكان ممتعا بمطف السلطان مقربا منه ، وكثيرا ما خصه بهبات سنية . وظلت حظوته قائمة بعد وفاة المؤيد شيخ عند الأشرف برسباي ، فقربه منه وعينه في الوزارة والأستادارية فناظرا للجيوش . وبعد أن اعتزل الوظائف حج غير مرة فأسدى خيرا كثيرا للأقطار المجازية . وظل ينتقل ما بين مصر والشام إلى أن توفي يوم الخميس ٤ شوال سنة ٨٥٤ هـ (نوفمبر سنة ١٤٥٠ م) ودفن في تربته بالصحر^(١)اء .

ومن منشآته الخيرية مسجد في دمشق وآخر في غزة ثم هذه المدرسة ، وبما يذكر عنه سخاؤه في بناء هذه المدرسة ، فلم يسخر أحدا في بنائها . وبعد الفراغ افتتحها للصلاة وألحق بها مكتبة ، وخصص مرتبات لصوفيها . ولما قدم مصر العلامة محمد بن الجزري أنزله بها وحضر دروسه .

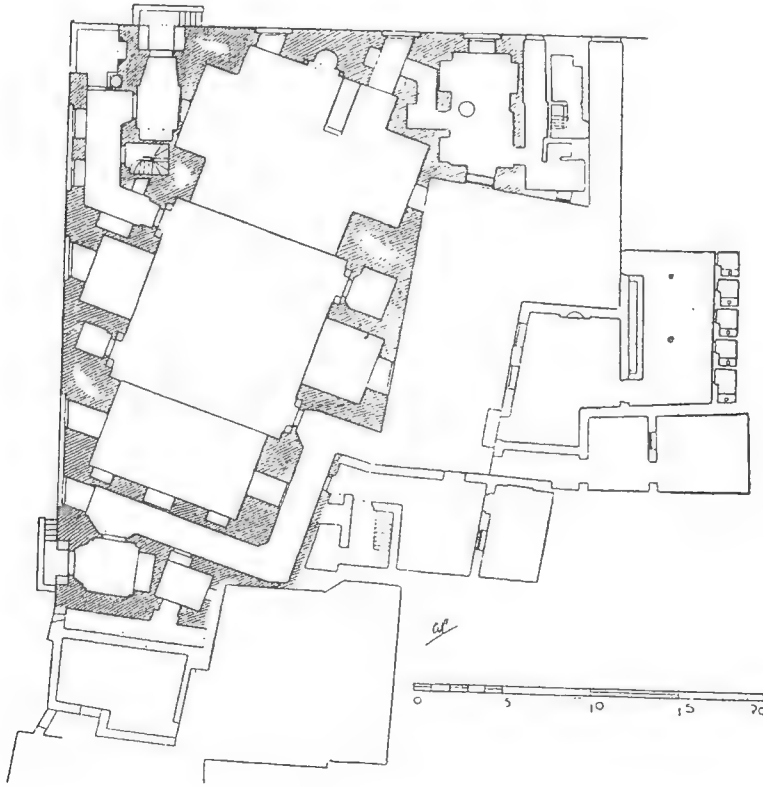
ولهذه المدرسة وجهتان : إحداهما شرقية وبها الباب العمومي ، وبهايتها البحرية سبيل يهלוه كتاب قائم على عمود . وقد لبست أعتاب الشبايك بهذه الوجهة بالرخام الملون والفصوص الزرقاء ، وغطيت من أعلاها بمقرنصات متوعة ومكتوب بأبريز الوجهة العلوى : ” بسم الله الرحمن الرحيم

(*) انظر الصور من رقم ١٣٦ — ١٤٠ مجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) الضوء اللامع ، ج ٤ ص ٢٤ (٢) المقرئ ، ج ٢ ص ٣٣١

إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر — إلى قوله تعالى : فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين . أنشأ هذه المدرسة المباركة مما أنعم الله تعالى على الفقير إلى رحمة ربه القدير عبد الباسط ابن خليل الشافعي ناظر الكسوة الشريفة والخزانة السلطانية المؤيدية أبو النصر شيخ خلد الله ملكه تقبلها الله تعالى وجعلها خالصة لوجهه الكريم . وكان ابتداء عمارتها في شهر جمادى الأول سنة ثلاثة عشر وثمان مائة وآخرها في شهر جمادى الأول سنة ثلاثة وعشرين وثمان مائة “ .

هذا النص طبق الأصل وفيه نظر ، لأن تاريخ البدء في العمار لا يستقيم وتاريخ المنشئ ، لأن قدومه إلى مصر كان مع المؤيد شيخ سنة ٨١٥ هـ (١٤١٢ م) .



مسقط أفق

والوجهة الثانية البحرية وقد كسيت أعتاب شبابيكها بالرخام الملون ، كما غطيت من أعلاها بمقرنصات متنوعة ، وبها قاعدة المنارة ، وبنهايتها الغربية الباب الثاني للمدرسة وقد حلّى بالرخام الدقيق وكسيت مصاريعه بالنحاس .

والباب الشرقى على الرخام الدقيق الملبس فوق العتب بأشكال هندسية وموزقة، وتعلوه منارات رخامية ملونة ومغطى بمقرنصات . وركب عليه مصراعان غشيا بالنحاس المفرغ، ومكتوب عليهما تاريخ إصلاحهما سنة ١٣٣٤ هـ (١٩١٥ م) . وهذا الباب يؤدى الى دركاة بصدرها مسطبة مؤزرة بالرخام ، وعلى يسارها شباك نحاسى يطل على الإيوان الشرقى ، ولها سقف من رقعة واحدة مذهب ملون ، وعلى يمين هذه الدركاة باب يؤدى الى طرقة بها باب السبيل، وقد أشتمل على سقف نادر كتب بازاره قوله تعالى : " إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا " . ويتوسط هذا السقف دائرة من عشرة أضلاع تتدلى منها مقرنصات مذهب، وبه بقية أرضية رخامية .

وبهذه الطرقة باب للسطح والمئذنة وبصدرها منيرة . ثم تنفنى الى صحن المدرسة التى يحيط بها أربعة إيوانات .

وأهم الإيوانات الشرقى منها ، وهو مقسم الى ثلاثة أقسام أكبرها أوسطها . وقد فرشت أرضيته كما فرشت أرضية الصحن بالرخام الدقيق المألون .

أما المحراب فهو حجرى وعاز من الزخرف ومن الرخام يكتنفه عمودان نادران من النوع المعروف (بشحم ولحم) . يقوم الى جانبه منبر طعمت حشوات جوانبه ودرازينه بالسن والزرنشان . وحشوات الزرنشان فى هذا المنبر بلغت غاية الدقة مثل منبر مسجد عبد الفنى الفخرى . وكلاهما فى عصر واحد .

ولوجود شطرات فى أرض هذه المدرسة تلاشاها المهندس بحكمة ؛ فأحدث فى سمك الشباك القبلى الشرقى على يمين المنبر دولابا طعمت حشوات مصاريحه بالسن، كما أحدث به حجرة صغيرة تؤدى الى قاعة لها شباك وباب على الوجهة الشرقية .

وبهذا الإيوان شبابيك جصية، القديم منها غاية فى الدقة . وقد بقى من السقف القديم زواياه ذات المقرنصات وإزاره المكتوب فيه قوله تعالى : " فى بيوت أذن الله أن ترفع . الآية " . وتلك البقايا تنبئ بما كان عليه السقف من روعة وجمال .

وبصدر الإيوان الغربى دولابان، بكل منهما أربعة مصاريح طعمت حشواتها بالسن برسوم فريدة واحتفظ بتفاصيل سقفه .

ويحيط بالصحن أربعة أبواب أحدها يؤدى الى الباب الشرقى، والثانى فى الركن الغربى القبلى يؤدى الى الباب البحرى الغربى من طرقة تلتف حول الإيوان الغربى . والبابان الآخران لخولتين .

وقد فتحت في مجورها شبابيك بعضها فوق بعض للمضاهاة ؛ لأن سقوفها مرتفعة ارتفاع سقوف الإيوانات وآنهت بسطر مكتوب فيه آية من القرآن وغطى بمقرنص .



نر يا من البروز

ولما توفي الشيخ أحمد بن خليل السبكي^(١) إمام وخطيب المدرسة سنة ١٠٣٢ هـ (١٦٢٢ م) دفن في تربة أحدثها بجوار الإيوان الغربي . وقد عين هذه المقبرة مسيو مهن وقرأ عليها -- هذا مقام الشيخ أحمد السبكي .

ومكتوب بدائر جوانب الصحن من أعلاه : ”بسم الله الرحمن الرحيم الله لا إله إلا هو الحى القيوم -- إلى قوله تعالى : الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور صدق الله العظيم -- أنشأ هذه المدرسة المباركة مما أنعم الله على منشئها العبد الفقير الراجى عفوره القدير عبد الباسط ابن خليل الشافعى ناظر الكسوة الشريفة والخزانة الشريفة المؤيدية أبو النصر شيخ خلد الله ملكه“ . وتخللت الكتابة أربع دوائر بها شطقان كتب عليها : ”لا إله إلا الله محمد رسول الله“ .

وتقوم المنارة فى الركن الغربى البحرى للصحن ، وهى منارة رشيقة من ثلاث دورات : الأولى مئنة ، وقد حليت بشرفات صغيرة ومقرنصات . والثانية مئنة ، وقد حليت بزخارف دالية وكتابات . والثالثة أقيمت على عمد رخامية وفوقها الخوذة وفرغت شقق الدرابزين بزخارف هندسية وموزنة . وهذه المنارة مطابقة لمنارقي المؤيد . ولا عجب فقد أنشئت فى وقت واحد .

(١) خلاصة الأثر، ج ١ ص ١٨٦

وكان بالمدرسة تنور (ثريا من البرونز) نقل إلى دار الآثار العربية ، وهو تنور جميل على شكل هرم ناقص ، ذو ثمانية أضلاع ؛ مركب من ثلاث طبقات وينتهي من أعلى بنحورنقات تعلوها قبة فوقها هلال ، ومنقوش على الطبقة الوسطى منه اسم الأمير عبد الباسط وألقابه .

أعمال الإصلاح — كانت المدرسة تابعة لوقف أهلى فأهملت وأسىء استعمالها وأتخذت مسكنا مما ترتب عليه ضياع الكثير من معالمها .

وفي سنة ١٩٠٧ أشرفت عليها وزارة الأوقاف فعينت بها إدارة حفظ الآثار العربية ، وعملت خندقين أمام البابين الشرقى والبحرى .

ومن سنة ١٩٠٩ — إلى سنة ١٩١٢ قامت الإدارة بأعمال تقوية ، وترميم فى الجهات والإيوانات والسقوف والشبابيك ومصاريع الأبواب ، كما أصلحت الأرضيات الرخامية .

وفي سنة ١٩١٦ تم إصلاح الأرضيات الرخامية والأبواب حول الصحن ، واكتشفت بها أشرطة نحاسية ترجع إلى العصر الأيوبي مرسوم عليها فرسان بأسلحتهم ، وبها نقوش وكتابات كوفية .

وفي عصر الملك الصالح " فاروق الأول " أصبح السبيل وأعيد إلى ما كان عليه وأكل المفقود من المنارة بجاءت طرفة قبعة ؛ كما غنى بالمنبر فأصلح وأستكمل المفقود من حشواته وأبوابه حتى أعيد إلى أصله .



مسجد المؤيد شيخ

بشارع المعز لدين الله (السكرية^(١))

الملك المؤيد شيخ — المؤيد أبو النصر شيخ الحمودى الجركسى الأصل، ولد تقريبا سنة ٧٧٠ هـ (١٣٦٨ م)، وقدم القاهرة فى سنة ٧٨٢ هـ (١٣٨١ م)، وعمره إذ ذاك اثنا عشرة سنة، فاشتره الخوارج محمود شاه اليزدى تاجر الممالك فعرف بالحمودى، ثم قدمه الى الأمير برفوق — وكان وقتئذ أتابكا للعسكر — فأعتقه وعنى به وبترتيته وكان ذكيا فتعلم الفروسية واللعب بالرخ ورمى النشاب والضرب بالسيف والمصارعة وسباق الخيل .

ثم تدرج فى الوظائف وأنعم عليه بإمرة عشرة فى دولة الظاهر برفوق، ثم عين نائباً لطرابلس فتاباً للشام .

وفى أول شعبان سنة ٨١٥ هـ (١٤١٢ م) ولى ملك مصر، وما زال سلطانا بها الى أن توفى فى ٩ عرم سنة ٨٢٤ هـ (١٤٢١ م) . ومع أن بعض مؤرخى عصره وصفوه بالبخل وببعض الهنات، إلا أن الكثير منهم أجمع على اشتغاله بالعلم، وحده به على العلماء وأنه كان يباشر الأحكام بنفسه وينزل الناس منازلهم، كما أن بعضهم نعته بقوله : « وكان ماكا مهيبا ماجدا أديبا جوادا على الهمة جليل القدر يملأ العين ويرجف القلب ... » . وكان مغرما بالعمارة، أنشأ منارة بالأزهر وجدد مسجد المقياس وأنشأ الخانقاه الخروبية وأنشأ عدة مساجد وأسبلة ومكاتب ومناظر بمصر والشام، ولم يبق من منشآته سوى بقايا سبيل ومصلى بالقلعة والبيارستان بالحجر والحمام بشارع تحت الربيع ومسجده هذا. وهذا المسجد داخل باب زويلة وملاصق له، وهو غفر المساجد فى دولة المماليك الجراكسة؛ فقد أجمع المؤرخون على أهميته : فترى السخاوى المؤرخ يصفه بقوله : « قيل إنه لم يعمر فى الإسلام أكثر منه زخرفة ولا أحسن ترخيا بعد الجامع الأموى . ويصفه عميد مؤرخى مصر المقرئى بقوله :

(*) انظر الصور من رقم ١٤١ — ١٤٨ مجموعة الصور القوتوغرافية .

(١) الخواجه لفظ فارسي دخيل فى التركية ورسوم فى القلوتين يهـ فى آخره وهو لقب تكريم عندهم يرادف الأغا والأندى والسيد، ويطلق أيضا على الأساتذة المعلمين ولا سيما المشايخ المسمين منهم . ثم لقب به كبار التجار منذ القرن السابع الهجرى، وظل مستعملا بمصر حتى القرن الثالث عشر الهجرى، ورأى مكتوبا على مسجدى أبي العلاء بمصر والديرى بدىيات، وعلى منزل جمال الدين الذهبي بمصر وعلى بعض الطرف النحاسية بدار الآتوال العربية . (٢) أتابك هو كبير الأمراء .

(٣) الضوء اللامع، ج ٣ ص ٣١٠، النجوم الزاهرة ج ٦ قسم ١ ص ٢٨ طبع كلفرنيا، نزعة النفوس والأبدان ج ٢

« فهو الجامع الجامع لمحاسن البنيان، الشاهد بفخامة أركانه وخطامة بنيانه أن منشئه سيد ملوك الزمان . يحتقر الناظر له عند مشاهدته عرش بلقيس وإيوان كسرى أنوشروان، ويستصغر من تأمل بديع أسطوانه الخورنق وقصر غمدان^(١) ... » .

وإذ رأينا المقرزي يسرف في وصفه هذا فلا نستطيع اتهامه بالمغالاة؛ لأنه أدرك الجامع ورآه كاملاً فأخذ بجماله، وأن التفاصيل الباقية تعزز رأى المفتونين به . ومن المأثور عن السلطان سليم حينما زاره أنه قال : « هذه عمارة الملوك^(٢) » .

موقع المسجد — كان موقع هذا المسجد يجتبا عرف بخزانة شمائل سجن فيه المؤيد وقت أن كان أميراً وقاسى فيه شدائد ، فنذر حينئذ إن نجاه الله تعالى لبينته مسجداً ، وقد وفى بنذره حينما ولى ملك مصر فاشترى قيسارية الأمير سنقر الأشقر وأضاف إليها خزانة شمائل وعدة دور وحارات هدمها ..

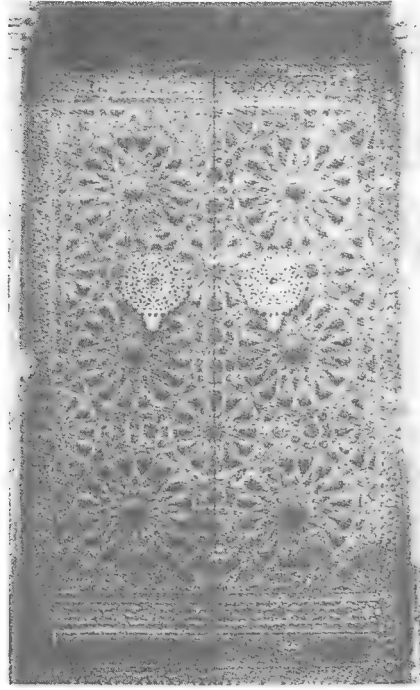
وفى رابع جمادى الآخرة سنة ٨١٨ هـ (١٤١٥ م) ، شرع في حفر الأساس ، وفى خامس صفر سنة ٨١٩ هـ (١٤١٦ م) شرع فى البناء ، واستمر العمل الى يوم الخميس ١٧ ربيع الأول فأشهد السلطان على نفسه أنه وقف هذا المسجد لله تعالى ووقف عليه عدة مواضع بمصر والشام .

وقد كان المؤيد مهتماً بسرعة إنجازهِ فتكررت زيارته للعمارة ، ففى شهر شعبان سنة ٨١٩ هـ بُجعت العمدة وألواح الرخام اللازمة له ، ثم نقل الباب النحاس الكبير من مدرسة السلطان حسن مع التنور النحاس ، ودفن ثمنهما ٥٠٠ دينار .

وعلى بعض المؤرخين نقل الباب بحجة أن السلطان برقوقاً كان قد سد باب مدرسة السلطان حسن فكان الباب غير متمتع به . وقيل : إنه نقله بناء على اقتراح المهندسين ، وإنه فى نظير ذلك وقف على مدرسة السلطان حسن قرية فيها بالقليوبية^(٣) .

وإلى شهر ذى الحجة سنة ٨١٩ هـ (١٤١٧ م) ، بلغت النفقات أربعين ألف دينار ولم ينتهِ المسجد؛ ومع ذلك فقد نقل إليه مكتبة حافلة كانت بالقلعة . هذا عدا خمسمائة مجلد قدمها له ناصر الدين محمد البارزى كاتب السر ، وافتتحها فى محرم سنة ٨٢٠ هـ (مارس سنة ١٤١٧ م) . وفى يوم الجمعة ٢ جمادى الأولى سنة ٨٢٠ هـ (١٤١٧ م) ، أقيمت به صلاة الجمعة ولم يكمل منه سوى إيوان القبلة .

وهذا الخبر له أهميته فقد أوضح لنا تحليل بعض النصوص التاريخية التي تنص على الفراغ من بناء مساجد كبيرة في سنة أو دونها ، ودو مالا يقتره العقل ؛ فكأن منشئها كانوا على هذا المتوال يتعجلون افتتاحها بأية وسيلة ويكتبون اللوحة التذكارية التي تنسبها اليهم قبل الفراغ من بنائها .



باب مدرسة السلطان حسن المنقول للمسجد

وفي خامس رمضان سنة ٨٢٠ هـ (١٤١٧ م) ، هدمت الأماكن اللازمة لبناء الميضاة بشوارع تحت الربع وضاع فيها وفي الحد القبلي للجامع سور القاهرة الفاطمي في هذه المنطقة ، وتمت عمارتها في شهر شوال سنة ٨٢٠ هـ (١٤١٧ م) . وقد بلغت نفقات الإنشاء الى آخر رمضان نحو سبعين ألف دينار ، والسلطان نائب الإشراف على العمارة .

غير أنه في شهر ربيع الآخر سنة ٨٢١ هـ (١٤١٨ م) ظهر خلل بالمئذنة المجاورة للمسجد فهدمت . وكان المشرف على عمارة الجامع وقتئذ بهاء الدين محمد بن البرجي .

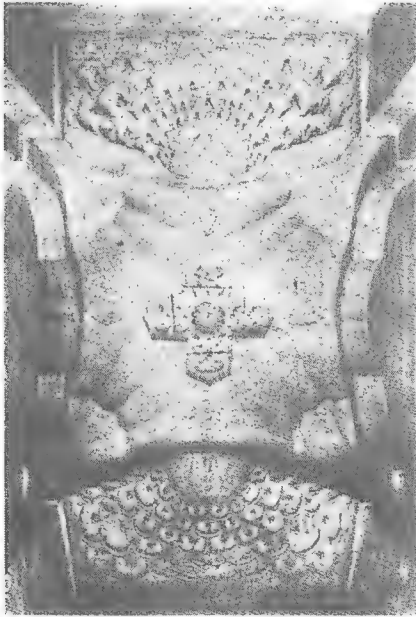
ومع أن العمارة كانت قائمة بالمسجد ولم يشرع في كثير من أجزائه مثل القبتين ؛ فقد رأينا المؤيد يعين المدرسين له في شهر جمادى الأولى سنة ٨٢٢ هـ (١٤١٩ م) للذهاب الأربعة والحديث والقراءات والطب ويحضر دروسهم .

وفي يوم الجمعة ٢١ شوال سنة ٨٢٢ هـ (١٤١٩ م) أمر بإعداد سماط عظيم ، وأن تملأ الفسقية بالصحن بالسكر ، واحتفل بافتتاحه وأنعم على الخطيب والمدرسين بحضور كبار رجال الدولة وأبنه الصارمي إبراهيم .

وإلى سنة ٨٢٣ هـ (١٤٢٠ م) لم تكن قباب المسجد قد بنيت ؛ ولما مات ابنه الصارمي إبراهيم يوم الجمعة ٢٢ جمادى الآخرة دفن في القبة البحرية للجامع ولم تكمل بعد . وكذلك لما توفي الملك المؤيد في يوم الاثنين ٨ محرم سنة ٨٢٤ هـ (١٤٢١ م) دفن بالقبة البحرية قبل أن تم ، واستمر العمل فيها حتى كملت في شهر رمضان سنة ٨٢٤ هـ (١٤٢١ م) . وإلى هذا الوقت كان كثير من ملحقات الجامع لم يشرع فيه مثل القبة القبلية وبيوت الصوفية بالخانقاه .

ولهذا الجامع أربع وجهات جُدد ثلاث منها . أما الواجهة الرئيسية الشرقية فهي المحفوظة بتفاصيلها ، وهي وجهة كبيرة شاهقة حليت أعتاب شبابيكها ومزراتها بالرخام ، كما غطى كل شبابكين بمقرنص واحد تعددت جطاته ، وخلق في النواصي عمد بتيجانها .

وفي الطرف البحري لهذه الواجهة المدخل العمومي ، وله سلم مزدوج من الرخام ، وهو باب شاهق كسى بالرخام الملون وغطى بالمقرنصات ، وله مسطبتان طويلتان بهما مزرات رخامية تعلو كلا منهما صفة بوسطها مربع مكتوب فيه بالكوفي المربع : ” لا إله إلا الله محمد رسول الله “ . وفوقهما سطر مكتوب فيه : ” بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله ، الآية ... سنة ثلاثة وعشرين وثمان مائة “ . يعلوه مربع آخره بالكوفي المربع : ” نصر من الله وفتح قريب “ . وكثفا الباب من قطعتين كبيرتين من الجرانيت الأحمر المرقط يحلان عتبا لبس بالرخام ، ويحيط بالباب إفريز من الرخام مقسم إلى دوائر ومستدسات مطعمة باللونين الفيروزي والأحمر ، وقد ركب عليه



مصلبة المدخل

مصراعان من الخشب المغشى بالنحاس تقلهما إليه من مدرسة السلطان حسن ، وهما من أنفاس المصاريع النحاسية وأكبرها ، يبلغ ارتفاع كل منهما ٦,٠٠ متر ، وبهما من دقة النقش ما يبهير الأبصار . ومكتوب على الباب : ” أمر بإنشاء هذا الباب المبارك العبد الفقير إلى الله تعالى مولانا السلطان الشهيد أبو المعالي حسن بن مولانا السلطان الشهيد الملك الناصر محمد بن قلاوون وذلك في سنة أربع وستين وسبعمائة “ وهو أغخم الأبواب النحاسية وأكبرها .

وهذا الباب يؤدي إلى دركاة لها سقف شاهق على هيئة مضلعة حجرية يكتنفها عقود بهامقرنصات ، وبها تربيتان من الرخام مكتوب في كل منهما بالكوفي المربع آية الكرسي .

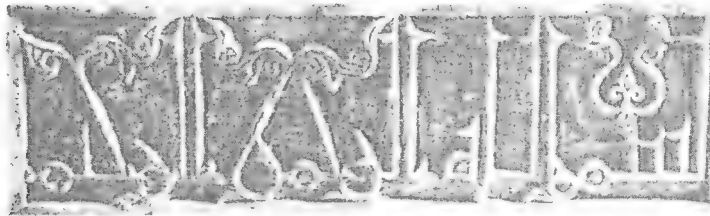
وعلى يمينه ويساره بابان بهما بخارية وأشرطة نحاسية مكتوب فيها اسم المؤيد شيخ ، الأيمن منهما يؤدي إلى طرقة مفروشة بالرخام على يسارها مزيرة عليها حجاب من الخشب الخروط مكتوب

عليه تاريخ إصلاحه سنة ١٣٠٨ هـ وتنتهي هذه الطريقة إلى باب يؤدي إلى مؤخر الإيوان الشرقي وقد حل عتبه بمزرات من رخام ملون يعلوه شباك يكتفه مستطيلان مكتوب فيهما بالكوفي المربع . ” بسم الله الرحمن الرحيم إن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر “ .

والباب الثاني على يسار الدركاة ، وهو يؤدي إلى قبة شاهقة مبنية بالجر وحلى سطحها بزخارف دالية . وقد فرشت بالرخام كما فرشت أرضية الشبابيك بالرخام المألون ، وبها قبران : أحدهما قبر ابنه الصارمي إبراهيم وإخوته المظفر أحمد وأبو الفتح موسى وعليه أجزاء من تركيبة رخامية غير منسجمة لا في الكتابة الكوفية التي عليها ولا في الزخرف ، والثاني قبر الملك المؤيد وعليه تركيبة رخامية مكتوب عليها بالخط الكوفي القديم : ” بسم الله الرحمن الرحيم إن المتقين في جنات وعيون ادخلوها بسلام آمنين ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا — إلى قوله تعالى وما هم منها بمخرجين “ . وأرى أن هذه التركيبة منقولة إلى الجامع من بناية أسبق منها ؛ لأن قاعدة هذا الخط فاطمية ، ومنها نماذج أخشيدية أسبق من العصر الفاطمي بقليل في تركيبة أمام قبسة الخلفاء العباسيين مؤرخة سنة ٣٤٧ هـ (٩٥٨ م) ، ومنها ما حول قاعدة المنارة القبلية للجامع الحاكم بأمر الله .

ورأيت جنين منقولين أيضا إلى تربة خوند طولبية سنة ٧٦٥ هـ (١٣٦٤ م) ، وهي نماذج تشهد بأنها منقولة لأن للخط الكوفي في عصر المماليك أسلوبا خاصا .

ويحيط بهذه التركيبة مقصورة من الخشب الخرط مكتوب على بابها : ” أمر بإنشاء هذه المقصورة المباركة مولانا المقدس الأشرف الكريم العالي السيفي يشبك من مهدي أمير سلاح وأمير دوا دار الملك الأشرفي “ .



بسملة على قبر المؤيد

ولهذه القبة بابان ركب لكل منهما مصراعان طعما بالنس والزرنشان ، نقشت وزهبت حلوقهما ، يعلو كلا منهما لوحة ؛ ومكتوب بهما : ” بسم الله الرحمن الرحيم وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا صدق الله العظيم وصلى الله على سيدنا محمد “ .

وإذ وصلنا إلى الإيوان الشرقى فإننا نرى بدائع الفن مجتمعة ؛ فالزخرف يغمر هذا الإيوان من الأرض إلى السقف ؛ فقد كسى الجدار الشرقى بالرخام المثلون إلى ارتفاع المحراب الذى تعلوه دائرة من الرخام بها دوائر وتواشيج .

ويعلو الكسوة الرخامية شبابيك جصية دقيقة كل منها من شريحتين ، يكتنفها بخاريات ومستطيلات منقوشة ومذهبة ، ويحيط بها إفريزان أحدهما الكبير مكتوب بالخط النسخ المملوكى بحروف مذهبة بمانصه : ” بسم الله الرحمن الرحيم شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم — إلى قوله تعالى : فإن حاجوك فقل أسلمت وجهى لله ومن أتبعن صدق الله العظيم ورسوله محمد . بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر — إلى قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء إن الله عليم حكيم صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم أنشأ هذا الجامع المبارك المعمور بذكر الله تعالى سيدنا ومولانا ومالك رقابنا السلطان الأعظم المالك المؤيد أبو النصر شيخ سلطان الإسلام والمسلمين سيد الملوك والسلاطين قاتل الكفرة والمشركين مظهر الحق بالبراهين منصف المظلومين من الظالمين كهف الفقراء والمساكين ذخر الأيتام والمنقطعين حامى حوزة الدين قسم أمير المؤمنين صاحب العلمين خادم الحرمين الشريفين ملك العرب والعجم والترك والديلم “ .

كما يحيط بها إفريز آخر مكتوب فيه بالخط الكوفى بحروف سوداء على أرضية ذهبية آيات من القرآن منها قوله تعالى :

” لله ما فى السموات وما فى الأرض وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله ... “ .

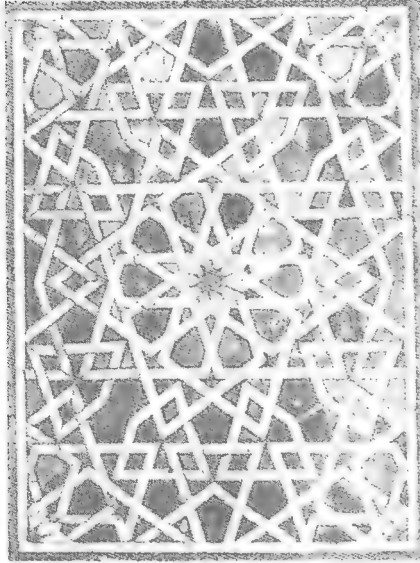
ويتوسط هذا الجدار محراب مكسوة بالرخام حافل بمختلف الألوان والنقوش يكتنفه عمودان أحمران لهما تيجان عربية مذهبة يقوم بجواره منبر كبير مطعم بالسن والزرنشان ، وهو منبر غنى ؛ فقد طعمت حشوات الدرابزين أيضا كما ذهبت منه أجزاء كبيرة ومكتوب عليه : ” أمر بإنشاء هذا المنبر المبارك سيدنا ومولانا السلطان المالك المؤيد أبو النصر شيخ أدام الله أيامه “ .

وعلى ذكر المنبر، أذكر أن الملك المؤيد شيخ هو الذى أمر فى سنة ٨١٩ هـ (١٤١٦ م) بأن الخطباء عند ما يدعون للسلطان على المنبر يوم الجمعة يتلون درجة ثم يدعون للسلطان حتى لا يكون ذكره فى الموضع الذى يذكر فيه اسم الله واسم نبيه .

(١) سقطت من هذه الآيات آية ، كما سقطت كلمة رجال من قوله تعالى (رجال لا تلهيهم تجارة — الآية) أعلى الباب العام .

والطرف القبلي لهذا الإيوان سدت فتحتان كانتا به وكسيتا بالرخام والقاشاني، وقد كتب على دوائرها أسماء العشرة المبشرين بالجنة ثم دائرة بها تاريخ هذه العمارة بما نصه : ” جدد هذا المسجد المبارك إبراهيم خادم فقراء كاشنى سنة ١٢٥٤ “ .

وقد تنوعت زخارف السقف وهى بلا شك من أرق نماذج السقوف الخشبية . وفى مؤخر الإيوان دكة المبلغ وهى من رخام وقائمة على ثمانية عمود رخامية ، وقد نقشت جوانبها وذهبت ومكتوب عليها : ” بسم الله الرحمن الرحيم اللهم أدم العز والبقاء والنصر على الأعداء لسيدنا ومولانا السلطان المالك الملك المؤيد أبو النصر شيخ سلطان الإسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين مظهر الحق بالبراهين منصف المظلومين من الظالمين ذخر الأيتام والمقطوعين كثر الفقراء والمحتاجين صاحب العلمين خادم الحرمين الشريفين سيد ملوك العرب والعجم السلطان المالك الملك المؤيد أبو النصر شيخ أعز الله نصره “ .



(أرضية شباك بالقبه)

وقد انتهز مهندسده فرصة وجود باب زويلة بجوار المسجد فاتخذ من بدنيته قاعدتين لمنازتيه، وهو اعتداء صارخ فى نظر الأثريين، ولكنه كان موفقا فيه كل التوفيق . وهما منارتان رشيتان اكمل منهما ثلاث دورات حليت بالكتابات والنقوش ، وتقوم الدورة الثالثة على عمود رشيقه ومكتوب على الشريفة منهما :

” عمل هذه المأذنة المباركة العبد الفقير إلى الله تعالى محمد بن القزاز وكان الفراغ أول رجب سنة اثنتين وعشرين وثمان مائة “ .

وعلى الغربية : ” أمر بإنشاء هذين المنارتين المباركتين سيدنا ومولانا السلطان المالك الملك المؤيد أبو النصر شيخ عز نصره، وذلك فى نظر العبد الفقير إلى الله تعالى محمد بن القزاز والفراغ فى شهر شعبان المعظم قدره سنة ثلاث وعشرين وثمان مائة “ .

وبمناسبة المنارتين أذكر أن المؤرخ على بن داود الجوهري انفرد عن المؤرخين بذكر ثلاث منارات للجامع إحداها كانت بالوجهة الغربية . وأكدت هذه الرواية حجة الوقف التى تنص أيضا

(١) نزعة النفوس والأبدان ج ٢ ، حجة وقف المؤيد .

على أنه كان للجامع أربعة أبواب في وجهاته الأربع وأن إيواناته الغربية والبحرية والقبيلة كل منها من رواقين .

وقد دب التلف سريعا إلى هذا الجامع في الوقت الذي احتفظت فيه الجوامع المعاصرة له بتفاصيلها . ولعل هذا راجع إلى مهاجمة الجامع سنة ١٠٧٦ هـ (١٦٦٥ م) وضربه بالمدافع على أثر تحصن بعض الطغاة به المعروفين بالزرب ، وقد كثرت فسادهم وقتلوا بمصر فاستفتى عمر باشا حاكم مصر العلماء فأفتوه بأن يقابلوه بما يقابلونه به وإن تهدم شيء من الجامع يعاد بناؤه ، فأمر العسكر بالزحف عليهم ومعهم آثنا عشر مدفعا ، وصوبوها عليهم إلى وقت العصر فاستسلموا وفتحوا أبواب الجامع فقبضوا عليهم وقتلهم وأستصفوا أموالهم . وفي سنة ١١٠٢ هـ (١٦٩٠ م) قام بعمارة أحمد باشا وإلى مصر .

ولم يأت القرن التاسع عشر إلا والمسجد في أسوأ حالات التخريب ؛ فقد عاينه مسيو بسكال كوست ، كما عاينه مسيو مهران ونقل كتاباته سنة ١٨٧٢ م وقال : « إن المسجد متخرب ماعدا الإيوان الشرقي » .

وفي المدة من سنة ١٨٧٠ إلى سنة ١٨٧٤ م — وبناء على أمر الخديوي إسماعيل — جذدت وزارة الأوقاف وجهاته الثلاث : القبيلة والبحرية والغربية .

ومنذ سنة ١٨٨١ م وجهت لجنة حفظ الآثار العربية عنايتها إلى المسجد فوجدته متساعيا وقد فقد إيواناته عدا صفى عمد بالإيوان الشرقي كانا على وشك السقوط . ورخام الجدار الشرقي للحراب مشوه ، وقبة المؤيد في حاجة إلى الإصلاح ومنارتا الجامع مفقود جزؤهما العلوي .

وقد قامت بالمحافظة على البقايا الأثرية وأزالا الدكاكين التي كانت بالوجهة الشرقية ، وقومت العمدة وركبت عمدا جديدة ، وأصلحت سقفي الرواقين وأعادتهما إلى سابق مجدهما ، وأصلحت الباب النحاسي والمدخل الرئيسي ، وأصلحت الرخام بالجدران والحراب ، كما أصلحت دكة المبلغ ، وكلت المنارتين ، وأثنتا الرواق الثالث المشرف على الصحن ، كما عمات قبة الوضوء بالصحن وأصلحت المنبر وأبواب القباب .

وفي حديقة المسجد لوحة تاريخية تشير إلى تعميره سنة ١٣٠٢ هـ (١٨٨٤ م) في عصر الخديو توفيق .

المدرسة الفخرية (مسجد البنات)

بشارع مسجد البنات^(١)

أنشأ هذه المدرسة الأمير نغر الدين عبد الغنى بن عبد الرزاق بن أبي الفرج بن نقولا بن الوزير تاج الدين الأرميني الأصل . كان جده أرمينيا تابعا لأبن نقولا الكاتب فنسب إليه . وهو أول من أسلم من آبائه ، ونشأ ولده عبد الرزاق مسلما وتقلب في جملة وظائف من صراف لقطيا الى ناظر ثم أمير لها الى أن ولى الأستاذارية والوزارة .

ولد الأمير عبد الغنى في سنة ٧٨٤هـ (١٣٨٢ م) وتعلم بمصر ، ثم تدرج في جملة وظائف حينما كان أبوه وزيرا ، إذ عين واليا لقطيا سنة ٨٠١هـ (١٣٩٨ م) ، ثم صرف عنها وأعيد إليها في دولة الناصر فرج بن برقوق ثم عين كاشفا للشرقية سنة ٨١١هـ (١٤٠٨ م) . وفي سنة ٨١٤هـ (١٤١١ م) رقى الى وظيفة أستاذار فلم يمكث بها كثيرا . وفي دولة الملك المؤيد شيخ عين كاشفا للوجه البحرى ، ثم عين في سنة ٨١٦هـ (١٤١٣ م) أستاذارا فحسنت سيرته ، ثم أضيفت اليه الوزارة في صفر سنة ٨٢١هـ (١٤١٨ م) .

وقد أخذ عليه في مبدأ أمره أنه كان مسرفا في أخذ الأموال من أهل القرى ، وأنه كان جبارا قاسيا . ووصفه السخاوى المؤرخ بأنه كان يعرف كيف يجمع الأموال . وقد جمع في ثلاث سنين مالا يجمعه غيره في ثلاثين سنة . أما المقرئى فقد حمل عليه حملة شديدة . وكانت وفاته في نصف شوال سنة ٨٢١هـ (١٤١٨ م) ودفن بهذه المدرسة .

موقع المدرسة وتاريخها — تقع هذه المدرسة بالقرب من محكمة الاستئناف في الجزء الواقع بينها وبين شارع الأزهر ، وكان الفراغ من إنشائها سنة ٨٢١هـ (١٤١٨ م) حيث احتفل بافتتاحها يوم الجمعة ٢٨ شعبان سنة ٨٢١هـ (١٤١٨ م) ، وخطب فيها الشيخ ناصر الدين محمد بن عبد الوهاب ابن الباربنارى الشافعى ، وخصصت بها دروس للتصوف وللغة على مذاهب السادة الحنفية والمالكية والشافعية ، وتولى التدريس فيها العلماء : شمس الدين محمد البرماوى الشافعى ، وشمس الدين محمد الديرى المقدسى الحنفى ، وقاضى القضاة جمال الدين عبد الله بن مقداد المالكي^(٢) .

(*) أنظر الصور من رقم ١٤٩ — ١٥١ بمجموعة الصور الفوتوغرافية . (١) قطيا بالقرب من القرماء وهى مكان غص الجوازات وتحصيل المكوس ، وقد تدمر كثير من الرحالة الذين مروا بها من تحت ولايتها . (٢) الضوء الالام ج ٤ ص ٢٤٨ ، النجوم الزاهرة ج ٦ نم ١ ص ٤٦٣ طبع بكفرنا . (٣) المقرئى ، ج ٢ ص ٣٢٨

ولهذه المدرسة بابان : أحدهما على الشارع العام حيث وجهته الغربية الرئيسية وبها المنارة وسبيل يعلوه كتاب . والآخر يتوصل اليه من درب سعادة . وللباب الكبير مصراعان مغشيان بالنحاس المفرغ بأشكال زخرفية آية في الدقة والجمال .

ومن هذا الباب يتوصل الى طرقة مربعة مفروشة بالرخام على يسارها باب يؤدي الى الميضة ، وعلى اليمين باب آخر يؤدي الى طرقة طويلة مفروشة بالرخام بها حجاب من خشب الخروط على مزيرة كان بها زير رخامى نقل الى دار الآثار العربية ، وتنتهى هذه الطرقة الى باب يوصل الى صحن المدرسة ، وهو صحن فسيح مكشوف فرشت أرضيته بالرخام الملون ، ويحيط به أربعة إيوانات أكبرها الإيوان الشرقى ، ومما يذكر عن هذا الإيوان أنه مقسم الى ثلاثة أقسام أكبرها أوسطها يفصلها صفان من أعمدة الجرانيت تحمل عقودا وسقوفها ملونة . ويغطى القسم الأوسط منه سقف من رقعة واحدة به زخارف وسرر ملونة ، ومكتوب به تاريخ تجديد لجنة حفظ الآثار العربية له في عام ١٣١٣ هـ (١٨٩٥ م) .

أما المحراب فتسوده الآن البساطة ، يجاوره منبر مطعم بالسن والزرنيشان ، كما حل داخله وسلمه بزخارف هندسية حفرت في الخشب ، وهو من المنابر الهامة .

ويحيط بهذا الإيوان من أسفله دواليب وشبابيك يعلوهما شبابيك جصية ، وتقوم في مؤخره دكة رخامية مجولة على ثمانية عمد من الرخام .

وفي أسفل الإيوان الغربى شبابيك ودواليب يعلوهما نوعان من التوافذ الجصية ، ولهذا الإيوان سقف حائل بالنقوش المجتدة . أما الإيوانان القبلى والبحرى فهما أصغر مساحة ، وهما معقودان بالحجر . ويحيط بالصحن أربعة أبواب مصاريعها محلاة بالنحاس المفرغ ، أحدهما الشرقى البحرى يوصل الى قبر المنشئ وابنه الأمير زين الدين عبدالقادر^(١) الأستاذ المتوفى سنة ٨٣٣ هـ (١٤٣٠ م) ، وهذا القبر فى حجرة على هيئة قاعة يبدو مما بقى بسقفها من زخرف ورنوك أنها كانت غنية بنقوش . ويستريح النظر فيها بحال الزخرف والكتابة فى التركيبة الرخامية الصغيرة المخصصة لبعض أفراد أسرة المنشئ ، وقد اشتملت على كتابة تاريخية نصها : ” بسم الله الرحمن الرحيم هذا قبر أمير حاج بن محمد ابن عبدالغنى بن أبى الفرج أوقفه على نفسه وعلى أولاده والذتهم سور باى تقدمهم الله برحمته لا أعان الله من تكلم فى بيعه أو باعه بتاريخ عاشوراء الأول سنة تسع وتسعين وثمان مائة من الهجرة النبوية أحسن الله عاقبتها “ .

وهذه الأبواب مغطاة من أعلاها بمقرنص له دلايات تعددت خطاته واتخذت أشكاله ، وينتهي الصحن من أعلاه بشرفة موزقة .

وقد فقدت من هذه المدرسة منارتها القديمة وكثير من رخامها ، وهذا يرجع الى ما أصابها من تخرب ، وما طرأ عليها من إصلاحات كثيرة ؛ ولأن منشأها توفى قبل أن يتمها .

سبب تسميتها مسجد البنات — غلبت هذه التسمية على المدرسة فعرفت بها ونسى اسم صاحبها ؛ ولذلك أقصوصة لازمتها منذ القرن الحادى عشر الهجرى (السابع عشر الميلادى) ، فقد زارها الرحالة عبد الغنى النابلسى سنة ١١٠٥ هـ (١٦٩٣ م) . وقال :

« إن أهل مصر يعرفون هذا المسجد بمسجد البنات لأن البنت التى لا يتيسر لها زواج تاتى الى هذا المسجد فى يوم الجمعة والناس فى الصلاة وتجلس فى مكان هناك ؛ فإذا كان المصلون فى السجدة الأولى من الركعة الأولى من صلاة الجمعة تمزيين الصفيين وتذهب فيتيسر لها الزواج وقد جربوا ذلك » . هذا قول رحالة مسلم سمع هذا ممن بالمسجد طبعاً ، أو من أهل القاهرة وقتئذ ؛ وقد قضى على هذه الخرافة ولله الحمد وبقيت التسمية لاصقة بالمسجد وبالشارع .

عناية الأسرة العلوية بالمدرسة — كانت أولى العمارات التى أجزيت على الأرجح تلك العمارة الكبيرة التى قامت بها السيدة البازة صاحبة الخيرات والدة حسين بك نجل عزيز مصر المغفور له الحاج محمد على باشا ، وذلك فى سنة ١٢٦٨ هـ (١٨٥١ م) . فقد أصلحت الوجهة الغربية وأنشأت المنارة الباقية حتى الآن على عيين الباب .

ومن أعمال هذه السيدة أيضاً إنشاؤها السبيل الواقع أمام هذه المدرسة فى سنة ١٢٧٠ هـ (١٨٥٣ م) . وقد أثبتت تاريخ عمارتها بالمسجد فى لوح تاريخى فوق الباب العمومى ونصه :

” قد كان تجديد عمارته وإنشاء منارته على يد المصونة والدة المكنونة والدة حسين بك نجل عزيز مصر القاهرة الحاج محمد على باشا ذى المآثر الباهرة طاب ثراهما وجعل فى الجنات قراءهما طلباً لإيصال الثواب إليهما ورغباً فى إنزال الرحمة عليهما من هجرة الرسول الأمين ١٢٦٨ “ .

أعمال الإصلاح — يظهر أن هذه المدرسة طرأ عليها تحزب كبير أضاع الكثير من تفاصيلها ؛ لأن لجنة حفظ الآثار العربية أجزت بها عمارة كبيرة فى سنة ١٣١٣ هـ (١٨٩٥ م) ، تناولت إصلاح إيوانها الشرقى والغربى ، وعمل مقوف جديدة لها ، كما قومت المباني وأصلحت الأرضيات الرخامية والشبابيك الحصية ، وأصلحت المنبر وأكلت ما فقد من أجزائه . هذا عدا ما قامت به من إصلاح الأبواب التحاسية وعمل شبابيك ودواليب فى جميع نواحيها .

مسجد جاني بك الأشرفي

بشارع المغربيلين*

كان منشئ هذا المسجد — وهو الأمير جاني بك الأشرفي^(١) — مملوكا للملك الأشرف برسباي ، وقد تدرج عنده في عدة وظائف الى أن عينه في محرم سنة ٨٢٦هـ (يناير سنة ١٤٢٣ م) أميراً للطلبخانة^(٢) ثم خازن داراً ، ثم دوا داراً ثانياً ، وبلغ من حظوته لدى الملك الأشرف أن ترك له التصرف في شؤون الدولة . توفي الى رحمة الله تعالى في ٢٧ ربيع الأول سنة ٨٣١هـ (يناير سنة ١٤٢٨ م) . وهو لا يزال في الخامسة والعشرين من عمره . ودفن في قبة هذه المدرسة ، ثم نقل منها بعد مدة الى تربة الأشرف برسباي^(٣) بالصحرَاء . والمرجح أنه دفن في القبة المعروفة به بجري قبة الأشرف برسباي وهي من طراز منشأته . ومما يذكرونه أنه كان متدينا كثير البر بالفقراء ، وكان الى جانب هذا مولعا بالصيد . ومن لطيف ما مدحه به العلامة ابن حجر :

الدوا دار قال لي * أنا أقضي . آربك

قم زن المال قلت لا * حفظ الله جانبك

وكان الفراغ من^(٤) إنشائه والاحتفال بافتتاحه في يوم الجمعة ثاني شهر رمضان سنة ٨٣٠هـ (١٤٢٧ م) . وهو مسجد عظيم له وجهة كبيرة اشتملت على القبة والمئذنة والمدخل العام ويلاحظ أن شبابيك الوجهة لم يتم تليس الرخام في أعتابها . وكان بالطرف البحري سبيل هدم . كما يوجد بالطرف القبلي باب لليضأة يجاوره حوض لشرب الدواب .

وباب المسجد مكسو بالرخام الأسود والأبيض وغتبه من رخام ملون يعلوه نفيس ، ثم شباك يكتنفه عمودان حولها تربيعتان إحداها مفقودة ، ومكتوب على الثانية بالكوفي المربع : ” لا إله إلا الله محمد رسول الله “ . وظاهرة الكتابات الكوفية المربعة في مثل هذا الوضع ألفنا رؤيتها في مساجد هذه الفترة إذ زارها في مساجد المؤيد ، وكافور الزمام ، والجمالي يوسف ، وفيروز الساق .

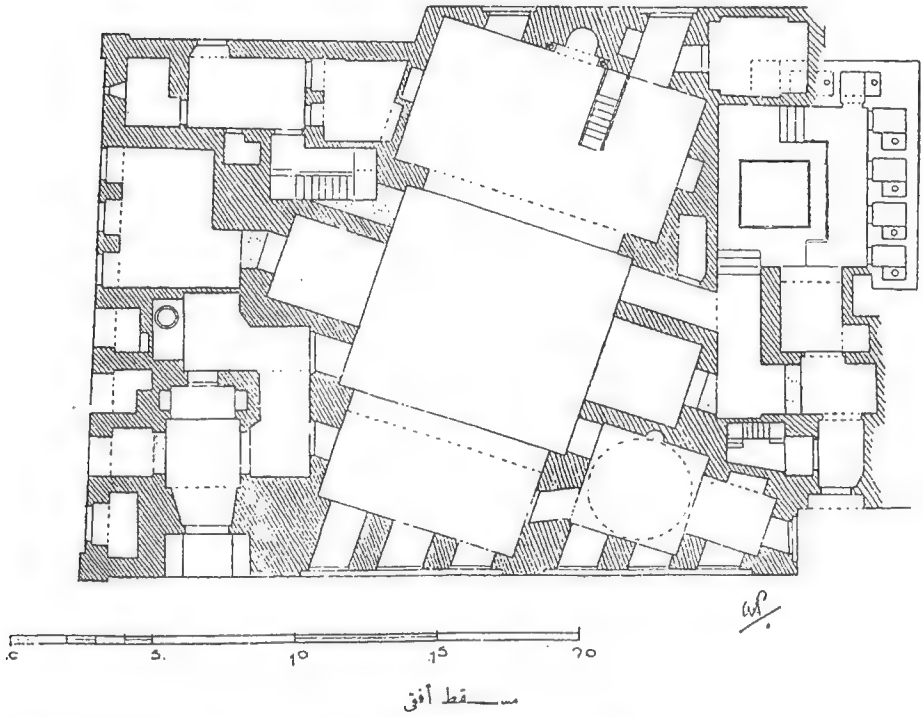
وتقوم المنارة على يمين الباب وهي مبنية بالطوب ومكوّنة من دورتين حليتا بالمقرنصات . ومصرعا الباب حليتا بكسوة نحاسية : زوايا وأشرطة وبخارية مفزعة تفريضا دقيقا مكتوب عليها اسم المذئئ وتاريخ رجب الفرد سنة ٨٣٠هـ . ومكتوب على جانبي مدخله :

(*) أنظر الصور من رقم ١٥٢ — ١٥٤ بمجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) الفهرست للامير ج ٢ ص ٥٤ (٢) الطلخانة — بها آلات الموسيقى المخصصة للزف أمام قصر السلطان .

(٣) النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٢ من ٨٠١ طبع كفرنبا . (٤) النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٢ من ٦٢٣

”بسم الله الرحمن الرحيم إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون صدق الله العظيم . أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك المقر الأشرف السيفي جاني بك الدوادار الملكي الأشرفي عز نصره بتاريخ شهر سنة ثلاثين وثمان مائة“ . وهذا الباب يؤدي الى دركاة لها سقف خشبي له مقرنصات بدلايات مثل سقوف قصر الحمراء بالأندلس . وتصميم المسجد من الداخل هو تصميم المدرسة : أربعة إيوانات يتوسطها صحن مكشوف فرشت أرضيته بالرخام المون بأشكال جميلة امتازت بوجود فصوص زرقاء بها ، كما فرشت أيضا أرضيات تلك الإيوانات بالرخام بأشكال متنوعة .



والمئبر وإن كان قد أصابه تلف كبير إلا أن بقاياها تدل على أنه كان منبرا مطعما بالسن والزرنشان . وقد اشتمل المسجد على مجموعة نادرة من الشبايك الحصية امتازت بدقتها والكابات حولها ، والمحراب وإن كان حجريا إلا أن عمده تلفت النظر بأن قواعدها مخلقة من بدنها . كما أن بقايا السقوف وخاصة في الإيوانين القبلي والبحري تدل على ما كانت عليه من دقة وجمال . والقبه في الركن القبلي الغربي من الصحن ، وهي قبه حجرية صغيرة حلى سطحها بنقوش دالية ، كما اشتملت من الداخل على إيوان صغير في الجنب القبلي .

ومن هذا الوصف يكون هذا البناء لمدرسة ؛ بينما كتابتها التاريخية تنص على أنها جامع ،
في الوقت الذي يقول عنها السخاوي^(١) إنها مدرسة للسادة الحنفية وبها صوفية ، ويعبر عنها المقرزي^(٢)
بخانقاه . وقد علق على ذلك مسيو فان برشم وقال : « إن تسمية هذه المدرسة جامعاً في كتابة تاريخية
من التطورات المهمة في أسماء المباني الدينية » . والمرجح أن هذه الأسماء كانت ترجع الى وظيفة
البناء لا الى البناء نفسه ، فكان مدلولها الغرض الذي أقيم من أجله لالطرز بنائه .

أعمال الإصلاح — بدأت لجنة حفظ الآثار العربية أعمال الإصلاح فيه منذ
سنة ١٩٠٩ ، وفي سنة ١٩١١ اتسعت هذه الأعمال وتناولت الباب النحاس الذي اتضح أنه كان
مكفناً بالفضة .

وفي عهد الملك الصالح فاروق الأول أصبحت الأرضيات الرخامية . وهي على جانب عظيم
من الأهمية .

(١) تحفة الأحباب ، ص ١٧٢ خط . (٢) المقرزي ، ج ٢ ص ٣٣١



قبة جاني بك الأشرقي بالصحراء.

مدرسة الأشرف برسباى

بشارع المعز لدين الله^(١) (الأشرفية)

الملك الأشرف برسباى — كان برسباى الدقاق^(٢) الظاهرى مملوكا للسلطان الظاهر برقوق فأعتقه وعلمه، وأستمر في خدمته الى أن ألحق بخدمة ابنه الناصر فرج، وشغل عدة وظائف منها نيابة طرابلس، ثم دوا دار كبير بالقاهرة، ثم تولى سلطنة مصر في ٨ ربيع الآخر سنة ٨٢٥ هـ (١٤٢٢ م) وساس الملك خير سياسة، وأذعن له الأمراء والتواب ودانت له البلاد^(٣).

وكان الأشرف ملكا جليلا مبعجلا متدينا يحب العلماء ويقر بهم، كما كان يحب أعمال البر ومنح الصدقات، وفتحت في أيامه بلاد كثيرة، كما فتحت قبرص وأسر ملكها.

توفى الى رحمة الله تعالى في عشرين يوم السبت ١٣ ذى الحجة سنة ٨٤١ هـ (١٤٣٨ م) ودفن بترابته بالصحراء.

ومن أعماله الجليلة حفره خليج الاسكندرية سنة ٨٢٦ هـ (١٤٢٣ م) وكان مطموما^(٤)، وقد بنى من آثاره الكثيرة التي أنشأها بمصر: الخانقاه، والتربة بالصحراء، والمسجد بخانقاه سرياقوس، ثم هذه المدرسة.

كان موضع هذه المدرسة حوانيت تعلوها رباح ومن ورائها ساحات وقياسرو بعد أن استبدلت واشترت الأرض اللازمة لإنشائها، ابتدئ في هدمها في أول شهر رجب سنة ٨٢٦ هـ (١٤٢٣ م)، ويجتد الفراغ من إيوان المحراب أقيمت بها صلاة الجمعة في ٧ جمادى الأولى سنة ٨٢٧ هـ (١٤٢٤ م) وخطب بها الجوى الواعظ.

وهذا التصريح كشف لنا عن عدم صحة ما يرد في بعض النصوص التاريخية من تفصيل مدة الإنشاء بقصد الإطناب في قوة المنشئ، وقد جاء في النص التاريخي للوجهة ما نصه: "بسم الله الرحمن الرحيم إنا فتحنا لك فتحا مبينا — الى قوله تعالى نصرا عزيزا صدق الله العظيم. أنشأ هذه المدرسة المباركة سيدنا ومولانا السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر برسباى خلد الله ملكه بحمد وآله يا رب العالمين وذلك بنظر العبد الفقير الى الله تعالى عبد الباسط ناظر الجيوش المنصورة

(١) انظر الصور من رقم ١٥٥ — ١٦٠ بمجموعة الصور الفوتوغرافية.

(٢) الضو. اللامع ج ٢

(٣) الدقاق نسبة الى دقاق نائب حماء الذي اشتراه وأهداه الى الظاهر برقوق.

(٤) القرينى ج ٢ ص ٢٢١

(٥) ابن إياس ج ٢ ص ١٧

ص ٨، البدر الطالع ج ١ ص ١٦١

غفر الله له وللمسلمين في مدة أولها شهر شعبان سنة ست وعشرين وثمانمائة وآخرها سلخ جمادى الأول سنة سبع وعشرين وثمان مائة .

والحقيقة أن الفراغ منها كان في سنة ٨٢٩ هـ (١٤٢٥ م) وهي السنة التي فتحت فيها قبرص ، وبهذه المناسبة علقت خوزة مليكها على باب هذه المدرسة تذكارا لهذا النصر، وظلت باقية عليها حتى القرن الحادى عشر الهجرى (السابع عشر الميلادى) فقد عاينها الإسحاق المؤرخ .

والوجهة الشرقية لهذه المدرسة جمعت تفاصيلها الهامة ، فالطرف البحرى ينتهى بقبة حجرية حلى سطحها بنقوش دالية ، وهى من القباب الجميلة ، ثم وجهة الإيوان الشرقى وقد حليت أعتاب الشبابيك بالرخام وغطيت بالمقرنصات ، فالمئذنة وهى ذات قاعدة مربعة وتشتمل على ثلاث دورات حلى بدن دورتها الثانية بقنوات مستطيلة متقاطعة تربطها ميمات . وتقوم دورتها الثالثة على عمد رشيقة آتمة سنة ١٩٤٥ إدارة حفظ الآثار العربية ، ثم الباب العمومى وقد كسى بالرخام الأبيض والأسود ، ومكتوب على جانبيه فى الرخام : ” بسم الله الرحمن الرحيم وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا صدق الله العظيم أنشأ هذه المدرسة المباركة مولانا السلطان سلطان الإسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين محبى العدل فى العالمين قسيم أمير المؤمنين خادم الحرمين الشريفين المالك الملك الأشرف خلد الله ملكه “ .

وعتب الباب محاط بإطار رخامى دقيق ملون وهى ميزة ألفتها فى مساجد هذه الحقبة سبقه فيها أبواب مدرسة السلطان حسن وزاوية فرج بن برقوق ومدرسة القاضي عبد الباسط ، ويعلموه نفيس من الرخام دقت به زخارف موزقة ، فوقه مزرر من رخام ملون ، يكتبه دائرتان مكتوب عليهما : ” عن مولانا السلطان الملك الأشرف “ يغطى كل هذا مقرنص جميل . وينتهى الطرف القبلى بسبيل يعلموه كتاب مكتوب عليه : ” أمر بإنشاء هذا المكان المبارك ابتغاء لوجه الله تعالى وطلباً لرضوانه سيدنا ومولانا السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر برسباي خلد الله ملكه “ .

وعلى مصراعى الباب كسوة نحاسية بها اسم المنشئ وتاريخ تجديدها سنة ١٣٣٢ هـ . والداخل من هذا الباب يمد دركاة على يسارها باب يؤدى الى حجرة السبيل وقد فرشت بالرخام الدقيق ، كما يعلموها سقف متوسطه سره محارية مذهبة .

والباب الأيمن منها يؤدى الى طرفة بها باب السطح والمئذنة . وبها مزيرة أقيم على وجهها حجاب من الخشب الخروط مكتوب عليه : ” بسم الله الرحمن الرحيم إن الأبرار يشربون من كأس كان

مزاجها كافورا — الى قوله تعالى يوفون بالنذر ويخافون يوما “ . ثم باب إحدى المدارس فباب للميضأة ، يقابله الباب المؤدى الى الصحن ، وقد أحدثت به أربعة إيوانات ، كما أحدثت به أربعة أبواب أحدها يؤدى الى إحدى المدارس ، وقد تهدمت ، والثاني الى القبة ، والثالث الى الميضأة . وقد غطيت تلك الأبواب بمقرنصات من نوع واحد ، كما حليت أعتابها بمزرات رخامية . ومكتوب بدائر الصحن ما نصه : ” بسم الله الرحمن الرحيم في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه — الى قوله تعالى وثقه ملك السموات والأرض وإلى الله المصير . صدق الله العظيم . أنشأ هذه المدرسة المباركة مولانا السلطان سلطان الاسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين منصف المظلومين من الظالمين خادم الحرمين الشريفين الملك الأشرف خلد الله ملكه “ .

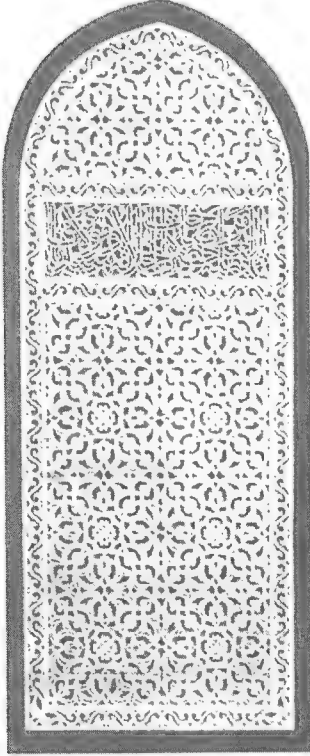
وكانت جدران الإيوان الشرقى مؤزرة بالرخام لم يبق منه سوى كسوة جدران المحراب ، وقد أرتفعت بارتفاعها أثراً تذهيب ، وكسيت عقود الشبايك بمزرات رخامية ، كما يوجد بها إفريز رخامى منقوش ومكتوب بالخط الكوفي ، ومع ما اشتمل عليه المحراب من صناعة دقيقة فى الرخام ، فإن صناعة الأرضية الرخامية تفوقه جمالا ؛ فقد اشتمل وسط الإيوان على دائرة رخامية بأشكال زخرفية ملونة ترى بالسجاد اقتبسها بعد ذلك مهندس الغورى لمدخل مدرسته بالغورية . ومنشآت الأشرف برسبای كلها غنية بصناعة الرخام .

وقد تغير سقف هذا الإيوان وحل محله سقف غيره بكراذى لا يتفق مع طراز هذا العصر . أما الإيوان الغربى فقد احتفظ بسقفه ، وهو من رقعة واحدة مثل سقف الإيوان الشرقى بمدرسة الظاهر بقوق ، وقد حل بدوائر ومسرر مذهبة ، أصاحت إدارة حفظ الآثار العربية جانباً منه كي يعطى فكرة عن مقدار جماله ، ومكتوب بإزاره آية الكرسي . وبه دكة للبلغ حديثه . وقد تقطر إزالتها .

ويحيط بمحدر الإيوانين الشرقى والغربى سطر مكتوب فيه بيان الأعيان التى وقفها الأشرف برسبای على هذه المدرسة وغيرها من منشآته ، وأوجه الصرف عليها ، وقد أوضح حكمة كتابتها بهذه الطريقة فى أولها بقوله : ” أمر بكتابة هذا السطر المبارك مولانا المقام الشريف السلطان الملك الأشرف برسبای خلد الله ملكه تذكرة لمن يلى نظر هذه المدرسة المباركة وأصانت الجهات الموقوفة عليها وعلى ذريته وغير ذلك على ما يشهد به كتاب الوقت المبرور ... “ .

ويقوم على جانبي المحراب منبر دقيق الصناعة ، طعمت حشوات جوانبه وأبوابه ودرازينه بالسن والزرنشان . ومكتوب على بابيه : ” أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة سيدنا ومولانا السلطان

الملك الأشرف عز نصره“ . كما يوجد بهذا الإيوان كرسى للمصحف طعم بمحشوات السن بأشكال هندسية . وقد أتبعت فى صناعته طريقة صناعة كرسى مدرسة الظاهر برقوق ، وهى طريقة مبتكرة وجيلة فقد طعم الخشب بمحشوات من السن برسوم هندسية .



شباك من جص وزجاج ملون

والقبة بالطرف البحرى يتوصل إليها من باب بالصحن ، ومن خوخة فى الشباك النحاسى البحرى للإيوان الشرقى ، وأمام مدخلها إيوان صغير على وجهه حجاب من الخشب الخروط كما أقيم على مدخلها حجاب من الخشب الخروط مكتوب عليه : ”بسم الله الرحمن الرحيم كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحج عن النار وأدخل الجنة فقد فاز“ .

وهى قبة عالية يتوسطها قبران حولها سياج قصير من الخشب الخروط ومكتوب على أحدهما : ”هـذا ضريح المرحومة فاطمة جهة المقام الشريف الأشرف“ . وهذه السيدة هى أم ولده الناصرى محمد ، وقد توفيت فى ١٥ جمادى الآخرة سنة ٨٢٧ هـ (١٤٢٤ م)^(١) .

ومن دفن بها أيضا أبنه الناصرى محمد المتوفى فى ٢٦ جمادى الأولى سنة ٨٣٣ هـ (١٤٣٠ م)^(٢) .

وقد عنيت لجنة حفظ الآثار العربية بإصلاح هذه المدرسة فأصلحتها فى سنة ١٣٣٠ هـ (١٩١٢ م) ، وأصلحت رخام محرابها وإزارها وأرضيتها .

وفى سنة ١٣٣٣ هـ (١٩١٥ م) أصلحت المنبر وكرسى المصحف واستكلت ما كان مفقودا منهما .

عناية الملك الصالح فاروق الأول بهذه المدرسة — وفى عهد الملك الصالح فاروق الأول أصلحت إدارة حفظ الآثار القبة وأكلت المنارة وعمات شبابيك جصية بالإيوان الشرقى تنفيذا لأمره الكريم .

ومن طريف ما يذكر أن السوق المجاورة للمدرسة من جهتها القبالية خصصت لبيع العنبر منذ سنة ٦٨٦ هـ (١٢٨٧ م) وكانت تجارته رائجة جدا وما زالت الى الآن مخصصة لبيع الروائح العطرية .

(٢) النجوم الزاهرة، ج ٦، ق ٢، ص ٨١٢ طبع كفرنيا .

(١) النجوم الزاهرة ج ٦، ق ٢، ص ٧٨٤

خانقاه الأشرف برسباى

بالقرافة الشرقية^(*)

هذه الخانقاه والتربة ثانی منشآت الملك الأشرف برسباى، وهى فى القرافة الشرقية المعروفة بصحرأ قايتباى .

وإذا اعتبرنا أن خانقاه فرج بن برقوق القريبة منها أكبر بناءة أنشئت بالقرافات ، فإن هذه المجموعة تعتبر الثانية فى السعة ، فقد أنشأها لتؤدى عدة أغراض .

فالخانقاه لإقامة الصوفية ، ثم حوش كبير فيه قبور وبقايا قبة وقبة كاملة لأخيه الأمير شبك وأقاربه وبعض العلماء ، ومصلی لإقامة الشعائر الدينية ، ثم قبة حجرية عظيمة تجلت فيها عظمة القباب الملوكية . وكان الفراغ من بناء هذه المجموعة فى شهر ذى الحجة سنة ٨٣٥هـ (١٤٣٣ م) ، وتجمعها وجهة كبيرة بنيت بالحجر ، تنتهى من الطرف القبلى بالخانقاه ، وهى تشغل مساحة كبيرة تحزبت ولم يبق منها إلا وجهتها ، وقد ثبتت عليها ألواح رخامية نقش عليها بيان الأعيان الموقوفة على التربة التى أنشأها لأخيه بالحوش الملقى بتربته ، وبيان وجوه صرفها بتاريخ سنة ٨٣٤هـ (١٤٣١ م) كما نقش عليها أيضا بيان ماوقفه على التربة التى أنشأها بحوشه لقريبه الأميرين أقطوه وثانى بك ، وبيان وجوه صرفها . ثم وقفية ثالثة على أخيه السيفى شبك رحمه الله بتربة أنشأها المقام الشريف بالصحرأ ، وبيان الأعيان الموقوفة ووجوه صرفها ، وقد خص مسجد الظاهر ببرس البندقدارى بحصة منها . وقد أبان لنا الحكمة فى كتابة وقفيته نقشا على منشآته لمنع عبث العابثين بها ، فلم يجد هذا ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وقد تحزبت هذه الخانقاه وبها بقايا عقود تنوعت أشكالها إلى محاريب فقارب وصرح . والقسم المحتفظ يتفاصيله الآن : المصلی ، وقبة الإشراف برسباى ، وحوشها الشرقى المدفون به أقاربه وبعض العلماء .

ويتوصل إلى هذه التربة من الطريق المؤدى من خانقاه برقوق إلى مدین السلطان قايتباى حيث يوجد سلم ذو جناحين يؤدى إلى مدخل لطيف تعلوه منارة جزؤها العلوى حديث ساذج الشكل . ووجهة التربة مبنية بالحجر على طراز الوجوهات المألوفة فى المساجد . صفوف مفتوح فيها صفان من الشبابيك : أحدهما قريب من أرضية المصلی والقبة . والآخر علوى ومغطى بشبابيك جصية

(*) أنظر الصور من رقم ١٦١ - ١٦٧ بمجموعة الصور الفوتوغرافية .

غالبها جديد . ثم أكتاف فاصلة بين الصفف المغطاة من أعلى بمقرنصات . ويتوج الوجهة أفريز كانت تعلوه شرفات . والباب العمومى مكتوب على جانبيه : ”بسم الله الرحمن الرحيم أنشأ هذه الخانقاه المقام الشريف مولانا السلطان الملك الأشرف سلطان الإسلام والمسلمين ابو النصر برسباى عن نصره ، وكان الفراغ من ذلك فى شهر ذى الحجة سنة خمس وثلاثين وثمانمائة“ .

وعتب الباب مززر وفوقه نفيس منقوش ، يعلوه سطر آخر مكتوب فيه : ”بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله - الآية“ . يكتنفه دائرتان بهما : ”السلطان الملك الأشرف برسباى عن نصره“ . وعقد الباب مداينى مخصوص ينتهى بطاقية بها مقرنصات .

وفى الجانب البحرى للدركاه التى تلى المدخل باب معقود يؤدى إلى مصلى ذى إيوانين يفصل بينهما مجاز تؤدى نهايته البحرية إلى باب القبة .

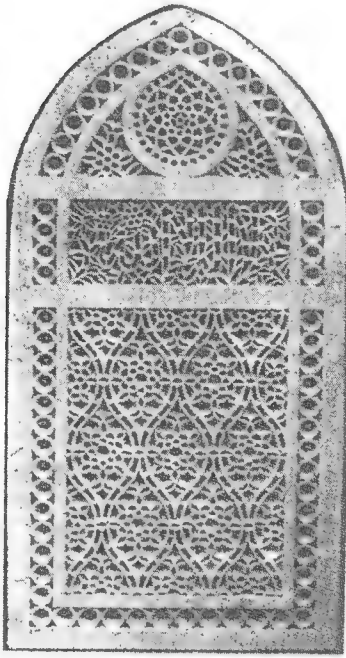
وسقف المصلى محمول على صفتين من العقود يشتمل كل صف منهما على ثلاثة عقود مجمولة على عمودين من رخام : اثنان منهما قواعدهما تيجان . وأرضية الإيوان الشرقى بالمصلى من الرخام الدقيق وبها ترابيع محاطة بزرات ملونة وهذا يشاهد لأول مرة فى الأرضيات فقد ألفنا رؤية المززرات فى أعتاب الأبواب والشبابيك فقط .

وبالمصلى محراب حجرى عاير من الزخرف وشبابيك جصية عمات حديثا ، وقد نقشت السقوف بالبوية ، وكتب بإزارها ألقاب المنشئ . أما القبة فإن أرضيتها من الرخام ، ولكنه مع جماله دون دقة الأرضية بالمصلى . وقد آحتفظت وزرة جدرانها بأشرطة من رخام

وصدف دقيق جدا ، وصناعة الرخام بالمحراب دقيقة . وعلى جانبيه خورنقات صغيرة طعمت بالصدف الدقيق ، وأمامه قبر المنشئ وزوجته خوند جلبان أم ولده الملك العزيز يوسف ، وقد توفيت فى ٢ شوال سنة ٨٣٩ هـ (١٤٣٦ م) .

والقبة من القباب الكبيرة ، قاعدتها مربعة ، تعلوها رقبة ، فوقها قبة كبيرة جميعها من الحجر ، وسطحها مغطى بنقوش هندسية بدیعة . ونقوش هذه القبة تعتبر الخطوة الثانية بعد قبة خانقاه فرج بن برقوق

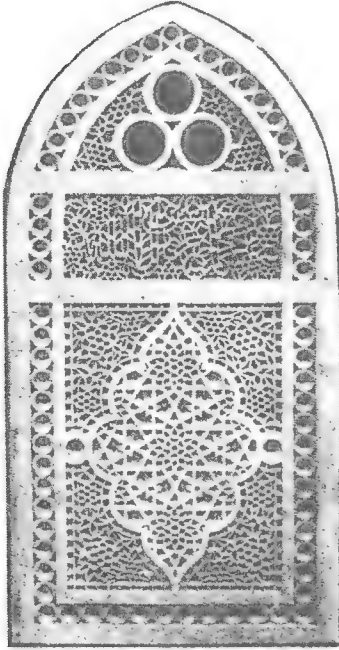
(١) النجوم الزاهرة ج ٦ قسم ٢ ص ٨٤٢ طبع كفرنزا .



شباك من جص وزجاج ملون

فى سبيل ترقية زخارف القباب الإسلامية، ومكتوب برقيتها من الخارج : ”بسم الله الرحمن الرحيم“
الله لا إله إلا هو الحى القيوم الآية“ ثم أسم الأشرف برسباى وألقابه .

وخلف المصلى الحوش الذى يضم قبور أخيه وأقاربه ، ويتوصل إليه من باب بصدر الدركاه
بالمدخل ، وبه الآن قبتان : إحداهما تلاصق المصلى ، وقد هدمت ولم يبق سوى قاعدتها . والثانية
أمامها وقد أقيمت على أربعة عقود، ومقرنصها من الجص : وتحتها تركيبتان من الرخام ، مكتوب
على الكبيرة منهما آية الكرسي وعلى التريكة الصغيرة أمام المحراب لوح رخامى مؤرخ ٢٠ شوال
سنة ٨٤١هـ (١٤٣٨ م) . باسم خويى بن سيدى داود ولد المقام الشريف ... وأرجح أنه منقول
من مكان آخر لأنه فى غير موضعه ؛ وهى قبة صغيرة مبذبة بالحجر، وقد نقش سطحها بالزخارف الجميلة .



شباك من جص وزجاج ملون

ومن دفن فى هذا الحوش : الأمير سيف الدين
يشبك بن عبد الله أخو الملك الأشرف برسباى ، وقد
توفى فى شهر رجب سنة ٨٣٣هـ (١٤٣٠ م) والعلامة محمد
ابن محمد بن أحمد شمس الدين القليوبى ، وقد توفى
سنة ٨٤٩هـ (١٤٤٥ م) . وعلى بن بركات بن حسن
ابن عجلان ، وقد توفى فى ١٣ رجب سنة ٨٩١هـ
(١٤٨٦ م) .

المنبر — يقوم الى جانب المحراب بالمصلى .
منبر جميل طعمت حشواته بالسق والزرنشان والأوعية
برسوم جميلة ميزته على كثير من المنابر المعاصرة له
وقد حلّ باب مقدّمه بخراط ميمونى دقيق مكتوب فيه
بالخط الكوفى : ”إنا لله وملائكته يصلون على
النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه“ له نظير فى صنوه ،
منبر المدرسة المزهريّة . وقد طعم الخشب الخراط
بدرابزينه بالسق .

وهذا المنبر منقول إليه هو وكرسى المصحف من مسجد الغمرى بشارع امير الجيوش المنشأ
سنة ٨٤٣هـ (١٤٣٩ م) بعد تحزبه وهدمه .

(١) النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٢ ص ٨١٤ (٢) التبر المسبوك ص ١٣٨ (٣) الضوء اللامع ج ٥ ص ١٩٧

ومعلوم أن الأمر بعملهما للمسجد هو محمد بن علي المعروف بابن الردادى ^(١) حوالى سنة ٨٥٠ هـ (١٤٤٦ م) .

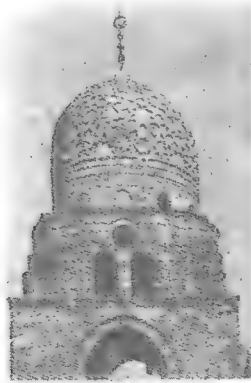
وقد كان هذا المنبر والكرسى فى حالة سيئة ، قد فقدتا بعض حشواتهما ، فعنيت إدارة حفظ الآثار العربية بهما ، وأصلحتهما ؛ ثم وقع اختيارها على إبداءهما هذا المسجد لحاجته اليهما ، فقد كان به منبر فى منتهى البساطة لا يمت له بصلة .

وصانع هذا المنبر هو النجار الماهر أحمد بن عيسى بن أحمد الديماطى ثم القاهرى . كان نابغا فى صناعته ؛ وقد قام هذا النجار بأعمال هامة فى دولة الظاهر جقمق والجمالى ناظر الخاص ، وجاء فى ترجمته أنه هو الذى عمل منبر المدرسة المزهرية ، ثم المنبر المكي ومنبر جامع الغمري ؛ توفى بالمنزلة فى ذى القعدة سنة ٨٩٧ هـ ^(٢) (١٤٩٢ م) .

وبمقارنة هذا المنبر بمنبر مدرسة أبى بكر بن مزهر بحارة برجوان المنشأة سنة ٨٨٤ هـ (١٤٧٩ م) نجده متفقا معه فى كثير من التفاصيل ، وخاصة الحارط الدقيق والكتابة الكوفية فى باب المقدم ، وتقاسيم الجانبين ، وقد ميزتهما على كثير من المنابر .

وبذلك نكون قد وقفنا الى معرفة نجار ماهر ترك لنا من صناعته منبرين من أنفس المنابر وأجملها .

(١) الضوء اللامع ج ٩ ص ٩ (٢) الضوء اللامع ج ٢ ص ٥٩ (٣) الضوء اللامع ج ٢ ص ٥٩



القبلة شرق المصلى

مسجد الأشرف برسباي

بالخانكاه^(١)

الخانكاه — بلدة تابعة لمركز شبين القناطر بمديرية القليوبية، وواقعة على خط سكة حديد القاهرة . وكانت تعرف قديماً باسم «سماسم سرياقوس» وقد غالب عليها اسم الخانكاه لأنه كان بها الخانكاه التي أنشأها السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٢٥ هـ (١٣٢٥ م) وسبب بنائها أنه لما بنى الميدان والأحواش في بركة الحب القريبة من هذه المنطقة لشغفه بالصيد فيها، آتفق أن ركب على عادته إليها، فطراً عليه ألم جسم كاد يهلكه وهو يقالبه، حتى اضطر إلى النزول عن فرسه، فندر إن شفاه الله لينين في هذا المكان بمسجدا لعبادة الله تعالى؛ فتقبل الله منه، وزال ما به من مرض، ونشط للصيد بقية يومه؛ ثم عاد إلى قلعة الجبل، فلزم الفراش أياماً، ثم عوفى فركب بنفسه ومعه المهندسون، وأختط على قدر ميل من ناحية سرياقوس خانكاه جعل فيها مائة خلوة لمائة صوفي، وبنى بجانبها مسجداً كما بنى بها حماماً ومطبخاً؛ وكان ذلك في شهر ذي الحجة سنة ٧٢٣ هـ (ديسمبر سنة ١٣٢٣ م) وافتتح هذه المجموعة في يوم الجمعة ٧ جمادى الآخرة سنة ٧٢٥ هـ (١٣٢٥ م)؛ ثم وزعت التشاريف السلطانية على قاضي القضاة والعلماء وشيخ الشيوخ (شيخ الخانكاه) .

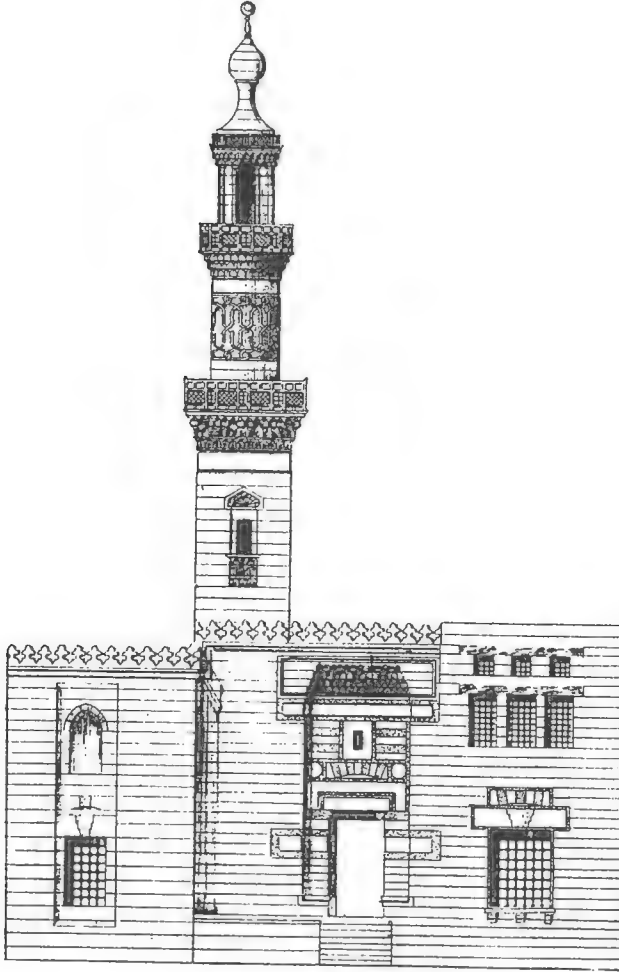
ومنذ ذلك الوقت رغب الأمراء وغيرهم في السكنى حولها، فأنشئت بها المساجد والدور والخانات، وصارت بلدة كبيرة عرفت بخانكاه سرياقوس، إلا أن الزمن لم يبق على هذه الخانكاه فزالت من الوجود .

مسجد الأشرف برسباي — حدثنا الإسماعيلي والصفوي المؤرخان عن سبب بناء هذا المسجد حديثاً خلطاً فيه بين فتح الأشرف برسباي لقبرص وبين سفره إلى آمد ومحاصرتها، استخلصنا منه أنه عند خروجه لفتح قبرص سنة ٨٢٩ هـ (١٤٢٦ م) نزل في مكان خال من البناء بالخانكاه السرياقوسية، ونذر إن أحياء الله تعالى وظفير بعدوه ورجع سالماً ليعمرت في هذا المكان سيلاً ومدرسة؛ فنصره الله وفتحها، وأسر ملكها، وبعث به إلى القاهرة أسيراً، فزينت المدينة؛ وصادف ذلك الفراغ من بناء مدرسته بالأشرافية، فأمر بتعليق خوذته على باب هذه المدرسة، وقد بقيت حتى رآها الإسماعيلي المؤرخ في القرن الحادي عشر الهجري (السادس عشر الميلادي) وقد وقى بنذره، وأنشأ المسجد وألحق به سيلاً، كما أنشأ بجواره مقعداً وخاناً وحوضاً لشرب الدواب^(٢) .

(*) انظر الصور من رقم ١٦٨ - ١٧٢ بمجموعة الصور القوتوغرافية . (١) المقرئى، ج ٢ ص ٤٢٢ . (٢) أخبار الأمل من ١٢٢، صفوة الزمان من ١٠٠ (٣) هو الملك جان دى لوزيان . (٤) جهة الوقت .



وفي هذه الرواية نظر — لأن حجة الوقف تفيد أن هذه المنطقة كانت عامرة بالمدارس والدور وإن الخانقاه الناصرية كانت موجودة غرب المسجد . ومدرسة سودون بن عبد الرحمن كانت شرقيه .



المدخل والمنارة

تاريخ المسجد ووصفه — كان البدء في إنشاء هذا المسجد ولحقاقته في سنة ٨٣١ هـ (١٤٣٧ م)^(١) وأنشأ بجواره مقعدا وخابا وبستانا في الجهة البحرية منه ، ودورة للمياه وساقية وحوضا لشرب الدواب في الجهة القبلية .

(١) ابن إياس ج ٢ ص ١٨

وكان الفراغ من بناء هذه المجموعة في سنة ٨٤١ هـ (١٤٣٧ م) ، ولم يبق منها الآن سوى المسجد ومحقاته وبقايا الخوض ودورة المياه .

ولهذا المسجد أربع وجهات مبنية بالجمر بارتفاع ١٠,٢٥ متر بما فيها الشرفة وأهمها الوجهة الشرقية، وهي الرئيسية، وبطرفها البحري الباب العمومي وسبيل تعلوه حجرة كتاب .

والباب العمومي مكسوق بالرخام، من مداميك بيضاء وسوداء، ومكتوب على جانبيه ما نصه :
(بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) إلى ... (المهتدين) .
أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك سيدنا السلطان الملك الأشرف أبو النصر برسبای عز نصره .

ومصراعا الباب من الخشب المغطى بالنحاس، قامت بعملهما حديثا إدارة حفظ الآثار العربية على مثال باب مدرسته بالأشرفية .

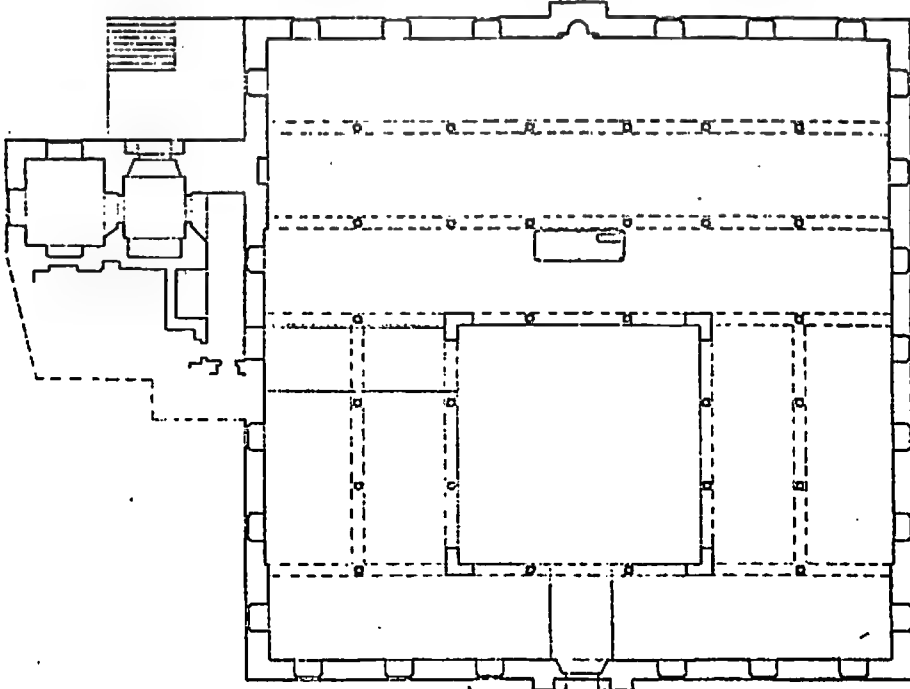
وقد كان مربكا عليه باب مكسو بالنحاس منقول إليه من أثر آخر أقدم منه، وعليه اسم الأمر بعمله الأمير شمس الدين مستقر الطويل المنصوري ، فاصلع سنة ١٩٠١ م . وأودع دار الآثار العربية ، وهو باب منقوش بالنحاس الحافل بالكتابات، وبه صور حيوانات .

ويعلو الباب عتب رخامي مزرق على هيئة شرفات بيضاء وسوداء، يحيط به إفريز رخامي ملون ، كما يوجد به دائرتان مكتوب عليهما : ”عز لمولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر برسبای عز نصره“
يعلوها سطر مكتوب فيه تاريخ الفراغ من البناء بما نصه : (بسم الله الرحمن الرحيم في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، إلى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) صدق الله العظيم .
وكان الفراغ من ذلك في مستهل جمادى الأولى سنة أحد وأربعين وثمانمائة من الهجرة النبوية .

وعلى يسار هذا الباب منارة رشيقة قاعدتها حتى الدورة الأولى مربعة لم يبق قديم سواها . وقد قامت إدارة حفظ الآثار العربية بتكلفتها، بجاءت تحفة فنية . وتشكون من ثلاث دورات يبلغ ارتفاعها من سطح المسجد ٢٣,٠ متر : الدورة الأولى مربعة ٣,٠ × ٣,٠ متر وارتفاعها ٧,٨٠ متر وبها مقرنص من ثلاث حطاط وأربع مشربيات يجوانبها . والدورة الثانية مستديرة، قطرها ٢,٤٠ متر وارتفاعها ٥,٧٠ متر بها زخارف على شكل جفوت متقاطعة ، وبها مقرنص من ثلاث حطاط ، والدورة الثالثة مئنة ، ارتفاعها بما فيه الخوذة والهلل ٨,٥٠ متر ، وبها ثمانية أعمدة رخامية يعلوها مقرنص من حطتين .

(١) النجوم الزاهرة، ج ٦، ص ٢٠٢ طبع كفرنبا، زمة النفوس والأبدان، ج ٣، ص ١٢٨ خط .

والباب يؤدى إلى دركاة مربعة، بصدرها مسطبة لها وزرة رخامية، على يمينها باب معقود يؤدى إلى السبيل، يقابله باب آخر يؤدى إلى طرقة مفروشة بالرخام، بها منقطة (منزيرة) عليها حجاب من خشب الخراط الحديد، يليها باب يؤدى إلى القاعة الملحقة بالوجهة البحرية، وبصدر هذه الطرقة باب يؤدى إلى الكلاب والمجرات الملحقة به وإلى المنارة والسطح.



مسقط أفق

والمسجد مربع طول ضلعه ٣٨,٤ مترا ومساحته ١٤٧٤ مترا ومساحته بما فيه المدخل والسبيل وملحقاته ١٧٢٧ مترا، ويتكوّن من أربعة إيوانات، يتوسطها صحن مكشوف مفروش بالرخام الملون مساحته ١٣,٩٠ × ١٣,٩٠ مترا.

وأكبر الإيوانات الإيوان الشرقى، وبه ثلاثة أروقة، بكل رواق ستة عمد رخامية، تحمل عقودا حجرية فتحت في خواصرها شبابيك مستطيلة للتخفيف. وبمؤخر هذا الإيوان دكة المبلغ، محمولة على ستة عمد رخامية، ولها درابزين بوجهين من الخشب الخراط.

وصدر هذا الإيوان وجانبه مكسوة بوزرة رخامية مأونة، يتوسطه محراب تجويفه وطاقته من الرخام الدقيق، قيل: إنه كان به تسع شعرات من شعر النبي صلى الله عليه وسلم.

(١) أخبار الأول ص ١٢٢، الحقيقة والمجاز ص ٢٩، صفوة الزمان ص ١٠١ - خط.

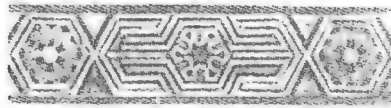
ويحاور المحراب منبر خشبي مطعم بالسق وبكل من الإيوانين البحري والقبلي رواقان .
أما الإيوان الغربي فمن رواق واحد، يتوسطه باب تسوده البساطة .

ويحيط بجدران المسجد من أسفل شبابيك حديدية، ومن أعلى شبابيك جصية من الداخل والخارج .
وكانت سقوف المسجد محلاة بزخارف البوية، فأعيد سقف الإيوان الشرق منها طبقاً لأصله .

أعمال الإصلاح — عنيت لجنة حفظ الآثار العربية بهذا المسجد منذ سنة ١٨٩٤ م ،
فقررت تسجيله ضمن الآثار العربية، وكانت حالته سيئة فأجرت به إصلاحات جزئية على مر السنين .
وفي عصر المغفور له الملك فؤاد الأول أجريت به إصلاحات هامة هيأته لإقامة الشعائر الدينية
وتتمت هذه الأعمال نهائياً، وأعد للصلاة في عهد الملك الصالح فاروق الأول .

وقد تناولت هذه الأعمال إصلاح الواجهات، وتكلمة السبيل وملحقاته، والواجهة البحرية،
وعمل باب جديد، وتقوية المنارة وتكلمتها، وعمل مزينة، وإصلاح رخام الوزرات والأرضيات،
وتكلمة المحراب والمنبر وإصلاحهما، وتقوية العمد، وإصلاح الرخام بالصحن وأمام المحراب،
وعمل شبابيك جصية من الداخل والخارج بالواجهات وأعيدت طبقاً لأصلها نقوش سقف
الإيوان الشرق .

”وقد تفضل بافتتاحه حضرة صاحب الجلالة الملك الصالح فاروق الأول بأداء فريضة الجمعة
فيه يوم ١٤ المحرم سنة ١٣٦٤ هـ (٢٩ ديسمبر سنة ١٩٤٤ م) أعزه الله وأدام ملكه السعيد“ .



مسجد زين الدين يحيى

بشارع الأزهر^(*)

الأمير زين الدين يحيى — يحيى بن عبد الرزاق الزينى القبطى — وفى رواية الأرمنى —
الظاهرى الأستاذ المعروف بالأشقر . ولد بمصر قبل أوائل القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر
الميلادى) ، فنشأ بها وتدرّب فى وظائف الدولة ، وتدرّج فيها إلى أن عين ناظرا لديوان المفرد^(٢)
غير مرة ، ثم عين ناظرا للاسطبل السلطانى ، ومحتسبا للقاهرة .

وفى دولة الظاهر جقمق كان الأمير مقربا منه ، فأقبلت عليه الدنيا ، وأثرى ثراء عظيما بسبب
تسغه ، وأستلأته على أموال كثيرة بطرق غير مشروعة .

وبعد وفاة الظاهر جقمق تنكرت له الدنيا ، فنكب وعذب غير مرة ، وأستخلصت منه أموال
كثيرة ، وقامى أهوالا شديدة ؛ ثم أرسل إلى المدينة الشريفة النبوية فبقى بها أشهرا عاد بعدها
إلى مصر ولزم بيته .

ولما ولى الملك الأشرف قايتباى ملك مصر صادره أيضا ، وحبسه بالقلعة ، إلى أن توفى
ليلة الخميس ٢٨ ربيع الأول سنة ٨٧٤ هـ (١٤٦٩ م) . وقد زاد عمره على الثمانين ودفن بهذه
المدرسة ، عفا الله عنه .

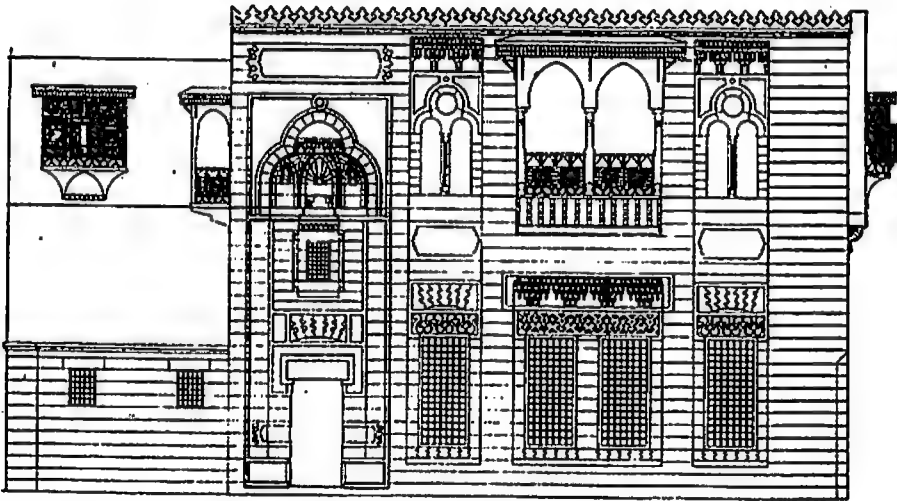
وله منشآت عمرارية كثيرة ، منها مسجدان : أحدهما بالحبانية . والآخر ببولاق ، وكلاهما باق إلى
الآن ، وهما من الآثار القيمة ؛ وقد جدد رباط أبى طالب بشارع بين السورين ، وأنشأ هذا المسجد
تجاه داره ، مع ملحقات كثيرة وردت فى كتاب وقفه الذى يتبين منه أيضا أن باب الخوجة أحد
أبواب السور الفاطمى كان مجاورا له من الجهة القبلىة .^(٣)

موقع المسجد ووصفه — عند تلاقى شارع الأزهر بشارع الخليج المصرى ، يستترعى
النظر وجهة جديدة بنيت بالحجر ، تجلّت فيها دقة الصناعة ، تلك هى الوجهة القبلىة الجديدة لمسجد
زين الدين يحيى .

(*) انظر الصور من رقم ١٧٣ — ١٧٦ مجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) ابن إياس ج ٢ ص ١١٤ ، الضوء اللامع ج ١٠ ص ٢٣٣ — ٢٤
(٢) ديوان المفرد (ديوان الخامة)
(٣) جهة الوقف .

أنشئ هذا المسجد سنة ٨٤٨ هـ (١٤٤٤ م) وهو من المساجد الجميلة الحافلة بشتى الصناعات . وله الآن ثلاث وجهات : الشرقية ، وبها شبابيك أعتابها من مزررات رخامية ، وبطرفها القبلى مدفن للنشئ ، كان بجواره سيل ، وبطرفها البحرى المنارة الرشيقة ذات الدورات الثلاث والملبس بدن دورتها الثانية برخام ، وبهذه الوجهة أيضا شباك صغير مكتوب عليه : " هذا ضريح الشيخ الصالح سيدى فرج السطوحى أعاد الله بركته على من جدد هذا المعروف وعلى المسلمين بمحمد وآله " . والوجهة البحرية تتكون من باب لليضأة المنخفضة عن مستوى الشارع ، يحاوره الباب الرئيسى للمسجد ، وهو باب جميل كسى بالرخام الأبيض والأسود ، وعتبه مزرر بالرخام ويكتنفه مستطيلان من رخام دقيق ملون ، يعلو ذلك سطر مكتوب فيه ما نصه : « أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك العبد الفقير إلى الله تعالى ، المقز الأشرف الكريم الملكى الظاهرى » . يغطى ذلك مقرنصات جميلة ذات دلايات .



الوجهة القبلىة

ومكتوب على جانبي هذا الباب قوله تعالى : (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) بتاريخ جمادى الأول سنة ثمان وأربعين وثمان مائة . ومركب على هذا الباب مصرعان مكسوان بالنحاس المنحزم بأشكال زخرفية . وهذا الباب يؤدى إلى دركاة مربعة صغيرة ، بصدرها مسطبة مفروشة بالرخام الملون وشباك ، يعلوها سقف منقوش مذهب ، مكتوب بأزاره قوله تعالى : (وقال رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق وأجعل لى من لدك سلطانا نصيرا) . وعلى يسار هذه الدركاة باب يؤدى

إلى ضريح عرف بالشيخ فرج وإلى سلم السطح، وعلى يمينها باب يؤدي إلى طرقة مستطيلة فرشت بالرخام، توصل إلى صحن المسجد، وتصميمه مدرسة أربعة إيوانات متعامدة أكبرها إيوان القبلة، بصدرة محراب حجري عار من الزخرفة، كتب بتجويفه قوله تعالى: ﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها﴾. الآية. يجاوره منبر خشبي طعمت حشوات جوانبه ودرازينه وأبوابه بالسق والزنشنان؛ فهو من المنابر القيمة وعلى بابه رنك محبرة. وكرسی المصحف صناعته مثل صناعة المنبر، مطعم بالسق والزنشنان.

ولهذا الإيوان سقف مزخرف مذهب مكتوب بإزاره آيات من القرآن، وكذلك باقى سقوف الإيوانات وهى فى غاية الجمال وعلى جانب عظيم من الأهمية هذا عدا الشبايك الجصية ذات الزجاج الماؤن.

وقد غطى الصحن بسقف مزخرف مذهب، بإزاره آيات من القرآن، كما كتب بمنمن منوره تاريخ عمارته سنة ١٣١٤ هـ.

ومكتوب تحت مقرنص أرجل عقود الإيوانات أسم المنشئ وألقابه وتاريخ العماره بما نصه :
 «أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك مولانا المقر الأشرف الكريم العالى المولوى الأميرى الكبيرى الأجلى -
 الحامى المخدومى السيدى - السندى - المالكى - الذخرى - العضدى - النظامى - الهامى - المشيرى - السفيرى -
 الزينى - أبو زكريا يحيى أمير أستاذ دار العالية . . وكان الابتداء فى . . سنة . . وثمان مائة، والفراغ منه
 فى ثانى شعبان المكرم سنة تاريخه عمرها . . . بذكره .

والباب القبلى الشرق للصحن يؤدي إلى مدفن المنشئ، متوسطه تركية رخامية كتب بجوانبها كلمات من آية الكرسي ثم مانصه :

«أنشأ هذا المدفن المبارك الفقير إلى ربه المقر الأشرف العالى الزينى يحيى أمير أستاذ دار العالية وما مع ذلك عز نصره بتاريخ عاشر جمادى الآخرة سنة تسعين وثمان مائة .»

ويتوسط هذه الكتابة حلية زخرفية بها شمعدانان يتوسطهما قنديل. والباب القبلى الغربى يؤدي إلى سلم يهبط إلى دورة المياه القديمة، وكانت تحت الإيوان الغربى؛ ويؤدي الآن إلى دورة المياه الحديثة الملحقة بالجهة الغربية للمسجد.

عناية لجنة حفظ الآثار العربية بهذا المسجد — عند ما شرعت لجنة حفظ الآثار العربية فى العناية بهذا المسجد كان فى حالة سيئة فقد كان خاليا من أكثر السقوف، ونصفه متخرب تقرىبا؛

والمئذنة لم يكن بها سوى دورتها الأولى. أما باقيها فقد كان من الخشب والطوب، عمل سنة ١٢٥٣ هـ (١٨٣٧ م)، والوجهات مشعثة، والتجارة مفقود أكثرها؛ فعنت بتقوية أبنيتها، وتكلمة وجهاته، وأعادت بناء الكتاب بمشربته، وأصلحت المنبر والكرسى، وقد فقد الكثير من حشواتها، وسرقت نصوصها التاريخية، وحفظت اللوحة التاريخية التي كانت على المنبر بخزانة النقود العتيقة بباريس، ونصها: « أمر بإنشاء هذا المنبر المبارك المقر الأشرف العالى الزينى أستاذ دار العالية عز نصره ».

وحفظت اللوحة التاريخية التي كانت على كرسى المصحف فى مجموعة شيفر الأثرية، ونصها: « أمر بإنشاء هذا الكرسى المبارك المقر الأشرف العالى الزينى أستاذ دار العالية عز نصره فى شهر سنة ثمان وأربعين وثمان مائة ».

وكذلك أكلت المئذنة من تفاصيل منارات عصرها، وأعيدت السقوف إلى أصلها، والشبابيك الحصية، حتى أصبح المسجد تحفة فنية على ما هو عليه الآن، وقد بلغت نفقات تكميله ٢٧١١ جنيهاً؛ وأثبت تاريخ هذه العمارة على منور سقف الصحن، وفى لوح رخامى بطريقة المسجد بما نصه: « شرع فى تجديد هذا الجامع المبارك فى عصر ساكن الجنان الخديو الأعظم محمد توفيق باشا سنة ثلاث وثلاثمائة وألف، وأتمى فى عصورى النعم الخديو الأعظم عباس حلمى باشا الثانى بمباشرة لجنة حفظ الآثار العربية عام خمسة عشر وثلاثمائة بعد الألف من الهجرة النبوية ».

وعلى أثر فتح شارع الأزهر آنكتشت الوجهة القبلى لهذا الجامع، فوجدت مهتمة لانتفق وجمال هذا الأثر وأهمية الشارع، فعنت بها إدارة حفظ الآثار العربية ووضعت لها تصميماً حافلاً تم تنفيذه فى عصر الملك الصالح فاروق الأول.

ولهذه الوجهة باب حافل بالنقوش والكتابات والمقرنصات، مركب عليه مصراعان مغشيان بنحاس مخزم بأشكال جميلة، كما حليت أعتاب الشبابيك بالرخام، والوجهة بالمشربيات، وقد كتب أعلى الباب العمومى ما نصه: « تجددت هذه الوجهة فى عهد الملك الصالح (فاروق الأول) فى سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وألف ».

وكان أداء حضرة صاحب الجلالة الملك فريضة الجمعة فيه يوم ٢٤ شعبان سنة ١٣٥٩ هـ (٢٧ سبتمبر سنة ١٩٤٠ م) إيذاناً بافتتاح عمارته الجديدة التى تمت فى عهده الزاهر، أمد الله فى عمره السعيد، وثبت قواعده ملكه.

مسجد زين الدين يحيى ببولاق

بشارع الخضر^(٥)

هو ثاني جامع أنشأه الأمير يحيى زين الدين ، وعرف بجامع المحكة ، لانتخاذه محكمة منذ القرن العاشر الهجري حتى عصر المغفور له محمد علي باشا .

وقد أنشئ في سنتي ٨٥٢ هـ (١٤٤٨ م) — ٨٥٣ هـ (١٤٤٩ م) ، وأنتح للصلاة في سنة ٨٥٢ هـ (١٤٤٨ م) قبل الفراغ من عمارته ، لأن السخاوي المؤرخ يقرر « أنه في يوم الجمعة ٣ رمضان سنة ٨٥٢ هـ خطب بالجامع الذي أنشأه الزيني الأستاذار بشاطئ النيل ببولاق ، بإذن السلطان ، وكان يوما مشهودا ، وخطيبه يومئذ هو الشيخ المقرئ تاج الدين عبد الوهاب السكندري المالكي . وقرر بالجامع تصوفا وميعادا ، وقرر في مشيخة ذلك الشيخ نور الدين علي المناوي سبط ابن الملقن ، وفي الإمامة بدر الدين البرماوي الموقع . وفي قراءة الحديث الشيخ أباحامد القيسي . فعل كل هذا ، وعمارته لم تنته إلا في السنة الآتية^(٦) » .

ويظهر أن الإسراع بحفلة الافتتاح كان من عادة منشئي هذه الآثار ، لأن العماره استمرت بعد افتتاحه خمسة عشر شهرا ، فلم تنته إلا في ذي الحجة سنة ٨٥٣ هـ (يناير سنة ١٤٥٠ م)^(٣) بينما نقرأ على الجامع أن الفراغ منه في شهر شعبان سنة ٨٥٢ هـ . وقد تكررت هذه الحالة في كثير من المساجد والمدارس ، وكأنهم أرادوا أن يشعروا الأجيال التي تليهم بقوة سلطانهم ونفوذهم .

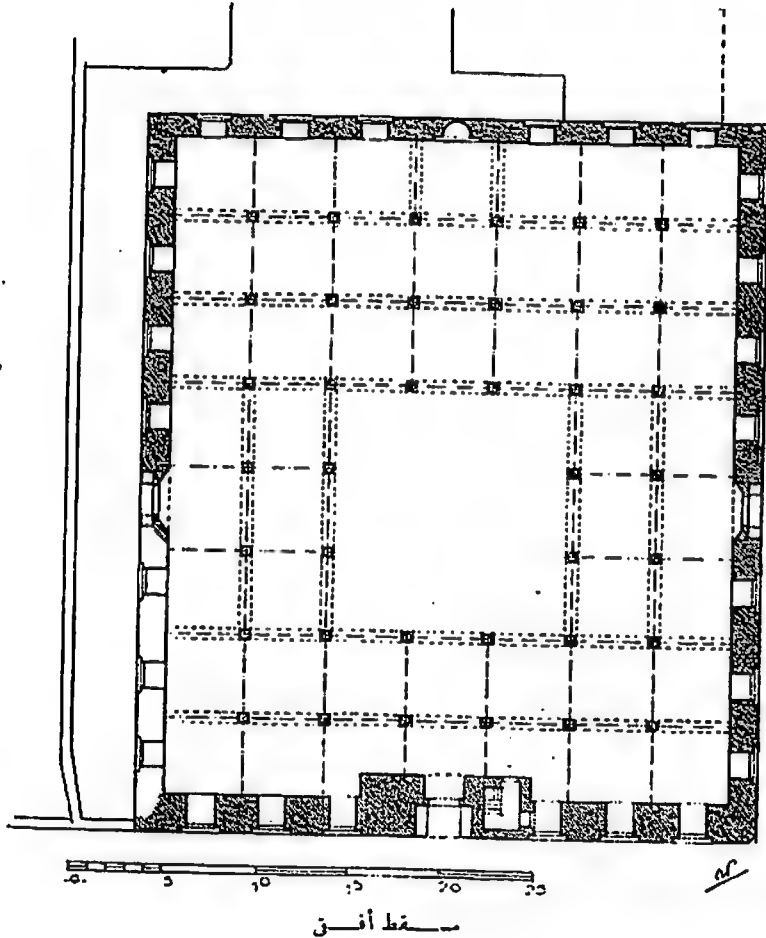
وزي ابن تقي^(٤) بردى عند ذكره تاريخ الفراغ من العماره يقول : « ولم أدر المصروف على بنائه من أى وجه ومن كان له شئ فله أجره » .

ولهذا المسجد ثلاث وجهات رئيسية مبنية بالحجر ، يتوسط كلا منها باب : القبلي والبحري منهما متماثلان ، بينما اختلف الغربي عنهما ، وقد اشتملت تلك الأبواب على مقرنصات متنوعة ، وزخارف هندسية ، وتطعيم بالرخام المألون ، وكتابات تاريخية ، فما هو مكتوب على الباب الغربي في أربعة مستطيلات حجرية : « أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك المقتر الأشراف الكريم العالي الزيني استاذ دار العالية الملكي الظاهري عز نصره » .

(*) أنظر الصور من رقم ١٧٧ — ١٧٩ بمجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) بأى شرع بمح من ٣١ (٢) التبر المسبوك من ٢١٧ (٣) النجوم الزاهرة ج ٧ من ١ ص ١٨٢ ، طبع كفرنيا والتبر المسبوك من ٢٧٠ (٤) النجوم الزاهرة ، ج ٧ من ١ ص ١٨٣ طبع كفرنيا .

ومكتوب أعلى الباب القبلي : « أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك ابتغاء لوجه الله تعالى المقتر
الأشرف الكريم العالى الزينى أستاذ دار العالية الملكى الظاهرى عز نصره » .
ومكتوب على جانبي الباب : ﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة
وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ﴾ . « وكان الفراغ من ذلك فى شهر
شعبان سنة اثنى وثمان مائة » .



ولا شك أنه قد سقطت من الكتاب كلمة (وخمسين) فتكون صحته اثنى وخمسين وثمانمائة .
وتصميمه الداخلى تصميم مسجد أربعة إيوانات يتوسطها صحن مكشوف كتب بدائره ما نصه :
« ... الشريف السلطان الملك الظاهر أبو سعيد جقمق عز نصره ، العبد الفقير إلى الله
تعالى المقتر الأشرف الكريم العالى المولوى الملكى المخدومى العضدى الزحرى ... » .

وبكل من إيواناته الثلاثة وواقان: أما الإيوان الشرق فيشتمل على ثلاثة أروقة، يتوسطه محراب حجرى عار من الزخرف ليست طاقيته بالبحر الأحمر وبها لفظ الجلالة، ومكتوب بتجويفه: « أنشأ هذا الجامع المبارك في صحائف مولانا السلطان الملك الظاهر محمد أبو سعيد جقمق عز نصره ، فقير رحمة ربه ، أبو زكريا يحيى الشافعى ، عامله الله بإطفه الخفى » .

وبعلو المحراب قبة خشبية جددت على مثال القبة في مسجده بالجانبية، ويمجاوره منبر خشبي جديد مكتوب على باب مقدمه: « أنشئ هذا المنبر في عصر حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول » . والمسجد وإن كان خاليا الآن من الزخرف بسبب ما أصابه من تحترب وهدم ، فإن مجوار أبوابه من الداخل حفلت بزخارف جصية دقيقة تسترعى النظر .

وتقوم المنارة على يسار الباب الغربى ، وقد هدم قسمها العلوى فلم يبق سوى قاعدتها حتى الدورة الأولى وبها زخارف وكتابات تضمنت أسم المنشئ . ويلاحظ فيها أن جلسة دورتها الأولى مخضرفة منقوشة ، وقد قلدها مهندسا السلطان قايتباى فى منارة مسجده بقلعة الكيش والأمير يشبك من مهدى فى منارة الإمام الليث .

المهندس - لم نجد نصا صريحا فى أسم مهندس الأمير زين الدين يحيى ، ولكن عرفنا أن مهندس السلطان فى ذلك الوقت كان المعلم محمد بن حسين الطولونى^(١) ، وقد توفى فى ذى الحجة سنة ٨٥٢ هـ (يناير سنة ١٤٤٩ م) فيحتمل أن يكون قد أشرف على إنشاء مسجده بشارع الأزهر وعلى هذا الجامع .

أعمال الإصلاح - أدركت إدارة حفظ الآثار العربية هذا المسجد تحريا مندثرا مهتما ، وجدرانه مائلة ، وعقوده ساقطة ، وسقوفه مفقودة ، فقد كان عبارة عن أطلال . وقد قدرت المقايسة التى أعدت لإصلاحه سنة ١٨٩١ م بمبلغ ٦٠٠٠ جنيه مصرى .

ومنذ سنة ١٩١٦ بدأت عنايتها بإصلاحه تدريجيا وتحلية ما حوله ، ومن الممكن القول بأن إصلاحه من الداخل كان بمثابة إنشائه مع إدخال الأجزاء القديمة فى التجديد فلم تات سنة ١٩٢٠ م إلا وقد تم إعادة الإيوان القبلى إلى أصله ، والإيوانين البحرى والغربى والنصف الأيمن من الإيوان الشرقى ، ثم أعيد بناء المفقود من الوجهة البحرية وترميم باقيها ، وأقيمت القبة الخشبية فوق المحراب ، وعمل له منبر جديد .

وقد تمت أعمال الإصلاح وأنتح للصلاة . فى عهد المغفور له الملك فؤاد الأول رحمه الله .

مسجد زين الدين يحيى

بالحبانية^(٥)

هذا المسجد ثالث مسجد أنشاه الأمير أبو زكريا يحيى زين الدين بن عبد الرزاق ، وكان الفراغ من إنشائه في شهر جمادى الآخرة^(١) سنة ٨٥٦ هـ (١٤٥٢ م) .

ولهذا المسجد وجهة بحرية تشمل على الباب ، وقد أحيطت عتبته برخام دقيق ملون يحوطه إفريز حجريّ منقوش ، يعلوه عتب مززر ، يكتشفه تليس بالبحر الأصفر في الأبيض على شكل شرفات . وعقد الباب مداين مخوص ، له طافات ملبسة بالبحر الأحمر والأبيض ، مغطى بمقرنصات لها دلايات ، كما نقشت أعتاب الشبايك السفلية والعلوية بنقوش هندسية وموزقة نادرة المثال ، وتنتهى الوجهة بإفريز مكتوب فيه آية الكرسي إلى قوله تعالى : (ويسع كرسيه) .

وتقوم على يمين الباب مئذنة حجرية يحاورها الكتاب ، ولم يبق منها الآن سوى قاعدتها حتى دورتها الأولى المزدانة بالنقوش والكتابات والمقرنصات .

ويحيط بمصراعى الباب أشرطة نحاسية ، وهو يؤدى إلى طرقة بصدرها شبك يطل على الإيوان الغربى ، وعلى يسارها باب يؤدى إلى طرقة توصل إلى المسجد . ويشتمل داخله على أربعة إيوانات يتوسطها صحن مكشوف ، وأكبرها الإيوان الشرقى المشتمل على رواقين . أما بقية الإيوانات فكل منها يشتمل على رواق واحد ، وقد حليت خواصر العقود حول الصحن بدوائر مفزقة من الوسط وحولها مقرنصات ، وتواشيج منقوشة ، يعلوها سطر كان مكتوبا .

والمحراب حجرى وقد طعمت تواشيجه برخام أسود ، وأحيط عقده وطاقيته بجفوت حجرية ، يعلوه شبك مستدير ، تكتشفه مستطيلات بها زخارف وكتابات ، وهذا المحراب من بواكير المحاريب الحجرية ، ومكتوب بتجويفته العليا قوله تعالى : (بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الذين آمنوا أركعوا وأسجدوا وأعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون . إلى قوله تعالى : هو سميع العليم من قبل) .

ومكتوب بتجويفته الوسطى ما نصه : « أنشأ هذا الجامع المبارك فى صحائف مولانا السلطان الملك الظاهر محمد أبو سعيد عز نصره ، فقير رحمة ربه يحيى ، عامله الله بلطفه الخفى بمحمد وآله » .

(*) انظر الصور من رقم ١٨٠ — ١٨٢ بمجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) التبر المسبوك ص ٣٨٨ ، ومتنبايات من حوادث الدهور ، ج ١ ص ١٢٩

وهنا نلاحظ كتابته أسم السلطان الظاهر جقمق في هذا المسجد وفي مسجده ببولاق ، كما نلاحظ كتابته أيضا في مسجد لاجين الاللا بإسراع مراسينته ، وفي المدرسة الفخرية القديمة بدرب سعادة بعد تجديدها مع عدم قيامه بانشاء تلك المساجد .

وقد كفانا مؤونة البحث في هذا العلامة السخاوى إذ يقول : إن الظاهر جقمق عقب توليته الملك رغب في أن يتسمى بمحمد تشرفا ، ويغير اسمه ؛ ثم رأى الجمع بينهما لما خيل إليه من طمع الملوك فيه ، لظنهم أنه من عنصر غير تركي ، فأمر بكتابة اسمه على كثير من المساجد المجدة والمنشأة في عصره .

ويعلو المحراب قبة صغيرة خشبية ، لها مقرنصات خشبية أيضا ؛ كانت ملونة والقباب فوق المحاريب مألوف وجودها في المساجد السابقة لهذا العصر ، بينما هي نادرة في مساجد دولة المماليك الجراكسة ، وامتاز بها مسجده هذا ومسجده ببولاق . وتحت المقرنص إفريزان أحدهما خشبي والآخر حجري بهما آيات من القرآن .

ويجاور المحراب منبر صغير طعمت حشوات جوانبه وقاعدته ودرازينه بالسق والزوشان الدقيق الملون ، وعلى باب مقدمه رنك محبرة .

ويوجد بالمسجد كرمي للصحن مطعم بالسق أيضا ، ومكتوب عليه : « وقف مولانا السلطان الملك الظاهر محمد أبو سعيد جقمق عز نصره » .

وقد عنت إدارة حفظ الآثار العربية بهذا المسجد فأصلحته إصلاحا شاملا في سنة ١٣٢٥ هـ (١٩٠٧ م) .

(١) المدرسة البغرية القديمة أنشأها الأمير نغر الدين أبو الفتح بن قول سنة ٦٢٢ هـ (١٢٢٥ م) ، وفي سنة ٨٤٩ هـ سقطت منارتها بغربتها ، وفي سنة ٨٥٥ هـ (١٤٥١ م) جدها ناظر الخاں الجالى يوسف وكتب عليها اسم الظاهر جقمق فعرفت به . (٢) الضوء اللامع ، ج ٣ ص ٧١



مسجد عمر بن الفارض

بجبهة الأبيمية بسفح المقطم

عمر بن الفارض — أبو حفص وأبو القاسم عمر بن أبي الحسن علي بن المرشد بن علي المعروف بابن الفارض شاعر مصري وصوفي جليل، من أجلة الشعراء الذين تفتخريهم مصر، فهو حجة أهل التوحيد وحامل لواء الشعراء، له النظم الرائق والنثر الفائق .

قدم أبوه من حماة الى مصر فقطنها، وصار يثبث الفروض للنساء على الرجال بين يدي الحكام، ولذلك عرف بالفارض . ثم ولي نيابة الحكم فغلب عليه التلقيب « بالفارض » .

ولد بمصر في الرابع من شهر رذى القعدة سنة ٥٧٦ هـ (١١٨١ م)، فنشأ في رعاية أبيه الذى عني بتعليمه . ولما شب اشتغل بفقده الشافعية، وأخذ الحديث عن ابن عساكر وغيره . ثم اشتغل بالأدب فأجاده وأنشد الشعر ثم سلك طريق الصوفية؛ وتردد الى الحج غير مرة، وأقام بمكة مدة . وكان حسن الهيئة والملبس رقيق الطبع فصيح العبارة .

ولما عاد الى مصر أقام بقاعة الخطابة بالجامع الأزهر^(٢)، وعكف عليه الأئمة والعلماء، وقصده بالزيارة الخاص والعام ، حتى إن الملك الكامل كان يسعى لزيارته ، وسأله أن يعبد له قبرا عند قبة الشافعى فاعتذر .

وديان شعره اعترف به الموافق والمخالف، والمعادى والمخالف ؛ وقد اعتنى بشرحه جماعة من العلماء ؛ وأثنى على هذا الديوان حتى من كان سئى الاعتقاد فيه ، ومنهم ابن أبى شجالة الذى وصفه بأنه أرق الدواوين شعرا، وأنفسها دراء؛ وأسرعها للقلوب جرحا، وأكثرها على الطلول نوحا؛ إذ هو صادر عن نفثة مصدور، وعاشق مهجور، وقلب بحز النوى مكسور؛ والناس يلهجون بقوافيه، وما أودع من القوى فيه . توفي إلى رحمة الله تعالى في يوم الثلاثاء الثانى من جمادى الأولى سنة ٦٣٣ هـ (يناير سنة ١٢٣٥ م) بقاعة الخطابة بالجامع الأزهر ودفن بالمقطم^(٣) .

(١) ابن خلكان، ج ١ ص ٥٤٦، النجوم الزاهرة، ج ٦ ص ٢٨٨

(٢) شذرات الذهب، ج ٥ ص ١٤٩

(٣) شذرات الذهب، ج ٥ ص ١٤٩ — ١٥٢، الكواكب السائرة ص ٣٠٠



في هذا القدر كفاية للتعريف بأبن الفارض ، فهو يستحق دراسة مفردة تجمع آراء العلماء في شعره ، والمتحاملين عليه ، والمدافعين عنه ، والغلبة في جانبهم .



قبة ابن الفارض

وقبر ابن الفارض مزار يحفه النور ، مقصود بالزيارة والتبرك في جميع عصوره ، إذ كانت تعقد فيه حلقات الصوفية لإنشاد أشعاره ، وكثيرا ما وقع اختيار ملوك مصر وأمراءها على ضريحه لقراءة القرآن فيه تقربا إلى الله تعالى ، وقد سماه سيدى على وفا « قاعة الفرح » كما سماه إبراهيم المتبولي « ميدان الأولياء » .

تاريخ المسجد — يرجع تاريخ إنشاء القبة المقامة على قبره الى حوالى سنة ٨٦٥ هـ (١٤٦٠ م) فقد بقي قبره من غير قبة شأن أعلام القرافة في ذلك الوقت ، الى أن عني بإقامة هذه القبة الأمير برفوق الناصرى الظاهرى نائب الشام المتوفى سنة ٨٧٧ هـ (١٤٧٢ م) . ويقرر السخاوى : «إن العناية بالقبر في ذلك الوقت وجهت من الملك الأشرف إينال العلائى ، فقد عهد الى الأمير تمر الإبراهيمى عتيق الأشرف برسباى وابنه برفوق الناصرى عتيق السلطان الظاهر جقمق العلائى بعمل الأوقات عنده ، والتصدق على الفقراء . وفى سنة نيف وستين وثمانمائة وقف السيئى تمر على قبر الشيخ عمر حصصا من إقطاعه ، ابتاعها من بيت المال ، وأنشأ مقاما مباركا ، وجعل له خادما ، وعين السيئى برفوق ناظرا على ذلك»^(١) .

وهى قبة صغيرة مبنية بالججر ، أقيمت على أربعة عقود مفتوحة ، وقد حلى سطحها بنقوش دالية ، ومقرنصها من خمس حطات بعضها منحوص ، وقصد ارتفعت الأرض عليها . وفى سنة ١١٧٣ هـ (١٧٥٩ م) جدد المسجد أمير اللوا السلطانى على بك فازدغلى أمير الحج . وقد أدرك المسجد المرحوم على باشا مبارك وقال فى وصفه : إن على بابة الخارجى لوحا مكتوبا فيه : «هذا مسجد العارف بالله تعالى سيدى عمر بن الفارض رضى الله عنه ونفعنا به أمير اللوا الشريف السلطانى على بك فازدغلى أمير الحاج حالا فى غرة رمضان سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف» .

«وعلى بابة الداخلى تاريخ سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف . وبه منبر وأربعة أعمدة من الرخام حاملة لبائكتين من الججر ، وسقفه بلدى من الخشب ، وبه قبلتان : إحداهما قديمة يكتنفها عمودان صغيران من الججر الأسود ، وبداخلها أعمدة صغيرة من الججر ، وبها آثار شغل قديم بالصدف ، والأخرى جديدة من الججر . وله منارة ، وأغلب محالّه متخربة ، وبداخله ضريح سيدي عمر بن الفارض رضى الله عنه»^(٢) .

وما زالت بقايا مسجد على بك فازدغلى قائمة فى الجهة الشرقية للمسجد الحالى ، وهى مكونة من عمودين حجرين ، ومحراب حجرى ودكة المبلغ وبقايا منبر . وأحدث بداخله مدفن إسماعيل باشا صبرى العمري الفارضى قومندان عموم السواحل المصرية وأمير الحج سابقا ، المتوفى فى شهر ربيع الأول سنة ١٣٢٤ هـ .

(١) ابن إياس ج ٢ ص ١٤٢

(٢) تحفة الأحباب ص ٢٢ خط .

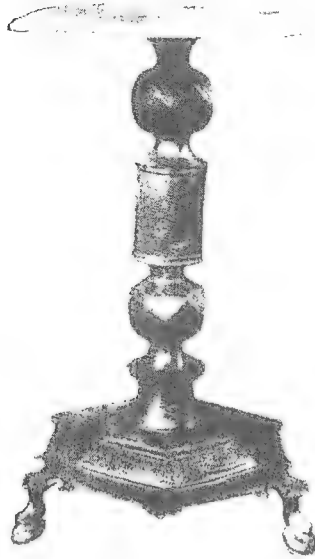
(٣) الخلط الجديدة ج ٥ ص ٥٨ — ٥٩ .



والمسجد الحالي أنشأته على جزء من أرض المسجد القديم المغفور لها الأميرة جميلة فاضيلة هانم كريمة المغفور له الخديو اسماعيل باشا سنة ١٣٠٧ هـ (١٨٨٩ م) وهو مسجد مستطيل ، محمولة سقوفه على أربعة عمد حجرية ، وله محراب بسيط منقوش بالبوية ، يجاوره منبر بسيط .

وقد أنشأت بجوار المسجد قبة كبيرة دفن فيها ابنها الأمير إبراهيم جمال الدين المتوفى سنة ١٣٠٥ هـ (١٨٨٧ م) .

وقد ألحقت بالمسجد مطهرة وحديقة صغيرة . وتشرف الأوقاف الخصومية الملكية على المسجد والقبّة ، وتعنى بهما العناية التامة .



مسجد فاطمة شقرا

بشارع أحمد باشا ماهر « تحت الربيع »^(*)

من المساجد التي ذكرها المقرئ بخط تحت الربيع على يسرة من سالك من دار التفاح يريد قنطرة الخرق مسجد أنشأه رشيد الدين البهائي دون أن يعترفه أو يذكر تاريخ إنشائه . فهل جدده السيدة فاطمة شقرا ؟ هذا جائز الاحتمال كما يحتمل زواله من الوجود وقيام السيدة فاطمة شقرا بإنشاء مسجد جديد في موقع آخر .

وهذا المسجد تحصر وجهته الغربية في بابه العمومي ، وهو باب مبنى بالحجر ، وأبس عتبة بالرخام وفصوص زرقاء ، كما حلى بكثير من الزخارف . أما أعلاه فينتهي بطاقيّة استخدم في بنائها حجر رفيع السمك جدّاً باللونين الأبيض والأحمر .

وتقوم المنارة على يساره ، وهي لا تشق وطراز الباب ، بل هي منارة عثمانية أسطوانية الشكل ، لعلها منشأة في القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) . وقد حليت وجوه قاعدتها بمستطيلات حجرية مزخرفة مختلفة من المنارة القديمة .

ومكتوب على جانبي الباب ما نصه : « بسم الله الرحمن الرحيم ... الست المصونة فاطمة شقرا ... بتاريخ شهر جمادى الآخرة من سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة » .

ظل هذا الجامع معدّاً لإقامة الشعائر ، وعرف بمسجد المرأة وبمسجد المقشّات إلى أن تخرب فأدرّكته إدارة حفظ الآثار العربية سنة ١٨٨٩ فوجدت به أكواما من القاذورات ، وردما من أثر الهدم ، فكان مهملّا تمام الإهمال .

وفي سنة ١٩٠٥ طلبت وزارة الأوقاف تجديده ، فوافقت لجنة حفظ الآثار العربية على ذلك ، بشرط الاحتفاظ بالأجزاء القديمة منه ، وهي الباب العمومي والمنارة والمحراب والمنبر . ثم عينت لجنة حفظ الآثار العربية باصلاح المنبر والمحراب ، قم إصلاحهما سنة ١٩٠٧

والمسجد من الداخل حديث البناء ، وهو يشتمل على خمسة أروقة ، بها أكتاف حجرية تحمل عقوداً وأعتاباً أقيم السقف عليها . وبالجانب البحري منه مدفن عرف بقبر السيدة فاطمة ،

(*) انظر الصور من رقم ١٨٤ — ١٨٥ مجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) المقرئ ، ج ٢ ص ٤١٠

مما يرجح دفن المنشئة في هذا المسجد . ولا يزال منبره القديم باقيا ، وهو منبر خشبي طعمت حشواته بالسق والرنشان الدقيق .

ويجاور هذا المنبر محراب قديم يمتد من أجل المحاريب الحجرية ، فقد اشتملت طاقيته على مقرنصات وتلييس بالرخام الأسود ، ويحيط بصنح عقوده أشرطة منقوشة ، ويعلوه مستطيلان كتب فيهما : ((وما النصر إلا من عند الله . إن ينصركم الله فلا غالب لكم)) .

وظاهرة وجود المحاريب الحجرية المنقوشة في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) تعتبر مئمة لاسئلة تطوّر زخرف المحاريب في العمارة الإسلامية . فقد اتخذت المحاريب في الدولة الطولونية عحاطة عقودها بزخارف جصية ودوائر صغيرة ، ثم لم تلبث أن ترقّت في الدولة الفاطمية ونقشت عقودها وطواقيها وتواشيحها بزخارف جصية وعمد رشيقة . ثم تطوّرت الى تضاليع محارية تنتهى بمقرنصات . وتحلى تواشيحها بزخارف ويحاط دائرها بكتابات كوفية ؛ ومنها ما اكتفى باحاطة دائره بكتابة كوفية . ثم تدرجت الى نقوش في تجويفها .

ونحن وإن كنا لم ندرك نماذج رخامية من المحاريب الفاطمية ، فإن التاريخ أثبت استعمال الرخام في محاريب جامع عمرو^(١) والمشهد النفيسي في العصر الفاطمي .

وفي مبدأ العصر الأيوبي حليت عقود المحاريب بزخارف جصية على شكل تضاليع محارية . ثم شاع استعمال الرخام فيها وتغطية الطاقية إما بفسيفساء مذهبة ، وإما بخشب منقوش ومكتوب . ثم تدرج الى رخام .

وفي دولة المماليك البحرية ارتقت جدّا صناعة الرخام في المحاريب ، فالمحراب غطى كله بالرخام ما بين أشرطة الى رخام دقيق مطعم بالصدف تنوّعت أشكاله .

وفي هذا العصر ظهرت نماذج قليلة لمحاريب من الجص غاية في الأهمية ، كما وجدت منها نماذج حجرية قليلة جدا حليت طواقيها بمقرنصات . واستمرت المحاريب الرخامية متقدمة في دولة المماليك الجراكسة ومستواها لا يقل عن محاريب دولة المماليك البحرية .

وفي الوقت الذي ازدهرت فيه صناعة الرخام في المحاريب شاعت المحاريب الحجرية بجانب المحاريب الرخامية ، وانحصر شيوعها في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) ، وأول القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) .

ومن الغريب ظهورها في مساجد امتازت بصناعة الرخام في وزراتها وأرضياتها ، ومن نماذجها القيمة أيضا محراب جامع القاضي يحيى بالحسانية ومحرابا تربى الأشرف إينال وقايتباى بالصحرء ، فقد كسى أسفلهما بأشرطة رخامية كما نقش تجويفهما الحجرى وطاقيتهما وتواشيحهما بزخارف ملونة . وكذلك منشآت الأشرف قايتباى الغنية بصناعة الرخام ، اتخذت محاريبها من الحجر . على أن محراب هذا المسجد امتاز بنقوشه وبتطعيم حجره بالرخام وهو نموذج ممتاز .



مدرسة قايتباى بالقرافة الشرقية

صحراء قايتباى (القرافة الشرقية^(٥١)) — كانت المنطقة الممتدة من قلعة الجبل الى العباسية حتى أوائل القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) ميدانا فسيحا أعد للعب الكرة، وقد عرف بميدان القبق، وميدان العيد .

وفى النصف الأول من القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) بدأ ملوك مصر وأمرائها فى إنشاء المساجد والخوانق بهذه المنطقة، وألحقوا بها مدافن لهم .
وقد تباروا فى هذا المضمار الخيرى حتى أزدحمت هذه المنطقة بمختلف الآثار، تطاول السماء بمنازلها الرشقة وقبابها المزخرفة .

وما انتهى القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) ، إلا كانت بها مجموعة لم تجتمع فى صعيد واحد مثل ما اجتمعت هناك . وفيها يرى الفنان والمهندس خير إلهام له ، إذ يرى الفن متجليا فيها ما بين مترف وغنى ومتوسط .

ورغم ما أصاب الكثير منها من ضياع وتخرب ، فقد بقيت بها بقايا معمارية على جانب عظيم من الأهمية .

وقد عرفت هذه المنطقة بمقابر الخلفاء ، وهى تسمية غير صحيحة ، إذ الأولى بها أن تعرف بمقابر الماليك .

وأكثر من غنى بإنشاء آثارها الملك الأشرف أبو النصر قايتباى ، فقد أنشأ بها ربعا كبيرا وحوضا لشرب الدواب وسيلا ومقعدا ومدفنا لأسرته ومدرسة ، وقبة للشيخ عبد الله المنوفى وربعا آخر تجاه المدرسة خصصه لإقامة الصوفية ؛ هذا عدا ملحقات المدرسة ، ودرة ملىحات تلك المنطقة مدرسته ومدفنه .

السلطان قايتباى — السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباى الجركسى المحمودى الأشرفى ثم الظاهرى ، ولد سنة ٨٢٦ هـ (١٤٢٣ م) وقيل بضع وعشرين تقريبا ، ثم اتصل بالملك الظاهر جقمق ، فأعتقه . ولم يزل يترقى الى أن وصل الى وظيفة أتابك . ثم آل أمره الى أن بويع له بالسلطنة يوم الاثنين ٣ رجب سنة ٨٧٢ هـ (يناير سنة ١٤٦٨ م) .

(*) انظر الصور من رقم ١٨٦ — ١٩١ بمجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) الضوء الالامع ، ج ٦ ص ٢٠١ ، شذرات الذهب ، ج ٨ ص ٧ .

وكان ملكا جليلا صالحا من خيرة ملوك الجراكسة وأطولهم مدة ، فقد ظل ملكا لمصر نحو ٢٩ سنة ، كان فيها مثال الملك العادل الصالح ، فقد عني بسياسة مصر الخارجية ، كما كان كثير العطف على مسامى أسبانيا ، وقد حاول حمايتهم مما هم فيه من خطر ، فأرسل رهبان كنيسة القيامة كوفد الى ملك أسبانيا فردينند يهتده بأنه اذا لم يبق على غرناطة فان كائس الشرق تهدم ، والمجيج الى الأراضى المقدسة يبطل .

وكانت له عناية كبيرة باختيار كبار الموظفين ، وخاصة الوظائف الدينية ، كالقضاء والشيخية والتدريس ، لا يعين فيها إلا من تأكد من صلاحيته وحسن سيرته . وكان محبا للسفر ، كما كان مغرما بالمهارة . واهتم اهتماما كبيرا بالأراضى المقدسة . وله منشآت معمارية خيرية كثيرة بمكة والمدينة والقدس . وقل أن يخلو حى من أحياء القاهرة أو إقليم من أقاليمها أو قطر من الأقطار الإسلامية إلا وله فيه أثر لامع .

ومن هذه المنشآت فى مصر طائفة من المساجد والمدارس والوكالات والمنازل والأسبلة والقناطر . كما عني بالحصون ، فأنشأ قلعة بالاسكندرية ، وأخرى برشيد . وكلها منشآت امتازت بالرشاقة ودقة الصناعة .

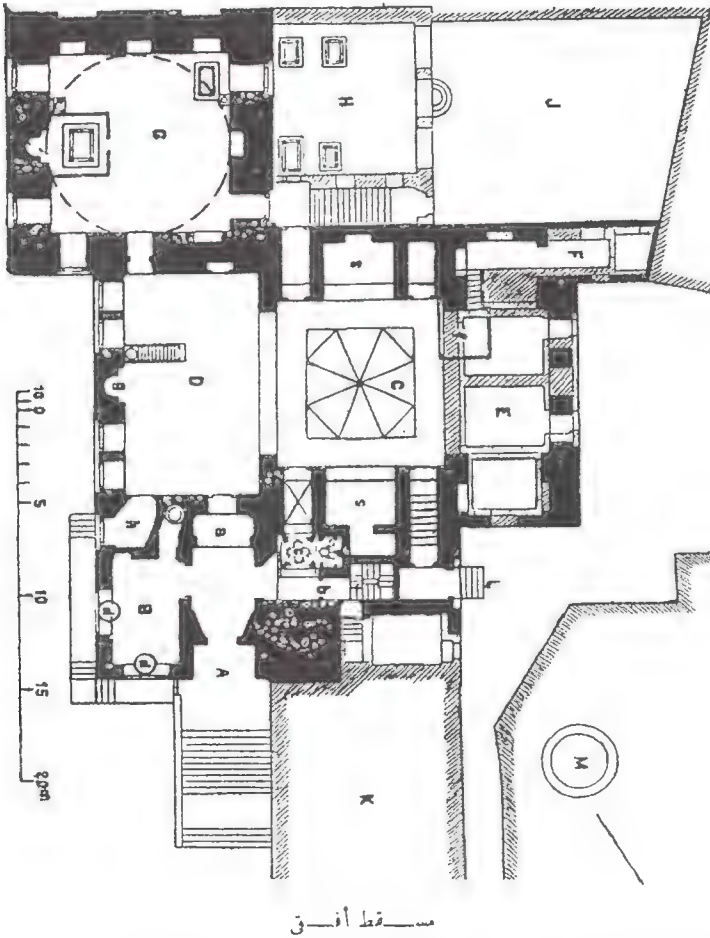
وقد ظل متوليا ملك مصر الى أن توفى فى ٢٧ ذى القعدة سنة ٩٠١ هـ (١٤٩٦ م) ، وترك اسمه مسطورا على ما يزيد على سبعين أثرا إسلاميا ما بين إنشاء وتجديد .

تاريخ إنشاء المدرسة — كان البدء فى إنشائها فى سنة ٨٧٧ هـ (١٤٧٢ م) ، والفراغ منها فى شهر رجب سنة ٨٧٩ هـ (نوفمبر سنة ١٤٧٤ م) .

وهى مجموعة مكونة من مدرسة وملحقاتها وتربة وسبيل وكتاب . والزائر لها تستويه بجبالها ورشاقها ، ولا غرو فهى محط رجال زائرى مصر ، لأنها جمعت أرقى التفاصيل المعمارية التى وجدت فى دولة المماليك الجراكسة .

والوجهة البحرية لها هى الرئيسية وبها الباب ، وقد حلى عنقه ومزوره بالرخام الملون والكتابات ، يغطيه مقرنصات منقوشة وطاقية ملبسة بالجرين الأبيض والأحمر وعلى يساره سبيل يعلوه كتاب له وجهتان : إحداها الغربية من عقدين ، والثانية الشرقية ، ولها ثلاثة عقود ، تحملها عمد منقوشة .

وعلى يمين الباب منارة رشيقة من ثلاث دورات حلى بدن دورتها الأولى بنقوش وكتابات ، أما بدن الدورة الثانية فقد حلى بنقوش موزقة محاطة بجفوت ، وتقوم الدورة الثالثة على عمد رشيقة . وهى من أرقى منارات مصر . ومن طريف ما يذكر أن مؤذن هذه المنارة فى عصر قايتباى وعصر ابنه ، كان يجيد الخط والنقش فى الحجر . فقد نقش على قاعدة القبة وباب المنارة ومدخلها وباب دورتها الأولى آيات من القرآن وحكا مؤرخة بسنى ٨٨٥ ، ٩٠٤ ، ٩١١ هجرية (١٤٨٠ ، ١٤٩٨ ، ١٥٠٥ م) ووقعها باسمه بما نصه : — نقشه محمد الشيبني — كتبه بيده الفانية محمد الشيبني المؤذن .



وتنتهى الواجهة الشرقية من الجهة القبيلة بقبة عالية حلى سطحها بنقوش هندسية وموزقة ، وتعتبر من أجمل القباب .

والباب حلى مصراعه بخارية نحاسية مفزعة بأشكال زخرفية وأشرطة مكتوب عليها «عز مولانا السلطان المساك الملك الأشرف أبو النصر قايتباى سلطان الإسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين محيى العدل فى العالمين عز نصره» . ومكتوب على جانبيه : «بسم الله الرحمن الرحيم وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم» . أمر بإنشاء هذه المدرسة مولانا الملك الأشرف قايتباى سيد ملوك العرب والعجم الملك الأشرف قايتباى خلد الله ملكه وثبت قواعده دولته بمحمد وآله بتاريخ سنة سبع وسبعين وثمان مائة من الهجرة . كما يعلو هذا الباب دائرتان رخاميتان مكتوب عليهما : «عز مولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباى عز نصره» :

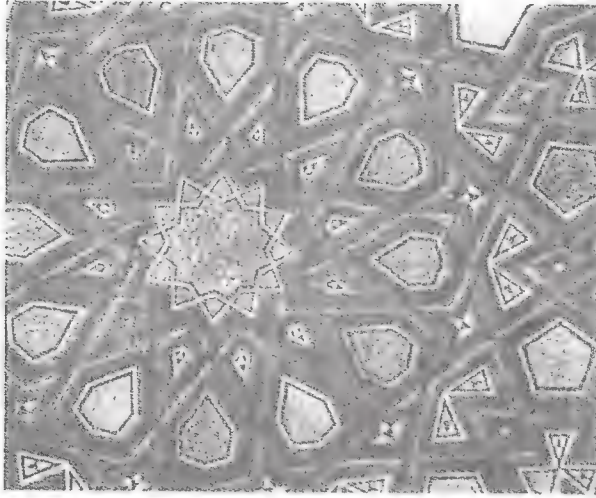
وهذا الباب يؤدى إلى دركاة مربعة ، بصدرها مسطبة مقروشة ، مؤزرة بالرخام الملون على جانبيها دولابان بكل منهما أربع مصاريع طعمت حشواتها بالسق المدقوق أويمة دقيقة جدًا ومكتوب عليهما «اللهم انصر عبدك مولانا السلطان الملك الأشرف قايتباى خلد الله ملكه» وعلى يمينها ويسارها باب كتب فى دائرة فوق عقده بشكل زخرفى نادر : «قل كل يعمل على شاكلته» . الأيسر منهما باب السبيل ، له سقف منقوش ملون ، ومكتوب بإزاره : «بسم الله الرحمن الرحيم ، إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا . إلى قوله تعالى ويخافون يومًا كان شره مستطيرا . أمر بإنشاء هذا السبيل المبارك سيدنا ومولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباى صاحب الصدقات والمعروف» .

والباب الأيمن يؤدى إلى طريقة مستطيلة بصدرها باب يؤدى إلى المنارة وإلى الكتاب تجاوره مزيرة على وجهها حجاب من الخشب الخروط ، مكتوب عليه بالخط الكوفى المربع : «لا إله إلا الله محمد رسول الله» . ومكتوب على بابها «بسم الله الرحمن الرحيم ، يسقون من رحيق مخنوم ختامه مسك وفى ذلك فليتنافس المتنافسون» .

ويعلو هذا القسم من الطريقة (مصآبة) حجرية لها أرجل مخوصة دقيقة ، وتنتهى هذه الطريقة إلى صحن المدرسة ، وقد فرشت أرضية هذا الصحن برخام ملون ، كما فرشت أرضيات الإيوانات . والمداخل كل قسم منها يفاير الآخر ، فبينما نرى الصحن من دوائر رخامية ملونة ، نرى الإيوانات على شكل دالات تتوعد ، ويغطى الصحن سقف يتوسطه منور ، وقد نقش بزخارف ملونة ومذهبة ، وبعضها على شكل قصب تتوسطه قبة صغيرة كتب عليها : «قل كل يعمل على شاكلته» بشكل زخرفى . وكتب على إزاره تاريخ تجديد لجنة حفظ الآثار العربية له سنة ١٣١٩ هـ (١٩٠١ م) .

ويحيط بالصحن أربعة إيوانات معقودة تأخذ بالأبصار بما حوته من نقوش وشبابيك جصية ، ومكتوب على وجه عقودها حول الصحن ما نصه : «بسم الله الرحمن الرحيم الله لا إله

إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم، الآية . أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة سيدنا ومولانا ومالك رقنا السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر قايتباى سلطان الإسلام والمسلمين أبو الفقراء والمساكين ناصر الدنيا والدين سيدنا ومولانا الإمام الأعظم المالك الملك الأشرف أبو النصر قايتباى عز نصره بتاريخ رمضان المعظم قدره سنة سبع وسبعين وثمان مائة .



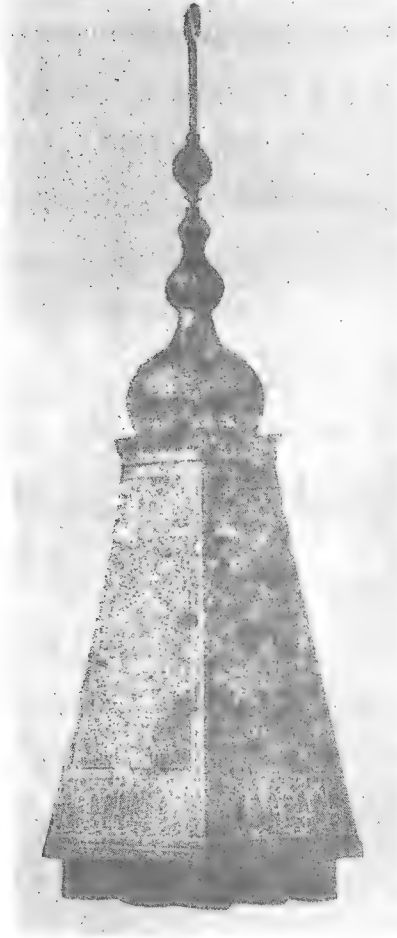
تفاصيل من المنبر

وقد حليت أرجل عقود الإيوانات بمقرنصات من حرفة مذهبية . وقد حرص المهندس على المضاهاة، فلم يترك بابا إلا فتح أمامه بابا أو دولابا على هيئة باب .

وأكبر هذه الإيوانات إيوان المحراب، وقد أحيط بطراز مذهب مكتوب فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر. الى قوله تعالى وكان الله عليا حكما صدق الله العظيم ورسوله الكريم ، وكان الفراغ من ذلك فى شهر رجب الفرد عام سبع وسبعين وثمان مائة من الهجرة » . ومكتوب على الجانب القبلى منه : « أمر بإنشاء هذا المكان المبارك مولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباى، سلطان الإسلام والمسلمين وارث الملك، سيد الملوك والسلاطين » .

والمحراب وإن كان خاليا من الزخرف إلا أنه يكتنفه عمودان مثمان حلى بدنهما مع قواعدهما وتيجانهما بنقوش موزقة، كما لبست طاقيته بحجر أحمر على هيئة شرفات، يجاوره منبر دقيق جميع حشوات جوانبه ودرازينه وأبوابه من السن المدقوق اويمة دقيقة، وقد ذهبت قواعه وخوذته .

ونقشت حجور الشبابيك بزخارف جصية ، وهى ميزة أمتازت بها منشآت السلطان قايتباى ، ولهذا الإيوان سقف من برطوم ، ومربوعات منقوشة مذهبة . وكانت المدرسة مزودة بمجموعة قيمة من الشمعدانات والثريات النحاسية والمشكاوات معلقة فى كرات من القاشانى .

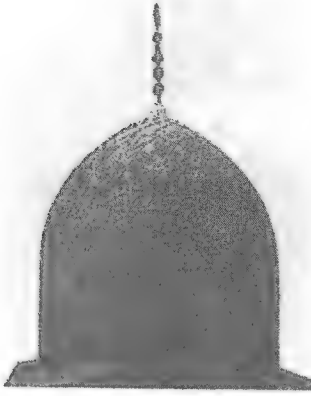


أما الإيوان الغربى فقد قسم الى ثلاثة أقسام تغطيها سقوف ملونة مذهبة . وفى القسم القبلى منه حجرة المكتبة وما زالت رفوفها موجودة بينما نقلت كتبها الباقية الى دار الكتب المصرية ، ومكتوب على طراز هذا الإيوان : « بسم الله الرحمن الرحيم لقد جاءكم رسول من أنفسكم » الآية . وفى الركن البحرى الغربى للصحن باب يؤدى الى سلم يهبط الى الباب الغربى للمسجد وهو المعروف بباب السر .

والقبة تلاصق الإيوان الشرقى من قبله ، وهى قبة عالية جدا ، وقد نقشت من الخارج فى الحجر ، كما نقشت من الداخل بزخارف مذهبة ملونة ، وبها مجموعة من الشبابيك الجصية الدقيقة ، وأحيطت جدرانها بوزرة رخامية تنتهى بإفريز مكتوب عليه : « بسم الله الرحمن الرحيم إن المتقين فى مقام أمين فى جنات وعيون — الآية ، أمر بإنشاء هذه القبة المباركة من فضل الله تعالى وجزيل عطائه الغميم على سيدنا ومولانا ومالك رقتنا سلطان الإسلام

والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين ، محيى العدل ثريا نحاسية عليها اسم قايتباى دار الآثار العربية فى العالمين الإمام الأعظم والملك الحكيم السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر قايتباى ملك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين سيد ملوك العرب والعجم السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباى أعز الله تعالى أنصاره وختم بالصالحات أعمالنا وأعماله وثبت قواعد دولته وأيد أحكامه بمحمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا يارب العالمين آمين . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ،

بسم الله الرحمن الرحيم ، قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا يا رب العالمين اللهم وأيد الإسلام وأعل كلمة الإيمان ببقاء عبدك سيدنا ومولانا المقام الشريف السلطان الزاهد العابد العالم العامل العادل في أحكامه الورع المتورع الصائم القايم بحدود الله ، التابع سنة رسول الله ، التالى كتاب الله ، الحاج إلى بيت الله الحرام ، الزائر قبر رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام ، المجاهد في سبيل الله سيد الملوك والسلاطين أبو الفقراء والمساكين المجاهد المرابط المؤيد المنصور السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر قايتباى صاحب الصدقات والمعروف خلد الله ملكه بمحمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا يا رب العالمين والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله . وكان الفراغ من هذه القبة المباركة في شهر رجب الفرد الحرام سنة تسع وسبعين وثمان مائة .



قبة قايتباى

وبها كرسى للصحن طعمت جميع أجزائه بالسّن المدقوق أويمة مثل المنبر، ومكتوب عليه : « أمر بإنشاء هذا الكرسى الملك الأشرف قايتباى بتاريخ شهر ربيع سنة ثمان وسبعين وثمان مائة . »

ومحراها مجرى كسى أسفله بأشرطة رخامية وباقيه مع طاقيته وعقده حلّ بزخارف مدقوقة بالجمر وملونة ، وأمامه مقصورة خشبية بداخلها قبر المنشى . وقد فرشت أرضيتها بالرخام الملون الدقيق .

وقد دفن في هذه القبة أيضا ابنه الملك الناصر محمد ، كما دفن في تربة أخرى أبناء عمه جانم وجانى بك وأزبك الخالصكى . وغربي القبة قبور خاصته وإحدى سراريه دولات باى .

ويجاور قبر قايتباى قبة صغيرة نحاسية مذهبة تحتها حجر أسود ، به أثر قدمين يقال : إنهما للنبي صلى الله عليه وسلم ، كما يوجد بجوار القبر الآخرة أخرى خشبية على شكل مسلة بها حجر عليه أثر قدم يقال : إنه قدم الخليل إبراهيم عليه السلام ، وكلاهما غير صحيح ، لأنه يوجد بمصر أقدام أخرى متفاوتة المقاس ، كما توجد أقدام منها في القدس والطائف والقسطنطينية ، وكذلك في الأقطار الإسلامية أقدام منسوبة إلى آدم بالهند ، والخليل بالحرم المكي ، وموسى بظاهر دمشق ، وعيسى بيت المقدس .

وقد نص جماعة من حفاظ المحدثين على أن ما استفاض واشتهر خصوصاً على السنة الشعراء والمذاهب من أن قدم النبي صلى الله عليه وسلم غاصت في الحجر لا أصل له . كما أن للإمام السيوطي إجابة على سؤال رفع اليه عن هذه الأقدام بأنه لم يقف في ذلك على أصل ولا سند ، ولا رأى من خرجه في شيء من كتب الحديث ، كما أنكره كثير من العلماء وأثبت به بعضهم . وقيل عن هذه الأحجار إن السلطان قايتباى اشتراها وأوصى يجعلها عند قبره .

ويقول العلامة المغفور له أحمد تيمور باشا : وإذا لم يصح شراء السلطان لهذين الحجرين أو أحدهما فلا يبعد أن يكونا من الأحجار التي قيل إنها أحضرت من خير لشمس الدين ابن الزمن الناجر وجعلها في مدرسته التي كان شرع في إنشائها بشاطئ بولاق ، فيحتمل أنه أحضرها معه من الحجاز ، ثم اختار السلطان منها هذين الحجرين فنهلهما بعد موته من مدرسته .

وقد زار قبة قايتباى رحالة القرنين الحادى عشر والثانى عشر الهجرى (السابع عشر والثامن عشر الميلادى) ، ووصفوا الأحجار والقبة التي عليها ، وذكر المرحوم أحمد تيمور باشا إن السلطان أحمد ابن محمد المعروف عند العثمانيين بأحمد الأول نقل حجر القدم الى القسطنطينية سنة ١٠٢٤ هـ . ثم أمر برده الى محله ، وجعل عليه قبة مكتوباً عليها الأبيات الركيكة الموجودة حتى الآن ، ومنها :

تسوق حضرة السلطان أحمد * زيارة موطن القدم المكرم
فخرته بجاذبة اشتياق * على إقدام أقدام فقسم
وسيره الى القسطنطينية * فقال له : تقدم خير مقدم

وبعد أن ذكر هذه الأبيات ، وصوبها المغفور له أحمد تيمور باشا لم يستبعد على السلطان أحمد نقله الحجر إليه ، لأنه كان كثير التعظيم للآثار النبوية .

أعمال الإصلاح — لعل هذا الأثر هو الوحيد بين آثار الصحراء الذى احتفظ بكثير من تفاصيله التي ساعدت على إعادته الى أصله ، كما أن لشهرته خير أثر في البدء بإصلاحه قبل آثار الصحراء إصلاحاً شاملاً ، وترجع عناية لجنة حفظ الآثار العربية به الى سنة ١٨٩٣ م ، فقد عيّنت بإصلاحه ولم تنته سنة ١٨٩٧ إلا وقد تناولت أعمال الإصلاح تقوية مبانيه وإصلاح الرخام والسقوف والأرضيات الرخامية والتجارة والشبابيك الحصية ، وإصلاح المنارة وتقويتها ، ثم تابعت بعد ذلك بقية الإصلاح حتى أصلح إصلاحاً شاملاً كاملاً ، وأصبح لا يحتاج الى أى إصلاح الآن .

قبة شبك من مهدى

بكوبرى القبة^(١٥)

هذه القبة عند مدخل حدائق قصر القبة العامر ، أنشأها الأمير شبك من مهدى ، وأنشأ الى جانبها مدرسة وأماكن كثيرة .

والأمير شبك من خيرة أمراء دولة المماليك الجراكسة ، امتلكه الظاهر جقمق ، وتقلب في جملة وظائف في دولته ودولة الأشرف إينال ، الى أن عين في سنة ٨٧١ هـ (١٤٦٦ م) في دولة الظاهر خشقدم كاشفا للصعيد بأسره ونائبا لوجه القبلى - بأمره الى أسوان وأنعم عليه بإمرة عشرة ، فحكم هذه البلاد ، وجرى بينه وبين عرب هؤارة حروب وخطوب انتهت بفوزه ، فاستتب الأمن في عهده ، وتآلق نجم شبك وأثرى ثراء كبيرا .

وفي دولة الأشرف قايتباى نال حظوة كبيرة فعينه دوادارا كبيرا ، ثم أضاف إليه الوزارة ، فالإستادارية^(٢) ، فتركت شؤون الدولة في شخصه ، وسكن في قاعة ألماس تجاه مسجده ، ثم أنتقل الى قصر الأمير قوصون خلف مسجد السلطان حسن وأدخل عليه إصلاحات كثيرة وكتب اسمه وألقابه عليه . كما نقش رنكه على جانبي مدخله .

ونعته كثير من مؤرخى عصره بالخصال الحميدة . وميله الى أعمال الخير ، وحبسه للعلماء . واشتغاله بالعلوم ، واقتنائه للكتب ، وميله الى العمران والى تنظيم الطرق .

فمن مآثره أنه فيما بين سنئى ٨٨٢ - ٨٨٤ هـ (١٤٧٧ - ١٤٧٩ م) آهم بإصلاح الطرق وتوسيعها ، وإصلاح وجهات الربوع التى تطل على الشوارع ، وهدم الكثير مما كان يعوق سعتها ، ومهد الشوارع . وترتب على ذلك اكتشاف سلم باب مسجد الصالح طلائع^(٣) ، وإصلاح مسجدي المؤيد والفاكهانى وغيرهما .

وقد بقى على هذا الحال من الباس والقوة والتفوذ حتى سافر الى الشام على رأس جيش كبير ثم سافر الى العراق ومنها الى الرها حيث قتل في شهر رمضان سنة ٨٨٥ هـ (نوفمبر سنة ١٤٨٠ م) .

(*) انظر الصور من رقم ١٩٢ - ١٩٣ بمجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) من مهدى ، نسبة الى مهدى القاهر الذى بابه . (٢) درادار : اسم لوظيفة من يحمل دراة السلطان .

(٣) الاستادار : موظف كبير يهده الى بالإشراف على مالية الملك الخاتمة .

(٤) الضرر اللامع ، ج ١٠ ص ٢٧٤ (٥) التزعة السنية ض ١٣٥

كان رحمه الله شغوفاً بالعمارة، فأنشأ كثيراً من الآثار التي لم يبق منها سوى زياداته في قصر الأمير قوصون ومنارة الإمام الليث وقبة الفداوية ثم هذه القبة .

وكان البدء في إنشاء هذه القبة سنة ٨٨١ هـ (١٤٧٦ م) ، وأنشأ إلى جانبها مدرسة وأماكن كثيرة . وكانت هذه المنطقة معدودة من أجمل المتنزهات .

لسم الله على كل خير

بسملة من الوزارة

ولما كمل بناؤها في سنة ٨٨٢ هـ (١٤٧٧ م) افتتحها الملك الأشرف قايتباي وأعجب بها فأقام هناك يوماً وليلة، وأثنى على منشئها .

ثم تكرر نزول السلطان بها وإقامة الحفلات هناك ، ومنها حفلة ابن مزهر رئيس ديوان الإنشاء التي أقامها لسيده^(١) الملك الأشرف قايتباي سنة ٨٨٣ هـ (١٤٧٨ م) .

وعند عودة السلطان قايتباي من الحج عام ٨٨٥ هـ (١٤٨٠ م) نزل بهذه القبة وأحتفل بقدومه الأمير أربك الأتابكي، وبات هناك^(٢) .

وكثيراً ما كان السلطان قايتباي يتوجه إليها متزهاً أو لصلاة الجمعة بها^(٣)، كما أنه أقام حفلة كبيرة فيها للجمجمة بن عثمان في سنة ٨٨٦ هـ (١٤٨١ م)^(٤) .

ومن فتن بجمال هذه المنطقة الملك الأشرف قانصوه الغوري ، فأنشأ بجوارها منشآت عمارية كان يخرج إليها للتنزه^(٥) .

وقد أزيلت المدرسة التي أنشأها يشبك وملحقاتها ، كما أزيلت منشآت الغوري ولم يبق سوى هذه القبة .

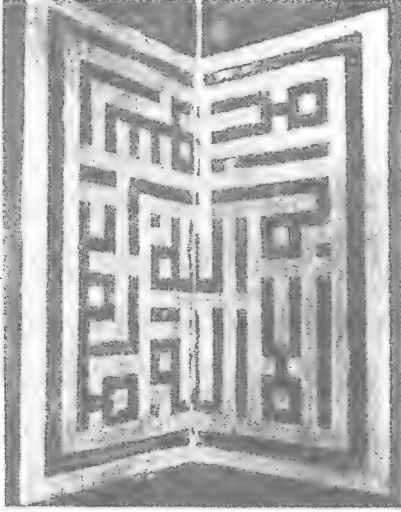
وهي من القباب الكبيرة ، امتازت بطراز خاص لم يكن شائعاً بقباب مصر ، تسود خارجها البساطة بخلاف قباب عصرها ، فهي مكونة من قاعدة حجرية فوقها قبة بالطوب .

أما من الداخل فقد كسيت جدرانها بوزرة من الرخام المختلف الألوان ، وتنتهي هذه الوزرة بأفرز رخامي كتب عليه بالخط الكوفي المزهر ، المنزل بالمعجون الأسود في الرخام الأبيض مانصه :

- | | | |
|-------------------------|-------------------------|-------------------------|
| (١) ابن إياس، ج ٢ ص ١٨٣ | (٢) ابن إياس، ج ٢ ص ١٩٣ | (٣) ابن إياس، ج ٢ ص ٢٠٥ |
| (٤) ابن إياس، ج ٢ ص ٢٠٨ | (٥) ابن إياس، ج ٣ ص ٦٢ | |

«بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد — السورة . إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسلياً . قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء . إلى قوله تعالى : وترزق من تشاء بغير حساب صدق الله العظيم » . وكان الفراغ من ذلك في شهر ربيع الأول سنة اثنين وثمانين وثمان مائة .

ومكتوب بنواصي القبة في الوزرة بالخط الكوفي المربع : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » .



كوفي مربع بنواصي الوزرة

وكتب في محيط القبة أسفل الشبابيك بالخط النسخ المملوكي : «بسم الله الرحمن الرحيم هل أتى على الإنسان حين من الدهر ، إلى قوله تعالى : وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا . وذلك في شهر ذي القعدة سنة أحد وثمانين وثمان مائة » .

ومكتوب برقبة القبة أعلى الشبابيك : «بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله — الآية — أجهلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام — إلى قوله تعالى وجنات لهم فيها نعيم مقيم — ثم تاريخ تجديدها سنة ١٣١٤ هـ (١٨٩٦ م) » .

والمحراب من الحجر، كُسى أسفله بالرخام وكتب على حافة عقده الداخلية : «بسم الله الرحمن الرحيم وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا» الآية .

وقد حليت طاقيته بزخارف مذهبة . وفي رقبة القبة شبابيك من الجص والزجاج الملون . وفي أرضية الشباك البحري الغربي حوض رخامي مقسم إلى ثلاثة أقسام منقوشة لوضع قلى الماء وغشيت جدران القبة بزخارف ملونة ومذهبة، وأقيم إلى جانب المحراب منبر صغير حديث الصناعة . وملحق بالقبة من الجهة القبيلة مصلى ومنارة أسطوانية ، أنشأها المرحوم مصطفى باشا فاضل سنة ١٢٧٨ هـ (١٨٦١ م) بإشراف نيازى بك .

وكان لقرب هذه القبة من قصر القبة العامر أحسن الأثر في العناية بها، فأصلحتها إدارة حفظ الآثار العربية، وأصلحت رخامها، كما أجرت بها كثيرا من أعمال النقش والتذهيب .

وفي عصر الملك الصالح فاروق الأول وبناء على أمره الكريم أخليت المنطقة حول القبة وأنشئت بها الحدائق والميادين وبذلك أعاد إليها بهجتها وجمالها .

مدرسة فحماس الاسحاقى

بشارع الدرب الأحمر^(١)

الأمير فحماس الإسحاقى — نشأ فى خدمة أستاذه جقمق نائب الشام الذى عنى بتعليمه وتجويده الخط، فنبغ فيه. ثم رقى إلى عدة وظائف . وفى دولة الظاهر خشققدم عين خازندارا، ثم رقى فى دولة الظاهر بلباى أمير عشره^(٢) .

ولما ولي ملك مصر الملك الأشرف قايتباى كان من المقربين إليه ، ثم عينه نائباً للاسكندرية فى سنة ٨٧٥ هـ (١٤٧٠ م) ، فأنشأ بها مسجدا خارج باب رشيد، وأنشأ بجانبه تربة وخانا، وجدد جامع الصوارى خارج باب سدره، كما أنشأ خارج باب البحر رباطا^(٣) .

وفى سنة ٨٨٠ هـ (١٤٧٥ م) عينه أميراً خورا كبيرا لمصر . وفى أثناء توليه هذه الوظيفة سافر إلى الاسكندرية غير مرة للإشراف على عمارة قلعة قايتباى .

وفى سنة ٨٨٥ هـ (١٤٨٠ م) عينه نائباً للشام، فأنشأ بها مدرسة وبقي بها إلى أن توفى فى شهر شوال سنة ٨٩٢ هـ (١٤٨٧ م) . ودفن هناك .

كان حسن السيرة مؤدبا متواضعا، محبا للعلماء والصالحين . ولم يبق من منشأته العمارية التى أنشأها بمصر والإسكندرية سوى هذه المدرسة ولم يدفن بقبتها التى أعدها لنفسه، بل دفن فيها أحد الصالحين المعروف بالشيخ أحمد أبو حرية^(٤)، المتوفى سنة ١٢٦٨ هـ (١٨٥٢ م) فعرف المسجد به .

تاريخ المدرسة ووصفها — لم تذكر النصوص التاريخية فى هذه المدرسة تاريخ البدء فى إنشائها ، بل كلها تنصب على الفراغ من أجزائها فى سنى ٨٨٤ و ٨٨٥ و ٨٨٦ و ٨٨٧ هـ . وإذا عرفنا أنه عين واليا على الشام فى أواخر سنة ٨٨٥ هـ (١٤٨٠ م) ، فانا نستطيع أن نرجح

(*) انظر الصور من رقم ١٩٤ — ٢٠٠ بمجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) خازندار : وظيفة لمن يشرف على خزائن السلطان أو الأمير .

(٢) الضوء اللاحق ج ٦ ، ص ٢١٣ وابن إياس ج ٢ ص ١٢٤

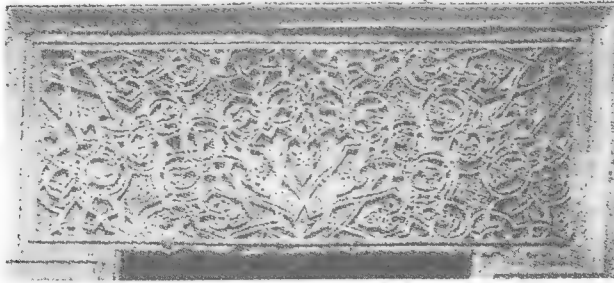
(٣) الرباط هو سكن الصوفية والمنقطعين من الفقهاء . وباب البحر كان قريبا من مسجد أبي العباس المرمى .

(٤) أميراً خورا كبير : المنترف على اصطبلات الخاصة والبريد والمجن . (٥) الخطط الجديدة ج ٤ ص ٤٨

أنه شرع فى بنائها قبل سنة ٨٨٤هـ (١٤٧٩ م)، كما أن النصوص التاريخية الداخلية بالمدرسة المؤرخة سنة ٨٨٥هـ تضمنت ذكر وظيفته (أميرآخور) بينما كتابة المدخل العمومى المؤرخة سنة ٨٨٦هـ خالية من ذكر الوظيفة، وهذا يؤكد أن أعمال البناء ظلت سائرة فى المدرسة بعد سفره إلى الشام، كما أن أعمال التجارة لم تنته إلا فى سنة ٨٨٧هـ (١٤٨٢ م) .

وهذه المدرسة مرتفعة عن مستوى الشارع، وتحت وجهاتها الأربع حوانيت، وهى من أحفل مدارس دولة المماليك الجراكسة، بل تعتبر نموذجا كاملا للكثير منها، فهى غنية بشتى الفنون الإسلامية . وهى تكون مجموعة أثرية هامة، فقد ألحق بها سبيل ثم سابط يؤدى إلى الميضاة، تعلوه مشربية، فحوض لشرب الدواب، يعلوه كتاب لتعليم الأطفال .

وهى منسجمة متناسبة تنتقل العين فيها من حسن إلى أحسن، فالباب العمومى وأعتاب الشبابيك محلاة بالرخام الملون، وجلسات الشبابيك وأعتابها وأعتاب الأبواب وعمد النواصي والمقرنصات محلاة بنقوش فى الحجر تنوعت أشكالها .



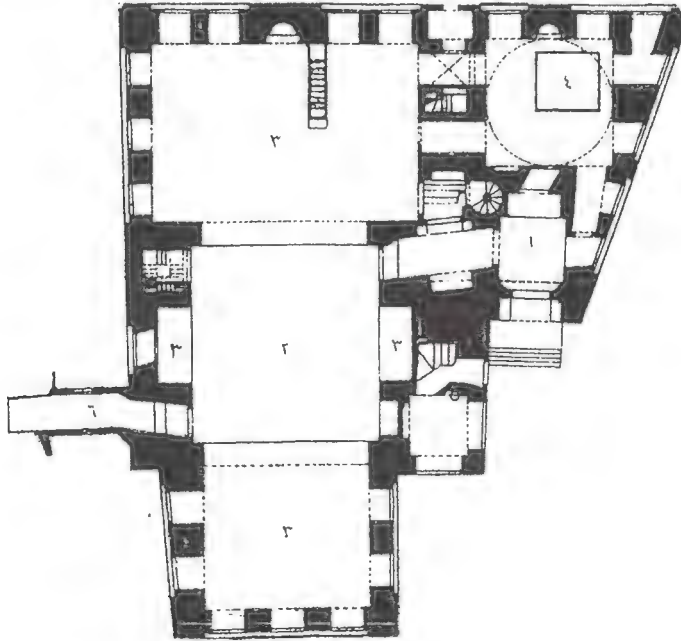
عتب باب السبيل

وتقوم على يسار الباب منارة رشيقة من ثلاث دورات : دورتها الأولى مثمنة، ثم بدن مستدير، فالدورة الثالثة محمولة على عمد رخامية، كما يجاوره سبيل صغير حتى عتب بابه بنقوش جميلة وفرشت أرضيته بالرخام الدقيق، وله سبيل رخامى منقوش وسقفه الخشبي محلى بنقوش مذهبة ملونة . وبه سلم يوصل إلى حجرتين تشرفان على وجهة المسجد وعلى صحنه حتى سقف إحداهما بنقوش ملونة بها رنك المنشى، ومكتوب بازارها اسمه وألقابه .

وركب على باب المسجد مصرعان غشيا بالنحاس المفترغ بأشكال هندسية، ومكتوب بالحزام العلوى اسم المنشى بما نصه : « المقر الأشرف العالى السيفى پخاس أميرآخور كبير الملكى الأشرفى أعز الله أنصاره » . وله سماعتان رأساهما على هيئة حيوان . ومكتوب على جانبيه : « بسم الله

الرحمن الرحيم وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا صدق الله العظيم . وكان الفراغ من الجامع في شهر الله المحرم سنة ست وثمانين وثمان مائة .

وهو يؤدي إلى دركاة مرتبة لها سقف منقوش مذهب مكتوب بإزاره قوله تعالى : « إنا فتحنا لك فتحا مبينا الى — وينصرك الله نصرا عزيزا — صدق الله العظيم ورسوله الكريم وصلى الله على سيدنا محمد . بتاريخ شهر شعبان سنة أربع وثمانين وثمان مائة » على يمينها مسطبة بها شبك وبها باب صغير يؤدي إلى منور ، عليه باب للقبّة ، وهو أحد ابتكارات المهندس التي تغلب بها على ما صادفه من شطرات في الأرض ، وعلى يسارها باب كبير له مصاريع جرارة تسير في مجرأة وتدخل في سمك الجدار ، وبها باب يؤدي الى سلم يهبط الى استطراق معقود بمصليات حجرية بها دوائر مزخرفة يمر أسفل مدخل القبّة وبعرضه حتى يصل الى الباب الشرقي للمدرسة . وهو باب حافل بالزخارف الحجرية . وعلى يسار هذا الاستطراق باب يوصل الى الفراغ أسفل الإيوان الشرقي .



مسقط أفق

وطريقة الأبواب والشبابيك الجزارة كان المظنون أنها من المبتكرات الحديثة ، ولكنها وجدت في هذه المدرسة وفي مدرسة أبي بكر بن مزهر المعاصرة لها ثم رأيناها بعد ذلك في شبابيك الدور في العصر التركي بمصر ورشيد .

ومن الطريقة الثانية يتوصل الى صحن المدرسة المفروش بالرخام ، وقد أهدقت به أربعة إيوانات :
أثنان كبيران وهما الشرق والغربي ، وأثنان صغيران وهما القبل والبحري ، كما يشرف على هذا الصحن
أبواب تؤدى إلى المنارة وإلى حجرات علوية ، ومنها باب يؤدى إلى الساباط الموصل إلى دورة المياه
وآخر الى الصهريج .

وأيضا أنجحت العين داخل هذه المدرسة فلا ترى إلا صناعة دقيقة وألوانا زاهية ، فالأرضيات
بالصحن ، والإيوانات فرشت برخام ملون تنوعت أشكاله ، وجميع السقوف ملونة مذهبة ، والجدران
مؤزرة بالرخام وبها نقوش وكتابات مذهبة كما تنوعت أشكال الشبايك الجصية .

وإيوان المحراب يستهوى الناظر إليه بما حواه من صناعات دقيقة ، وألوان أخاذة ، فقد كسب
صدره بوزرة رخامية ارتفعها نحو خمسة أمتار ، وحليت خواصر العقود وتواشيحها برخام مطعم
بالمعجون الملون ومكون بأشكال زخرفية . وهذا نوع من الزخرف شاع في دولة المماليك الجراكسة ،
استغنى به عن تجميع الرخام الخردة ، أو تليس القطع الملونة في الرخام الأبيض . ويتوسطه المحراب ،
وهو مكون من أشرطة رخامية ، ورخام مطعم بالمعجون الملون ، إلى طاقية من رخام دقيق معدودة
من النماذج النادرة . وكتب بتجويفته بالخط الكوفي المزهر قوله تعالى : ﴿ قد نرى تقلب وجهك
في السماء فلنولينك قبلة ترضاها ﴾ .



توقيع النقاش

وقد آثر الصانع بعمله هذا فكتب اسمه بشكل زخرفي
في تجويف المحراب وكسوة الشبايك بما نصه : « عمل عبد
القادر النقاش » . وسواء أكان نقاشا أم مرنما فهو صانع
ماهر ، وهو الذى قام أيضا بأعمال النقش في محراب وإيوان
المدنسة المزهرية بحارة برجوان ، المنشأة سنة ٨٨٤ هـ
(١٤٧٩ م) . وهى أيضا من طرائف العمارة الإسلامية .

وجميل أن نعثر على أسم هذا الصانع مدونة على أعمال تشرّفه ، فى حين أننا فقراء إلى معرفة أسماء
الصناع ، فلا يوجد لدينا منها إلا القليل فى نماذج معدودة لتجارين ومرتمين أحصيت وصورت
ما عثرت عليه منها منقوشا على الآثار الإسلامية بمصر والأقاليم .

أما دار الآثار العربية فقد أشتملت على مجموعة كبيرة من أسماء هؤلاء الصناع مرقومة على الطرف
الخزفية والنحاسية وغيرها .

ويجاور المحراب منبر خشبي جمعت حشواته بأشكال دقيقة، وطعمت جوانبه وأبوابه ودرابزينه وقاعدته بالسق والزرنيشان، وهو من النماذج المعدودة في دقة الصناعة وتنوعها، ومكتوب عليه : « أمر بإنشاء هذا المنبر المبارك المقتر الأشرف الكريم السيفي بقباس أميرآخور كبير الملك الأشرف عز نصره » .

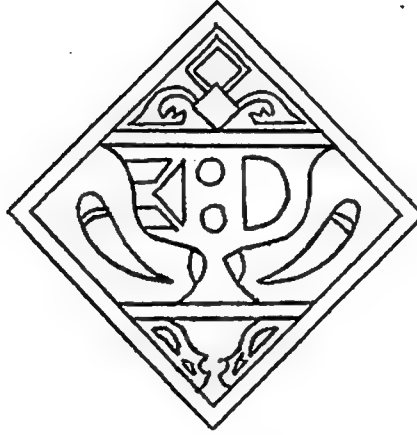
وفي الجانب القبلي للإيوان الشرق باب يؤدي إلى القبلة يكتنفه شبابان حليت خواصرهما بزخارف حجرية مذهبة، وهي قبة شاهقة مبنية بالطوب وخالية من الزخرف . ولا شك في أنها أبسط جزء في هذا الأثر، فقد ألقنا أن نرى قباب هذا العصر نتخذ من الحجر، وتنقش سطوحها الخارجية إما على شكل دالات أو شرفات موزقة، كما ينقش داخلها بالبوية أحيانا مثل قباب قايتباي وقانصوه أبي سعيد والكاشني وغيرها ، وتكتنف عقود الإيوانين البحري والقبلي عقود محارية بتواشيحها وبأعلاها زخارف حجرية، ومكتوب بدائر الصحن : « بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا . أمر بإنشاء هذا الجامع السعيد المبارك من فضل الله تعالى وجزيل عطائه العميم على مولانا المقتر الأشرف الكريم العالي المولوى الأميرى الكبيرى السيدى السندى المالكى الخدومى المجاهدى المرابطى المؤيدى المنصورى الورع المتورعى الزاهدى الغابدى الصابى القائمى الراكى الساجدى السيفى بقباس أميرآخور كبير المالكى الملكى الأشرفى أعز الله أنصاره بمحمد وآله في أيام مولانا السلطان الملك الأشرف أبوالنصر قايتباي عز نصره . وكان الفراغ من هذا المكان المبارك في شهر رمضان المعظم قدره سنة خمس وثمانين وثمان مائة » .

ويحيط بجدران الإيوان الغربى إفريز مكتوب عليه : « بسم الله الرحمن الرحيم في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه . إلى قوله تعالى : والله يرزق من يشاء بغير حساب ... وكان الفراغ من هذا الجامع في شهر رمضان المعظم قدره سنة خمس وثمانين وثمان مائة من الهجرة » . ومكتوب على كرمى المصحف : « أمر بإنشاء هذا الكرسي المبارك المقتر السيفي بقباس كافل الملكة الشامية سنة سبع وثمانين وثمان مائة » .

ومع أن هذه المدرسة أوفرت فيها كل مميزات المدارس، فقد رأينا جميع نصوصها التاريخية تنعها بالجامع ، وهذا يعطينا فكرة عن أن الرغبة الأولى لمنشئ المدارس في هذا العصر هي إعدادها أولا لإقامة الشعائر، ثم إلحاق مدافن لهم بها . ولما كان تصميم المدرسة هو الشائع في هذا الوقت ، فقد غلب على تصميم المسجد بصرف النظر عن إعدادة للتدريس أو عدم إعدادة له ، دون التقيد بنعته مدرسة أو جامعا .

وما إن تم بناء المدرسة حتى أمر بئحاس بتعيين مدرّس لها وقارئ للبخاري، ونقل ما كان قفّره من التصوّف بجامع الأزهر إليها .

وقد عُثِرَت إدارة حفظ الآثار العربية بإصلاح هذه المدرسة إصلاحاً شاملاً منذ سنة ١٣١٢ هـ (١٨٩٤ م) فكشفت عن جوانبها، وأكلت المنارة، وأصاحت المنبر والرخام والشبابيك والسقوف والأرضيات الرخامية، حتى أعادت إليها رونقها . وصنعت لها نوعاً خاصاً من المشكاوات الزجاجية المكتوبة والمنقوشة بالمينا .



رنگ المنشئ

مسجد سلطان شاه

بشارع غيط العدة^(١)

أنشأ هذا المسجد المقتر السيدي الأمير سلطان شاه بن قرا، أمير الطبلخاناه في دولة السلطان شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون^(١)، ثم أنعم عليه السلطان وعينه حاجب الحجاب في سنة ٧٦٨ هـ (١٣٦٦ م) . وقد توفي في سنة ٧٧٦ هـ (١٣٧٤ م) ودفن في مسجده بباب الخرق . وكان محبا للخير صالحا .

ويرجع إنشاء المسجد إلى حوالي سنة ٧٦٧ هـ (١٣٦٥ م) . وقد ظل قائما إلى أن هدمه وسعه الملك الأشرف قايتباي بعد سنة ٨٨٠ هـ (١٤٧٥ م) بإشراف الأمير تغرى بردى القادر^(٢)، كما أنشأ ربا تجاهه فوق مطهرته التي بناها هناك، وكذلك أمر بعمل منبر قيم له، كبقية المنابر المنشأة في عصره دقيق الصناعة، مطعمة حشواته بالسق، ومدعوق بالأويعمة الدقيقة، مما يشعر بأهمية المسجد وجمال زخرفته وقتئذ، وقد بقي منبره هذا إلى حوالي سنة ١٢٨٨ هـ (١٨٧١ م) حيث تصرف فيه بالبيع ناظر المسجد محمد أفندي الكريدلي بمبلغ ٢٥٠ جنينا إلى أحد الأجانب فأخرجه من مصر .

وما إن بلغ المغفور له الخديو إسماعيل باشا ذلك حكم على هذا الناظر وعلى التجار الذي تولى فكّه بالنفى إلى البحر الأبيض بالسودان، فأتى الناظر هناك .

وكان المسجد قد تخرب ، فأمر الخديو إسماعيل باشا بإصلاحه ، وجدد وجهته العمومية ، وذلك في سنة ١٢٨٩ هـ (١٨٧٢ م)، كما أمر بعمل منبر له^(٣) .

أما المنبر القديم فقد طوّحت به الأقدار إلى أن أستقر في المتحف البريطاني بلندن .

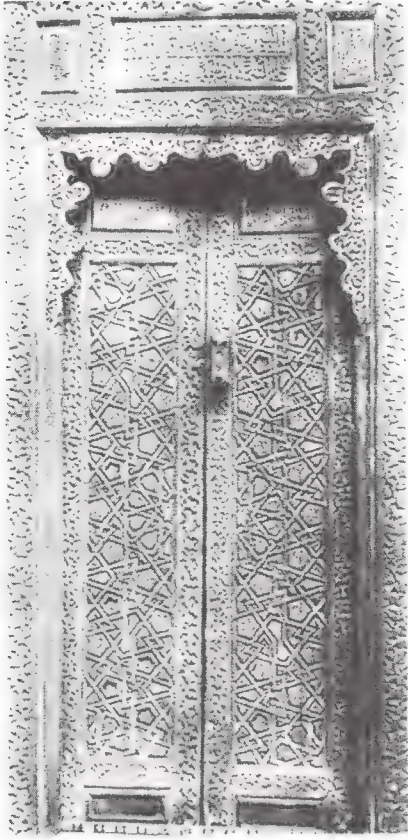
وفي زيارة المرحوم مرقس سمكة باشا (مؤسس المتحف القبطي) وعضو لجنة حفظ الآثار العربية لهذا المتحف عام ١٩٣٣ رأى هذا المنبر وقرأ اسم قايتباي عليه ، فأحضر صورته الفوتوغرافية وأهداها إلى إدارة حفظ الآثار العربية .

(*) انظر الصور من رقم ٢٠١ - ٢٠٣ بمجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) ابن إياس، ج ١ ص ٢٢١ وفي النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢٢٠ (ابن قراجا) . (٢) الضو. الالامع،

ج ٦ ص ٢٠٨ (٣) الضو. الالامع، ج ٢ ص ٢٠ (٤) المخطوط الجديدة، ج ٥ ص ٣٠

ولما كان غالب منابر مساجد السلطان قايتباى موجودة فيها ، فالمرجح أن هذا المنبر هو منبر مسجد سلطان شاه ، وهو من الطرف القيمة فقد دقت حشواته بأويمة دقيقة وطعم بالسق ، كما دقت قوائمه بالأويمة ، وطعمت حشوات الدرابزين أيضا ، ومكتوب على باب الروضة : « عز لمولانا السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر قايتباى حله الله ملكه » .



(باب المنبر)

والمسجد يتكون من صحن مكشوف يحيط به أربعة إيوانات محمولة على عمد حجرية مثمنة نقشت أضلاعها بنقوش موزقة وهندسية مختلفة ، وقد أشتمل الإيوان الشرقى على رواقين .

أما الإيوانات الثلاثة فكل منها من رواق واحد ، وقد حليت خواصر العقود بزخارف حجرية موزقة ، ومكتوب في دائرتين بوجه الإيوان الشرقى : « عز لمولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباى عز نصره » .

والمحراب بسيط لا زخرف فيه ، يجاوره منبر من خشب جمع « معقلى » ، وفي الطرف القبلى الشرقى مقصورة بها قبر المنشئ ، وبالسقف بقايا قديمة .

وأهم ما يسترعى النظر في هذا المسجد الزخارف المدقوقة في أضلاع عمدته المثمنة ، وهى مميزة وإن كانت سبقت منشآت السلطان قايتباى في نماذج قليلة معدودة مثل مسجد ألماس

وخانقاه شيخو ومسجد أم السلطان شعبان ، إلا أنها كثرت في منشآت السلطان قايتباى في الخمر والرخام ، رأيتها في العمدة الباقية من مقعده بالقلعة ، وفي عمودى الساسيل بالسبيل الذى أنشاه بالصليبة ، وفي عمودى محراب مدرسته بالصحرء ، وفي عمد الكتاب المالحق بها ، وهى نماذج إن دلت على مقدار جماله فقد دلت أيضا على التورع عن أخذها من مساجد أخرى أو كناس ، وأعطت نوعا جديدا للعمود إسلامى كامل .

قبة المداوية

بالعباسية^(٥)

كانت المنطقة الممتدة من العباسية إلى الحسينية في القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) تحتوي على مقابر وعدة دور .

وفي سنة ٨٨٤ هـ (١٤٧٩ م) أمر الأمير يشبك من مهدى بإزالة هذه القبور والدور ، وغرس مكانها حدائق غناء ، وحفر بئرا عظيمة فوقها أربع سواق ؛ وأنشأ مناظر للترهة وحوضا كبيرا وساباطا وقبة كبيرة أمامها بساتين ومشاتل ، وأنشأ قبل هذه القبة تربة كبيرة ألحق بها مساكن للصوفية وشيخهم ، وبني تجاه التربة مدرسة وسبيلا وحوضا لشرب الدواب ، وشق ترعة كبيرة يجري فيها الماء إلى المزارع ، حتى صارت المنطقة من أبهج المتنزهات^(١) .

ومن وصف السخاوي المؤرخ لهذه المنشآت نفهم أنها تمت في حياة الأمير يشبك بينما يخالفه في ذلك ابن إياس ، فقد ذكر في حوادث شهر ذي القعدة سنة ٨٨٤ هـ (يناير سنة ١٤٨٠ م) « أن الأمير يشبك شرع في بناء القبة التي أنشأها في رأس الحسينية ، ونحرب عدة قبور كانت هناك ، ثم أنشأ بهذا المكان غيطانا ومجاري وسواق ، وقصد أن يجعله من جملة متنزهات القاهرة ، ولو عاش لفعل ذلك ، بفناء القبة من محاسن البناء في ذلك المكان^(٢) » .

ثم عاد فذكر في حوادث سنة ٨٨٦ هـ (١٤٨١ م) أن السلطان قايتباي عاين قبة الأمير يشبك الدواidar ، وأمر الأمير تغرى بردى الأستاذار بأن يكمل عمارتها لأن الأمير يشبك مات^(٣) ولم يتمها . وفي هذه دلالة على أن الأمير يشبك توفي قبل أن يتم بناء هذه المجموعة .

وإذا طرحنا خلاف السخاوي مع ابن إياس جانباً ، وبخشنا عن هذه المنشآت ، فلا نجد منها الآن سوى قبة عظيمة مربعة ، طول ضلعها ١٩,٩٠ متراً ، وهي تعلو دوراً أرضياً مكوناً من ثلاث قاعات مستطيلة مغطاة بقبوات .

(*) انظر الصور من رقم ٢٠٤ — ٢٠٥ بمجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) الضوء اللامع ، ج ١٠ ص ٢٧٤

(٢) ابن إياس ، ج ٢ ص ١٩٢

(٣) ابن إياس ، ج ٢ ص ٢١٠

ويتوصل إلى هذه القبة من باب في الجدار القبلي ، عتيبه على ارتفاع ٥,٢٥ أمتار من مستوى الأرض حولها . وبناء القبة الخارجي بسيط قاعدة حجرية تعلوها قبة مبنية بالطوب لها طراز خاص . أما من الداخل فقد كانت الجدران مغطاة بوزرة رخامية بارتفاع ٣,٥٠ أمتار وفي منطقة الاتصال بين القاعدة المربعة والقسم المستدير من القبة أربع عقود بزواياها ، بداخلها مقرنصات بدلايات مشحونة هي وجدران المربع وعقد القبة وقطبها بزخارف من الجص الملون ، وهي والقبة التي أنشأها بكوبرى القبة من طراز خاص مغاير للقباب التي شاعت بمصر في القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) . فقد تأثرتا بطراز القباب^(١) السورية .



(مقرنص القبة وزخارفها)

وهذه القبة وإن كان منشؤها هو الأمير يشبك من مهدى إلا أنه كتب عليها اسم سيده الملك الأشرف قايتباى حيث يقرأ على جانبي الباب القبلي : « أمر بإنشاء هذه القبة المباركة سيدنا ومولانا السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر قايتباى أعز الله أنصاره بمحمد وآله وسلم » . وتحت المقرنص قوله تعالى : « فأنظر إلى آثار رحمت الله كيف يحيي الأرض بعد موتها — الآية » وهو

(١) . Les Mosquées du Caire, vol 1, p. 325.

باب ظريف حلت أعتابه بالرخام المأثور ، كما حلت أعتاب الشبايبك ، كذلك يقرأ في دائر القبة أعلى المقرنص : « بسم الله الرحمن الرحيم شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة — الآية . إن الدين عند الله الإسلام . قل اللهم مالك الملك — الآية صدق الله العظيم . اللهم وأدم عز مولانا ولى نعم سيد ملوك العرب والعجم ناصر دين الله حافظ بلاد الله قسيم خليفة الله الحاج إلى بيت الله الفائز بزيارة قبر رسول الله السلطان المالك الأشرف أبو النصر قايتباى خلد الله سلطانه وأفاض على البلاد والعباد جوده وإحسانه من فضله الله بالحج والزيارة على ملوك البرية وناداه ربه فخرج في سنة أربع وثمانين وثمانمائة » .

وهذا النص يرجح رأى السخاوى فى أن هذه الأعمال تمت فى حياة الأمير يشبك ، وأسم السلطان قايتباى تكرر فى كتابة أخرى بالقبة وقد ظلت تلك المنشآت عامرة حتى القرن الثانى عشر الهجرى فقد زارها الرحالة عبد الغنى التاليسى سنة ١١٠٥ هـ (١٦٩٣ م) وقال : « زرنا جامع الشبكية نسبة الى يشبك من مهدى فصعدنا إليه فإذا هو جامع عظيم فى أحسن ترصيف ، وأقوم وأكمل بنيان ، وأجمل إتقان ، ويجانبه مساكن وقصور وبيوت ، وهناك بركة كبيرة يستخرج إليها الماء بالمدار ، وفى جانبها قصر مطل عليها بشايبك ينطلق منها البصر فى فسيح تلك الأفطار^(١) » .

أعمال الإصلاح — أذكرت لجنة حفظ الآثار العربية هذه القبة وهى بحالة سيئة جدا ، فُعنت بإصلاحها وقومت مبانيها وأحدثت بابا لها فى الوجهة الشرقية وذلك فى سنة ١٨٩٩ م : وكان أمام الوجهة الشرقية قطعنا أرض يشغلها مقهى ومركز للدخولية^(٢) ، فأزالتهما وعملت على تخلية ما حولها ، ووضعت لوحة تذكارية تضمنت ترميم : « القبة فى سنة سبع عشرة وثلاثمائة بعد الألف من الهجرة » .

وبناء على ما تقدم به سكان العباسية يتقدمهم المرحوم ماهر باشا محافظ مصر وسعادة لطيف باشا سليم رئيس شرف المحكة المختلطة لإعداد القبة للصلاة ، أعدتها إدارة حفظ الآثار لهذا الغرض فى سنة ١٣١٩ هـ ووضعت لوحة تذكارية بذلك .

وفى سنة ١٩٠٧ عُنيت لجنة حفظ الآثار العربية بإصلاح منبر مسجد كاتم المر بدرى الجمائز ، وهو منبر صغير طعمت حشواته بالسق والآنوس وبناء على اقتراح هرتس باشا وضع فى هذه القبة ، وكان اختيارا موفقا ، لأن صناعته تتفق وعصر القبة .

(١) الخليفة والمجازى ١٦٢ خط .

(٢) الدخولية : حدث فى زمن الخديو إسماعيل باشا لجباية ضرائب على جميع ما يدخل القاهرة من حبوب وخضروات وفراكة وصناعات وتجارات . وقد بلغ إيرادها سنة ١٨٨٣ : ١٦٨٠٤٧ جنيها .

الفداوية — عرفت هذه القبة بالفداوية ، وغلبت هذه التسمية على اسم السلطان قايتباي ، وعلى اسم الأمير يشبك من مهدى .

والفداوية طائفة من الإسماعيلية ، من الشيعة المنتسبين إلى إسماعيل بن جعفر الصادق ^(١) القائلين بإمامته ، وكانوا يقيمون بقلع الدعوة وهي : مصياف والرصافة والخوابي والقُدُوس والكهف والعلقة والمينقة .

قال ابن فضل الله العمري في مسالك الأبصار : وهم يعتقدون أن كل من ملك مصر كان ظهيرا لهم ، ولذلك يرون إتلاف نفوسهم في طاعته . وكان لمشايخهم هذه الملوك مصر أثر كبير في إرهاب أعدائهم . وكان من تقاليدهم أن من جبن عن أداء رسالته ، أو هرب ، قتله أهله ، ولا يبالي الفداوي أن يؤذى رسالته ولو قتل بعدها . وفي الأزمنة السابقة كانوا يسمون كبيرهم المتحدث عليهم : «مقدم الفداوية» أو «شيخ الفداوية» .

وفي القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) عرفوا أيضا بالمجاهدين ، وأطلقوا على كبيرهم « أتابك المجاهدين » ويعرفون في بلادهم بالإسماعيلية وفي بلاد الفرنج بالحشيشية وعند أهل الإقليم بالفداوية . وإلى القرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر الميلادي كان يطلق لقب الفداوية على الأشداء من الرجال .

وفي قوانين دواوين الممالك البحرية كان يدخل في اختصاص رئيس ديوان الإنشاء النظر في أمر الفداوية ؛ وكان للملوك الإسلام بهم عناية كبيرة . ومن عني بهم الملك الظاهر بيبرس البندقداري ، وعهد إليهم بأعمال هامة قاموا بأدائها بين الفرنج والتتار ، وكذلك عني بهم الملك الأشرف خليل بن المنصور قلاوون ، والملك الناصر محمد بن قلاوون وكانت لهم المرتبات والهبات الكثيرة . ورأينا الحسن بن عبد الله المؤرخ يتوجه إلى سلطان وقته بيبرس الجاشنكير راجيا «العناية بهم والاحسان إليهم وإجرائهم على عوائدهم وتدبيرهم في المهمات العائدة بالنفع على الملك والممالك» .

(٢١) ضو الصبح المسفر ، ج ١ ص ٤٥ - ٤٦ ، صبح الأعشى ج ١ ص ١١٩

(٢) آثار الأول وترتيب الدول ص ١٥٣

مسجد قايتباى بالروضة

الروضة جزيرة واقعة بين الجزيرة والفسطاط (مصر القديمة) ، لم يبق من أعلامها الهامة سوى مقياس النيل فى طرفها القبلى .

وقد كانت روضة من رياض الدنيا منذ الفتح الإسلامى ، سكنها ملوك مصر وأمراؤها ، فقد كانت على عهد والى مصر عبد العزيز بن مروان عامرة بالدور من الجانبين ، وبها فرقة إطفاء مكونة من خمسمائة عامل لمكافحة حريق طارئ أو هدم . وكان بها حصن لأحمد بن طولون ، ودار صناعة (ترسانة) لعمل الأسطول المصرى ، كما كان بها بستان المختار وقصره اللذان أنشأهما محمد بن طُغُج الإخشيد . ووضع تصميمهما صالح بن نافع ونفذهما زقازق وابن أبى الرداد .

وفى الدولة الفاطمية أنشئت بها المتزهات ، فأنشئ بها المشتمى كما أنشأ بها الأفضل شاهنشاه ابن بدر الجمالى مكانا نزها سماه الروضة ، فعرفت الجزيرة كلها بالروضة . وكانت تعرف قبل ذلك بجزيرة مصر وجزيرة الفسطاط وجزيرة الصناعة .

وفى خلافة الأمر بأحكام الله بنى بها قصرا سماه الهودج ، وأسكن به زوجته الغالية البدوية . وأنشأ بها بدر الجمالى مسجد المقياس . وفى آخر الدولة الأيوبية بنى بها الملك الصالح نجم الدين القلعة الصالحة ، وأنشأ قصرا له . كما أنشأ الغورى قصرا على بسطة المقياس .

وفى عصر المغفور له محمد على باشا ، أنشأ ولده المرحوم إبراهيم باشا بستانا فى الطرف البحرى للروضة حوى النادر من النباتات والزهور التى أدخلت إلى مصر . وأنشأ بها أمراء دولته القصور والبساتين ، ومنها قصر المرحوم حسن باشا المنستلى الباقى حتى الآن يبرار المقياس . كما كان للمغفور له إسماعيل باشا قصر وبستان بالقرب من هذا المسجد . وقد كان بها كثير من المساجد ، وأهم ما بقى منها مسجد قايتباى .

والسلطان الملك الأشرف قايتباى من خيرة ملوك مصر الجراكسة الذين عنوا بالعمارة الإسلامية . وله فيها آثار كثيرة بمصر والشام والنجاز ، كلها غنية بشتى الفنون .

(*) انظر الصور من رقم ٢٠٦ — ٢٠٧ بمجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) المقرئى ، ج ٢ ص ١٩٧

(٢) المشتمى للمغفور له تيمور باشا مجلة الزهور ، ج ٥٠ ص ٢٩٤ ، حداثى القاهرة ومنزهاتها ص ٥٣

وأول من أنشأ هذا المسجد هو ناظر الجيش محمد بن فضل الله القاضي نخر الدين المعروف بالفخر المتوفى سنة ٧٣٢ هـ (١٣٣٢ م)^(١)، ثم جدده صاحب شمس الدين عبد الله المقسى فعرف بجامع المقسى . ثم تحوّل وعطلت الشعائر فيه إلى أن هدمه ثم أنشأه الملك الأشرف قايتباي ، وألحق به ناعورة على وضع غريب ركب عليها طاحونا تدور بدورائها .

وكان البدء في تجديده سنة ٨٨٦ هـ (١٤٨١ م) . وفي سنة ٨٩١ هـ (١٤٨٦ م) زاد فيه وأنشأ حوله الحدائق والعمائر .

وقد أشار السخاوي إلى منشآت قايتباي وذكر هذا المسجد ضمنها فقال : « وبالروضة جامع هائل كان من قديم مع صغره ساقطاً مائلاً فهدمه ، وعمل بجانيه ربعا ، وأنشأ خلفه قاعة ، وأنشأ عدة دكاكين وطاحونا بإشراف البدر حسن بن الطولوني المهندس »^(٢) .

أما ابن إياس فقد ذكر الفراغ من هذه الأعمال في سنة ٨٩٦ هـ (١٤٩١ م)^(٣) .

ويظهر أن البدر بن الطولوني كان مقتونا بجمال هذه المنطقة ، فقد كان يحتفل في كل ليلة ١٤ من الشهر بالمسجد ؛ إذ يجتمع القزاء والوعاظ ، وتنصب خيام أمام الجامع ، وتضاء الأنوار ، وتجتمع المراكب في النيل ، حتى عرفت لياليه بالبدرية .

وقد عرف المسجد أيضا باسم السيوطي لأن الإمام جلال الدين السيوطي أقام به أو سكن قريبا منه .

وفي سنة ١٢١٦ هـ (١٨٠١ م) احترق المسجد بسبب انفجار بارود^(٤) ، قضى على جميع تجارته الأثرية .

وهو الآن أقل مساجد قايتباي زخرفا ، ولعل هذا راجع إلى ما أصابه . أما تصميمه فهو تصميم مدرسة ؛ أربعة إيوانات يتوسطها صحن مكشوف يحيط به أربعة أبواب مكتوب على أحدها « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم » . وعلى الآخر : « وصلى الله على سيدنا محمد السراج المنير » . وعلى الثالث : « فانظر إلى آثار رحمت الله كيف يحيط الأرض بعد موتها » .

وكانه أريد باختيار الآية الأخيرة الإشارة إلى تجديد الجامع بعد أثاره . ويعلو كلا من هذه الأبواب نفيس منقوش وعقد مسلوب مقرنص .

والإيوان الشرقي أكبرها . وقد نقش حجور الشبابيك الشرقية بزخارف جصية موزقة رأيناها في مدرسته بالصحره .

(١) كوكب الروضة للسيوطي ص ٩٤ خط ، المقرئ ج ٢ ص ٣١١ (٢) الضوء اللامع ، ج ٦ ص ٢٠٨

(٣) ابن إياس ، ج ٢ ص ٢٧١ (٤) الجبرق ، ج ٣ ص ١٩١

والمحراب من الحجر ، وقد حلى بجفوت وميات وكتب بتجويفته ما نصه : « بسم الله الرحمن الرحيم قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها » ويعلو المحراب سطر بطول الجدار الشرق مكتوب فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم إنا فتحنا لك فتحا مبينا . الى قوله تعالى : تجرى من تحتها الأنهار » .

والوجهة الشرقية بها الباب وقد كتب على جانبيه اسم قايتباى وألقابه بما نصه : « بسم الله الرحمن الرحيم . أمر بإنشاء هذه المدرسة المعظمة مولانا المقام الشريف السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر قايتباى عز نصره سلطان الإسلام والمسلمين محيى العدل فى العالمين ناصر شريعة سيد المرسلين خلد الله ملكه وثبت قواعده دولته » .

وهو مبنى بحجارة صفراء وبيضاء ، وعتبه مزرق ، وله عقد مداينى مخصوص به بتلايس حجرية . وتقوم المنارة على يساره ، وهى مبنية بالحجر ، ومكونة من ثلاث دورات . دورتها الأولى مخضرفة بدون نقش ، والثانية من كرايش (خرزانية) ، والثالثة مقرنصات . وبدن الدورتين مستدير ، وقد أحيطت الدورات الثلاث بشقة درابزين مفرغة بأشكال متنوعة .

ويلفت النظر أن منارات السلطان قايتباى فى مصر تنوعت أشكالها . وهذا دليل ملموس على نبوغ مهندسيه وعبقريتهم .

وكان لتأدية مولانا الملك فاروق الأول فريضة الجمعة فيه خير أثر فى إصلاحه ، وتعميد الطرق المؤدية اليه وتوسيعها . مما جعل الألسنة تلهج بالدعاء لجلالته .

وإنى أتمثل بأبيات أنشدها الشاعر أيدمر الميوى فى الملك الصالح نجم الدين المسمى ^(١) قلة الروضة .

الصالح الملك الذى أيامه * عقد به جيد الزمان مطوق
أبهى من القمرين أصبح للهدى * نجما به فلك السعادة مشرق

مسجد أبي العلا

بشارع فؤاد الأول^(*)

نسب هذا المسجد إلى الشيخ الصالح حسين أبي علي المكنى بأبي العلا، الولي المعتقد صاحب الكرامات والمكاشفات ؛ على ما يصفه به الصوفيون الذين أطبوا و بالغوا في كراماته .

سكن هذا الشيخ في خلوة بزوايته بالقرب من النيل في القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) وكان للناس فيه اعتقاد، فكثير مر يدوه ومعتدوه . وكان من بينهم التاجر الكبير الخواجا نور الدين علي ابن المرحوم محمد بن القنيس البرآسي ، فطلب منه الشيخ أن يحدد زوايته وخلوته التي كان يتعبد فيها . فصعد بالأمر وأنشأ هذا المسجد ، وألحق به قبة دفن فيها الشيخ أبو العلا حينما توفي سنة نيف وتسعين وثمانمائة هجرية (١٤٨٦ م)^(١) .

ويرى المرحوم محمد رمزي بك أن هذا المسجد حل محل المسجد الذي أنشأه الفخر ناظر الجيـش محمد بن فضل الله سنة ٧٣٠ هـ (١٣٣٠ م) .

وكان إنشاؤه للمسجد حوالي سنة ٨٩٠ هـ (١٤٨٥ م) ، وهو عصر ازدهرت فيه العمارة الإسلامية . والغالب على تصميمه وقنئذ أنه كان على طراز مدرسة ذات أربعة إيوانات متعامدة غنية بالنقوش والكتابات ، كما تنبئ بقاياها القديمة . وتتحصر في الباب البحري مع قسم من الواجهة البحرية والشرقية والقبعة والمنارة والمنبر .

فالباب العمومي مبني بالجمر ، وله عقد مدايني بطاقية مقرنصة ، ومكتوب عليه قوله تعالى :
(وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم) .

وتقوم المنارة على يسار الباب ؛ وهي منارة حجرية رشيقة مكوّنة من ثلاث دورات لا تقل أهمية عن المنارات المنشأة في عصرها الزاهر . فقد حلّ بدن الدورة الأولى بجفوت وعقود ، كما حلّ بدن الدورة الثانية بخطوط متقاطعة على شكل شرفات ، وقامت الدورة الثالثة على عمد رخامية صغيرة .

(*) انظر الصور من رقم ٢٠٨ - ٢١١ بمجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) طبقات الشمراني ، ج ٢ ص ١٠١

(٢) تعليقه على ص ٢٠٢ ج ٩ النجوم الزاهرة طبع دار الكتب المصرية .

وقد كتبت بأحزمة القاعدة وأسفل مقرنصات الدورات آيات من سورة «تبارك»، كما كتبت آيات منها أيضا في المربعات فوق قاعدتها .

وقد بدأت الكتابة التاريخية بالوجهة على يسار الباب، وامتدت إلى وجهة القبّة. ومع الأسف تشوه وفقد أكثرها، ويقرأ منها الآن : « أنشأ هذه المدرسة المباركة من فضل الله تعالى وجزيل عطائه العبد الفقير إلى الله تعالى الح ... على ... محمد ... القنيش ... غفر ... » .

وتقوم القبّة في أوائل الوجهة الشرقية، وهي قبة مبنية بالطوب تغلب عليها البساطة من الخارج، بخلاف قباب عصرها التي امتازت بجمال نقوشها وبلوغها القمة من الرق . وليست هذه البساطة مقصورة على هذه القبّة، بل يشاركها فيها بعض قباب عصرها، مثل قبة پقاس الإسماعلي، وقبة فانصوه أبي سعيد وغيرهما. ومكتوب فوق عتبي شباك القبّة آيات من القرآن تظهر الأطراف العلوية للحروف متقاطعة بشكل زخرفي مثل ما نراه منها في مسجد الغوري وفي ثريات وشمعدانات باسم قايتباي .

وأهم ما يسترعى النظر بداخل هذه القبّة الزخارف المدقوقة بتواشيع المحراب والشبابيك ثم كتابة تاريخية فوق المحراب نصها : « أنشأ هذا المكان المبارك العبد الفقير إلى الله تعالى الخواجه نور الدين على بن المرحوم ... الدين محمد بن القنيش غفر الله لهم لسيدنا ومولانا الشيخ حسين أبا على نفعتنا الله ببركاته والمسلمين في الدنيا والآخرة » .

ورقبة القبّة شبابيك ومضاهايات منقوشة كما نقشت القبّة بنقوش هندسية ملونة .

أما تجارته فقد كانت على جانب عظيم من الأهمية، ولم يبق منها إلا المنبر الذي لا شك في أنه نخر المنابر الإسلامية في دولة المماليك الجراكسة؛ فقد طعمت حشواته بالسنّ والزرنشان، وامتازت جوانبه وأبوابه بتقاسيم فريدة وخاصة في دائرته الكبرى التي تتوسط ريشتي جانبيه فانها لم توجد في منبر آخر مع ما فيها من شذوذ . وما زاد في أهميته

اشتماله على اسم صانعه المكتوب على باب المقدم

بما نصه : « نجارة العبد الفقير إلى الله تعالى الراعي

عفو ربه الكريم على بن طنين بمقام سيدي حسين

أبو على نفعتنا الله » .

على طنين

اسم التجار

ولعله ثالث توقيع رأيناه لتجار ممتاز على منبر حتى نهاية دولة المماليك الجراكسة بمصر .

ثم رأيت توقيع الكثير منهم في العصر العثماني بالأقاليم .

(١) سقطت كلمة، ولعلها شمس .

هذه هي الأجزاء القديمة الباقية من هذا المسجد، لأنه قد تواترت عليه إصلاحات كثيرة، فقد أجريت به عمارة سنة ١١٥٤ هـ (١٧٤١ م). وأخرى سنة ١٢٦٣ هـ (١٨٤٧ م).

وقد دفن به غير واحد من العلماء منهم الشيخ أحمد الكعكي المتوفى سنة ٩٥٢ هـ (١٥٤٥ م) والشيخ عبيد والسيد على حكشه المتوفى سنة ١٢٧١ هـ (١٨٥٤ م) والشيخ مصطفى البولاق المتوفى سنة ١٢٦٣ هـ (١٨٤٦ م).

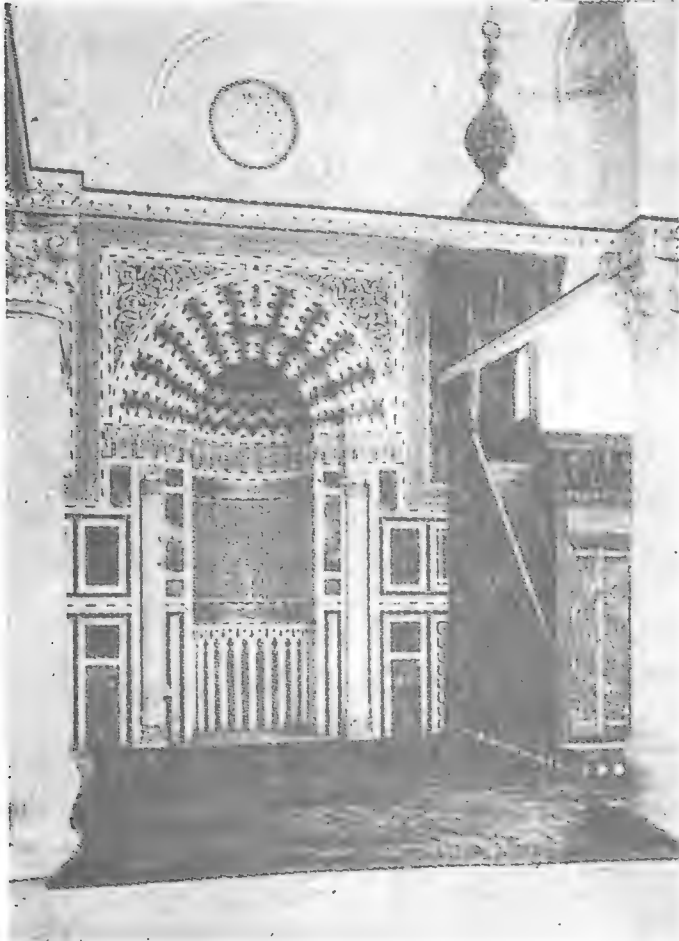
وقد ترتب على هذه الأعمال تغيير في المسجد؛ فقد أدركه المغفور له على باشا مبارك، ووصفه: «بأنه جامع عاصر ومقامة فيه الشعائر. له ثلاثة أبواب: أحدها على الشارع وهو الباب الكبير، والثاني تجاه باب المقام غربى الجامع موصل لعطفة ضيقة، والثالث لليضأة. ويشتمل على إيوانين وثمانية أعمدة من الرخام. ومنبره من الخشب النقي المطعم بالعاج، ومحرابه مكسوق بالرخام»^(١).

أعقب هذه العمارات تلك العبارة التي قامت بها لجنة حفظ الآثار العربية في المدة من سنة ١٩١٥ - ١٩٢٠ م، فقد أجرت له إصلاحات شاملة، وأنشأت في النهاية الغربية للوجهة البحرية سبيلا يعلوه كتاب اقتبست تفاصيله من نماذج عصره، وفككت مباني المنارة وأعادت بناءها؛ وأكملت قبتها طبقا لمنارات عصرها.

وقد بقي المسجد موضع الرماية باعتباره حرم حتى بولاق المحبب إلى سكانه، إلى أن سقط سقف إيوانه الشرقى أثناء الاحتفال بمولده في ١٣ يولييه سنة ١٩٢٢ م فتعطلت الشعائريه إلى أن أمر المغفور له الملك «فؤاد الأول» طيب الله ثراه بتجديده وتوسيعه في سنة ١٣٤٤ هـ (١٩٢٥ م). فقامت وزارة الأوقاف بتنفيذ هذه الإرادة السامية، بأن عمات على نزع ملكية الأماكن التي اقتضاها التوسيع، ثم عهدت إلى إدارة حفظ الآثار العربية في وضع تصميم لتجديده، فوضعت تصميميا لبناء المسجد، راعت فيه المحافظة على الأجزاء القديمة وإدماجها فيه، وعلى أن تكون جميع تفاصيله مقتبسة من منشآت القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى).

والمسجد كما هو الآن تبلغ مساحته ١٢٦٤ مترا، وقد كان قبل ذلك ٨٤٣ مترا. وروعى فيه أيضا أن تكون أبوابه ثلاثة كما كانت، وقد وضع تصميمه مكونا من أربعة إيوانات سقوفها مرفوعة على عقود من الحجر الأحمر والأبيض، وترتكز على عمد رخامية تحدد بصحن غطى بسقف مذهب، تحيط به شبابيك بمربع الصحن وقد كتب فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم قل لعبادى الذين

آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلاق .
إلى قوله تعالى : وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار . أمر بتجديد هذا المسجد
وتوسيعه حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول أيد الله ملكه وحفظ له ولى عهده . وكان الفراغ
من هذا العمل المبرور والأثر المشكور فى سنة أربع وخمسين وثلاثمائة وألف من الهجرة الشريفة
النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية » .



المحراب والمنبر

وقد ابتكرت طريقة لعمل السقوف الأثرية بالأشمنت المسلح زيادة فى متانته ، وقسمت على
شكل الأسقف الخشبية القديمة ، ثم نقش وذهب بإتقان لا يترك مجالا للشك فى أنه من الخشب .

وقد تنوعت تلك النقوش، فبينما نرى الإيوانين الشرق والغربي متماثلين نرى الرواقين القبلي والبحري برسم آخر.

وقد كسيت جدران إيوان المحراب بوزرة رخامية انتهت من أعلاها بدوائر ملونة ثم أفرز رخامى دقيق، وبه محراب من الرخام الدقيق تنوعت زخارفه وألوانه، يكتنفه عمودان قواعدهما وتيجانهما عربية، كما يحيط به من أعلاه مجموعة من الشبابيك الخشبية التي قد تنوعت أشكالها.

وفي مؤخر الجامع دكة المبلغ وجميعها من الرخام، وقد حليت بزخارف عربية مذهبة، ونقشت الأوتار الرابطة للعقود، كما وضعت للمسجد إضاءة خاصة.

وقد تناول التجديد وجهاته الثلاث : الشرقية والقبليّة والغربية؛ إذ بنيت بالمجر الأبيض والأحمر على التماكب بارتفاع ١٣,٥٠ مترا، وقد غطيت صفوف شبابيك الوجهات بمقرنصات متنوعة، كما حليت الأبواب أيضا. قالباب الغربي المؤدى إلى الميضاة اقتصرت زخارفه على الحجر الملون، وغطى بمقرنص. أما الباب القبلي فقد حليت مرزقاته وجانباه بالرخام الملون وغطى بالمقرنصات. ومكتوب على الطراز العلوى لهذه الوجهة تاريخ الفراغ منها بما نصه « أمر بتجديد هذا المسجد وتوسيعه مولانا صاحب الأيادى البيضاء على المعاهد والمساجد والموفق للخدمة كل راكم ومساجد من أحيا شعائر الدين وأعلى كلمته وأقام العدل وأصلح رعيته حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول أيد الله ملكه وحفظ ولى عهده ووفق رجال حكومته إلى خير الأمة وسعادة البلاد، وكان البدء فى هذا العمل المبرور، والأثر المشكور فى سنة أربع وأربعين وثلثمائة وألف، والفراغ منه فى سنة ثمان وأربعين وثلثمائة وألف من الهجرة الشريفة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والتحية ».

ولا شك فى أن تجديد هذا المسجد كان طبقا لأساليب المارة الإسلامية الصحيحة. وقد بلغت نفقات تجديده ١٧,٠٠٠ جنيه.

وقد تفضل حضرة صاحب الجلالة الملك الصالح «فاروق الأول» فافتتحه بأداء فريضة الجمعة يوم ١٥ ربيع الأول سنة ١٣٥٥ هـ (٥ يونيه سنة ١٩٣٦ م).

مسجد قاني باي الرماح

بميدان صلاح الدين^(١)

الأمير قاني باي — قاني باي قرا كان مملوكا لللك الأشرف قايتباي فأعتقه وعينه في جملة وظائف، إلى أن رماه أمير عشرة في سنة ٨٩٨هـ (١٤٩٣ م)، ثم عينه نائبا لصهيون، فأميرا لحلب، ثم عاد إلى مصر وتزوج ابنة الأمير يشبك من مهدى .

وفي دولة الناصر محمد بن قايتباي رقي إلى مقدم ألف، ثم أمير آخور كبير في المحرم سنة ٩٠٣هـ (سبتمبر سنة ١٤٩٧ م) . واشتهر بالشجاعة والفروسية واللعب بالرمح، فعرف بالرمح .

وقد أنشأ مسجدا في الناصرية ، كما أنشأ هذا المسجد^(١) . توفي إلى رحمة الله يوم الجمعة ٢٦ ربيع الأول سنة ٩٢١هـ (١٥١٥ م)، ودفن بقبة هذا المسجد .

وهذا المسجد بميدان صلاح الدين ، يقع في الجهة البحرية من مسجد المحمودية ، وهو مبني على شرف عال . وله وجهتان : إحداهما شرقية وبها وجهة الإيوان الشرق والقبعة . والثانية قبلية وبها وجهة القبعة والمدخل الرئيسي والمئذنة فسيح وكتاب . ويعتبر من المساجد المعلقة ، فهو قائم على عقود مصلبة، تحملها أكتاف حجرية مربعة تكوّن حجرات واستطرافات أسفل المسجد، لها وجهة أسفل الإيوان الغربي، وللحجرات مزغلة وشباك بالوجهة القبليّة .

ويتوصل إلى باب المسجد بارتقاء بضع درجات تؤدي إلى باب لبس عتبه الحجري برخام ملون يعلوه مزور رخامي مكتوب على جانبيه : « أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة من فضل الله المقتر الأشرف العالي المولوى السيفى قاني باي أمير آخور كبير أعزّه الله تعالى » .

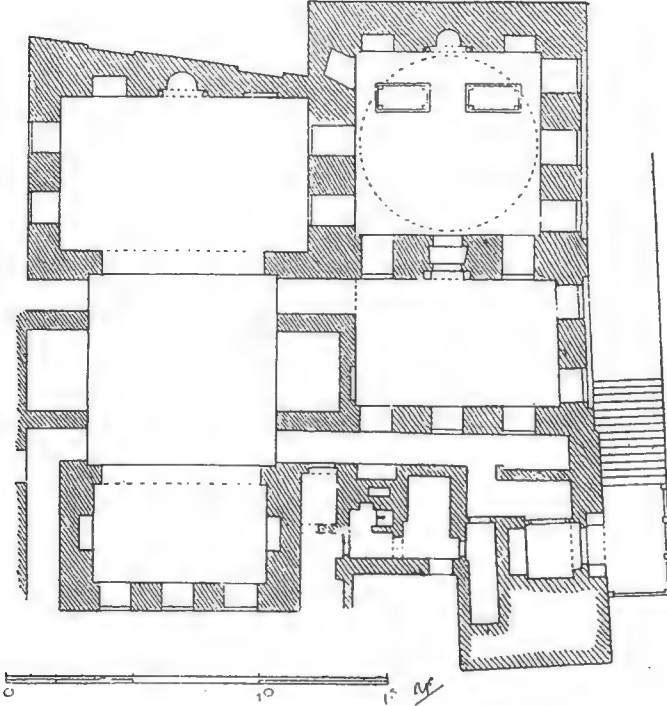
وقد حلّ الباب بزخارف حجرية، يغطيها عقد له أرجل منحوتة ؛ وهذا الباب يؤدي إلى دركاة مربعة ، سقفها ملون مذهب له إزار مقرنص، ثم طريقة مغطاة بمصليتين على يسارها باب المئذنة ، ثم ينتهي إلى طريقة أخرى معقودة تنتهي إلى الصحن .

والمسجد منشأ على طراز المدارس المشتعل على أربعة إيوانات تنوّعت عقودها .

(*) انظر الصور الفوتوغرافية من رقم ٢١٢ — ٢١٣ بمجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) ابن اياس، ج ٤ ص ٤٥٠ — ٤٥٣

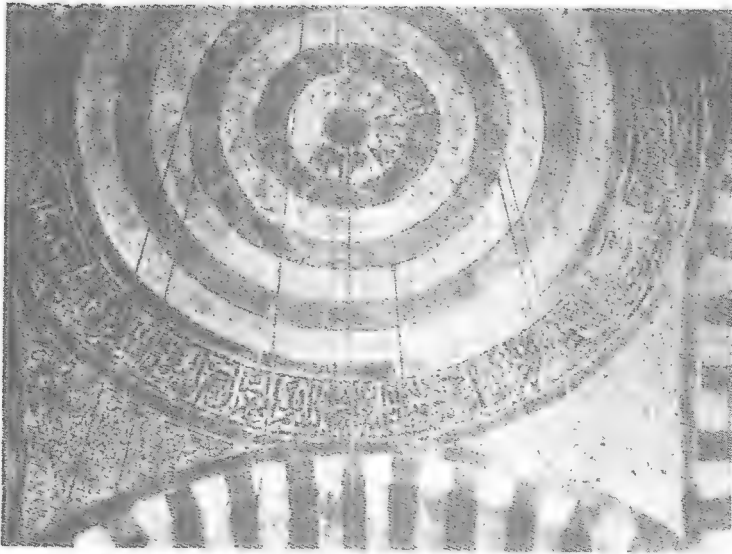
وهذا المسجد لم تستعمل فيه السقوف الخشبية عدا دركاة المدخل ؛ فهو مغطى بعقود تنوعت أشكالها ، فالإيوانان القبلي والبحري عقودهما مدببة وهما صغيران . وقد حلّى وجهاهما وجوانبهما بالنقوش والكتابات .



مسقط أفق

والإيوان الغربي معقود بقبو مصلب ، حلّيت تواشيح وجه عقده بزخارف نباتية ؛ وأهم هذه الإيوانات الإيوان الشرقي ؛ وقد غطى بقبو كرى يكتنفه من الجانبين قبوان دائران ، وقد نقشت أركان هذا القبو بنقوش مذهبة ومكتوب على دائره : « بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر » إلى قوله تعالى : المهتدين . صدق الله العظيم . أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة المقتر الأشرف الكريم العالي المولوى السيدى السندى الذخرى العضدى الكريمى الكبيرى السيفى قاني باي أمير آخور كبير الملكى الأشرفى أعز الله أنصاره بمحمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا . وكانت هذه الكتابة مذهبة ، والمحراب حجرى . وقد حلّى عقده وطاقيته بنقوش وجفوت وميمات متقاطعة ، ومكتوب بتجويفه : « بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون صدق الله العظيم » .

و يحيط بهذه الكتابة من أعلى وأسفل زخارف على هيئة شرفات بها أثر تلوين وتذهيب .
ويجاور المحراب منبر صغير طعمت حشوات جوانبه وباب مقدمه بالسق ، ويكتنفه دولابان
حلى شعاعاهما بزخارف نباتية موزقة ، وعلى جانبي هذا الإيوان شبابيك نقشت أعتابها بزخارف
دقت في الحجر ، ويعم الزخرف أحجار هذا المسجد كما كان يعمها التذهيب شأن الكثير من مساجد
ذلك العصر . ومكتوب أعلى الأبواب الأربعة حول الصحن : « أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة
المقر الأشرف الكريم العالى السيفى قانيباى أمير آخور كبير الملكى الأشرفى أعز الله أنصاره » .
والباب الشرق القبلى من هذه الأبواب يؤدى إلى حجرة مستطيلة مغطاة بعقود مصلبة لها
أرجل منقوشة ، ولها شبابيك تطل على الوجهة القبلية ، وأخرى تطل على طارقة المدخل ، ويجدارها
الشرق باب القبة وهو مغطى بمقرنصات ومكتوب على جانبيه قوله تعالى : « بسم الله الرحمن الرحيم —
ادخلوها بسلام آمين » . ويعلوه سطر مكتوب فيه : « اللهم إنا نسألك العفو والعافية والمعافة
الدائمة فى الدارين » .



قبو الإيوان الشرقى

وهذه القبة من النماذج القيمة التى تتجلى فيها عظمة القباب المملوكية فهى بارزة عن وجهة المسجد
الشرقية ، وبنواصيها عمد حجرية منقوشة ، كما نقش سطحها الحجرى بزخارف موزقة جميلة

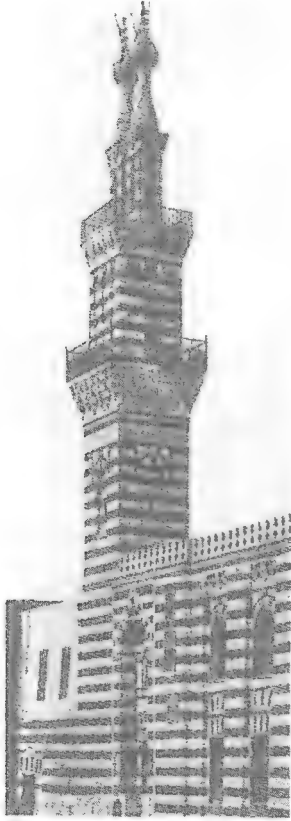
ومكتوب على رقبته : « بسم الله الرحمن الرحيم الله لا إله إلا هو الحي القيوم ... الآية . أمر بإنشاء هذه القبة المباركة المقتز الأشرف الكريم العالى السيفى قاني باي أميرآخور كبير الملكى الأشرفى » .

وقد أحيطت جدرانها من الداخل بوزرة رخامية آنتهت بإفريز لبست فيه زخارف بالمعجون المألون ، كما نقش عقد محرابها وطاقيته بجفوت متقاطعة مثل محراب المسجد . ومكتوب أعلاه : « بسم الله الرحمن الرحيم . قد نرى قلب وجهك فى السماء » .

ويحيط بربعها تحت رجل المقرنص إفريز كبير مكتوب عليه : « بسم الله الرحمن الرحيم . وسبق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا ... الآية . صدق الله العظيم . أمر بإنشاء هذه القبة المباركة المقتز الأشرف الكريم العالى المولى الأميرى الكبيرى السيدى السندى الذخرى العضدى المالكى المخدومى السيفى قاني باي أميرآخور كبير الملكى الأشرفى بتاريخ مستهل شعبان المكرم عام ثمان وتسعمائة » .

وعلى جانبيها شبايك : القبلىة منها تشرف على الوجهة ، والجانب البحرى به شباكان يشرفان على الإيوان الشرقى ، وثالث يشرف على الحارة وبه عاج المهندس شطرة بها . وأمام المحراب قبران أحدهما للثنئى .

المنارة — وتقوم المنارة على يسار الباب العمومى ، وهى مبنية بالحجر ومكوّنة من دورتين مربعتين حليت جاساتهما بمقرنصات ، ويعلو الدورة الثانية مربعان حليا بالمقرنصات ، يعلو كلا منهما خوذة .



المنارة قبل هدمها

والمنارات ذات الرؤوس المزدوجة شاعت بمصر فى نهاية القرن التاسع وأول العاشر الهجرى ؛ رأيناها فى منارة الغمرى بميت غمر ، كما كانت كذلك منارة مسجد جان بلاط بجوار باب النصر التى هدمت سنة ١٢١٤ هـ (١٧٩٩ م) ، فنارتا الغورى بمسجده وبالأزهر . ثم منارة مسجد العمروى بالمنيا . وقد أنشأ الأمير قاني باي منارة مسجده بالناصرية على هذا الطراز أيضا .

و يصف ابن كثير المؤرخ منارة مدرسة السلطان حسن التى سقطت^(١) سنة ٧٦٢ هـ (١٣٦١ م) بأنها كانت مزدوجة الرأس مما يعزز نشأة هذا النوع من المنارات فى النصف الثانى من القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) .

بقيت منارة هذا المسجد إلى أن هدمت حوالى سنة ١٨٧٠ م لخلل طرأ عليها ، وفى هذا الوقت طرأ تغيير كثير على المسجد ؛ فأنشئت بوجهته دكاكين شوهت جماله ، ومنذ ذلك الوقت عيّنت لجنة حفظ الآثار العربية بإصلاح المسجد ؛ فأزالت الدكاكين من أمام الواجهة وأصلحتها فى سنة ١٣٣٣ هـ (١٩١٤ م) ، كما أزال سقف الحادث الذى كان يغطى الصحن وأزال البياض الذى كان يحجب الزخارف الملونة والمذهبة ، وأعاد بناء الإيوان الغربى ، وأصلحت قاعدة المنارة وذلك فى سنة ١٣٣٥ هـ (١٩١٦ م) . وكذلك قامت بتقوية المبانى الحاملة للمسجد بالدور الأرضى .

على أن أهم عمارة أجريت به كانت فى عصر الملك الصالح فاروق الأول ؛ فقد أعيد بناء المنارة والسبيل بجوارها طبقا لصورة أخذت بالتصوير الشمسى كانت محفوظة بإدارة حفظ الآثار العربية مهداة لها من فرنس باشا ، وأخرى أهداها إليها جناب الأستاذ كريسويل . مع الاقتباس من منارته بالناصرية . كما أصلح الإيوان الغربى وقد تمت هذه الإصلاحات فى سنة ١٣٥٨ هـ (١٩٣٩ م) ، وكان لها أحسن الأثر فى إحياء هذا المسجد وتجميل الميدان .



مسجد الغورى

بشارع المعز لدين الله^(١) (الغورية)

الملك الأشرف قانصوه الغورى — السلطان الملك الأشرف أبو النصر قانصوه من بييردى الغورى الجركسى الجنس، ولد فى حدود سنة ٨٥٠هـ (١٤٤٦م) ثم امتلكه الأشرف قايتباى وأعتقه وعينه فى جملة وظائف مابين كاشف للوجه القبلى إلى نائب لطرسوس فملطية . وفى دولة الأشرف جان بلاط عين دؤاداراكيرا ووزيرا وأستادارا . ثم نودى به ملكا على مصر فى يوم الاثنين مستهل شوال سنة ٩٠٦هـ (أبريل سنة ١٥٠١م) وظل فى ملك مصر إلى أن قتل بمرج دابق شمالى حلب^(١)، وهو على رأس جيشه فى قتاله مع السلطان سليم فى ٢٥ رجب سنة ٩٢٢هـ (١٥١٦م). وكان ملكا حازما شديدا سياسيا ملك زمام الملك بحكمة وكياسة نخطب وده الملوك وبادلوه الهدايا، ففى السنة التى استقبل فيها سفير البندقية بهداياه وهى سنة ٩١٨هـ و ١٥١٣م استقبل سفراء أربع عشرة دولة من ملوك الشرق والغرب يقدمون اليه الهدايا، وفى عصره ازدهرت الفنون والعلوم وراجت سوق الأدب والموسيقى .

وكان رحمه الله مغرما بالعمارة فازدهرت فى عصره وأبنت، واقتدى به أمراء دولته فى إنشاء المائر . كما عني بإنشاء الحدائق واقتناء الطيور المغزدة .

وقد خلف ثروة فنية جالها خيرية؛ بمصر وحلب والأقطار الجبازية . واهتم بتحسين مصر فأنشأ قلعة العقبة وأصلح قلعة الجبل وأبراج الإسكندرية . وزاد فيها أبراجا وأسوارا وغير ماخذ الماء الموصل الى القلعة فأنشأ السواقى على النيل وما يتصل بها من قناطر للياه حتى تلاقى مع المجرأة القديمة . وجدد خان الخليلي فأنشأه من جديد وأصلح قبة الإمام الشافعى ومسجد الإمام الليث وأنشأ منارة للجامع الأزهر . هذا عدا ما أنشأه من قصور ووكالات وخانات وتعمير مساجد، كما عني بأسطول مصر . وليس أدل على غرامه بالعمارة من إنشائه فى منطقة واحدة مجموعة أثرية مكونة من وكالة وحمام ومترل ومقعد وسبيل وكتاب ومدرسة وقبة ثم هذا المسجد .

وهذه المجموعة جميعها فى نهاية شارع الغورية عند تقاطعه مع شارع الأزهر . وهى باكورة أعماله العمارية؛ لأن الفراغ منها كان سنة ٩٠٩ — ٩١٠هـ (١٥٠٣ — ١٥٠٤م) .

(*) انظر الصور من رقم ٢١٤ — ٢٢٥ مجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) شذرات الذهب ج ٨ ص ١١٤ ، ابن اياس ج ٣ ص ٤٧ (٢) ابن اياس ج ٤ ص ٢٦٨

تاريخ المسجد ووصفه — بدأ في إنشاء هذا المسجد الطواشي غنص^(١) ، كبير السقاة في دولة الظاهر قانصوه أبي سعيد . ولما ولي الملك الأشرف قانصوه الغوري أمر بالقبض عليه وصادر أمواله ، وطالبه بأموال أخرى ، فأعطاه أرض هذا المسجد بما عليها من بناء سدادا لبعض ما طالبه به ، فهدمه الغوري وأمر بتوسيعه وأضاف له بعض الأسواق ، وعنى برخامه وزخرفته إلى أن آتمت عمارته في سنة ٩٠٩ هـ (١٥٠٣ م) وقد بلغت ثقلته نحو مائة ألف دينار .

ومما أخذ به بعضهم على الغوري أنه أدخل في عمارته مهمات معارية اشتراها بتمن بخس ، وأنه هدم وخرب عدة قاعات ، وأخذ رخامها وأبوابها لمارة الجامع مما حدا ببعض الظرفاء إلى أن يسميه « بالمسجد الحرام » . فليقل فيه حساده ما صوره لهم حقدهم ، ولئن جاز أن نصدهم في أخذ الرخام فلا نستطيع تصديقهم في التجارة التي أثبتت تفاصيلها أنها عملت خصيصا للمسجد .

وقد احتفل بافتتاحه يوم الجمعة^(٢) مستهل شهر ربيع الآخر سنة ٩٠٩ هـ (سبتمبر سنة ١٥٠٣ م) بحضور الخليفة المستمسك بالله يعقوب والقضاة الأربعة ثم خلع السلطان على قاضي القضاة عبد البر ابن الشحنة لأنه حكم بصحة الخطبة في هذا الجامع وخلع على إينال شاد المارة وأنعم عليه بإمرة عشرة كما خلع على المهندسين وكافا الصنائع .

ولا شك أن هذا المسجد تحفة هذا العصر ؛ فقد عني به عناية بالغة كما أفرط في زخرفته إفراطا أخرجه من وقار المساجد إلى بهرجة القاعات ، مما حدا بالسلطان سليم أن يصفه بقوله : « هذه قاعة تأجر^(٣) » .

وكما حرص مهندس على التماثل والمضاهاة في أجزائه الداخلية ؛ فقد تعدى هذا التماثل إلى خارجه ، فأنشأ تجاهه مدرسة وقبة وسبيلا وكابا اتفقت معه طولاً وعرضاً وزخرفاً ؛ وهما لمن يعبر بينهما فرصة المتعة يجوف في يملأ النفس روعة وجلالا .

ولهذا المسجد ثلاث وجهات : إحداها قبلية وهي بسيطة جداً ، والأخرى غربية وأسفلها حوانيت ويتوسطها الباب الغربي ؛ وقد حلل بتقوش في الحجر وكسيت مصاريعه بالنحاس وكتب على جانبيه : « أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة مولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر

(١) ابن إياس ج ٤ ص ٥٣

(٢) ابن إياس ج ٤ ص ٥٨

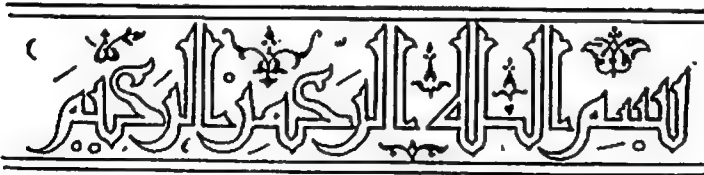
(٣) أخبار الأول ص ١٢١

قانسوه الغورى عز نصره» . وثالثها الوجهة الشرقية — وهى الوجهة العامة — و بطرفها البحرى الباب العمومى وقد كُتِبَ بالرُخام ومزَّزَّات رخامية ، يعلوه شباك كسى ما حوله بالرُخام على هيئة مزَّزَّات يغطيه مقرنص صغير منقوش فوقه سطر مكتوب فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين يا محمد » يغطى كل هذا مقرنص من عدة حطات ينتهى بطاقة ملبسة بالججر، وله توشيحان رخاميتان بكل منهما دائرة مكتوب عليها : « عز مولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قانسوه الغورى عز نصره » .

وقد زينت جلسات الشبابيك وأعتابها بزخارف دقيقة دقت فى الججر ، وبهذه الوجهة شبابيك الإيوان الشرقى ، وقد نقشت جلساتها ، كما كسيت أعتابها بمزَّزَّات رخامية ملونة ، ونقشت تواشيع الشبابيك العلوية دقا فى الججر ، وغطيت بمقرنصات ، وتوجت بشرفة موزقة منقوشة الوجه .

ويسترعى النظر فيها عمد النواصي الملبسة أجزاؤها بالججر المئذون ، ولها تيجان وقواعد عربية . ومكتوب على أعتاب الشبابيك : « بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا — إلى قوله تعالى — وأعد لهم أجرا كريما » .

ومكتوب على الباب الصغير بوسط الوجهة : « اللهم انصر عبدك مولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قانسوه الغورى عز نصره » .



(بسلة بطراز الوزارة بمدخل القبة)

ويعلو الوجهة طراز مكتوب فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم إنا فتحنا لك فتحا مبينا إلى قوله تعالى عليا حكيا صدق الله العظيم . أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة من فضل الله تعالى وجزيل عطائه العميم سيدنا ومولانا ومالك رقبنا الإمام الأعظم والملك المكرم صاحب السيف والقلم والبند والعلم السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر قانسوه الغورى سلطان الأرض الحاكم طولها والعرض القائم بالسنة والقرض » .

ويتصل بالنهاية البحرية للوجهة الشرقية بقايا متزل قديم آتت سنة ١٩٠٧ المرحوم مصطفى افندى الساده على الطراز العربى طبقا لمواصفات لجنة حفظ الآثار العربية .

والمسجد مرتفع وتحتة دكاكين وباب يوصل إلى سوق الجمّلون على جانبيه حوانيت ، ويتوصل إلى الباب من سلم مزدوج ، وقد ركب عليه مصراعان كسبا بالنحاس الدقيق المزخرف ومكتوب عليهما اسم الغورى ، وتاريخ الفراغ منهما سنة ٩١٠ هـ (١٥٠٤ م) .

وهذا الباب يؤدى إلى دركاة مربعة فرشت أرضيتها برخام ذى رسوم دقيقة ملونة مقتبسة من أرضية الإيوان الشرقى لمسجد الأشرف برسباى بالأشرفية ، ولها مسقف مذهب وبصدها مسطبة مفروشة ومؤزرة بالرخام الدقيق ؛ ومكتوب بطرازها بالخط الكوفى المزهّر المتزل بالمعجون الأسود فى الرخام الأبيض : « بسم الله الرحمن الرحيم وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق وأجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا صدق الله » .

وعلى يسار هذه الدركة باب يؤدى إلى طريقة بها مزينة ، غُطيت بمقرنصات بسيطة ويظهر أنها وحيدة فى نوعها .

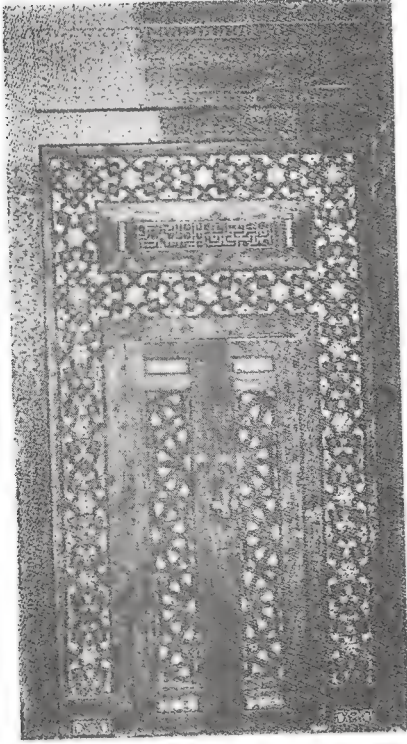
وتصميم المسجد أربعة إيوانات متعامدة تحيط بمجرانها وجدران الصحن وزرة من أشرطة رخامية تنتهى بإفريز مكتوب عليه بالخط الكوفى المزهّر المتزل بالمعجون الأسود فى الرخام الأبيض ما نصه : « بسم الله الرحمن الرحيم الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم — إلى قوله تعالى — قال أعلم أن الله على كل شىء قدير صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم ونحن على ذلك من الشاهدين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . وكان الفراغ من المدرسة السعيدة فى شهر ربيع الأول عام تسع وتسعمائة » . ومكتوب بوزرة الإيوان الغربى : « بسم الله الرحمن الرحيم قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون — إلى قوله تعالى — وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للأكلين . صدق الله العظيم ورسوله » . وبصدر الإيوان الشرقى وزرة رخامية ارتفعت إلى جلسة الشبابيك العلوية وتنتهى بطراز مكتوب عليه بالخط النسخ المملوكى : « بسم الله الرحمن الرحيم إنا فتحنا لك فتحا مبينا — إلى قوله تعالى — فوزا عظيما صدق الله العظيم ورسوله الكريم ونحن على ذلك من الشاهدين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا . وكان الفراغ من هذه المدرسة المباركة السعيدة فى شهر ربيع الأول عام تسع وتسعمائة من الهجرة النبوية » .

ويتوسطه محراب من الرخام الدقيق ، ويكسو عقود الشبابيك مزززات رخامية ؛ ويقوم إلى جانبه منبر قيم دقت حشوات السنّ فيه بالأوينة . كما توجد به حشوات صغيرة من الزرنشان ، وقد

طُعمت حشوات الدرازين أيضا ، وطُعمت حشوات باب المقدم من الوجهين — الوجه دقت حشوات السنّ بالأويمة . والظهر من سنّ سادة . كما طُعمت خوذته بالسنّ . وزُهِبَت مقرنصاتها .

وبهذا الإيوان كرسى المصحف وقد طُعم بالسنّ ، وهذا الإيوان ينقسم الى ثلاثة أقسام ، فرشت

أرضياتها وأرضية الشبابيك بالرخام الدقيق برسوم تنوعت أشكالها ، وبالقسم البحرى منه دولاب كبير أعد لحفظ المصاحف مكتوب عليه بالخط الكوفى المربع « أنه لقرآن كريم فى كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون » ، طُعم وجهه ومصاريعه بالسن والزرنشان ؛ وقد ذهب دائره وكتب أعلاه : « بسم الله الرحمن الرحيم وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن » كما توجد به حجرة صغيرة شبابيكها العلوية تطل على الوجهة .



دولاب بالإيوان الشرقى

وكما أسلفت القول فقد أسرف مهندسه فى زخرفته فلم يترك جزءا منه بدون زخرف ؛ فقد نقشت الأعتاب وكتبت بشكل زخرفى كما نقشت أرجل عقود الإيوانات وباطنها ووجهها بزخارف دقا فى الحجر . ومكتوب حول عقد الإيوان الشرقى : « بسم الله الرحمن الرحيم إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار

لآيات لأولى الأبواب — الى قوله تعالى — وتوفنا مع الأبرار » .

وقد فرشت أرضية الصحن ، كما فرشت أرضية الإيوانات برخام دقيق ملون تنوعت أشكاله ويحيط بدائر منور الصحن من أعلاه مقرنص خشبى مذهب ، كما نقشت وجهاً العقود وتواشيحها بزخارف وكتابات . ويحيط بدائر الصحن من أعلاه طراز مكتوب فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم إنا فتحنا لك فتحا مبينا — الى قوله تعالى — عليا حكيا . بسم الله الرحمن الرحيم الله لا إله إلا هو الحى القيوم — الآية » .

ويكتنف الإيوان البحرى بابان أحدهما يؤدى إلى الطريقة المؤدية إلى الباب ، والآخر مضاهية باب .

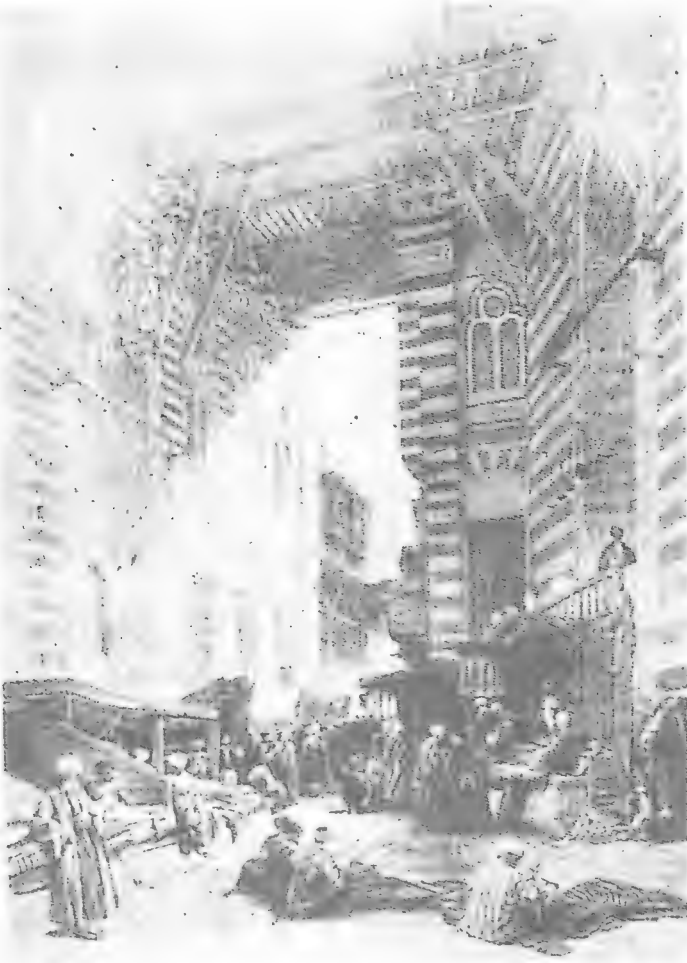
ويكتنف الإيوان القبلى بابان: الشرق منهما يؤدى إلى سلم يهبط إلى دورة مياه صغيرة منعزلة . ودورات المياه أسفل المساجد من مميزات المساجد فى دولة المماليك الجراكسة . والباب الغربى منهما يؤدى إلى طرقة بها مزبرة على وجهها حجاب من الخشب الخرط كما يؤدى إلى باب المنارة ، وإلى حجرة صغيرة بها تابوت خشبى فوق قبر عرف بقبر الأنصارى ؛ لها شباك يطل على الإيوان الغربى ، وتنتهى بدرجات تهبط إلى الباب الغربى للمسجد ، وبصدرة باب حديدى يهبط إلى أستطراق فى الأسفل بطول الجامع يؤدى إلى الباب الذى يتوسط الواجهة الشرقية — والمحوّل الآن إلى دكان — ومكتوب على الأبواب الأربعة بالصحن : « أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة من فضل الله تعالى وجزيل عطائه سيدنا ومولانا ومالك رقبانا الإمام الأعظم الملك المكرم ملك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين المقام الشريف السلطان الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغورى عز نصره » . ومكتوب على أعتابها الحجرية سور الإخلاص والمعوذتين وتظهر الأطراف العلوية لحروفها متقاطعة بشكل زخرفى .

ومكتوب حول عقد الإيوان الغربى : « بسم الله الرحمن الرحيم شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم — إلى قوله تعالى — وترزق من تشاء بغير حساب » . وكانت الكتابات والنقوش مذهبية .

وفى مؤخر هذا الإيوان دكة المبلغ محمولة على كابولين خشبيين ولها درابزين مطعم بالسق ومكتوب عليها : « أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة السعيدة من فضل الله تعالى وجزيل عطائه العميم سيدنا ومولانا ومالك رقبانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغورى عز نصره » . ويتوصل إلى هذه الدكة من السلم الموصل إلى السطح وإلى المنارة .

المنارة — وتقوم المنارة فى الطرف القبلى للواجهة الشرقية ، وهى منارة مربعة ضخمة ، أقيمت قاعدتها مع أساس الواجهة ، واشتملت جلسات دورتها الأولى والثانية على مقرنصات دقيقة متنوعة . ويعلو الدوريتين دورة ثالثة كانت مكسوة بالقاشانى تحمل مربعا آخر فوقه خمسة رؤوس خشبية ، هذا هو وصف المنارة الحالية التى طرأ عليها تغيير كثير منذ نشأتها ، فقد وصف ابن إياس المؤرخ منارته بمناسبة افتتاح المسجد فى يوم الجمعة مستهل شهر ربيع الآخر سنة ٩٠٩ هـ (سبتمبر سنة ١٥٠٣ م) فقال : إن منارته لها أربعة رؤوس . وهو أول من اتخذ ذلك ؛ ثم ذكر فى حوادث شهر جمادى الأولى سنة ٩١١ هـ

(١٥٠٥ م) أنه حصل خلل وميل بهذه المنارة ، وآلت إلى السقوط بسبب ثقل علوها لكونها
تتضمن على أربعة رؤوس فأمر السلطان بهدمها ؛ فلما هدمت أعيد بناؤها ، وقد بنى علوها بالطوب
وكسى بالقاشانى الأزرق^(١) وتبعاً لذلك قد أبدل الرؤوس الأربعة التى تسبب منها الخلل برأسين ؛



المسجد والقبّة تجمعهما السقيفة — عن دافيد روبرت

ولذلك فإننا نرى قمة المنارة فى الرسم القديم الذى عمله مسيو بريس دافين حول سنة ١٨٥٠ م دورة
رابعة مزدوجة بخوذتين يحيط بهما درابزين من خشب الخرط ، مثل الدورة الثالثة فى منارته

بالجامع الأزهر ، وقد كسى بدن الدورة الثالثة حتى قبة الخوذتين بقاشانى كما يبدو فى الصورة .
ثم طرأ عليها التغيير الذى نراه الآن بعد هذا التاريخ .

وكان يغطى ما بين المسجد والقبة سقيفة خشبية أدركها وصورها كل من مسيو روبرت هـ
فى كتابه مناظر عن القاهرة ، ودافيد روبرت فى كتابه مصر والنوبة^(١) . وقد بقيت هذه السقيفة حتى
هدمت سنة ١٨٨٢ م^(٢) .

وكان هذا النوع من السقايف يعم أسواق القاهرة وأخطاطها . كما اشتملت لوحة بريس دافين
على صورة للقبة قبل هدمها . وهذه القبة وإن كانت غير موجودة الآن ، فقد كتب لها منذ إنشائها
عدم الاستقرار ؛ فقد كان الفراغ من أول إنشاء لها فى شهر ربيع الآخر سنة ٩٠٩ هـ (١٥٠٣ م)^(٣)
وكانت مكسوة بقاشانى أزرق . غير أنها لم تلبث كثيرا حتى ظهر بها خلل جسيم فى شهر شوال
سنة ٩١٧ هـ (يناير سنة ١٥١٢ م) فأمر السلطان الغورى بهدمها وإعادة بنائها وكسوتها بالقاشانى^(٤) .

ولم يمض على بنائها نائيا إلا عامان حتى ظهر بها خلل فى شهر صفر سنة ٩١٩ هـ (١٥١٣ م)
فأمر بهدمها وإعادة بناءها ، وظل يستحث العمال على إنجازها حتى تمت وكسيت بالقاشانى .

ويبدو فى الصورة المنشورة لها أثر كسوة القاشانى فى سطحها . وقد نقل إلى دار الآثار العربية
من هذه القبة طراز كبير من القاشانى كان مكتوبا عليه آية الكرسي بحروف بيضاء على أرضية زرقاء
ومن المرجح أنه كان يكسورقبة القبة .

ثم هدمت القبة وأبدلت بها قبة خشبية عملت حوالى سنة ١٨٨١ م ، ثم هُدمت وحل محلها
السقف الخالى . وجدرانها من الداخل حافلة بالنقوش والكتابات وبها وزرة وأرضية رخامية .

وفى سنة ١٩٣٤ م وافق القسم الفنى للجنة حفظ الآثار العربية على إعادة بناء القبة طبقا لأصلها
القديم . وقد كتب على الوجهة الغربية لهذه القبة مانصه : « أمر بإنشاء هذه القبة المباركة مولانا
السلطان العالم العامل المجاهد المرباط المؤيد المظفر المنصور سيف الدنيا والدين سلطان الإسلام
والمسلمين محيى العدل فى العالمين قاتل الكفرة والمشركين مولانا السلطان المالك الملك الأشرف
أبو النصر قانصوه الغورى خلد الله تعالى ملكه بمحمد وآله وصحبه أجمعين آمين » .

(١) المجلد الثالث . (٢) دليل دار الآثار العربية ص ٢١٤

(٣) ابن إياس ج ٤ ص ٥٨ (٤) ابن إياس ج ٤ ص ٢٤٩

(٥) ابن إياس ج ٤ ص ٢٩٩

وباب القبة ومصراعاها مثل باب المسجد المقابل لها تماما . وبالطرف البحرى لها السبيل وقد كتب فى طراز على وجهته : « أمر بإنشاء هذا المعروف المبارك من فضل الله تعالى سيدنا ومولانا السلطان الأعظم ومالك رقاب الأمم سيد ملوك العرب والمعجم السلطان العالم العادل المالك الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغورى خلد الله تعالى ملكه وأدام أيامه بجاه عهد وآله وصحبه وسلم . وكان الفراغ من ذلك فى شهر ذى الحجة الحرام سنة تسع وتسعمائة من الهجرة النبوية عهد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين » .

ولهذا السبيل سقف جميل مذهب وأرضية رخامية دقيقة جدا، وسلسبيل رخامى نقش على حافته صور أسماك . تعلوه لوحة رخامية مكتوب عليها :

انظر جمالى فأنى حين أرسله • يحكى سلاسل بلور على ذهب

ومكتوب فوق الأبواب بجانبيه : « بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشاء هذا السبيل المبارك مولانا السلطان قانصوه الغورى عز نصره بتاريخ فى شهر رمضان المعظم سنة تسع وتسعمائة وصلى الله على سيدنا عهد وآله وصحبه أجمعين » .

وبعد الفراغ من القبة ومدرستها سنة ٩١٠ هـ (١٥٠٤ م) نقل إليها السلطان الغورى الآثار النبوية الشريفة وقد كانت مودعة برباط الآثار ؛ وذلك بناء على فتوى من العلماء . كما نقل إليها « المصحف العثمانى » ثم نقل إليها الرعة العظيمة المكتوبة بالذهب ، وكانت بالناخاه البكتيرية^(١) .

وقد عينت لجنة حفظ الآثار العربية بإصلاح المسجد والقبة وملحقاتها ، فأجرت بهما إصلاحات من سنة ١٩٠٢ - ١٩٠٧ بلغت قيمتها ٣٣٣٢ جنيها أتبعتهما بإصلاحات أخرى .

وفى عهد الملك الصالح فاروق الأول أجريت إصلاحات بالمسجد ، وسينفذ إن شاء الله مشروع إعادة بناء القبة تكميلا لتلك الشخصية التى تجددت الفنون ، وشادت هذا المسجد الذى يعد بحق من مفاتح الحضارة الإسلامية .

(١) المصحف المعروف بالعثمانى محفوظ بالمشهد الحسينى ، أما الرعة فهى كاملة ومحفوطة بدار الكتب المصرية ، وهى من الناقص ، فى أول كل جزء من أجزائها صفحتان منقوشتان بالذهب والألوان ، وهى مكتوبة برسم الملك الناصر محمد بن قلاوون . وبها أمم كاتبها ومذهبها عبدالله بن محمد بن محمود الهذلى بدار الخيرات الرشيدة بهيذان فى شهر ربيع سنة ٧١٣ هـ . وعليها وقف مؤرخ سنة ٧٢٦ هـ من أبى سعيد سيف الدين بكتمر بن عبد الله ويحمل سفرها القبة التى بالترية المعروفة بإنشائه بالقرافة الصغرى المجاورة لحوش الملك الظاهر (l'Exposition Persane de 1931 P. 70-72) .

مسجد المحمودية

بميدان صلاح الدين^(*)

ميدان صلاح الدين (المنشية) — هذا الميدان الجميل غنى بمجموعات أثرية هامة ، حيث تشرف عليه من شرفه قلعة صلاح الدين ومسجد محمد علي باشا الكبير. ومن غربيه مسجدا السلطان حسن والرفاعي . ومن بحريه مسجد قاني باي أميرآخور بقبته الجميلة ومنارته الجديدة . ويتوسط الميدان مسجد المحمودية .

المنشئ — أنشأ هذا المسجد محمود باشا والى مصر من قبل الدولة العثمانية في عصر السلطان سليمان بن السلطان سليم ، وقد قَدِمَ إليها في أول شهر شوال سنة ٩٧٣ هـ (أبريل سنة ١٥٦٦ م)^(١) . ومما يذكّر عنه أنه لما وصل الى ثغر الإسكندرية قَدِمَتْ اليه الهدايا والتحف والنجيل . وحين بلغ القاهرة قَدِمَ اليه حاكم الصعيد الأمير محمد بن عمر هدايا كثيرة وتحفا وخمسين ألف دينار، فسلّم منه الهدايا ثم غدر به فقتله وأستولى على ثروته . وكان عسوقا ظالما شديدا جائرا في أحكامه، وقد صادر كثيرا من أموال الناس ، غير أنه كان مع ذلك مشهورا بالكرم .

وفي يوم الأربعاء آخر جمادى الأولى سنة ٩٧٥ هـ (ديسمبر سنة ١٥٦٧ م) ، وقيل في غرة جمادى الثانية نخرج محمود باشا بموكبه الفخم من القلعة ، وبينما هو يمشى على بركة الناصرية بين البساتين اعتدى عليه شخص مجهول وأطلق عليه طلعا ناريا أصابه ، ولم يُجِدْ فيه العلاج ، فأوصى بعتق جميع ممالিকে ، كما أوصى بجميع ممتلكاته لزوجته . ثم توفى الى رحمة الله تعالى ودفن في مسجده .

تاريخ الجامع ووصفه — كان الفراغ من بناء هذا المسجد سنة ٩٧٥ هـ (١٥٦٧ م) . وهو من المساجد المعلقة يصعد اليه ببضع درجات ، وله أربع وجهات مبنية بالجمر ، وتضم الوجهة الشرقية القبة ، وهى بارزة عن سمت الوجهة وقائمة بمفردها ، بنيت هى وقاعدتها بما فيها الرقبة الهرمية بالجمر . أما القبة فمبنية بالطوب وهى بسيطة جدا وغير متناسبة مع القاعدة الحاملة لها .

(*) انظر الصور من رقم ٢٢٦ — ٢٢٧ مجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) الزهرة الزهية في ذكر ولاية مصر والقاهرة الممزية ص ٤٩ — ٥٢ خط .

(٢) في التوفيقات الالهامية في غرة جمادى الآخرة . وفي أخبار الأول ٢٩ جمادى الآخرة .



والقباب في ذلك العصر قد أخذت في الانحطاط ماعدا القليل منها ، وإلا فأين هذه القبة من قبة قاني باي أميرآخور المجاورة لها الحافل سطحها بالنقوش الجميلة مع أن الفرق بينهما ٦٧ سنة فقط .

أما الوجهة القبليّة وهي الرئيسية للمسجد فيتوسطها باب عقده موتور ، يعلوه ثلاثة مربعات بداخلها منقوشات على هيئة شرفات ، يعلوها عتب آخر مزّور وشباك صغير مغطى بمقرنص ، فوّه مقرنصات أخرى ، فطاقية الباب الملبسة بالجزين : الأبيض والأحمر . ويكتشف عقد الباب نوشيحتان ملبستان بالجزر الأبيض والأحمر . قد كتب في مية العقد «الله حسبي» .

وتدل الصور القديمة لهذا المسجد المصوّرة حوالي سنة ١٨٨٠ م ، على أنه كان يقوم إلى يسار هذا الباب سبيل أدركت لجنة حفظ الآثار العربية بقايا أرضيته الرخامية فأودعتها دار الآثار العربية . ولا تزال حتى الآن له بقايا .

وفي الناصية الشرقية القبليّة قاعدة مستديرة ، حلّت بزخارف تنهى عند ارتفاع الواجهة بمقرنص متصل بالمقرنصات التي تغطى حجور شبابيك الوجهة القبليّة ، وتعلو هذه القاعدة منارة بسيطة ذات دورة واحدة تنتهى من أعلاها بمسلة ، وهذا هو طرز المنارات التي دخلت مصر فيما دخلها من الطراز العثماني ، وهي إذا قيست بمنارات مصر الرشيدة الجميلة في القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) تجلّى مقدار تأخر العمارة في كثير من التفاصيل المعمارية في هذا العصر .

وبناء المنارة فوق قاعدة مستديرة وفي هذا الوضع ، وبناء القبة خلف المحراب بارزة عن الجدار الشرقي ، اقتبسها مهندس هذا الجامع من مسجد السلطان حسن القريب منه .

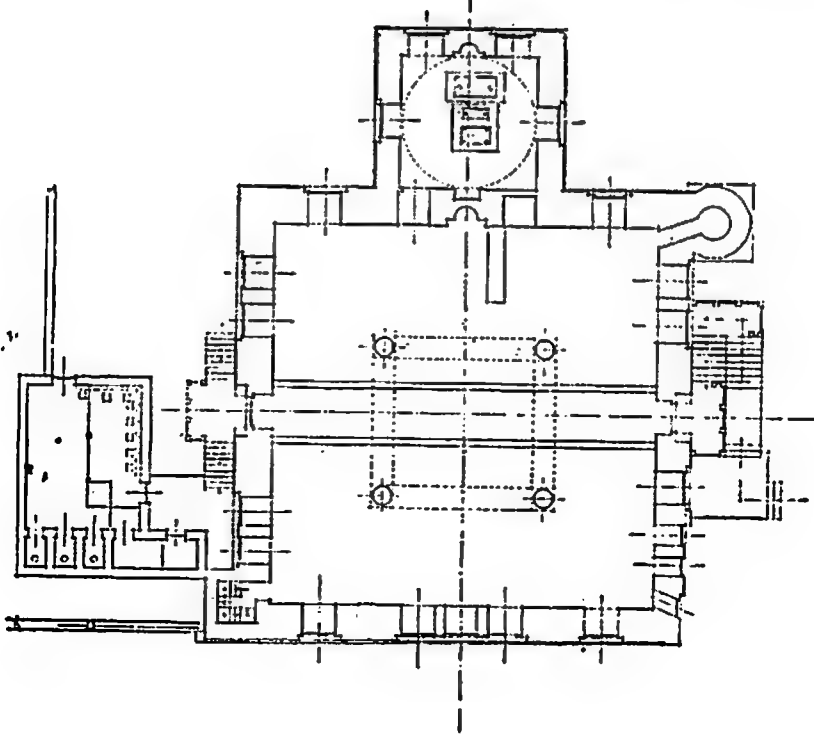
ويتوسط الوجهة البحرية باب يقابل الباب القبليّ يختلف عقده بمقرنصاته عن الباب الآخر ، يجاوره من غربيّه باب صغير يؤدّي إلى استطراق معقود أسفل الإيوان الغربي للجامع .

والمسجد من الداخل عبارة عن قاعة كبيرة مربعة طول ضلعها ١٩,٧٥ مترا تتوسطها أربعة عمد كبيرة من الجرانيت الأحمر ، تحمل أربعة عقود كبيرة قام وسطها منور ارتكزت عليها وعلى كوابيل حجرية عوارض خشبية تحمل السقوف حوله .

ويشطر المسجد طرقة منخفضة عن مستواه قليلا ، وهي تصل البابين القبلي والبحريّ قسّمته إلى إيوانين .

وهذا التصميم شاع أيضا في مساجد مصر في الدولة العثمانية ، فلا هو تصميم مسجد ولا هو تصميم مدرسة .

ويتوسط الجدار الشرق محراب بسيط من الحجر عار عن الزخرف، فقد عموداه منذ أمد بعيد ،
يعلوه شباك جصى مكتوب عليه « لا إله إلا الله محمد رسول الله » . يحاوره منبر من الخشب المجمع له
درازين من الخشب الخروط .



مسقط أفق

وعلى يسار المحراب باب يؤدى إلى القبة الواقعة خلف المحراب مباشرة ، وقد فرش مدخلها
برخام أسود وأبيض على شكل دالات مما يدل على استعمال الرخام فى أنحاء المسجد، وقد ضاع أثناء
تخرابه ، وهذه القبة مرتفعة جدا يحيط بمحدرانها من أسفل شبابيك عليها مصبغات نحاسية تعلوها
أخرى جصية جديدة، ويتوسطها ثلاثة قبور: أحدها قبر المنشىء ، وهى خالية من النصوص التاريخية .
ويحيط بمحدار الجامع من أسفل شبابيك ركت عليها مصبغات نحاسية ، تعلوها شبابيك من جص
وزجاج ذات ألوان زاهية . والسقوف من برطوم ومربوعات مدهونة ملونة مذهبة لا تقل أهمية
عن مثيلتها فى دولة المماليك، ولها إزار كبير مكتوب عليه آيات قرآنية بحروف بيضاء لتخللها فروع
زخرفية مذهبة؛ منها آية الكرسي وقوله تعالى : « إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر .
وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين » .

ولسقف المنور إزار مكتوب عليه ما نصه : « بسم الله الرحمن الرحيم لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون . قال صلى الله عليه وسلم من بنى لله مسجداً^(١) بنى الله له بيتاً في الجنة أوسع منه . أمر بإنشاء هذا المسجد المعمور من فيض ماله المبرور المقام العالى واسطة عقد اللالى أمير الأمراء الكرام كبير الكبراء الفخام فكان ابتداءه وتاريخه بحكم منشئه الأول المبدى ٩٧٥هـ وأتتهاهه بمعاونة ... له من الرتب على أنه ليضي^(٢) برا للرضا للقة ... لأغلبية وأول ... والاكرام المختص ... حضرة الأمير الباشا محمود راجيا من كرم الله القبول والرضا من فضله المفور منضى تقبل الله » .

وتوسط الجدار الغربى دكة المبلغ محولة على كوابيل حجرية ، ويتوصل إليها من السلم الموصل إلى السطح الموجود فى الركن البحرى الغربى حيث يؤدى إلى باب ثم استطرق فى سمك الجدار الغربى يوصل إلى هذه الدكة ، وهى حيلة هندسية اتبعت فى بعض مساجد هذا العصر . ويعلو الدكة مجموعة من الشبابيك الخصية ذات الزجاج المألون .

أعمال الإصلاح — احتفظ هذا المسجد بتفاصيله الخارجية وفقد كثير من تفاصيله الداخلية فأدرسته لجنة حفظ الآثار العربية عام ١٨٨٥ م ولم تجد فيه شيئا من الأبواب والشبابيك والأرضيات . وفى سنة ١٩٠٤ قامت بفحص أسس الجامع وأقامت السلم المؤدى إليه وقومت مبانيه وعملت له أبوابا جديدة ، كما عملت جميع الشبابيك الخصية والشرفات . واستمرت الأعمال فيه إلى أن تم إصلاحه وافتتح رسميا بإقامة الشعائر الدينية فيه عام ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م) .

عناية الملك الصالح بالمسجد — ولما أدى فريضة الجمعة فيه حضرة صاحب الجلالة الملك الصالح فاروق الأول يوم ١٥ المحرم سنة ١٣٥٩ هـ (٢٣ فبراير سنة ١٩٤٠ م) وعابن الحالة السيئة التى عليها سقف منوره أمر حفظه الله بتجديده وإعادة نقوشه ، مع المحافظة على النصوص التاريخية . فنفذت رغبة جلالة السامية .

(١) قال السيوطى فى الجامع الصغير « هذا الحديث رواه الطبرانى عن أبى أمامة بإسناد ضعيف وفى صحيح مسلم من بنى مسجدا لله تعالى يبنى به وجه الله بنى الله له بيتا فى الجنة ، وفى رواية مثله فى الجنة . وفى رواية بنى الله له فى الجنة مثله .

(٢) مجموعة محاضر وفتاوى لجنة حفظ الآثار العربية سنة ١٩٠٦ ص ١١٨

مسجد الشعراوي

بشارع الشعراوى البراقى

الإمام الشعراوي — ينسب هذا المسجد إلى الإمام العامل العابد الزاهد الفقيه المحدث الصوفى عبد الوهاب بن أحمد بن علي بن أحمد بن محمد الشعراوي الشافعى ، ولد هذا الإمام سنة ٨٩٨ هـ (١٤٩٣ م) بناحية قلقشندة . ثم انتقلت به والدته بعد أربعين يوما من ولادته إلى قرية أبيه المعروفة بساقية أبي شعرة فنشأ بها ، حتى إذا كان سنة ٩١١ هـ (١٥٠٥ م) قدم مصر وتلقى العلم على أكابر علمائها وحُبب إليه علم الحديث فعكف على دراسته . ثم سلك طريق التصوّف وقطع علاقته بالدنيا . فكان يطوى الأيام المتوالية صائما ويفطر على قليل من الخبز ، وظل على هذه الحال حتى قويت روحانيته ، فكان يفتح الذكر عقب صلاة العشاء فلا يَحْتَمِه إلا عند الفجر .

وكانت إقامته بمسجد القمري^(١) ؛ ثم انتقل منه إلى مسجد فاطمة أم خوند القريب من مسجده الخالى حيث تبعه أتباعه وتلاميذه ، وقد حج مرارا .

وكان ينهى عن الخط من قدر الفلاسفة وتنقيصهم وينفر من يذمهم ويقول : « هؤلاء عقلاء » .

والمؤرخون وإن كتبوا أسماء الشعراوى بالنون ، فقد رأيت يكتبه بخطه الشعراوي بالواو على قسم من مختصره المدونة الإمام مالك بما نصه : « يقول مسطرها عبد الوهاب بن أحمد الشعراوي الشافعى . إني بلغت في الاختصار من أول المدونة إلى هنا أمتثالا لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لى بالاطلاع على أقوال الإمام رضى الله عنه بتاريخ رابع ذى الحجة الحرام سنة ٩٥٤ هـ » .

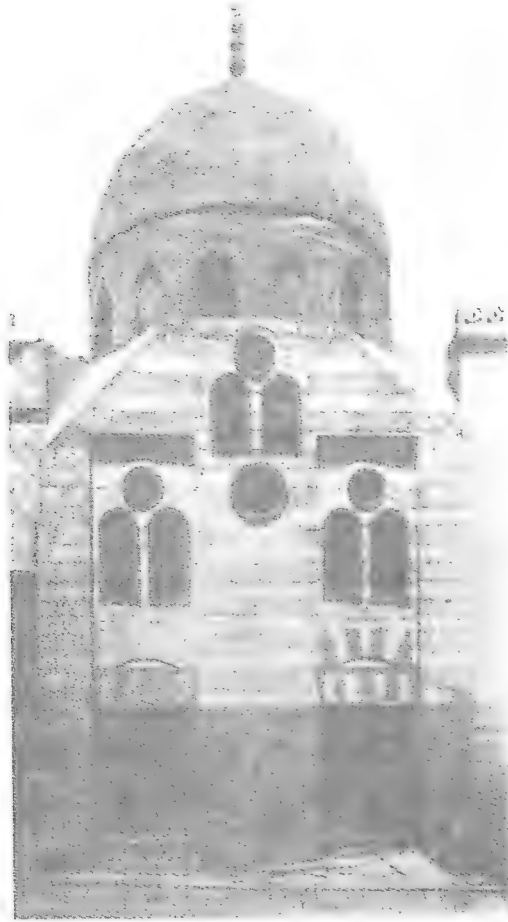
كان رحمه الله متمسكا بأهداب السنة ، مغاليا في الورع ، مؤثرا ذوى الفاقة على نفسه حتى يلبسه ، موزعا أوقاته على العبادة والدرس . ثم عنى بالتأليف فآلف كتابا بلغت نحو السبعين ، منها : مختصر الفتوحات ، وسنن البيهقي الكبرى ، ومختصر تذكرة القرطبي ، والميزان ، والبحر المورود في المواثيق والمعهود ، وكشف الغمة عن جميع الأمة ، والمنهج المبين في أدلة المجتهدين ، والبدر المنير في غريب أحاديث البشير النذير ، ومشارك الأنوار القدسية في المعهود المحمدية ، والجوهر المصون في علوم الكتاب المكنون ، وطبقات ثلاث ، ولوائح الخذلان على من لم يعمل بالقرآن .

(١) ثلثرات الذهب ج ٨ ص ٣٧٢ — ٣٧٣ ، الكواكب السائرة قسم ٣ ص ٨٥٩ — ٨٦٠ وفيه أن وفاته في حدود

السبعين وتسعة . (٢) الخطط الجديدة ج ١٤ ص ١٠٩ — ١١٢



وفى مدة إقامته بمدرسة أم خوند أنشأ القاضى عبد القادر الأرزمكى مدرسته المعروفة بالقادرية.^(١)
وهى التى حل محلها المسجد الحالى ، فانتقل إليها الشيخ الشعراوى فأوى إليه الفقراء وطلبة العلم



(قبة عبد الوهاب الشعراوى)

لسماع دروسه فى الفقه، وقصده الأئمة والحكام للتبرك، وظل كذلك إلى أن توفى عصر يوم الاثنين
٢ جمادى الأولى سنة ٩٧٣ هـ (نوفمبر سنة ١٥٦٥ م) ودفن فى تربته هذه التى أغدت له يوم وفاته
بجوار المدرسة . ثم أقيمت عليها هذه القبة .

(١) هذه المدرسة ما زالت بقاياها موجودة بالقرب من مسجد الشعراوى وهى من انشاء فاطمة بنت قاينباى العمري .
شرعت فى انشائها حوالى سنة ٨٥٠ هـ (١٤٤٦ م) . (٢) الخطط الجديدة ج ١٤ ص ١١٠

ولم يبق من مجموعة البناء القديم سوى القبة المقامة على قبره ، وهى قبة مبنية قاعدتها بالحجر وبنيت هي بالطوب ، وحليت جميع جدرانها من الداخل بنقوش وكتابات بالبوية لتوسطها مقصورة خشبية مطعمة بالصدف عملت سنة ١١٦١ هـ (١٧٤٨ م) . ولهذه القبة باب حشواته مسدسة ومدقوقة أويمة دقيقة ، صناعته سابقة لعصر إنشاء القبة ، وبها شبابيك جصية دقيقة يعلوها مقرنص ، ثم شبابيك الرقبة فطراز به آيات من القرآن .

والمسجد الحالى أقيم محل المدرسة القادرية ، وقد تم تجديده في عهد نظارة السيد محمد عبد الحليم الشعراوى سنة ١٣٢٥ هـ (١٩٠٧ م) .

وهذا المسجد له ثلاث وجهات : إحداها على شارع الخليج المصرى ، والأخرى على شارع الشعراوى البرانى وبها القبة . وداخله مستطيل ، وبه ثمانية عمد تحمل عقودا يتوسطها منور تعلوه قبة خشبية منقوشة . وقد نقش المحراب بنقوش بالبوية تقليدا للخام ، كما حل المنبر بنقوش تقليدا لتطعيم السق .

ويتوسط المسجد قبر العلامة الشيخ على نور الدين الشونى ، وقد ترجمه الشعراوى بقوله : « شيخى ووالدى وقودتى الشيخ نور الدين الشونى ، خدمته خمسا وثلاثين سنة » وشونى اسم بلدة بنواحي طنطا ، وبها نشأ ثم قدم إلى مصر فأقام بها فى تربة السلطان بقوق بالصحراء ، وأنشأ بالجامع الأزهر مجلسا للصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة ٨٩٧ هـ (١٤٩٢ م) فلما أنشأ السلطان طومانباي^(١) العادل تربته نقله إليها ، وعهد إليه بالسبيل المالحق بها . ثم أنتقل إلى المدرسة السيوفية ، فأقام بها إلى أن توفى سنة ٩٤٤ هـ (١٥٣٧ م) ، ودفن بالقبة المجاورة لباب المدرسة القادرية « ومن دفن عند الشعراوى أيضا ابنه العالم الصالح الشيخ عبد الرحمن بن عبد الوهاب الشعراوى المتوفى فى أواخر سنة ١٠١١ هـ (١٦٠٣ م) . كان رحمه الله شيخا للمدرسة بعد وفاة والده ووصفه المحبى بأنه « حسن الخلال من بيت مبارك متصل المدد والخيرات » .

(١) طبقات الشعراوى ، ج ٢ ص ١٩٩

(٢) قبة طومانباي : أنشئت سنة ٩٠٦ هـ (١٥٠٠ م) وما زالت موجودة بالعباسة داخل معسكرات الجيش .

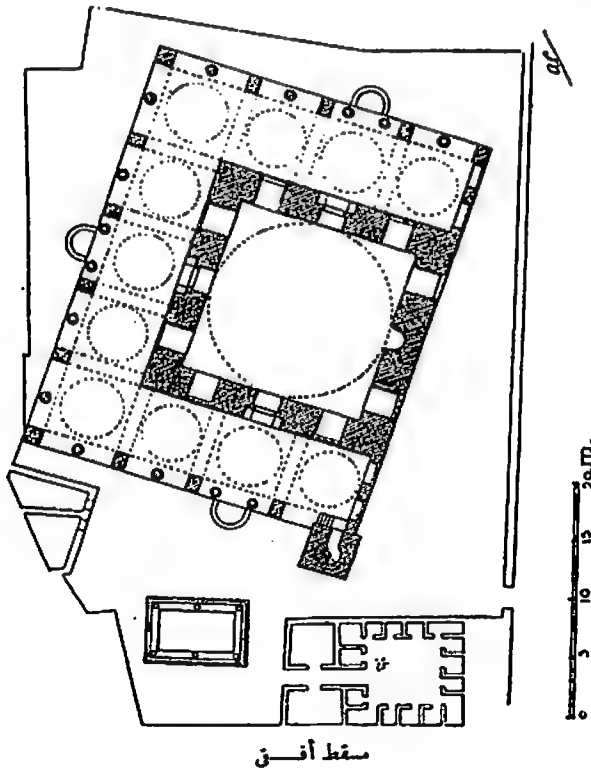
(٣) خلاصة الأثر ، ج ٢ ص ٣٦٤ ، شذرات الذهب ج ٨ ص ٣٧٤

مسجد سنان باشا

بشارع جامع السنانية ببولاق^(*)

سنان باشا — هو القائد التركي الكبير، والسياسي المحنك، الذي عاصر أربع سلاطين :
مليان القانوني بن السلطان سليم الأول فاتح مصر، وابنه سليم الثاني، ثم مراد الثالث ابن السلطان
سليم الثاني وابنه محمد خان .

عين واليا على مصر مرتين : الأولى في ٢٤ شعبان سنة ٩٧٥ هـ (١٥٦٧ م) إلى ١٣ جمادى
الآخرة سنة ٩٧٦ هـ (١٥٦٩ م) . ثم قام على رأس حملة إلى اليمن لقمع فتنة الزيديين، فقام بمهمته
خير قيام وتم له فتح اليمن .



ثم عاد إلى مصر واليا عليها في أول صفر سنة ٩٧٩ هـ (يونيه سنة ١٥٧١ م) وبقى بها إلى
ذى الحجة سنة ٩٨٠ هـ (١٥٧٣ م) حيث غادرها إلى استامبول فعين صدرا أعظم . ثم عهد إليه

(*) انظر الصور من رقم ٢٢٨ — ٢٣٠ بمجموعة الصور الفوتوغرافية .

السلطان سليم الثاني بفتح تونس وأستغلاصها من أيدي الأسبان فقام على رأس جيش كبير وقهر الأسبان وأستولى على قلاع تونس في ٢٥ جمادى الأولى سنة ٩٨١هـ فكانت من أهم الغزوات العثمانية . ثم ولي الصدارة العظمى في عهد السلطان مراد الثالث في شهر ربيع الأول سنة ٩٨٨هـ (١٥٨٠م) . ثم ولي نيابة الشام فبنى بها مسجدا لازال باقيا إلى الآن ، ثم عاد إلى إستانبول وتولى بها الصدارة العظمى . وقد ولي هذه الوظيفة أربع مرات في عصر بلغت فيه السلطنة العثمانية من سعة الملك مالم تبلغه في أية مرحلة من مراحل تاريخها .

وكان سنان باشا معاصرا لخوجه سنان المهندس الحربى العظيم ، وذكر جلال أسعد في كتابه القسطنطينية أن سنان المهندس الحربى سمي خوجه سنان تميزا له عن سنان آخر من تلاميذه . ومن ثم يغلب على الظن أن منشئ جامع^(١) بولاق هو سنان التلميذ وكان أيضا مهندسا عسكريا : توفى إلى رحمة الله تعالى سنة ١٠٠٤هـ (١٥٩٦م) بغاة وهو في الثمانين من عمره . وترك ثروة كبيرة ما بين نقود وسبائك ذهبية وملابس وأمتعة وتحف وجواهر . فقد كان دخله ٤٠٠ ألف جنيه سنويا .

ومن مآثره إعادة حفري^(٢) خليج الإسكندرية وإنشائه مسجدا وسوقا وحماما بها لأنه كان مغرما بإنشاء الهائر من خيرية ومدنية فقد ترك منشآت خيرية في كل البلاد التي أقام بها من مساجد وحمامات وخانات بلغت عددا كبيرا ؛ منها بمصر خان وحمام ببولاق ، ثم هذا المسجد ، وهي باقية إلى اليوم . تاريخ المسجد — هذا المسجد ثانى مسجد أنشئ بمصر على الطراز العثماني البحت ؛ والأول مسجد سليمان باشا داخل القلعة .

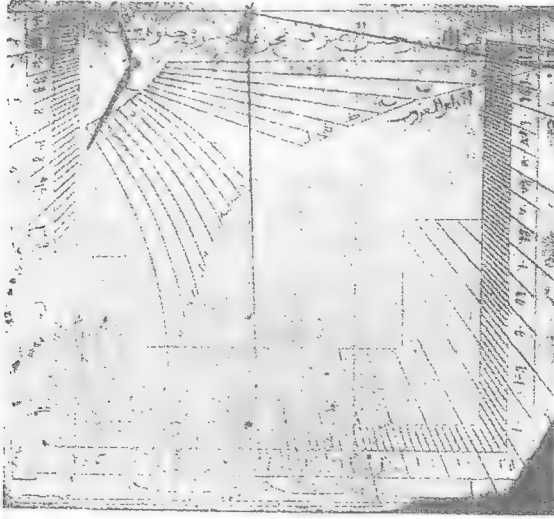
أنشاه سنان باشا سنة ٩٧٩هـ (١٥٧١م) . وهو يتكون من قبة حجرية كبيرة ، لها ثلاث أبواب تؤدي إلى ثلاثة إيوانات في جوانبها الثلاثة الغربية والقبليّة والبحرية ، وعقود الأبواب متورة ، ويملؤها مقرنصات بدلايات تنوّعت أشكالها تشغل حجر الباب . وقد كان المسجد محاطا من خارجه بأسوار بها أبواب هدم الشرق منها في سنة ١٩٠٢

M. A. Patricolo, Comptes Rendus du Comité de Conservation des (١) Monuments de l'Art Arabe, 1915-19, p. 176.

(٢) خلاصة الأثر ص ٢١٤ ج ٢ ، والبرق الباقى في الفتح المئان ص ١٢٢ — ١٢٣ ، تاريخ الدول الإسلامية ص ١٠٥ ، وأخبار الأول ص ١٣٧ ، والأستاذ الجليل عزيز بك خانكي في أهرام يوم ٨ يونيو سنة ١٩٤٢

(٣) الزهرة الزهية ص ٥٣

ولهذه القبة من الداخل أربع زوايا بكل منها عقد ينتهى بطاقيّة مقرنصّة بها لفظ الجلالة منزل بالمحجر الأصفر في المحجر الأبيض ويعلو هذا المربع مستدير مقسم إلى ست عشرة ضلعاً ، منها ثمانية بكل منها تسعة شبابيك جصية مستديرة ، وأخرى بكل منها دوائر حجرية مضاهاة للجصية ، وقد خُلق في كل ضلع من الأضلاع الستة عشر عمود حجرى رشيق ، يحمل مقرنصات بدلايات ، فوقها ممتر يحيط بالقبة ، له درابزين خشبي ثم شبابيك من الجص قريبة الشبه بشبابيك قبة السيدة رقية الفاطمية . تعلوها القبة وتفصل هذه الشبابيك من الخارج دعائم حجرية .



مـزولة

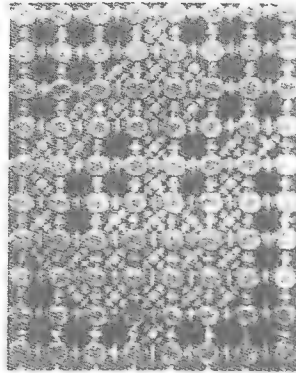
والمحراب من الرخام الدقيق ، يجاوره منبر خشبي مجمع معقل ، له درابزين من الخشب المنحرف . وقد فرشّت أرضيات المداخل والشبابيك بمربع القبة برخام دقيق . مما يعزز شيوع الرخام فيه . ويعلو الباب الغربى دكة المبلغ وهى من الخشب ، محمولة على كابولين ، ولها سقف من الخشب يتوسطه مربع به دلّاية ، وقد نقش السقف والكابولان الحاملان له بالبوية . ويتوصل إليها وإلى المنبر العلوى من سلم فى سمك الجدار الغربى ، له باب فى الشباك البحرى من الجدار المذكور ، وهذا السلم من النكت الفنية ، اقتبسه مهندس مسجد أبى الذهب . والإيوانات حول القبة من جوانبها الثلاثة البحرية والقبلية والغربية معقودة بقباب نصف كرية ، محمولة على أكتاف وعلى عمد ، فوقها عقود ما بين كبيرة وصغيرة ، تعلوها دوائر جصية مفترغة بأشكال

زخرفية من الداخل والخارج ومكتوب على بعضها : « الله ربى » . والوجهة الشرقية اشتملت على وجهة القبلة ووجهتى الإيوانين القبلى والبحرى وقد غطيت شبابيكها بمصبغات نحاسية وتنتهى من أعلى بمقرنصات متنوعة .

وصناعة الأبواب والشبابيك بالقبلة من النوع المعروف بالمعقل وبها دوائر حديدية زخرفية وهى مقتبسة من نجارة مسجد سليمان باشا بالقلعة .

والمئذنة فى الطرف القبلى الشرقى ، وهى منارة أسطوانية يقوم سلمها مع قاعدتها المربعة ، وهى ليست كاملة لأن مستهلها قائمة على نصف بدن دورتها الثانية . ويوجد بالمسجد مزولة من عمل حسن الصواف سنة ١١٨٢ هـ ، مصنوعة من البلاط ومثبتة فى النهاية الغربية القبلىة للإيوان الخارجى .

أعمال الإصلاح — تعتبر أهم عمارة أجريت فى هذا الجامع تلك التى نفذت فى عهد حضرة صاحب الجلالة الملك الصالح فاروق الأول ؛ فقد شملت إصلاحات هامة فى القبلة وصياتها . وكان لفتح الشارع أمام الوجهة البحرية خير أثر فى إظهار هذا المسجد واجتلاء محاسنه .



مسجد الملك صفية

بشارع محمد علي^(١)

أثر المرأة في الحضارة الإسلامية — بمناسبة نسبة هذا المسجد الى سيدة أتناول البحث في هذه العجالة البسيطة في ناحية من نواحي عظمة المرأة في الإسلام ، نعم ناحية من نواحي عظمتها المتعددة التي نتعطر بها الأفواه ، والتي سنترنم بها مدى الأجيال ، على أن المتتبع لتاريخ المرأة في الإسلام يرى تاريخا حافلا بجلال الأعمال حيث نراها اشتركت في الفتوح الإسلامية ، وفي المعارك الحربية .

ومنهن من ولين الملك ، وكثيرات كنّ ملكات غير متوجات ، أدرن دقة سياسة الملك بحكمة وروية ، كذلك عيّن الكثير منهن في بعض الوظائف الكبيرة في قصور الملوك ، ناهيك عن أثرها الكبير في النهضة الأدبية ، هذا فضلا عن نهوضها العالمي الكبير .

والمتتبع لحضارتها يجد أمامه مادة غزيرة مشرقة ، ولا عجب أن كانت الأمم الإسلامية ارتقت ذلك الرقي الذي أدهش العالم .

ولم تكتف المرأة بمشاركتها الرجل في شؤونه الاجتماعية والسياسية ؛ بل شاركته وتابعت في أعمال البر والإحسان .

والمشتغل في تاريخ العارة الإسلامية يستره أن يرى أسم المرأة خفاقا على طائفة كثيرة من الآثار العظيمة ، وليس ذلك مقصورا على مصر فحسب ، بل في بغداد والأندلس والحجاز ودمشق وحلب وطرابلس والقدس ، وسائر الأقطار الإسلامية .

ومن دواعي الفخر والإعجاب أن يرى الزائر للآثار الإسلامية بمصر قسما كبيرا باقيا من الآثار التي أحرقت بإنشائها النساء .

الملكة صفية — هي زوجة السلطان مراد الثالث ووالدة السلطان محمد خان الثالث ابن السلطان مراد خان الثالث . وهي من فينيسيا^(١١) من أسرة بأقو النبيلة . وكان والدها حاكما على (كرفو) Corfou . وبينا كانت في سفينة مع فريق من السيدات التيللات في طريقها إلى والدها

(*) أنظر الصور من رقم ٢٢١ — ٢٣٤ بمجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) L'Egypte musulmane et les fondateurs de ses monuments Mrs. R.L. Devon-

shire p. 123 - 124.

سرقها القراصنة ، وكانت سنها وقتئذ أربعة عشر عاما . وكانت على جانب عظيم من الجمال ، وقد بيعت وألحقت بالقصور الملكية باستامبول ، فلم تلبث أن تآلق نجمها ، وصارت مقربة من السلطان مراد قسراها . وفي ٧ ذى القعدة سنة ٩٧٤ هـ (١٥٦٧ م) ولدت السلطان الغازي محمد خان^(١) .

وبعد وفاة السلطان مراد تولى ولدها السلطان محمد خان الملك سنة ١٠٠٣ هـ (١٥٩٥ م) فزادت عظمتها ، ولعبت دورا كبيرا في سياسة الدولة .

وهنا نتساءل عن علاقتها بهذا المسجد ، وهل جاءت إلى مصر ؟ هذا مالا أظنه ، ولكن وقفية الجامع تحدثنا عن سبب نسبه إليها . فقد تضمنت الوقفية أن المنشئ لهذا الجامع هو عثمان أغا ابن عبد الله أغاة دار السعادة مملوك الملكة صفية ، وقف عليه أراضي وعقارات ، ثم آل بطريق شرعى لسيدته .

ولما توفى عهدت الملكة صفية إلى عبد الرزاق أغا ابن عبد الحليم أغاة دار السعادة برفع دعوى مضمونها أن عثمان أغا المذكور هو عبد ومملوك لموكلته ، وأنه ليس مأذونا ببناء الجامع ولا بوقف أربعائة فدان بزاوية تميم جهة منوف ، ولا باقى المقارات ، وأن هذا الوقف غير صحيح ، ويطلب الحكم به لموكلته لأنه مملوكها . ثم قُدم فتوى من شيخ الإسلام بأن الإيقاف المذكور غير صحيح وأن لسيدته الاستيلاء على جميع أملاكه كسائر أمواله .

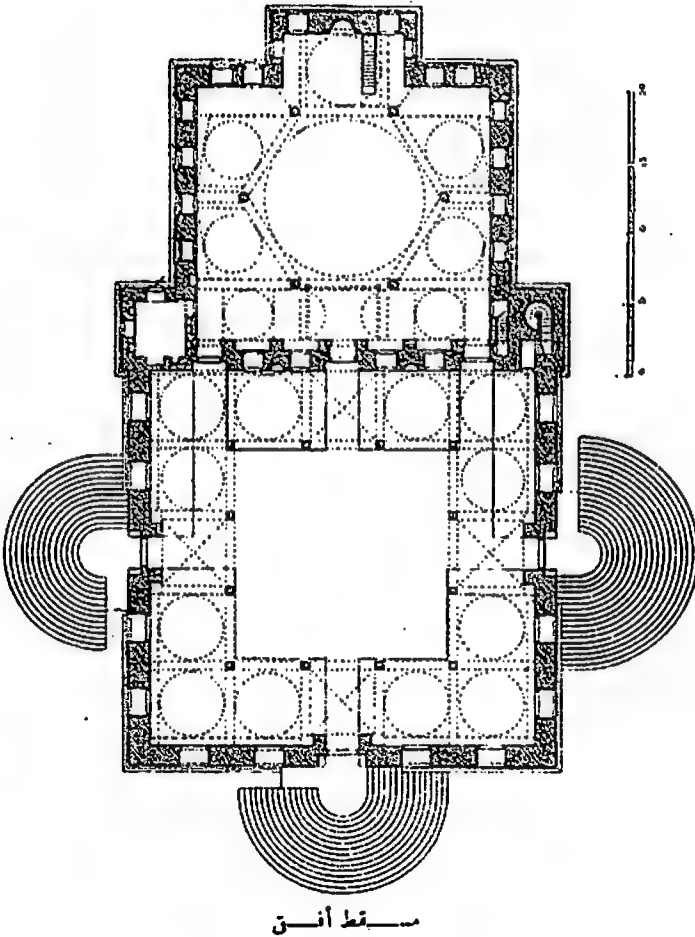
وقد دفع ذلك وكيل الوقف داود أغا بأن المرحوم عثمان أغا معتوق قبل وفاته ، وأنه بنى الجامع ووقف الأعيان وغيرها بإذن الملكة صفية معتقته ، فأنكر وكيلها حصول العتق ، وأنكر إذنها له فى بناء الجامع ووقف تلك الأعيان ؛ فطلبت البينة من داود أغا فعيّز عن إقامتها ، وطلب تحليفها اليمين الشرعى ، فأرسل القاضى لها شاهدين عدلين خلقت اليمين أمامهما على صحة دعواها . ولما عادا وأخبرا القاضى بأنها خلقت اليمين حكم بأن الجامع والممتلكات ملك لها ، وحكم على داود أغا برفع يده عن تلك الأملاك^(٢) .

وهنا نظهر شخصية جديدة وهو إسماعيل أغا الناظر الشرعى على الوقف الجديد الذى خصصته للجامع ، ومن المحتمل أن يكون المسجد لم يكمل ، فعهدت إليه بإتمامه قائمه ، ثم كتب لوحة تذكارية ثبتها فوق الباب الأوسط للقبه نصها : « أنشأت هذا الجامع المبارك المعمور بذكر الله تعالى صاحبت الخيرات الآدر الشريفة والدة المرحوم مولانا السلطان محمد خان طاب ثراه على يد تفسر الخواص

(١) تحفة الأنام مختصر تاريخ الإسلام ص ٢٣٨ (٢) المخطوط الجديدة ج ٥ ص ٣٩

المتقربين مولانا إسماعيل أغا الناظر الشرعى على الوقف المذكور . وكان الفراغ من هذا البناء المذكور في السابع والعشرين من شهر محرم الحرام من سنة تسع عشر وألف من الهجرة » .

ثم حررت الوقفية الجديدة على المسجد وبها رواتب موظفى المسجد والقراء ، ومعمارى للاصلاح ، وأمين لحفظ المصاحف الشريفة ، ومن هذه المصاحف مصحف بدار الكتب المصرية مجدول ومحل بالذهب مكتوب عليه « أنه وقف المرحومة صفية أم السلطان محمد خان في سنة ^(١) ١٠٣٢ هـ » .



مسقط أفق

ومكتوب على ربة مجدولة ومحلاة بالذهب — رأيت جزءا منها في مكتبة المغفور له أحمد زكى باشا — أنه وقف الملكة صفية بمسجدها بخط المدانغ .

(١) فهرس المصاحف بدار الكتب المصرية ج ١ ص ٢

وصف الجامع — هذا الجامع ثالث جامع بمصر وضع تصميمه على مثال الجوامع العثمانية في مدينة إستانبول ؛ فأولها سليمان باشا بالقلعة ، وثانيها سنان باشا ببولاق ، وهذا هو الثالث ؛ يليه مساجد : عهد بك أبي الذهب أمام الأزهر ، والمغفور له محمد علي باشا بالقلعة ، وجامع الفتح الملكي ؛ وهذا الطراز وحده هو ما يجب أن نطلق عليه بمصر العارة العثمانية .

ومسجد الملكة صفية مرتفع عن مستوى الشارع بنحو أربعة أمتار ، وبناؤه مستطيل ومنقسم الى قسمين : القسم الشرقى منه يتكوّن من مربع يتوسطه ستة عمد كبيرة من الجرانيت ، تحمل عقوداً حجرية فوقها قبة كبيرة ، يرى بدائرها فوق العقود ثم صغير يحيط برقبته ، أقيم عليه درابزين من الخشب انحرط ، خلفه أربعة وعشرون شباكاً من الجص والزجاج ، ثم غطاء القبة الكبيرة وقد فتحت به مناور صغيرة مستديرة ، واتخذت بالمنطقة الواقعة بين عقود المسدس قباب صغيرة .

ووسط الجدار الشرقى بارز عن هذا المربع ، وبه محراب مكسو بالرخام ، وبتواشيحه قاشاني ودوائر زخرفية يعلوه قبة صغيرة برقبته شبايك جصية . ويجاور المحراب منبر من الرخام فزغت الزخارف الهندسية في قاعدته وأجانبه ودرازينه بشكل جميل ونقش ما حوله بنقوش نباتية ؛ فلذلك جاء آية في الدقة والجمال .

وبوسط الجدار الغربى دكة المبلغ ، وهى قائمة على عمودين ولها درابزين من الخشب انحرط الدقيق ، وخلفها بطول الجدار مستشرفات معقودة أقيم على وجهها درابزين من الخشب انحرط ، يتوصل إليها وإلى الدكة من باب في النهاية القبلى الغربية لمربع القبة في سمك الجدار ، يتوصل منه إلى استطراق طويل معقود في سمك الجدار الغربى على يمين من يسلكه تلك الفتحات ، ولعلها كانت مخصصة لصلاة السيدات ؛ وعلى يساره حنايا صغيرة معقودة لعلها مخصصة للإضاءة .

ويتهى هذا الاستطراق من الجهة البحرية بسلم يؤدي إلى قبة صغيرة ، كما يتهى طرف هذا المربع من الجهة القبلى بالمنارة التى يتوصل إليها من باب في الركن الشرقى القبلى للصحن وهى منارة أسطوانية تنتهى بمسلة .

وفى الركن الغربى البحرى حجرة سقفها معقود بمصلبة حجرية ؛ ويجدرانها حنايا صغيرة معقودة لعلها كانت مخصصة لوضع مصابيح الإضاءة .

والقسم الثانى من الجامع غربى القسم الأول تؤدى إليه أبواب ثلاثة فى مؤخر القسم الأول ، أهمها أوسطها حيث حلى عقده بمقرنصات ، وعليه لوح رخامى تضمن اسم المنشئة وتاريخ الانشاء واسم الناظر . وقد كسى عقده الموتور بالرخام الملون على هيئة شرفات ، وعلى جانبيه صفتان .

ويتكوّن هذا القسم من صحن مكشوف حوله أربعة إيوانات عقدت مقوفها بقباب صغيرة أهلتها حجرية . أما القبوات الثلاثة القائمة أمام الأيواب ، والقبو الواقع أمام باب القبّة الأوسط ، فإنها مصليات على هيئة مخاريط منحنية الأضلاع .

ويتوسط كل جنب من جوانب هذا القسم القبلى والبحرى والغربى باب يوصل كلا منها إلى وجهة من وجهات الجامع المبنية جميعها بالحجر ، وبكل من الوجهتين القبلى والغربية سلم كبير مستدير لا نظيره فى سعتة فى أى أثر آخر بمصر . وتسود الوجهات البساطة فهى خالية من الزخرف ومن الكتابات .

أما الوجهة البحرية فسلمها مفقود ، ولعله لم ينشأ منذ البدء إذ لا أثر له فى الجدران والوجهة . وأمام الباب البحرى وعلى بعد ثلاثين مترا تقريبا باب كبير مبنى بالحجر من طرز بناء المسجد ، يجانبه طرفا رباط مما يدل على امتداد البناء قديما حول المسجد ، وهو أحد أبواب السور الخارجى الذى كان يحيط بالميدان الكبير أمام الوجهات .

وهذا الميدان لم يكن إلا حديقة كبيرة ، يعز ذلك ما ورد فى حجة وقف المسجد بما نصه :
« ... و يترتب رجلان عارفان بغرس الأشجار والرياحين وإصلاحها وسقيها برسم خدمة البستان الكائن أمام الجامع ، و يترتب رجلان قويان برسم سقى الأشجار » . كما أن ميسأة الجامع وضعت منعزلة عنه ، بل فى الميدان وسط الحدائق .

تصميم الجامع — لما كان تصميم هذا الجامع وأمثاله يعدّ خارجا عن الطراز المعمارى المتبع فى مصر ، فقد بحثت عن الجامع الذى بنى على طرازه فى إستانبول ، فاهتديت إلى مسجد أحمد باشا المعروف بجامع طوب قيو فى حى طوب قيو ، وقد بدئ فى إنشائه حوالى سنة ٩٥٩ هـ (١٥٥٢ م) ومنشئه قرا أحمد باشا المتوفى سنة ٩٦٢ هـ (١٥٥٥ م) ، وواضع تصميمه المهندس الكبير سنان ، فهو من الداخل محمول على ستة عمد أيضا ، والتشابه كامل بين الوجهتين بما فيهما السلم الكبير المستدير .

(١) انقطط الجديد ج ٥ ص ٤٠

(٢) فضل الزميل المحترم حضرة محمد شريف حافظ أفتدى سكرتير لجنة حفظ الآثار العربية وعرب لى عن التركة القطعة الخامة بجامع أحمد باشا عن كتاب جوامعنا صفحة ٥٨ تأليف خليل آدم .

والمنبر الرخامي يكاد يكون طبق الأصل، كما اتضح من الصور الفوتوغرافية المأخوذة عنه .
ومما يذكر أن أكثر منابر مساجد استامبول من الرخام، وزخارفها وتقاسيمها مثل منبر الملكة صفية،
بل منبر الملكة صفية مثلها وهو الأصح .

أعمال الإصلاح — لم تكن أعمال لجنة حفظ الآثار العربية مقصورة على إصلاح هذا
المسجد فحسب، بل تعدتها إلى ما هو أهم بكثير، فقد كانت وجهاته محتجة خلف منازل حوله،
ففي عهد المغفور له الملك فؤاد الأول نزع ملكية تلك المنازل وهدمتها، حتى بدت الواجهات بعد
احتجابها، وهي سياسة مجودة قد اتبعتها اللجنة في تحلية الكثير من الأماكن الأثرية بمصر .



مسجد يوسف الحين

بميدان أحمد ماهر^(*) باشا

الأمير يوسف المعروف بتابع السعدى، من كبار أمراء الجراكسة . كان كاشفا البحيرة والبنساولية وناظرا للسحابة الكبرى . انتقل إلى رحمة الله تعالى سنة ١٠٥٦ هـ (١٦٤٦ م) .

وبما يؤثر عنه ميله إلى أعمال الخير فقد أنشأ في باب الخرق مسجدا ألحق به سبيلا يعلوه كتاب وأنشأ ربعا كبيرا وعقارات أخرى ؛ كما أنشأ مدفنا وقبة له ولأسرته تجاه المسجد على يسار السالك من باب الخرق إلى درب الفواخير ، ولما مات دُفن بهذه القبة .

وقد هُدم المدفن والقبة عند فتح شارع محمد على سنة ١٢٩٠ هـ (١٨٧٣ م) ونقل المنشي إلى قبر أعد له في الإيوان البحرى بالمسجد ؛ كما أنه لم يبق من منشأته في هذه المنطقة سوى المسجد وملاحقاته .

تاريخ إنشاء المسجد — يُقرأ في لوح رخامى أعلى المدخل العام بيت من الشعر نصه :

أنشأ الأمير يوسف جامعا للذكر والنجوى * أرخته لله مسجد أسس على التقوى

وبحساب الجمل يكون التاريخ سنة ٩٥٠ هـ . وهذا التاريخ يمكن تطبيقه على طراز الباب وعلى تصميمه الداخلى . وأعتبره المرحوم على^(٢) باشا مبارك من منشآت القرن التاسع الهجرى .

ولكن يقرأ على إزار سقف السبيل الملاحق بوجهته في الطرف القبلى ما نصه : « وكان الفراغ في شهر رجب سنة خمس وثلاثين بعد الألف » وهذا التاريخ ينطبق على تفاصيل السبيل ، كما ينطبق على تفاصيل وجهة المسجد ومنارته .

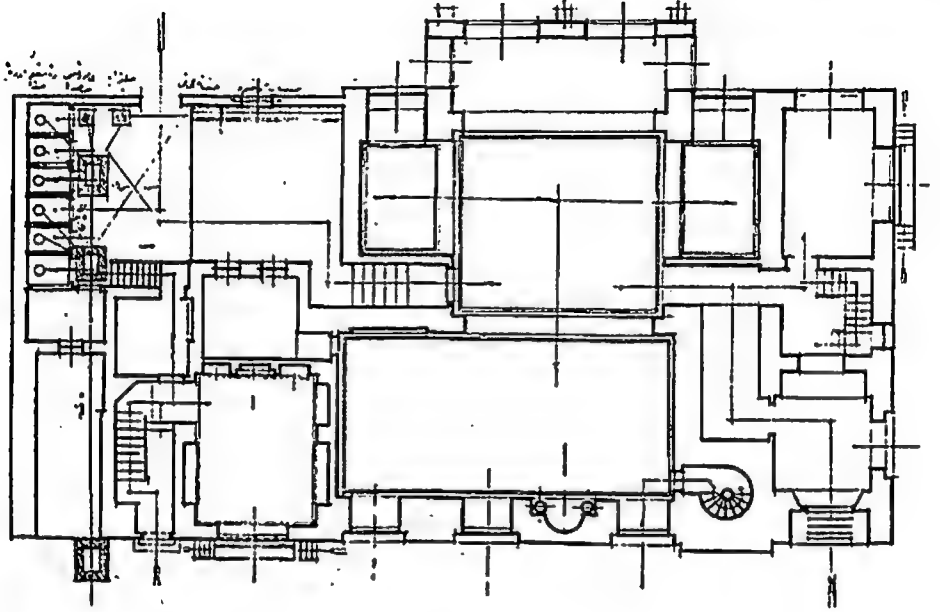
وقد كنت أعتبر السبيل ملحقا بالجامع في هذا التاريخ إذا كانت وجهته منفصلة عن وجهته ولكنهما كتلة واحدة — أو ان نقش السقف وكتابته عملا في السنة المذكورة ؟

هذه الأسباب دفعتنى للبحث عن مستند جديد فلم أجد أصدق من حجة وقفه ، وبالاطلاع عليها تبين أنها صادرة من محكمة الباب العالى بمصر المحروسة في ١١ شعبان سنة ١٠٤٤ هـ ، وأن المجة مؤرخة ١٨ جمادى الثانية سنة ١٠٤٥ هـ . « وفيها أن الأمير يوسف عين أعيان أمراء الجراكسة بمصر

(*) أنظر الصور من رقم ٢٣٥ — ٢٣٦ بمجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) حجة الوقت . (٢) الخطط الجديدة ، ج ٤ ص ١٠٢

المحروسة، وكاشف البحيرة والبهنساوية، وناظر السحابة الشريفة الكبرى سابقا، أوقف وحبس وتصدق بجميع الجامع المسجد الإنشاء والعمارة المعروف بإنشائه وعمارته، بالقرب من جامع بطيخة وهو مسجد تقام فيه الجمعة والجماعة، ويلاصقه الصريح ومكتب الأيتام». ثم وصفه وصفا دقيقا ينطبق على هذا المسجد.



مقطع أفق

أمام هذا المستند لا يسعني إلا أن أقول بخط الشعر المتضمن تاريخ الإنشاء خصوصا أنه غير موزون، وهذا كثير الوقوع، وله نظائر في أماكن أخرى؛ إذ نرى مسجد البرديني قد كتب في إزار سقفه تاريخ الفراغ منه سنة ١٢٠٥ وصحته ١٠٢٥ هـ لأن منارته آتت سنة ١٠٣٨ هـ (١٦٢٨ م)، وكلاهما عمارته متأثرة بالعمارة المملوكية.

وعلى ذلك يكون تاريخ الإنشاء سنة ١٠٣٥ هـ (١٦٢٥ م) في حين أن الحجة مؤرخة سنة ١٠٤٥ هـ: وتضمنت أسم المنشئ يوسف المكتوب على المدخل أيضا.

وصف المسجد — هذا المسجد مرتفع عن مستوى الشارع ببضع درجات، ووجهاته الأربع خالية، وهو وإن كان منشأ في العصر العثماني، فقد بنى مدخله وداخله على طراز يخالف

(١) في وثيقة للسلطان النوري، مؤرخة سنة ٩٢٢ هـ (١٥١٦ م) تخصيص مبلغ لتجهيز صحابيتين صحبة الحج المصري لحل الفقراء من الحجاج. وفي حوادث سنة ٩١٩ هـ (١٥١٣ م) من ابن إيسر أنه نصبت صحابة على سطح مسجد النوري بمناسبة حضوره لمائة قبة تجاهها.

طراز ذلك العصر؛ فقد تأثر بالعائر المملوكية، فبابه العمومى كبنى بالرخام الملون المنقوش والمكتوب، كما أن تصميمه الداخلى تصميم مدرسة؛ فالباب يؤدى الى دركاة مربعة بصدرها مسطبة ثم طريقة مستطيلة لها سقف منقوش وبه دوائر مكتوب عليها بشكل زخرفى «قل كل يعمل على شاكلته» تنتهى الى صحن أحدقت به أربعة إيوانات معقودة وكانت مفروشة بالرخام الدقيق .

وقد حرص المهندس على الانتفاع بالخليج المصرى ومنظره الخلاب ، فتمدد الخروج بالإيوان الغربى المشرف عليه عن باقى الواجهة الغربيه ، وأبدل بنصف الجدار العلوى ساترا من الخشب انخرط ، مما ساعد على اجتلاء منظر الخليج وقت النميضان ، والانتفاع بالتهوية الكافية ، كما انتفع بهذا الإيوان بإقامة دكة المبلغ فيه .

والإيوان الشرقى أهمها وقد غطيت فتحاته العليا بشبابيك جصية ذات زجاج ملون وكتابات ، كما نقش السقف بنقوش مذهبة ، ملونة ومكتوب على إزاره آيات من سورة الفتح ، والمحراب بسيط منقوش بالبوية محاكاة للرخام، يقوم الى جانبه منبر من الخشب المجمع (معقلى) . وفى الركن البحرى الشرق باب المنارة يؤدى الى سلمها الخزونى فيوصل الى حجرة فوق طريقة المدخل تشرف على الصحن ثم الى دكة فوق الإيوان البحرى والى شباك بالواجهة الغربيه . كما يوصل الى السطح والى دورة المنارة ، وهى منارة حجرية أسطوانية . وفى الطرف القبلى للواجهة الشرقية سبيل يعلوه كتاب اشتمل على أرضية رخامية دقيقة . ومكتوب بإزار سقفه تاريخ إنشائه .

وقد انتهزت إدارة حفظ الآثار العربية فرصة توسيع ميدان باب الخلق وتخليص المسجد من جميع نواحيه ، فأصلحت وجهاته ، وأنشأت دورة مياه حديثة ، وألحقت بها حجرات زيتها بمشربيات . وأنشأت بالواجهة البحرية على ميدان باب الخلق سيلا يعلوه كتاب ، راعت فى إنشائه طراز الأسبلة التركية ، واقتبست أكثر تفاصيله من سبيل الأمير عبد الرحمن كتحدا بشارع بين القصرين ؛ فقد آشملت وجهاته على عمد رشيقة ورخام دقيق ومقرنصات متعددة .

وانتهت هذه الأعمال فى عصر جلالة الملك الصالح فاروق الأول أعزه الله . وقد ثبتت بهذه المناسبة لوحة تذكارية أعلى السبيل بالواجهة البحرية نصها : « جددت لجنة حفظ الآثار العربية هذه الواجهة فى عهد الملك الصالح فاروق الأول سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وألف من الهجرة » .

وقد تفضل جلالة الملك الصالح حفظه الله بافتتاحه بأداء فريضة الجمعة فيه يوم ١٦ جمادى الثانية سنة ١٣٦٠ هـ (١١ يولييه سنة ١٩٤١ م) .

مسجد عقبة بن عامر

هذا المسجد في الطرف القبلي الشرقي لقرافة الإمام الشافعي ، وفي نقطة هامة من القرافة الكبرى تضم رفات أعلام أجلاء ، في مقدمتهم عقبة بن عامر بالتحقيق ، وعمرو بن العاص على ما قاله غير واحد من المؤرخين .

والمنطقة التي تضم هذا الجامع هي قرية صغيرة كانت تحدها إلى عهد قريب من الخارج بؤابة كبيرة تؤدى إلى فضاء كبير به قبور كثير من الأعلام ، منهم : الشيخ الصالح الزاهد أبو الفيض ذو النون بن إبراهيم المصري الذي توفي سنة ٢٤٥ هـ (٨٥٩ م) ، والشيخ عثمان الزيلعي شارح كتاب الكثر في فقه الحنفية المتوفى سنة ٧٤٣ هـ (١٣٤٢ م) . ثم باب آخر يؤدى إلى طرقة تنتهي إلى حوش كبير ، يصدره جامع عقبة وملحقاته .

عقبة بن عامر — هو السيد عقبة بن عامر بن عيسى بن غنم بن عدي بن عمرو بن رفاعه ابن جهينة الجهني الصحابي ، من أعلام الصحابة ومن خدام النبي صلى الله عليه وسلم . كان رحمه الله محدثاً عالماً بالفرائض والفقه ، كاتباً شاعراً ، وهو آخر من جمع القرآن ؛ وأول من نشر الرايات على السفن ؛ قال أبو سعيد بن يونس رأيت مصحفه بمصر . وفي آخره « كتبه عقبة ابن عامر بيده » .

اشترك رضي الله عنه في الفتوح الإسلامية ، وكان رائد عمر بن الخطاب عند فتح دمشق ، كما شهد فتح صقين مع معاوية ، وشهد فتح مصر مع عمرو بن العاص . ثم عين والياً عليها من قبل معاوية بن أبي سفيان في ذي الحجة سنة ٤٤ هـ (٦٦٥ م) وظل والياً عليها لمدة سنتين وثلاثة أشهر ، إلى أن صرف عنها في شهر ربيع الأول سنة ٤٧ هـ (٦٦٧ م) .

وكانت ولايته سنتين وثلاثة أشهر ، ثم أقام بمصر إلى أن توفي سنة ٥٨ هـ (٦٧٨ م) .

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وروى عنه جماعة من الصحابة والتابعين منهم ابن عباس وأبو أمامة وغيرهم . ولأهل مصر فيه اعتقاد عظيم ، ولهم عنه نحو مائة حديث .

(*) انظر الصور من رقم ٢٢٧ — ٢٣٨ مجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) تاريخ مصر ودلائلها ص ٣٦ — ٣٨ وعلق بالهامية بأن نسب في التذييل عقبة بن عامر بن عيسى بن عمرو بن رفاعه .

(٢) المقرئ ج ١ ص ٣٠١ (٣) النجوم الزاهرة ، ج ١ ص ١١٦ — ١٣٠

وقال الشيخ الموفق ابن عثمان في تاريخه المرشد ناقلًا عن حرملة من أصحاب الشافعي: إن البقعة التي دُفن فيها عقبة بها أيضا قبر عمرو بن العاص، وقبر أبي بصرة الصحابيين. تحويهم القبة التي هدمها صلاح الدين يوسف بن أيوب .

وكان قبر عقبة موضع رعاية المصريين يقصدونه للزيارة والتبرك، كما كان يقصد إليه زائر مصر ورحلاتها. وكان ملحقًا به متحف حربى صغير يضم سيفه وترسه . ولقد حرص كثير من أجلة العلماء على أن يدفنوا بجواره تبركا به حتى غدت بقعته مقبرة للعظماء .

ثم ظل القبر موضع عناية ملوك مصر وولاتها . وكان أول من عُني به ملك مصر صلاح الدين يوسف بن أيوب فقد هدم القبة التي كانت على قبره ، وأنشأ غيرها قبة عظيمة^(١) وكذلك جده ملك مصر الكامل محمد ابن الملك العادل .

وفي سنة ١٠٦٦ هـ (١٦٥٥ م) عني بتجديد المسجد وإنشائه على ما هو عليه الآن وإلى مصر الوزير محمد باشا سحدار الملقب بأبى النور ، وألحق به زاوية لتعليم الأطفال وسبيلا ، كما أنشأ حوله مساكن للوظفين ، ورصد عليه وعلى غيره من منشآته الخيرية أوقافا كثيرة . ومن طريف ما تضمنته وقفيته تعيين أربعة (سيمانية) من رماة البندق برسم الحراسة والمحافظة على المسجد وملحقاته .

وهو مسجد صغير بسيط البناء ، وتشتمل وجهته الغربية على الباب العام ، وتقوم على يساره قاعدة مربعة تنتهى بمقرنص تحمل منارة مرتفعة ذات دورة واحدة ، ويتصل بهذه الوجهة السبيل . ويؤدى الباب إلى دركاة مربعة تحتوى على سلم يؤدى إلى المنارة ، كما تضم قبور مشايخ المسجد : منهم الشيخ إبراهيم المتوفى سنة ١١٨٢ هـ (١٧٦٨ م) وتتصل هذه الدركاة بمسجد مستطيل يشتمل على رواقين يتوسطهما صف من العقود المحمولة على عمد حجرية مئنة ، وقد حلى سقفه بنقوش مأثونة ، ومكتوب بإزار سقف الرواق الشرقى أبيات من قصيدة البردة . ويحيط بمجران المسجد مجموعة من الشبايك الحصية المحلاة بالزجاج الملون ، ويشرف بناء المسجد من الجهة الشمالية على قبر وجيه الدين عبد الوهاب الهنسى قاضى قضاة مصر فى القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى)^(٢) وعلى قبر نوح أفندى مصطفى من علماء الحنفية المتوفى سنة ١٠٧٠ هـ (١٦٥٩ م) . والشيخ أحمد بن الشيخ محمد الإمام راوية سيدنا عقبة المتوفى فى ذى القعدة سنة ١١٧٢ هـ

(١) النجوم الزاهرة، ج ١ ص ١٣٠ (٢) جوار الأخبار فى دار القرار، خط .

(٣) ابن الفرات، ج ٧ ص ٢٤٧

ومن الأعلام الذين دفنوا في الجهة القبيلة للقبة العلامة عبد الرحمن بن عبد الملك الشافعي فقد عثر على شاهد قبره مطمورا وقامت إدارة حفظ الآثار العربية بتثييته على الوجهة القبيلة للقبة ونصه : « الحمد لله الباقي بعد فناء خلقه هذا قبر الفقير إلى رحمة ربه المستقيل من جريمته وذنبه عبد الرحمن بن عبد الملك بن عبد المحسن القرشي نسبا الشافعي مذهبا الأشعري معتقدا تغمده الله برضوانه وأسكنه في دار أمانه . توفي إلى رحمة الله تعالى في ليلة يسفر صباحها عن يوم الخميس رابع شهر رمضان المعظم سنة سبع وخمسين وستمائة رحمه الله وعفا عنه وعن جميع المسلمين » . وإلى جانبه قبر ولده ، وفي غربيهم قبر شهاب الدين بن أبي حجلة وولده .

والقبة وبها قبر عقبة رضى الله عنه في الركن الغربي القبلي للمسجد ، عليها مقصورة خشبية وهي منقوشة من الداخل بنقوش تحاكي القاشاني ، ومكتوب على طراز مرهمها آية الكرسي ، وبها من الداخل قطعة رخام سوداء لها بريق ، وأمام القبر شاهد من الرخام مكتوب على أحد وجهيه آية الكرسي ، وعلى الوجه الآخر ما نصه : « هذا مقام العارف بالله تعالى الشيخ عقبة بن عامر الجهني الصحابي رضى الله تعالى عنه جدّد هذا المكان المبارك الوزير محمد باشا سلحدار دام بقاءه في سنة ستة وستين وألف » ومن الخارج مضلعة ، وبرقيتها كسوة من القاشاني ، ميزتها على قباب عصرها . وهي ثاني قبة عثمانية كسيت رقيتها بالقاشاني إذ الأولى قبة الأمير سليمان أغا سنة ٩٥١ هـ (١٥٤٤ م) وهي أجمل قبة أنشئت في العصر العثماني .

وتكسيه رقاب القباب بالقاشاني ظهرت بمصر في أوّل القرن الثامن الهجري في قبة سبيل الناصر محمد بن قلاوون لصق المدرسة المنصورية . وفي قباب طشتمر حمص أخضر وأم أنوك وأصلم السلحدار وأبن غراب .

ثم تطوّرت إلى تكسية القبة كلها بالقاشاني في القرنين : الثامن والتاسع الهجري (الرابع عشر والخامس عشر الميلادي) مثل قباب الناصر محمد بن قلاوون بالقلمة والغوري بالغورية وسليمان باشا بالقلمة والشيخ سعود بشارع سوق السلاح والتكية السليمانية بشارع السروجية .

ومن مآثر المليك حفظه الله أنه كان من أثر أدائه فريضة الجمعة في هذا المسجد إجراء إصلاحات به من أظهرها إصلاح الشبابيك الحصية الملونة ، وتعميد الطرق المؤدية إليه .

(١) الكواكب السيارة ص ٢٤٢ وفيها استقصاء لمن دفن حوله .

المدرسة الفارقانية

بشارع درب سعادة

هذه المدرسة خلف محكمة الاستئناف . أمر بإنشائها الأمير شمس الدين آق سنقر الفارقاني السلحدار وأفتتحها يوم الاثنين ٤ جمادى الأولى سنة ٩٧٦ هـ (١٢٧٧ م) مدرسة للشافعية والحنفية . والأمير آق سنقر كان مملوكا للأمير نجم الدين أمير حاجب . ثم انتقل إلى الملك الظاهر بيبرس البندقدارى ، فترقى عنده في جملة وظائف إلى أن صار من كبار الأمراء وعينه أستاذارا . وناب عنه بمصر مدة غيبته ^(١) .

وكان مقدما على كثير من الأمراء ، شجاعا حازما ، محسنا ، عهد إليه الظاهر بفتح بلاد النوبة ، وفتحتها . وفي دولة السعيد بركة بن الظاهر بيبرس ولى نيابة السلطنة بديار مصر وقد توفي في سنة ٩٧٦ هـ (١٢٧٧ م) . وقيل ٩٧٧ هـ (١٢٧٨ م) . وكانت داره بجوار مدرسته بداخل باب سعادة ^(٢) . وفي سنة ١٠٨٠ هـ (١٦٦٩ م) أنشأ المسجد إنشاء جديدا على ما هو عليه الآن الأمير محمد كتحدا مستحفظان ، أحد كبار موظفى مصر العسكريين ، ولذلك لا نرى فيه الآن أثرا للمدرسة القديمة . بل هو مسجد عثمانى بحت عرف بمسجد الحبشلى . ويظهر أن هذه التسمية لازمت منذ تجديده ، لأن الجبترى ترجم ضمن وفيات سنة ١١٧٨ هـ (١٧٦٥ م) الشيخ على بن أبى الخير بن على المرحومى الشافعى وقال عنه «خطيب جامع الحبشلى» ^(٣) .

ولهذا المسجد وجهتان : إحداها قبلية ونهايتها الشرقية المنارة قائمة على جلسة مربعة أنهت بمقرنصات وغطيت شبائيكها بمقرنصات ، وهى منارة أسطوانية تركية الطراز ، والأخرى غربية وبطرفها القبلى السبيل وتعلو شبائكه زخارف حجرية وقاشانى ولوحة تذكارية بإنشائه ، وبالطرف البحرى الباب العمومى للمسجد وهو باب عقده مداينى به مقرنصات بسيطة وله نفيس من القاشانى . ويحيط بصحنه أربعة إيوانات أكبرها إيوان القبلة ، وهو يشتمل على رواقين : المشرف منها على الصحن مكون من عقدتين كبيرين يحملهما عمود رخامى ، والآخر أمام المحراب ، ويشتمل على ثلاثة عقود محمولة على عمودين حلزونيين .

والمحراب بسيط يعلوه مربع مزخرف به قاشانى ، ويجاوره منبر خشبى مجمع ، وبالركن القبلى باب المنارة .

(١) المقرئى ، ج ٢ ص ٣٦٩ ، والمثل الصافى . (٢) باب سعادة أحد أبواب القاهرة الفاطمية وكان قريبا من هذه المدرسة . (٣) الجبترى ، ج ١ ص ٢٦٣

والسقف من برطوم ومربوعات منقوش بالذهب والألوان برسوم دقيقة لا يقل أهمية عن السقوف المملوكية ، ومكتوب على إزاره آيات من سورتي الفتح ويّس وتاريخ المسجد بما نصه : « أنشأ هذا المسجد المبارك من فضل الله تعالى وعونه وجزيل عطاء العليم الأمير الكبيرى الأمير محمد كتحدا مستحقطان كان الله له بتاريخ سنة ثمانين وألف » .



داخل المسجد

والإيوان الغربى مكون من عقد كبير، وبه دكة المبلغ وباب للسبيل المفروش بالرخام الدقيق الملون ، وسقفه منقوش مذهب ومكتوب على إزاره قوله تعالى : « بسم الله الرحمن الرحيم إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا . الى قوله تعالى : وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا . صدق الله العظيم » .

مسجد ذوالفقار

بشارع اللبودية

يرى المغفور له على باشا مبارك أن ذا الفقار هذا هو الذى ورد اسمه فى ترجمة والى مصر حمزة باشا، فقد جاء فيها : « أنه فى يوم الأحد ١٦ شعبان سنة ١٠٩٧ هـ مات عن الدولة العثمانية فى الديار المصرية أمير الحاج الشريف الأمير ذو الفقار بك رحمه الله تعالى وكان آية وحجة على أهل الفساد من العرب وغيرهم فى سائر الأقاليم . وبعد موته جرت حوادث يطول شرحها . وكان أميراً طاهراً محافظاً على الصلوات الخمس^(١) فى أوقاتها ، معظماً للعلماء ، شفوفاً على الفقراء ، قاسياً على^(٢) المفسدين . وقبل دفنه ألبس الوزير حمزة باشا ولده الرشيد أمير اللوا إبراهيم بك خلعة الصنجدية » .

وبمراجعة تراجم من سعى بذى الفقار فى هذه الفترة ، وجدت بينهم الأمير ذا الفقار بك تابع الأمير حسن بك الفقارى ؛ تولى الصنجدية وإمارة الحج فى يوم واحد ، وسافر أميراً للحج إحدى عشرة مرة . توفى سنة اثنتين ومائة وألف .

وتوفى ابنه الأمير إبراهيم بك الذى تولى الإمارة بعد أبيه ، وسافر أميراً على الحج سنة ١١٠٣ هـ (١٦٩٢ م) ولم يزل أميراً للحج إلى أن مات سنة ١١٠٧ هـ (١٦٩٥ م) وتولى إمارة الحج خمس مرات . وكانت داره بدرب الجمايز مقصداً لقضاء الحاج^(٣) .

وآتفاق الحوادث فى الروايتين تعززها الكتابة بسقف الجامع مما يجعلنى أرجح رواية الجبرق من أن وفاته كانت سنة ١١٠٢ هـ (١٦٩٠ م) .

وهو من المساجد المعلقة البسيطة ، ووجهته الغربية العامة مبنية بالجمر الأحمر ، حيث تقوم المنارة عند طرفها الجنوبي ؛ وهى منارة أسطوانية قصيرة من دورة واحدة ، يحاورها الباب العام ، وهو على بالمقرنصات ، وبه ترابيع من القاشانى القيم يتوسطها لوحة رخامية مكتوب عليها ما نصه :

جامع جاء لطيفاً وبديع الإنشا * على السمك منيعاً ووسيع الإحشا

° فى بيوت أذن الله لها أن ترفع * والعبادات بها كل زمان تفتشى

(٢) السنجق والسنجاق العلم ويراد به اللواء .

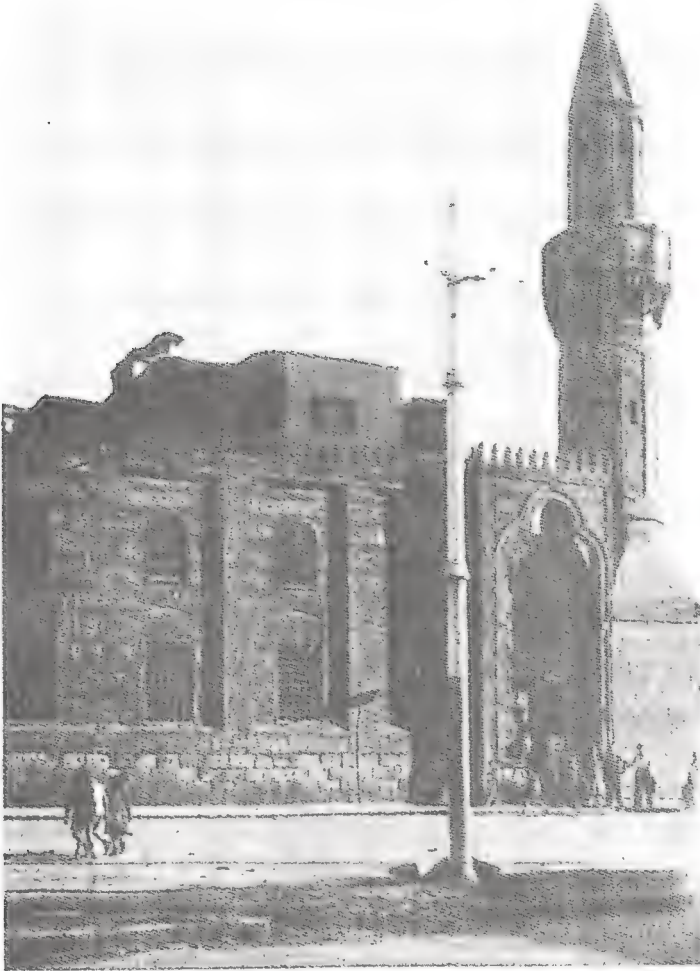
(١) الخطط الجديدة ، ج ٤ ص ١١٣

(٣) الجبرق ، ج ١ ص ٩٠

دام فيه صلوات وأجيت دعوات * بنهار متجل وبليل يغشي
ذو الفقار فاز بالخير فقل تاريخا * عمر الجامع بالسعد بديع الإنشا

١٠٩١

وهذا الباب يؤدى إلى سلم من ست درجات فدركاة مربعة على يمينها باب يؤدى إلى باب
المنارة، وإلى المطهرة وعلى يسارها شبك ثم باب المسجد .



الوجهة الغربية للمسجد

وداخل المسجد مستطيل ، وهو يتألف من رواقين يتوسطهما صف من العمد الرخامية تحمل

خمسة عقود حجرية .

أما محرابه فهو من الحجر وقد حُلّ بنقوش ومقرنصات، ويتواشحه ألواح من القاشاني الحديث ويعلوه مربع به دائرة من القاشاني القديم، ويمجوره منبر خشبي. وتقع دكة المبلغ في الجدار الغربي، وهي محمولة على كابولين. وكانت أرضية المسجد مفروشة بالرخام الدقيق، كما يدل على ذلك بقايا دقيقة بأرضية الشبابيك الغربية.

وتحيط بالجامع من أعلاه نوافذ من الجص والزجاج الملون عملت بمناسبة أداء حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول فريضة الجمعة فيه. وقد نقشت سقفه بنقوش ملونة، وكتب على إزار الرواق الشرقي آيات من سورة الفتح، كما كتب تاريخ إنشائه بما نصه: « أنشأ هذا المسجد المبارك من فضل الله تعالى وعونه وجزيل عطائه العميم الجنتاب الكريم العالي والكوكب المنير المتلالي الأمير ذو الفقار بك أمير اللوا الشريف السلطاني وأمير الحاج. وكان الفراغ في شهر ذي الحجة سنة ١٠٩٠ هـ ».

ومكتوب على إزار الرواق الغربي آيات من سورة يس إلى قوله تعالى: « قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربّي وجعلني من المكرمين ».



مسجد عثمان كتحدا

بميدان إبراهيم باشا^(*)

أنشأه الأمير عثمان كتحدا القازدغلي والد الأمير الكبير عبد الرحمن كتحدا ، صاحب الخيرات والمنشآت العمارية الكثيرة في أنحاء القاهرة .

كان الأمير عثمان تابعا للأمير حسن جاويش القازدغلي ، ثم تقلب في جملة وظائف إلى أن عين كتحدا (أي ويكلا مفوضا) لسيده حسن جاويش ، وصار من كبار الموظفين ، وسطح نجمه ، كما ساعدته ظروف خاصة على آقتناء ثروة كبيرة^(١) .

وقد ظل عظيم النفوذ وافر الحرمة مسموع الكلمة إلى أن توفي سنة ١١٤٩ هـ (١٧٣٦ م) . وله عدا هذا المسجد منشآت خيرية أخرى منها زاوية للعميان كانت مجاورة للجامع الأزهر ، وصدد عليها خيرات ، كما رصد خيرات على أروقة الأتراك والجاوة والسلمانية والشوام بالأزهر الشريف . وهو الذي أنشأ المسجد بجوار قبة حسام الدين طرنطاي المنصوري بدرب سعادة ، كما أنشأ رواق الأتراك والسلمانية بالأزهر .

موقع المسجد وتاريخه — يقع هذا المسجد عند ميدان إبراهيم باشا على ناصية شارعى قصر النيل وإبراهيم باشا ، وقد تم بناؤه سنة ١١٤٧ هـ (١٧٣٤ م) ، وألحق به سبيلا وكتابا وحماما . ولا يزال الحمام موجودا .

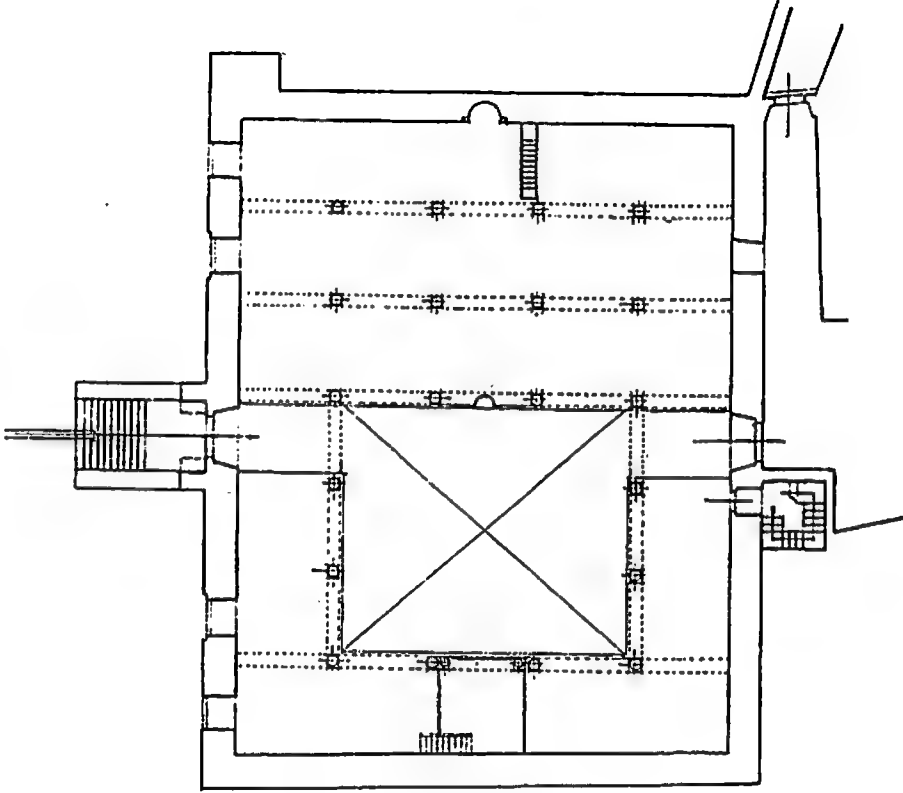
وكانت المنطقة في حاجة شديدة إلى هذا المسجد . وقد بلغ من آزدحامه بالمصلين يوم افتتاحه أن كثيرا من الكبراء لم يجدوا فيه مكانا فأنصرفوا إلى غيره ؛ وهذا ما نراه به إلى الآن . وبعد افتتاحه وزعت الصدقات ، وأنعم على حسن أفندى ابن البواب خطيب المسجد ، وعلى الشيخ عمر الطحلاوى المدرس فيه وغيرهما .

(*) انظر الصور من رقم ٢٣٩ — ٢٤٢ بمجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) الجبرق ، ج ١ ص ١٦٨

(٢) ورد اسمه في إزارسقف هذا المسجد الأمير عثمان جاويش تابع المحرم حسن كتحدا قصصا سنة ١١٤٠ هـ .

وقد رصد المنشئ أملاكا كثيرة للصرف منها على هذا المسجد وعمارته وأعمال البر التي بينها في كتاب وقفه المؤرخ سنة ١١٤٩ هـ ، واشترط أن يكون الإمام شافعيًا . ثم رتب درسا للسادة الحنفية ، ورواتب لسبعة من الطلبة يحضرونه ، وآخر للسادة الشافعية يحضره ثلاثة من الطلبة لهم رواتب أيضا ، كما قرر رواتب لمدرّس الحديث مع ستة من الطلبة يحضرون درسه .



مسقط أفق

ومن طريف ما أشتملت عليه هذه الوقفية تخصيص راتب لمناد ينادى في السوق عند حلول الصلاة بقوله : « الصلاة ياماعاجون » ^(١) .

ويرتفع هذا المسجد عن مستوى الشارع ، وله وجهتان : إحداهما شرقية وهي بسيطة ، والأخرى بحرية يتوسطها باب يصعد إليه بدرجات رخامية ، وهذا الباب مبنى بالججر ، وقد حلّ بترايع من القاشاني الجميل ، ويعلوه شباك صغير يكتنفه عمودان ؛ ومن فوقه حلية زخرفية على هيئة شرفة . وينتهي أعلاه بعقد مداين مخوص تحوى توشيحته على زخارف هندسية .

ويكتنف الباب من جانبيه شبابيك من أعلى وأسفل ، اليمنى منها حديثة ، وقد غطيت بمقرنصات متنوعة ؛ وقد ركب عليه مصراعان من الخشب ، حليا بزخارف نحاسية مفترغة على مثال الأبواب الملوكية . وتقوم المنارة على الناصية الشرقية البحرية ، وهى منارة أسطوانية حلى بدنها بخطوط ، وهى بسيطة شأن منارات عصرها .

وداخل المسجد أربعة إيوانات يتوسطها صحن مكشوف ، فرشت أرضيته بالرخام الأبيض والدقيق الملون ، أهمها الإيوان الشرقى ؛ فقد آشتمل على ثلاثة أروقة بها عمد رخامية ، تحمل عقودا حجرية ، فوقها سقوف مزخرفة لا تزال محتفظة بروقتها يسترعى النظر فيها تنوع زخارف الإزار حولها . وفى صدر هذا الإيوان محراب من الرخام الدقيق ؛ يكتنفه عمودان أخضران مجزعان حلى أعلاه وأسفله بزخارف موزقة متزلة فى الرخام وعلى يسار المحراب قطعة رخامية منقوش عليها زهرتان مذهبتان تفرعت منهما غصون وأزهار يكتنفهما أعمدة سبرو ، ويعلو المحراب شبك جصى مستدير مكتوب عليه الله . محمد . أبو بكر (عثمان) ويحاوره منبر من الخشب المجمع بشكل عمود ، له درابزين من الخشب المنحرف ؛ وقد أحيطت جدرانه الأربعة من أعلاه بشبابيك جصية لها زجاج ملون ؛ كما فتحت شبابيك فى أسفل جداره البحرى .

وفى الجدار القبلى بابان : أحدهما الكبير ، وقد حلى مصراعه بأشرطة نحاسية كما كئفى النفيس أعلاه بترايع من القاشانى . وأزدانت معبرة الآجر الموجود فى منتصف الإيوان الشرقى بنقوش ملونة . وكلا البابين يوصل إلى المصلى والميضأة .

والحمام ما زال باقيا بالقرب من المسجد ، ولعل السبيل والكتاب كانا يحاورانه ؛ ولكنهما قد زالا . وقد أدرك السبيل المغفور له على باشا مبارك وكتب عنه : « أنه كان بالطريق الموصول إلى المسجد . وكان على بابه لوح رخامى مكتوب فيه : بسم الله الرحمن الرحيم جدد هذا الصهرج المبارك عبد الله جوريجى من صدقات وخيرات المرحوم الأمير عثمان كئخذ مستحفظان فازد على واقف هذا المكان الواقع تاريخه فى آثنين وعشرين من جمادى الآخرة سنة خمس وستين ومائة وألف » وقد سقط هذا اللوح عند هدم وجه السبيل وحفظ عند خادم المسجد ^(١) .

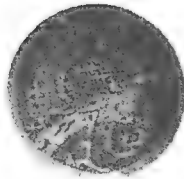
تواضع المنشئ — وقد بلغ من تواضع المنشئ أنه لم يكتب اسمه على هذا المسجد ؛ إذ أن كل ما وجد به من النصوص التاريخية لوح مثبت فى وجهة الإيوان الشرقى على الصحن قد كتب فيه :

« قد وافق الفراغ من إنشاء هذا المسجد المبارك غرة جمادى الأولى من شهر سنة الف ومائة سبعة وأربعين فندسأل الله الكريم من فضله العميم أن يتقبله من وافقه ويدخله الجنة دار النعم » .
عناية المغفور له الملك فؤاد بالمسجد — وكانت الوجهة البحرية للمسجد محجوبة بالدكاكين المشوهة لمنظره، وظلت كذلك إلى سنة ١٩٣٣؛ إذ أمر المغفور له الملك فؤاد بإزالة هذه الدكاكين وإصلاح الوجهة فظهرت بعد آحتجابها .

عناية الملك الصالح فاروق الأول — أما عناية الملك الصالح فاروق الأول بهذا المسجد فكانت عظيمة الأثر؛ وذلك أنه كان يجاور الباب البحرى للمسجد منزل يحجب نصف الوجهة من الجهة البحرية الغربية .

وفى سنة ١٩٣٩ هدمت وزارة الأوقاف هذا المنزل ، وأعدت مشروعا لبناء عمارة كبيرة رسا عطاؤها على أحد المقاولين .

وما إن بلغ مسامع مولانا الملك نبا هذه العمارة وحنجة الأثرين من حضرات أعضاء لجنة حفظ الآثار العربية ، وخوفهم من تشويه الجامع ، وأن العمارة الجديدة قد تطاول منارته ، فتفضل حفظه الله فأصدر أمره الكريم بإلغاء المشروع ؛ ثم أصدر أمره الكريم إلى لجنة حفظ الآثار العربية بتكيلة بناء هذه الوجهة على مثال قسمها القديم فنقذت رغبته السامية وكان لذلك أعظم الأثر فى صون المسجد، وتجميل هذا الميدان الكبير .



مسجد عبد الباقي جوريجي

بشارع الميدان بالإسكندرية^(*)

هذا المسجد أنشاه الحاج عبد الباقي جوريجي^(١) بقلعة الركن^(٢) بشهر الإسكندرية ابن المرحوم علي جوريجي بالقلعة المذكورة ابن الشيخ محمد الشربوبى الشهير بنسبه بزقوق . فى سنة ١١٧١ هـ (١٧٥٨ م) . وهو من المساجد المعلقة ، مرتفع عن مستوى الشارع ، وتحتة حوائط ، وله بابان : أحدهما فى النهاية القبيلة الغربية ، والآخر فى النهاية الشرقية البحرية . وكلاهما مبنى بالطوب المتجور الملوّن . والداخل من بابه القبلى يصعد درجات تؤدى إلى الإيوان الغربى الخارجى للمسجد ، وبه الباب الموصل إلى الداخل ، وهو باب عقده مداينى ، كسى أسفله بالرخام وأعلاه وحجره بالقاشانى المغربى يتوسطه اسم صانعه بما نصه : (عمل كاتبه الحاج مسعود السبع^(٣)) وبه لوح رخامى مكتوب عليه :

إن المساجد للإله الباقي * فلمن لها أحيا ثوبا باقى
الله يبنى فى الجنان لمن بنى * يتأأتى نصا بغير شقاق
فأبشر من الباقي فإنك عبده * بالفوز فى العقبى وقاك الواق
وأغرم ثناء دائما لا ينقضى * فى سائر الأوقات والآفاق
إن رمت أن تحظى بكل مسرة * وتفوز بالحسنى من الخلاق
اسمع لأمر بالرشاد مؤرخا * جزاء الهدى والخير عبد الباقي

فى شهر ربيع آخر سنة ١١٧١ هـ .

وعلى يمين ويسار الباب شباكان من خشب الخمرط ، يتوسطهما خرط منجور ، مكتوب فيه بالكوفى المربع : « لا إله إلا الله ، محمد رسول الله » ؛ وحلّت مصاريحه بأخرمة وبخاريات حديدية . وأما داخل المسجد فيتكوّن من ثمانية عمد رخامية ، تحمل عقودا مسقوفة ، يتوسطها منور ، وقد عُشيت جميع الجدران بالقاشانى المغربى ، ويتوسط الكثير من أجزائه زهريات جميلة لها قاعدة

(*) انظر الصور من رقم ٢٤٣ — ٢٤٦ بمجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) جوريجي — فى هذا الوضع تدل على وظيفة عسكرية تعادل يوزباشى فى هذا العصر .

(٢) حجة الوقف المؤرخة غرة جمادى أزل سنة ١١٧٢ هـ . (٣) فى دار الآثار العربية ألواح من القاشانى

عليها اسم صانعه المغربى (محمد بن عبد الكريم القاسم) المعروف بالزريع سنة ١١٧١ هـ .

تتفرع منها غصون وأزهار تنتهي بعقد فوقه هلال، ويوجد في دار الآثار العربية أربع زهريات مطابقة لها في الصناعة والألوان كل منها مكونة من خمسين قطعة كانت في منزل (نقبسة الجاسوسة بالقاهرة). ولعلها من صناعة الحاج مسعود السبع . وبمؤخره دكة المبلغ وتعرف في الإسكندرية بالصندرة . أما المحراب فقد كُسي بالرخام والقاشاني الجميل، ويتوسطه زهرية كاملة من القاشاني تعد من أبداع الأنواع، وكتب على دائره بالخط الكوفي المربع : « لا إله إلا الله محمد ، رسول الله » . ويكتنف هذا المحراب عمودان لوليان، ويقوم على يمينه منبر من الخشب المجمع بأشكال هندسية، طعمت حشواته بالنسج، ومكتوب على باب مقدمه ما نصه :

يا مسجدا منه ضيا الأشرار راقى * لمؤسس للاجر يوم تلاق لاقى
سبب الخلاص لمن بنى إخلاصه * وله من النيران بالأشواق واقى
ووسيلة عند الظلم يوم الجزا * والتفت الساق العلى بالساق ساقى
فعلاوة أرخته وأساسه ^(١) * المسجد التقوى لعبد الباقي باقى
سنة ١١٧١

ثم اسم الصانع بما نصه : « عمله الحاج السيد عبد المولا الطويني » وكتابات بالكوفي المربع .



(زهريّة قاشاني)

ووجود أسماء الصناع على الآثار الإسلامية في مصر يعدّ من الأمور النادرة غير أن الإسكندرية وبلدان الوجه البحري قد حفلت بعدد غير قليل منهم ، وأكثره ما كان في القرنين الحادى عشر والثانى عشر الهجرى (السابع عشر والثامن عشر الميلادى) . ويحيط بالمسجد من جوانبه الثلاثة القبلى والغربية والبحرية إيوانات مسقوفة ذات عقود محمولة على عمد، وقد بنيت هذه العقود وخاصة البحرية منها بالطوب المنجور ذى اللونين الأحمر والأسود . وهذا التخطيط الذى نرى فيه قاعة الصلاة محاطة بإيوانات يشاهد أيضا في مسجد الحاج إبراهيم ترابنة بالإسكندرية، المنشأ سنة ١٠٩٧ هـ (١٦٨٥ م) وغيره من مساجد الإسكندرية ورشيد .

(١) هذا نظم ركيك مختل الرّزن والمعنى ، ولولا أنه نص تاريخى يعول عليه في تاريخ المسجد لما عنت بالإشارة إليه .

وهو مقتبس من الطراز العثماني الذي أدخل على مساجد مصر ، فهو يرى في مسجد سنان باشا ببولاق ، المنشأ سنة ٩٧٩ هـ (١٥٧١ م) ومسجد أبي الذهب بإسراع الأزهر المنشأ سنة ١١٨٧ هـ (١٧٧٣ م) غير أنهما أمتازا بأن المسجد غطى بقبة كبيرة ، وغطيت الإيوانات حوله بقباب صغيرة ، مع تنوع في التفاصيل .

ودورة المياه منزلة عن المسجد في الجهة الغربية ومنخفضة عنه مغطاة بمصليات معقودة مخصصة ، وقد اقتصر هذا النوع من زخرف المصليات على الإسكندرية ورشيد .

وقد هدمت منارة المسجد ، وكانت قائمة أمام الرواق الغربي فوق مصلبة تتكى على جدار الرواق ، وعلى عمودين من الرخام ، وهي ميزة انفردت بها مساجد الإسكندرية مثل منارة مسجد ترابانة .

وبمناسبة المنارة أذكر طريقة كانت متبعة في منارات مساجد الإسكندرية ولا زالت متبعة حتى الآن في مسجد البوصيري ، وهي نشر علم أخضر في أوقات الصلاة نهارا وإضاءة مصباح ليلا إيذانا بحلول وقت الصلاة ليستدل بذلك من بعد عن المدينة من لم يسمع الاذان ، وهي طريقة جاءت إلى الإسكندرية من بلاد المغرب فقد رأيتها في مدينة الجزائر ، ولعلها ترجع إلى القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) فقد أمر بها السلطان أبو عنان في مسجد القرويين بفاس في سنة ٧٤٩ هـ (١٣٤٨ م) .

أما إضاءة المنارات فقد استعملت في مصر والشام والمجاز في شهر رمضان فقط إيذانا بالسحور على أن تطفأ قبل أذان الفجر ، ولشعراء مصر والإسكندرية فيها أشعار طريفة فمن ذلك ما أنشده الأديب أبو المجاج يوسف بن علي من شعراء أول القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) :^(٢)

هذا لواء سحور يستضاء به * وعسكر الشهب في الظلماء جزار
والصائمون جميعا يهتدون به * كأنه علم في رأسه نار
وانشد الأديب علي بن ظافر من أدياء نهاية القرن السادس وأول السابع الهجري :^(٣)
وليلة صوم قد سهرت يحنحها * على أنها من طولها تعدل الدهرا
حكي الليل فيها سقف ساج مسمر ! * من الشهب قد أضحت مساميره تبرا

(١) زهرة الآس ص ٢٩ ، الاستقصاء ج ٢ ص ١٠٢

(٢) و (٣) بدائع البداية ص ١٤٧ ، ١٤٩

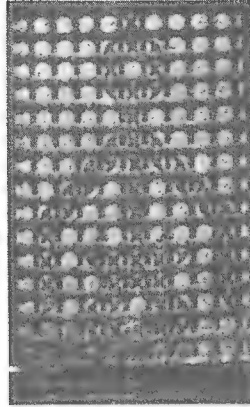
وقام المنار المشرق للون حاملا * لفانوسه والليل قد أظهر الزهرا
كما قام رومى بكأس مدامة * وحيّا بها زنجية وشحت دزا
وأنشد الأديب القاضي أبو الحسن بن النبيه :

حبذا في الصيام مئذنة الجا * مع والليل مسبل أذباله
خلتها والفانوس إذ رفعته * صائدا واقفا لصيد الغزاله

وأنشد الأديب الرشيد أبو عبد الله محمد بن متانو :

أحبب بفانوس غدا صاعدا * وضوءه دان من العتین
يقضى بصوم وبفطر معا * فقد حوى وصف الهلالين

ومن منشآت الأمير - رحمه الله - وكالة تلاصق المسجد من الجهة البحرية الشرقية ،
ويشرف عليها الإيوان البحري للمسجد ، ولهذه الوكالة عقود مبنية بالآجر الملون باللونين الأحمر
والأسود، وهى من الوكائل الجميلة التى يندر وجود مثلها بالإسكندرية .



مسجد النبي دانيال

بشارع النبي دانيال بالإسكندرية

دانيال النبي — هو دانيال النبي أحد أنبياء بني إسرائيل، قيل : إن معنى دانيال : « الله قاض » أو « قاضى الله » ، وهو من أسرة عريقة في الحسب . ويُظَنّ أنه ولد في أورشليم حسب ما حققه المؤرخ الشهير يوسيفوس ، وأنه هو الذى كتب سفر دانيال^(١) .

وفي سنة ٦٠٦ ق م ، وهى السنة الثالثة من ملك يواقيم بن يوشيا أحد ملوك بني إسرائيل فى الدولة الثالثة^(٢) — صعد بختنصر ملك بابل إلى بيت المقدس وسبها ، وجلا أكثر أهلها إلى بابل ، ومعهم دانيال النبي والفتية الثلاثة أولاد يواقيم أعمام دانيال النبي ووضع الجزية على يواقيم ورجع عنه . اختاره البابليون هو ورفقاؤه ليتعلموا لغة الكلدانيين ، وعلموهم وألحقوهم بالقصر الملكى ، وسمى دانيال بلطشاصر ، لحافظ على ديانتهم وتمسك بها ، وأرتقى بمحنته إلى أعظم منصب فى مملكة وثنية ، وبسبب تحقيق نبوءته فى تفسير أحلام لبختنصر وداريوس عظم شأنه وعلت منزلته ، وعين أول الوزراء الثلاثة فى دولة داريوس ، ونال حظوة كبيرة فى بلاط بابل ، وبقي بها إلى أن مات ، وظل تابوته فى السوس بخوزستان .

مسجد النبي دانيال — بناء هذا المسجد بسيط ، ومن طرازه وطرأز منارته القديمة التى كانت قائمة على يسار الباب العمومى ، أعتبرته من أبنية القرن الثانى عشر الهجرى (السابع عشر الميلادى) ، كما أن عقود المصلبة المؤدية للقبة ومقرنصات المنور فوق القبر ، وطرأز القبة التى كانت تعلموه ترجع إلى هذا العصر .

وهذا المسجد وإن كان المرحوم على باشا مبارك كتب عنه أن المغفور له محمد على باشا جده ووسعه سنة ١٢٣٨ هـ (١٨٢٢ م) ، فإن طراز بنائه لا يتفق وطرأز أبنية محمد على باشا ، وعلى الأخص مدفن الأسرة المجاورة له ، كما أن الوثائق التاريخية التى تفضل المغفور له الأمير الجليل عمر طوسون

(١) تاريخ الاسرائيلين ص ١٤٩

(٢) تاريخ مختصر الدول ص ٦٩

(٣) الخطط الجديدة ، ج ٧ ص ٧٠

باعطائي نسخة منها أثبتت أن إنشاء مدافن الأسرة المجاورة للمسجد كان سنة ١٢٣٨ هـ ، وأن إصلاح المسجد كان سنة ١٢٦٧ هـ^(١) (ديسمبر سنة ١٨٥٠ م) . وصرف عليه ١٩٠ جنيها .

وعند ما حقق سمو الأمير في بحثه المنشور في الأهرام يوم ١٨ مارس سنة ١٩٣٠ عدم وجود النبي دانيال بالإسكندرية اعتمد في بحثه على ماجاء في تاريخ الرسل والملوك للطبري وعزز هذا الرأي بما كتبه ياقوت الحموي في معجم البلدان وأبي الفدا في تاريخه المختصر في أخبار البشر طبع مصر.



داخل المسجد

ولماني أدعم رأي سموه بما كتبه
كثير من المؤرخين المعتمد على رأيهم ،
فقد كتب مؤلف مراصد الأطلاع عن
السوس أنها «بلدة بخوزستان وجد فيها^(٢)
جسد دانيال فدفن في نهرها تحت الماء» .

وعند ما تكلم آبن العبري في تاريخه
عن دولة ملوك بني اسرائيل ذكر أنه^(٣)
«في السنة الثالثة من ملك يواقيم بن
يوشيا صعد بختنصر ملك بابل الى بيت
المقدس وسبها وجلا أكثر أهلها الى
بابل ومعهم دانيال النبي» .

وذكر الواقدي في فتوح الإسلام
لبلاد العجم أن أبا موسى الأشعري بعد

أن فتح السوس وجد خزانة مقلقة، ففتحها فوجد فيها حجرا طويلا على مثال الخوض ، وفيه رجل
ميت قد كفن بكفان منسوجة بالذهب فيكتب إلى عمر بن الخطاب يخبره ويطلب رأيه فأخبره
الإمام علي بأنه قبر النبي دانيال^(٤) ، فأمر سيدنا عمر بدفنه ، فطاب أبو موسى من أهل السوس أن
يحبسوا نهرهم إلى موضع آخر، ودفنه في قاع النهر، ثم أجرى النهر ثانيا .

(١) وثيقة رقم ٤٢٦ — ٢٣ صفر سنة ١٢٣٨ هـ من المخطوطات الملكية ، والأميرين رقم ٥٣ ، ٥٤ بتاريخ ١٩ ،
٢٩ المحرم سنة ١٢٦٧ هـ ٢٤ نوفمبر ٤ ديسمبر سنة ١٨٥٠ م .

(٢) مراصد الاطلاع ، ج ٢ ص ٦٧ (٣) تاريخ مختصر الدول ص ٦٩

(٤) فتوح الإسلام لبلاط العجم ص ٧٤ — ٧٥ مسالك الممالك للاصطخري . ص ٩٢

وفي فتوح البلدان للبلاذري أن فتح السوس كان في أواخر سنة ١٥ وأوائل سنة ١٦ هـ (٦٣٧م). ولما فتحها أبو موسى وجد في قلعتها بيتا وعليه ستر، فسأل عنه فقيل له : إنه جثة دانيال النبي ، فكتب إلى عمر بذلك ، فأمره بدفنه ، فدفنه في النهر ^(١).

وإذ أتينا من أقوال ثقات المؤرخين التي أجمعت على وجود النبي دانيال بمدينة السوس نبحث عن منشأ القول بوجوده بالإسكندرية ، وإلى أي تاريخ ترجع رواية وجوده في كوم الديماس .

لعل أول من ذكر أنه بالديماس ابن عطاء الله السكندري ، وقد أشار إليه تلميحا لا تصريحاً في رواية متناقضة ضمن الفصل الذي عقده عن علم أبي العباس المرسى ^(٢) وزهده إذ يقول : « ولقد أخبرني الشيخ مكين الدين الأسمر ^(٣) قال دخلت مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالإسكندرية بالديماس فوجدت النبي المدفون هناك قائماً يصلي ، عليه عباءة مخططة ، فقال لي : تقدم فصل . فقلت له : تقدم أنت وصل . قال تقدم أنت وصل : فإنكم من أمة نبي لا ينبغي لنا التقدم عليه ... » .

ويفهم من هذه الرواية وتضاربها أنها تتعلق بنبي يسبق العصر الإسلامي .

ولما تبعت أخبار الرحالة الإسلاميين الوافدين على الإسكندرية لم أجد أحدا منهم تعرض لذكر النبي دانيال ، وخاصة المتقدمين ، فلا الحافظ السلفي ، ولا ابن خزيمة ، ولا ابن جبير ، ولا أبو الحجاج يوسف بن محمد البلوي مؤلف كتاب ألف باء ، ولا ابن بطوطة ، ولا ابن فضل الله العمري ، إلا خالد بن عيسى البلوي في رحلته تاج المفرق في تحلية علماء المشرق ^(٤) ، فإنه بعد أن أشاد بذكر الإسكندرية وقت أن زارها سنة ٧٣٧ هـ (١٣٣٦ م) ذكر تلميحا وجود بعض الأنبياء إذ قال : وفيها تربة بعض الأنبياء — عليهم السلام — وترب بعض التابعين — رضوان الله عليهم أجمعين — .

وأول من ذكره تصريحاً غرس الدين خليل الظاهري ^(٥) نائب السلطنة بالإسكندرية المتوفى سنة ٨٧٣ هـ (١٤٦٨ م) إذ يقول : « وبها من المزارات والأماكن المباركة ما يطول شرحه ، منها مشهد دانيال عليه السلام » .

(١) فتوح البلدان ص ٣٧٨

(٢) لطائف المتن ص ٩٤

(٣) المكين الأسمر عبد الله بن منصور شيخ الإفرأ بالإسكندرية . توفي بها سنة ٦٩٢ هـ (١٢٩٢ م) . وفيه بجوار

مسجد باقوت العرشي . (٤) تاج المفرق في تحلية علماء المشرق .

(٥) كتاب زبدة كشف الممالك ص ٤١ طبع باريس .

هذا ما يتعلق بالنبي دانيال، ومنه يتبين أن إشاعة وجوده بالإسكندرية ترجع الى القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) ولم يأخذ بها أجلة العلماء. ويوجد بالموصل مدرسة عرفت بالنبي دانيال لوجود ضريح بها كان يقال إنه للنبي دانيال .

وقد لازمت هذا المسجد فكرة وجود قبر الإسكندر فيه ، فقد تقي المرحوم محمود باشا الفلكي في كتابه عن الإسكندرية المطبوع سنة ١٨٧٢ وجود النبي دانيال بالإسكندرية وقال : إنه توفي قبل إنشاء الإسكندرية بأكثر من ثلاث قرون ثم قال : إن القبر الذي يعزى إليه يمكن أن يكون قبر الإسكندر ، وتبعه في ذلك المغفور له الأمير عمر طوسون في بحثه الذي أشرت إليه ، إذ رجح أن القبر الموجود في مسجد النبي دانيال هو قبر الإسكندر .

وقد نحا هذا النحو مسيو بريشيا في مجلة الفن الحلى ، ثم في بحث له في آاب المتحف الحريكي الروماني الذي قزر فيه : « أن شكل مقبرة النبي دانيال غريب في الحقيقة عن الطرز الإسلامية ، ويرجع تصميمها إلى السرايب اليونانية كالتي آكتشفت بالشاطبي ، والأفوشي ، والورديان ... » . ثم نشر الدكتور إبراهيم الدسوقي في جريدة المقطم في يناير سنة ١٩٤٣ وفي نشرة خاصة لحضرته ملخصا لما كتبه المرحوم أن الفلكي باشا ، وحضرة صاحب السمو الأمير الجليل عمر طوسون ، والدكتور بريشيا والأب لويس عضو الجمعية الأثرية بالإسكندرية من أن الإسكندر مدفون في مسجد النبي دانيال ، وأن ضريح النبي دانيال جدير بالبحث وأستخراج الجثث التي به لفحصها عليها .

وبناء على طلب المرحوم الأمير الجليل عمر طوسون وافق المرحوم عبد الهادي الجندي باشا وزير الأوقاف وقتئذ على البحث في مقبرة النبي دانيال ودراستها ، فتفضل سموه وعهد إلى بهذا العمل في شهر فبراير سنة ١٩٤٣

وقبل الدخول في تفاصيل أعمال الحفر نلقى نظرة على أقوال المؤرخين الإسلاميين الذين ذكروا قبر الإسكندر، فنجد أن أقدم مؤرخ إسلامي وصف قبره هو المسعودي ، فقد وصفه على ما كان موجودا عليه سنة ٣٣٢هـ (٩٤٣م) غير أنه لم يحدد موضعه ، ولم يقل إنه بالديماس ، فإن صحت مشاهدة المسعودي له فإني أرجح أنه لم يكن بالديماس في ذلك الوقت لسبيين وجيهين :

(١) مخطوطات المومل ص ٢٠٤ (٢) Mémoire sur l'Antique Alexandrie p. 51-24.

(٣) ص ٥٧٧ عدد ١٣٤ وفيها صورة لقبة والمئارة قبل هدمها .

(٤) مروج الذهب طبع بولاق ، ج ١ ص ١٤١

(أولاً) أن الحافظ^(١) السلفي ذكر الدير كقبرة إسلامية في غير موضع من معجمه ، كما سيأتي بيانه ، وذلك في مبدأ القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) ولم يذكر شيئاً عن قبر الإسكندر .
(ثانياً) أن العلامة محمد بن خزيمه^(٢) الذي قدم الإسكندرية سنة ٥٦٠ هـ (١١٦٤ م) وصف أسوارها ومساجدها ومسلاتها ، ووصف الدير وجامع العسليه بحرى طرف الكوم قصر مغلق قيل إنه « وذكروا أنه كان بقرب كوم ديماس وجامع العسليه بحرى طرف الكوم قصر مغلق قيل إنه كان به رصد يجمع الكتاسة من البلد على كوم الدير » .
فلو كانت مقبرة الإسكندر موجودة لذكرها كذكره لجامع العسليه ، ولو كانت هناك وأندثرت لذكرها كذكره للقصر .

ومن الغريب بل ما يوجب الشك أن المسعودي يصف القبر سنة ٣٣٢ هـ (٩٤٣ م) ويأتي بعده القضاعي بنحو ١٢٠ سنة فيصف أعلام الإسكندرية ولم يذكر قبر الإسكندر . وبعد القضاعي أبو الجحاج يوسف بن محمد البلوي الذي زار الإسكندرية سنة ٥٦٢ هـ (١١٦٧ م) ووصف المنار أحسن وصف ، كما وصف مسجد سليمان^(٣) ، فإنه لم يتعرض لقبر الإسكندر .
ومثله ابن جبير الذي زار الإسكندرية سنة ٥٧٨ هـ (١١٨٢ م) وعبد اللطيف البغدادي المتوفى سنة ٦٢٠ هـ (١٢٢٣ م) فإنهما وصفا عمود السورى والمنار ، ولم يتعرضا لقبر الإسكندر .

وها هو ياقوت الحموي^(٤) المتوفى سنة ٦٢٦ هـ (١٢٢٨ م) يقرر صراحة رأيه في الإسكندرية بقوله :
« وقد دخلت الإسكندرية وطوقتها فلم أر فيها ما يجب منه إلا عموداً واحداً يعرف الآن بعمود السورى تجاه باب من أبوابها يعرف بباب الشجرة ، ثم وصف المنار ورسمه ، وختم وصفه بقوله : فهذا الذى شاهدته وضبطته ، وكل ما يحكى غير هذا فهو كذب لا أصل له » .

وهكذا مؤرخو ورحالة القرنين الثامن والتاسع الهجري (الرابع عشر والخامس عشر الميلادي) مثل ابن بطوطة ، والبلوى صاحب تاج المفرق ، وابن فضل الله العمري مؤلف كتاب مسالك الأبصار ، والمقرئى ، وابن دقاق ، وخاصة نائب الاسكندرية غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري فإنه وصف الإسكندرية ومعالمها ، ولم يتعرض لقبر الإسكندر .

(١) الحافظ السلفي ، هو الفقيه أبو طاهر أحمد بن محمد بن سلفة ، أصماني الأصل ، قدم الإسكندرية سنة ٥١١ هـ (١١١٧ م) وبن بها إلى أن توفي سنة ٥٧٦ هـ (١١٨٠ م) . (٢) كتاب فضائل الإسكندرية ، مخطوط . (٣) ألف با ، ج ٢ ص ٥٣٦ — ٥٣٧ . (٤) معجم البلدان ، ج ١ ص ٢٤١ — ٢٤٣ .

وكذلك رحالة القرن السادس عشر الميلادي لم يذكره أحد منهم لا تلميحا ولا نصريحا ، فلو كان قبر الإسكندر موجودا وذكره مؤرخ سابق لقلوا عنه مثل ما قلوا وصف المنار ، وأيضاً فإن كثيراً من زائري الإسكندرية من الأجانب في القرن الخامس عشر لم يذكروا قبر الإسكندر ، بل بنا وصفوا المنار وعمود السواري ، ومنهم سبرياك دي انكوناه الذي زارها سنة ١٤٣٥ م . فإنه لم يصف سوى منارة فاروس والمسلات وعمود السواري ، وكذلك برناردى بريد نبخ .^(١)

وقد ذكر ليون الإفريقي في القرن الخامس عشر أنه رأى أهالي الإسكندرية يعظمون قبر الإسكندر كتعظيمهم للنبي .^(٢) وفي سنة ١٥٤٦ م ذكر مارمول أنه شاهده في وسط المدينة قريبا من كنيسة سان مارك .^(٣) ويقول على باشا مبارك : « وفي القرن الخامس عشر ليلاد كانت أهالي الإسكندرية تفرج السائحين على قبر إسكندر ، لكن من أين لنا أنه القبر الحقيقي » .^(٤)

وأقتصر بعض رحالة القرنين : الخامس عشر والسادس عشر من الأجانب على ذكره يمعلى أرجح أنهم زاروا ضريح الإسكندر الموجود حتى الآن بشارع مشمش البصل قسم اللبان بتضليل من عوام الإسكندرية ، وهذا ليس بمستغرب ، فأننا حتى اليوم نجد من يقول على جوهر الفتنباوى المدفون بمدرسته بالأزهر أنه جوهر الصقلي ، وإن عبد الله بن عمرو بن العاص مدفون في جامع عمرو ، وكالأضرحة المزعومة في المساجد مثل سيدي محمد الأقمر في الجامع الأقمر الذي أنشأه الأمر بأحكام الله ، وغير هذا كثير ، وكلها أضرحة مفتعلة ومكذوبة للاستجداء عليها .

وإني أكتفى بهذا القدر من الناحية التاريخية ، منتقلا إلى الناحية الفنية .

البحث في مقبرة النبي دانيال . — على هدى المغفور له سمو الأمير عمر طوسون وإرشاداته القيمة بدأت أعمال الفحص والتنقيب بمقبرة النبي دانيال ، وقد تفضل سموه وأرشدني إلى أن العمود القائم بجوار مسجد عبد الرزاق تجاه مسجد النبي دانيال قائم على منسوب الإسكندرية القديم ، وهو ينخفض عن شارع النبي دانيال بمقدار ستة أمتار .

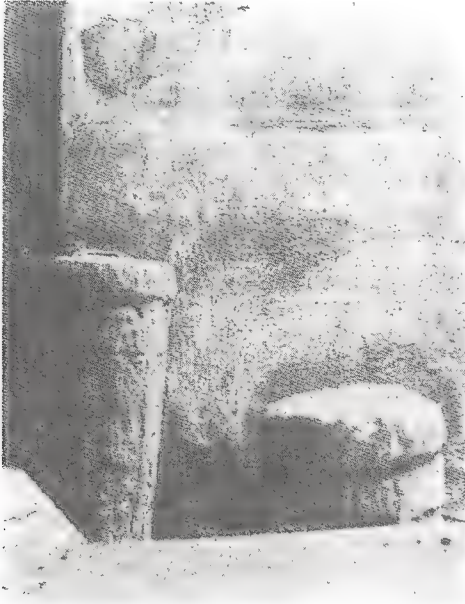
وأول شيء قمت به هو فحص طراز البناء في عقود المتز الموصل لمقبرة النبي دانيال ومقرنصات المنور المشتمل أعلى القبر المزعوم ، وعقود الإيوانات حوله والقبة القديمة التي كانت تملؤه ، وأنهت إلى أن مجموعة هذه المباني لا يزيد عمرها على مائتين وخمسين عاما تقريبا .

(١) الإسكندرية ص ٤١ . (٢) المخطط الجديدة ج ٧ ص ٤٢ .

(٤) المخطط الجديدة ج ٧ ص ٣١ .

وقد تبين أن الأرضية الخشبية للضريح على عمق ٢,٣٦ مترا من شارع النبي دانيال، وأن الدهليز مكون من أربعة عقود مصلبة، تنتهي إلى مربع يحيط به ثلاثة إيوانات معقودة، بالشرق منها محراب على سمت محراب المسجد، ويعملوا المربع مثنى به مقرنصات متأخرة الصنعة، كانت تعلوه قبة لم يبق سوى قاعدتها بالمقرنصات.

أما القبة فقد هدمت منذ زمن غير بعيد، ويتوسط هذا المربع تابوت خشبي، يجاوره في الناحية القبلية الغربية تابوت آخر أصغر منه كتب عليه أنه قبر الحكيم لقمان، كما كتب على ستر التابوت الكبير « قبر النبي دانيال ».



بدأت برفع الستر ثم الصندوق الخشبي الموضوع على قبر النبي دانيال، فوجدت تركيبة حديثة مبنية بالطوب، مستنمة على مثال القبور الحديثة بالإسكندرية، وعلى غير اتجاه القبور الإسلامية، كما لاحظت حضرة صاحب السمو الأمير، ولا توجد عليها نصوص تاريخية.

ثم آخبرت تربة الأرض، فسمعت لها ردينا يؤكد أنها مردومة وليست طبيعية، ثم رفعت الستر والصندوق عن قبر الحكيم لقمان، فلم أجد تركيبة،

بل وجدت رأسى عمودين مطموذين متجاورين في وضع غير مألوف في القبور كما هو واضح في الصورة الفتوغرافية، وكان ظاهرا من أحدهما ٣٢ سم، ومن الآخر ٥٠ سم. وبالحفر حولها في حفرة مساحتها ١ × ١ × ٢ متر استخرجت أطلها وطوله ٦٥ سم. ومكتوب عليه بالخط الكوفي آية من القرآن وقد تشوه، فقرأت تاريخه بما نصه: ... « الجمعة مستهل ربيع الآخر سنة عشرين وخمسة مائة هـ ».

ثم استخرجت العمود الثاني وطوله ١,٣٢ متر وقطره ٢٦ سم، فإذا به شاهد مكتوب عليه بالخط النسخ أحد عشر سطرا نصها:

« بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله يدشرهم ربه برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبدا إن الله عنده أجر عظيم » . إن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر . توفي الشيخ أبو القاسم بن أبو الحسن بن أبو القاسم الباجي في شهر جمادى الآخر من سنة إحدى وستين وخمسمائة رحمة الله عليه وعلى جميع المسلمين آمين وصلى الله على سيدنا محمد وصحبه وسلم وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » .

ولهذا الشاهد أهمية كبيرة لدى الأثرين ، إذ أنه يعد من بواكير استعمال الخط النسخ في كتابة النصوص التاريخية بمصر . ثم واصلت الحفر الى نحو ١,٦٠ متر تقريبا فوجدت الأرض مردومة



بأنقاض مختلفة وبها بقايا جدار معلق ؛ ثم أستخرجت منها جزءا من شاهد مكتوب عليه بالخط الكوفي ما نصه :

« ... الحساب — ابنة نصر مولى
عبدالله بن محمد تشهد ألا إله إلا الله وحده
لا شريك »

وقاعدة كتابة هذا الشاهد ترجع الى القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) ، ثم واصلت الحفر الى نحو مترين فلم أجد سوى ردم . وفي الواقع فإن هذه الحفرة كانت بمثابة مجس للمقبرتين المزعومتين لأنهما متجاورتان .

مقرنصات المنور

ثم اتجهت لفحص الصريح الملاصق للإيوان الغربي للمقبرة فوجدت بأرضيته بخوة توصل الى الطابق الأسفل له ، ووصلنا في الحفر فيه الى عمق ثمانية أمتار ، أى أعمق من مستوى العمود أمام مسجد عبد الرزاق بمتريين واستخرجنا من أعمق نقطة فيه بقايا عمودين من الرخام الأخضر الداكن مقاس أحدهما ١٧ سم ، والآخر ٤٠ × ٩ سم .

ثم فتحت بخوتين في الجدار الشرق للصريح متجهها لمقبرة النبي دانيال ، فانتضح أن ما خلفهما ردم ، كما استخرجت قطعة صغيرة من الرخام بها حروف كوفية وزخارف فاطمية .

وقد تحقق ما ذهب إليه من أن هذا الصهرنج أجريت فيه أبحاث، فقد نشر مسيو برنشيا نتيجة فحصه له وللجسات التي أجراها خارج الصهرنج . غير أني خرجت من فحص هذا الصهرنج بنتيجة ثابتة عن تطورات ارتفاع الأرض في هذه المنطقة ، لوجود ثلاث فتحات لهذا الصهرنج بعضها فوق بعض : العليا مع مستوى شارع النبي دانيال ، والوسطى مع مستوى الأرض الخشبية للقبرة ، والسفلى — وهي أقدمها — على عمق نحو مترين تقريبا من الوسطى .

وبعد التحقق من أن أرضية المقبرة المزعومة ردم لا قبور فيها، قمنا بحفر في الإيوان الغربي من الصهرنج على مقربة من تربة النبي دانيال ، وواصلت الحفر إلى منسوب الإسكندرية ، فانضح أن الأرضية مردومة ، وبها بقايا جدران علفت أسسها على ارتفاعات مختلفة ، كما وجدت أرضية في جزء منها وعظاما قليلة مبعثرة في الردم .

وعلى عمق مترين استخرجت عمودا من الرخام مطموزا مقاس 70×14 سم مشوها مكتوبا عليه بالخط النسخ :

«بسم الله الرحمن الرحيم ، كل من عليها فان ... الآية ... توفى العبد الفقير إلى رحمة الله عبد ال ... الجمعة مستهل شهر ... سنة أربعة عشر وسبعماية » .

وفي هذه الحفرة وعلى عمق ٢,٢٠ متر اتجهت مشرقا إلى أن وصلت تحت القبر المزعوم بعد أن استخرجت كثيرا من اللبش المرصوص بدون مونة ، إلى أن تحققت من عدم وجود قبور، لا قديمة ولا جديدة .

وعلى عمق ٣,١٠ متر ظهرت بقايا أبنية مستديرة لعلها بقايا بئر مطمورة فيها عمود من الرخام على غير استقامته ، وقد دل هذا الحفر بوضوح على أن هذه المنطقة نبشت عند تشييد هذا المسجد ، لأن جدران الصهرنج الحالي علفت على عمق بسيط ، ومن المحقق أنه عند حفر الأساس عثر على قبور وشواهد ، فطمرت على ارتفاعات مختلفة ، وهذا يدل دلالة قاطعة على أن هذه البقعة استعملت مقبرة إسلامية منذ ألف سنة على الأقل بدليل :

(١) العثور على شاهد قبر مكتوب بالخط الكوفي في القرن الرابع الهجري .

(٢) العثور على شاهد قبر مؤرخ سنة ٥٢٠ هـ (١١٢٦ م) .

(٣) العثور على شاهد قبر مؤرخ سنة ٥٦١ هـ (١١٦٥ م) .

(٤) الشاهد المودع بالمسجد المؤرخ سنة ٥٩١ هـ (١١٩٥ م) باسم ظافر بن جماعة بن شعيب . ونصه : « بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد كل نفس ذائقة الموت — الى — فن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز . توفي سيدى ظافر ابن جماعة بن شعيب فى العشر الآخر من ربيع الآخر سنة إحدى وتسعين وثمانمائة رحمه الله وإيانا وجميع المسلمين آمين » .

(٥) الشاهد المودع بالمسجد المؤرخ سنة ٦٣٣ هـ (١٢٣٥ م) باسم أبو الفقى الفاسى . ونصه : « بسم الله الرحمن الرحيم كل من ... ويبقى وجه ربك ذو الجلال وإ ... الصالح أبو الفقى أبو ب ... الفاسى توفي فى شهر محرم سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة قدس الله روحه ونفع به حيا وميتا » .

(٦) العثور على شاهد قبر مؤرخ سنة ٧١٤ هـ (١٣١٤ م) . هذا عدا شواهد أخرى مكتوبة بالخط الكوفى نقلت الى دار الآثار العربية سنة ١٩٠٢

فإن جاز القول بأن بعض هذه الشواهد مثل القطع الصغيرة نقل وطمر للردم فإنه لا يجوز مطلقا أن يقال ذلك على العمدة الضخمة الثقيلة .

ويؤيد استعمالها مقبرة إسلامية عدا الشواهد المستندات التاريخية الجديدة التى استخرجتها من معجم السلفى الذى قدم الإسكندرية سنة ٥١١ هـ (١١١٧ م) وأقام بها إلى أن توفي سنة ٥٧٦ هـ (١١٨٠ م) ، فقد ذكر فيه من لقيه من علماء الإسكندرية وغيرها ، وتاريخ وفاتهم ، ومنهم من دفن فى مقبرة وعلة ^(١) ، ومنهم من دفن فى مقبرة باب البحر ^(٢) ، ومنهم من دفن فى مقبرة الديماس ^(٣) (هذه المنطقة) ، وهم :

- (١) الفقيه هبة الله بن المحسن المتوفى سنة ٥١٤ هـ (١١٢٠ م) دفن بالديماس .
- (٢) أبو الحسين يحيى بن عبيد بن سمادة الحضرمى المعروف بالعداس وبالجلبانى . توفي فى آخر صفر سنة ٥٢١ هـ (١١٢٧ م) ودفن بمقبرة الديماس .
- (٣) القاضى أبو طالب أحمد بن عبد المجيد بن حديد قاضى الاسكندرية المتوفى فى جمادى الآخرة سنة ٥٢٩ هـ (١١٣٥ م) صلى عليه فى مقبرة الديماس .

(١) مقبرة وعلة : كانت داخل الدور قبلى الباب الأخضر ، وهى المنطقة الموجود فيها الآن مسجد الطرطوشى فى حى باب الكراسته .

(٢) مقبرة خارج باب البحر — المنطقة الموجود فيها مسجد أبو العباس المرسى .

(٣) هذه التراجم مستخرجة من نسخة مأخوذة بالفتوغراف من كتاب معجم السلفى تنقص الأزل والآثر ومحفونة فى دار الكتب المصرية تحت رقم ٣٩٢٢ تاريخ فى مجلد ١٠ .

- (٤) أبو الحسن علي بن يحيى الكاظمي الجلالى المعروف بالناهض المتوفى في آخر المحرم سنة ٥٣٣ هـ (١١٣٨ م) دفن بمقبرة الديماس .
- (٥) العلامة ابن العريف المتوفى في المحرم سنة ٥٣٧ هـ (١١٤٢ م) دفن بمقبرة الديماس .
- (٦) ياقوت مولى أبي طالب الهيتى التاجر المتوفى في رجب سنة ٥٣٩ هـ (ديسمبر سنة ١١٤٤ م) دفن بمقبرة الديماس .
- ومن دفن بالديماس أيضا الشيخ المعتقد المجذوب نهار المغربى الإسكندرى المتوفى يوم الاثنين ٢٦ جمادى الأولى سنة ٥٧٨٠ هـ (١٣٧٨ م) فانه دفن بقبرة بالديماس^(١) .
- والآن وقد أثبت التاريخ والحفريات أن الديماس أو على الأصح هذا الجزء منه أستعمل مقبرة إسلامية منذ ألف سنة ما زالت موجودة ، كما أنشئ به غير مسجد ، وأن الحفريات أثبتت أن الجزء الموجود فيه المقبرة المنسوبة خطأ إلى النبي دانيال نبش وطمرت شواهده وعظامه عند تشييد البناء الحالى .
- فاذا صح أن الإسكندر دفن بالسوما^(٢) فيكون في نقطة أخرى منها غير مسجد النبي دانيال .

(١) المنهل الصافي لابن قنرى بردى ، خط ، النجوم الزاهرة ج ٥ قسم ٢ ص ٣٣٦ طبع كفرنيا .

(٢) السوما — أى الجسد قسم من السرايات الملوكية . قال استرابون : وهو عبارة عن سور يحيط بقبور الملوك وقبر الإسكندر .

ومما قاله بعض المؤرخين . إن موضع سوما هو في أسفل التل المشيد فوقه حصن كوم الديماس . ويرى المرحوم محمد بك مسعود أن لفظة سوما أو سوماس اليونانية تشبه في النطق تقريبا لفظة ديماس العربية التى أغلب حروفها مثل أغلب حروف الأخرى ، وكانت لفظة سوماس تطلق على هذا المحل نفسه ، إلى أن دخلت العرب مدينة سكندرية فتحرفت هذه الكلمة وصارت ديماس (ص ١١٥ النعمة الدهرية) .

مسجد كريم الدين الخلوتي

هذا المسجد بشارع البرموني عند تلاقيه بشارع الخليج المصري عند قنطرة سنقر .

الخلوتي — هو الشيخ محمد بن أحمد بن محمد كريم الدين الخلوتي . ولد سنة ٨٩٦ هـ (نوفمبر سنة ١٤٩٠ م) ونشأ نشأة صوفية فصار يحضر مجالس الذكر ليؤشد فيها ، إذ كان حسن الصوت ، وقد أخذ عن الشيخ دمرداش الذي عطف عليه وقربه منه وتلقى عنه علوم الأوقاف والحرف والزاجرة والربل ، فأقننها وتلقى نجمه ، حتى آتته اليه الرياسة في طريق الخلوتية ، وكثر تلامذته ، وحسن اعتقاد الناس فيه ، وأقام في زاوية بالقرب من قنطرة سنقر إلى أن توفي إلى رحمة الله تعالى في جمادى الآخرة سنة ٩٨٦ هـ (١٥٧٨ م) عن نحو تسعين سنة ، وكثر أسف الناس عليه ، وبعد الصلاة عليه في الجامع الأزهر ^(١) دفن بهذا المسجد .

وقد اتخذت زاويته مقرا للخلوتية ، ومدفنا لبعض مشايخها ، فقد زارها سنة ١١٠٥ هـ (١٦٩٤ م) الرحالة عبد الغني النابلسي ، وذكر من دفن بها بقوله :

« ... مررنا على جامع الخلوتية ، فدخلنا إليه ، وزرنا هناك قبور الخلوتية الدمرداشية وهم : الشيخ كريم الدين ، والملقب بكوز البغا ، والشيخ عبد الجواد ، والشيخ أحمد ، والشيخ محمد ، والشيخ محمد ماميه والد الشيخ عبد الرحمن الخلوتي ، فقرأنا لهم الفاتحة ، ودعونا الله تعالى » .

ووجود اسم « كوزلبغا » ضمن من ذكر في هذه الأسماء له أهمية كبيرة ، فقد لفت النظر إلى أن جامع الخلوتية هو الجامع الذي أنشأ في هذه المنطقة كوزلبغا في دولة الظاهر جقمق ، فقد ترجمه السخاوي وقال عنه :

« وخدم عند فيروز الساقى ، ثم توجه للعبادة والتلاوة ، وبني جامعا على الخليج الحاكي بالقرب من شق الثعبان ، وقنطرة سنقر وأتقطع به إلى أن مات في أيام الظاهر جقمق » وهذا التحديد ينطبق على الموقع الموجود فيه المسجد الحالى .

(*) انظر الصور من رقم ٢٤٧ — ٢٤٨ بمجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) المخطوط الجديدة ، ج ٤ ص ١١٠ (٢) الحقيقة والجواز ، ص ١٢٩ (٣) الفؤاد اللاحق ، ج ٦

ص ٢٢٧ ، والمقرئ ، ج ٢ ص ٣٣١

وفي سنة ١١٧٣ هـ (١٧٥٩م) جدد المسجد الأمير إيواز بك، ولم يبق من المسجد القديم الذي أنشأه كوزلبغا إلا الجزء الأسفل من المنارة حتى الدورة الأولى .

ومكتوب بحزامها : « بسم الله الرحمن الرحيم ، يا أيها الذين آمنوا أذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا (الآية) . صدق الله العظيم وبلغ رسوله الكريم » .

وباقى المنارة يرجع الى تجديد إيواز بك ، كما أن الباب الخارجى للمسجد والوجهة المتصلة به أحدث عهدا من عمارة إيواز بك ، وقد عني إيواز بك بنحرفة بابه الأوسط بالنقوش والكتابات ، والقاشانى ومكتوب عليه :

بالحسين آل بيت طاهر * لذ تعط ما ترجوه من مفائر
فالخلوقى ذو التقي لما بهم * لاذ آرتقى فى كل سر باهر
مسجده قد زاد فى إشراقه * نورا بديعا حسن المآثر
جده من قد أنير قلبه * فقلت منشدا بقول ظاهر
ياسعد إيواز فقد أرخته * أبشر بعفو من معز قادر

(١١٧٣)

وداخل المسجد يتكون من ثلاثة إيوانات تحدد بصحن مكشوف ، أكبرها الإيوان الشرقى المشتمل على ثلاثة أروقة بها ستة عمد رخامية والجانين القبلى والبحرى من رواق واحد ، وداخل هذا المسجد تسوده البساطة ، شأن مساجد ذلك العصر ، ويستريح النظر فى هذا الإيوان أشتماله على محرابين : أحدهما يمين المنبر ، ويتألف من قطعة واحدة من حجر البازلت الأسود ، لعلها كانت غطاء لتابوت مصرى . ويعلموه تربية حديثه من القاشانى ، منقوش بها بيت ريفى وشجرة وحولها ترابيع صغيرة من القاشانى .

أما الإيوان الغربى فقد حل فى قسم منه باب يوصل الى باب المنارة والى قبة كبيرة أقيمت على عقود حليت أركانها بمقرنصات . وتحته هذه القبة وفى الحجره غربيا قبور كريم الدين الخلوقي ، والشيخ عبد الجواد ، والشيخ عبد الرحمن الخلوقي وغيرهم ولا شك أن كوزلبغا مدفون مع هؤلاء على مارواه التابلسى الرحالة .

مسجد السيدة عائشة

بشارع السيدة عائشة

السيدة الشريفة عائشة بنت جعفر الصادق ابن الإمام محمد الباقر ابن الإمام علي زين العابدين ابن الإمام الحسين ابن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وهى أخت الإمام موسى الكاظم رضى الله عنه .

كانت رضى الله عنها من العابدات القانتات المجاهدات ، ويؤثر عنها أنها كانت تقول مخاطبة المولى جل شأنه : وعزتك وجلالك لئن أدخلتني النار لآخذن توحيدى بيدي وأطوف به على أهل النار وأقول لهم : وحدته فعدّبتى . وقد نُوفيت الى رحمة الله تعالى سنة خمس وأربعين ومائة^(١) .

هذه ترجمة موجزة لسيدة من آل البيت النبوى الكريم ، شرف جثمانها الطاهر أرض مصر ، ووجدنا منذ ستمائة سنة شبه إجماع على وجودها بمصر ، فترى ابن الزيات وهو خير من ألف فى أعلام القرائن الكبرى والصغرى يقول عند ذكره مشاهد باب القرافة : « وأصح ما بالحومة مشهد السيدة عائشة لها نسب متصل بالإمام الحسين بن علي بن أبي طالب^(٢) » .

وتبعه السخاوى فى كتابه « تحفة الأحباب » فى التصديق على أنها بمصر ، وأنه عين قبرها فى تربة قديمة على بابها لوح رخامى مكتوب عليه : « هذا قبر السيدة الشريفة عائشة من أولاد جعفر الصادق ابن الإمام محمد الباقر ابن الإمام علي زين العابدين ابن الإمام الحسين ابن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه . نوفيت سنة خمس وأربعين ومائة من الهجرة^(٣) » .

وتبعهما الإمام الكبير الشيخ عبد الوهاب الشعرانى فذكرها ضمن عباد النساء بقوله : « ومنهن السيدة عائشة بنت جعفر الصادق رحمها الله المدفونة بباب القرافة بمصر رضى الله عنها^(٤) » .

وقد لخص المرحوم على باشا مبارك مجموعة من آراء المؤرخين ، وسردها بقوله : « قال الشعرانى فى منته : « أخبرنى سيدي على الخواص رضى الله عنه أن السيدة عائشة رضى الله عنها أبنة جعفر

(١) طبقات الشعرانى ، ج ١ ص ٧٦ ، العدل الشاهد ص ٩٤ ، شاهد الصفا فى المدفونين بمصر من آل المصطفى ،

الإحفاف بحب الأشراف للشبراوى ص ٩٧ (٢) الكواكب البارة فى ترتيب الزيارة ، ص ١٨٥

(٣) ورقة ٤٢ تحفة الأحباب للسخاوى نسخة المرحوم أحمد زكى باشا التى أشار إليها فى بحثه المنشور فى الأهرام يوم

٢ أغسطس سنة ١٩٣١ روى نسخة صحيحة . (٤) طبقات الشعرانى ، ج ١ ص ٧٦

الصادق في المسجد الذي له المنارة القصيرة على يسار من يريد الخروج من الرملة إلى باب القرافة «
وهي السيدة عائشة بنت جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين وأخت موسى الكاظم،
قال المناوي كانت من العابدات : ماتت سنة خمس وأربعين ومائة^(١) .

ومن هذا نرى أن مؤرخي مصر ممن عنوانهم هذه الناحية أجمعوا تقريبا على أنها شرفت مصر
وتوفيت سنة ١٤٥ هـ (٧٦٢ م) .

تاريخ المسجد — أنشأ هذا المسجد الأمير الكبير عبد الرحمن كتبخدا سنة ١١٧٦ هـ
(١٧٦٢ م) .

والأمير عبد الرحمن كتبخدا هو آبن الأمير عثمان كتبخدا تابع حسن جاويز القازدغلي، آلت إليه
ثروة والده وكانت شيئا كثيرا، ثم سافر إلى الحج سنة ١١٥٥ هـ (١٧٣٩ م) .

وفي سنة ١١٦١ هـ (١٧٤٨ م) حين كتبخدا بمصر وبقي في هذه الوظيفة سنتين سار فيها سيرة حسنة
فأبطل المنكرات . وكان عبا للخير رصد الكثير من ثروته على الفقراء للنفقة عليهم وكسوتهم صيفا
وشتاء ، وكانت له عناية كبيرة بالجامع الأزهر وطلبته ، فقد زاد فيه وأصلحه ووقف عليه خيرات
كثيرة، كما أمد به مدفنا له ، دُفن فيه لما توفي في صفر سنة ١١٩٠ هـ (١٧٧٦ م) .

وكان مغرما بالمعارة خيرا بالهندسة فأنشأ القناطر والدور والمساجد والزوايا والربط والأسبلة
والأحواض والرباع والأسواق في أنحاء القاهرة، ما زال اسمه مسطورا على مجموعة كبيرة منها .

وكان يعتمد على خبرته في مواصفة وتنفيذ منشآته المعمارية التي أمتازت بالقوة والجمال وكثرة
الزخارف ودقتها بحيث ميزتها على جميع منشآت عصره . وكانت له عناية خاصة بالمشاهد المنسوبة إلى
أهل البيت وتجديدها ، فقد جدد المسجد الحسيني ومشاهد السيدة زينب ، والسيدة سكينة ، والسيدة
نفيسة ، والمشهد المعروف بالسيدة عائشة ، وغيرها من المزارات . والمساجد الكبيرة^(٢) ، وقد كان لهذا
المشهد نصيب من عنايته ، ولا تزال أعماله باقية حتى الآن .

ولهذا المسجد وجهة غربية أشتملت على باين تقوم بينهما المنارة ، والباقي منها دورتها الأولى .
وقد كُتب على عتب الباب البحري ما نصه :

(١) المخطوط الجديدة ، ج ٥ ص ٤٣ — ٤٤ ، إسراف الراغبين ص ٨٦

(٢) الجبرق ، ج ٢ ص ٦

مسجد أسسه النبي فتراه * كبدور تهدي بها الأبرار
وعباد الرحمن قد أترخوه * تتللا بحيه الأنوار

١١٧٦



باب المسجد الموصل للقبّة

ومن هذا الباب يتوصل الى داخل المسجد ، وقد عمر سنة ١٣١٤ هـ (١٨٩٦ م) .

أما الباب الثاني فتوجد على يساره المنارة ، ومكتوب عليه :

بمقام عائشة المقاصد أترخت * سل بنت جعفر الوجيه الصادق

١١٧٦

وهذا الباب يؤدي إلى طرقة على يسارها باب له عقد تحيط به كرائش متعرجة يؤدي إلى المسجد وبصدرها باب القبة مكتوب عليه :

لعائشة نور مضى، وبهجة * وقبتها فيها الدعاء يحيا

وهي من القباب البسيطة تسودها البساطة من الداخل والخارج ، فرشت أرضيتها بالرخام الملون، وتوسطها مقصورة خشبية حول القبر الشريف .

ومن المريح وجود حجرة تحت أرضية هذه القبة تضم تابوتا أثريا، كما هو مألوف في كثير من المشاهد ففي سنة ١٩١٣ قامت لجنة حفظ الآثار العربية بفحص قبة محمد الأنور بإشراف الخليفة ، وكانت من القباب الفاطمية، وقد تبين أنها لبأ. جددت سنة ١١٩٥ هـ (١٧٨١ م) احتفظ بقاعدة القبة القديمة وبالقبر بها ، وعملت أرضية جديدة ، وجد الفرق بين الأرضيتين ٣,٠٠ متر وكذلك الحال في المشهد الحسيني كما سبق شرحه . ولعل الظروف تساعد على التحقق من ذلك .

ورحم الله أحمد زكي باشا فقد سبقنا إلى تحقيق هذا المشهد ، ونادى على رؤوس الأشهاد بقوله : إن المشهد القائم في جنوبي القاهرة باسم السيدة عائشة النبوية هو حقيقة مشرف بضم جثمانها الطاهر، وفيه مشرق أنوارها ومهبط البركات بسببها .

عناية الملك الصالح فاروق الأول بالمسجد — ولما أدى فيه حضرة صاحب الجلالة الملك الصالح فاروق الأول فريضة الجمعة يوم ٨ المحرم سنة ١٣٥٩ هـ (١٦ فبراير سنة ١٩٤٠ م) أمر بإصلاح المسجد والعناية به ، فنفذت رغبة جلالاته السامية .

وقد تناولت أعمال الإصلاح إصلاح الأبواب ودكة المبلغ ، وعمل منبر له ، ونقشت مقوفه بزخارف عربية ملاونة ، وأحيطت جدران المسجد بوزرة خشبية ملاونة تقليدا للرخام ، كما نقش المحراب بالبوية الملاونة محاكاة للمحارب الرخامية . وكتب بوسطه قوله تعالى « قد نرى قلب وجهك في السماء فنؤيئك قبلة ترضاها » :

مسجد البيومي

بشارع البيومي^(١)

الشيخ عليّ البيومي — هو الإمام الولي الصالح المعتقد العالم العامل الشيخ علي بن حجازي ابن محمد البيومي الشافعي الخلقوي، ثم الأحمدي، ولد تقريبا سنة ١١٠٨ هـ (١٦٩٦ م) وحفظ القرآن وطلب العلم، وأستمع إلى دروس علماء وقته، وأخذ طريقة الخلوتية عن السيد حسين الدمرداشي العادلي، وسلك بها مدة، ثم أخذ طريق الأحمدية، وكثر تبعه، فصار للناس فيه اعتقاد عظيم، وأتبع كثير من الناس طريقته وأذكاره.

وكان يعقد حلقات الذكر هو وأتباعه في جامع الظاهر ببيرس بميدان الظاهر لقربه من داره بالحسينية، ثم أخذ يعقدها في المشهد الحسيني كل ثلاثاء من كل أسبوع، ولم يصرفه سلوك هذا الطريق عن العلم، بل واصل الاشتغال به، وترك مؤلفات منها: شرح الجامع الصغير، وشرح الحكم لأبن عطاء الله السكندري، وشرح الإنسان الكامل للجليل، وله مؤلف في طريق الخلوتية الدمرداشية ألقه سنة ١١٤٤ هـ (١٧٣١ م)، وشرح الأربعين النووية، ورسالة في الحدود وشرح على الصيغة الأحمدية وعلى الصيغة المطلسة.

وما يؤثر عنه أنه كان إذا تكلم في التصوف أفصح في البيان، وأستحوذ على أذهان سامعيه، وكان ملبسه صيفا وشتاء لا يمدو جلبابا أبيض وطاقيه بيضاء يعم عليها بشملة حمراء، وإلى الآن نرى أتباع طريقته يتمنون بهذه العاثم.

وقد بلغ من حسن اعتقاد الناس فيه أن تاب كثير من العصاة واللصوص على يديه، وأتبعوا طريقته، فكان إذا قدم إلى المشهد الحسيني يشور في الذكر حتى يصير كالوحش، وفي غاية القوة، فإذا جلس بعد الذكر عاد إلى حالته هادئا رزينا.

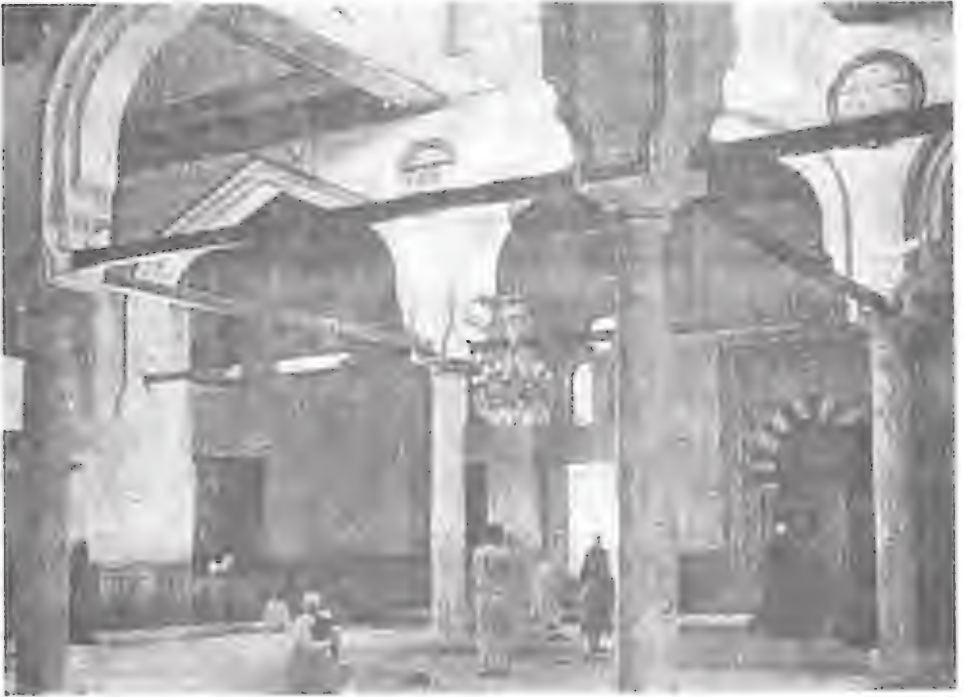
وكان الشيخ عبد الله الشبراوي شيخ الجامع الأزهر يعتقد فيه، ويرى أنه من كبار العلماء والأولياء، ولذلك عهد إليه بأن يلقى درسا في الجامع الأزهر، فقرأ في المدرسة الطبرسية الأربعين النووية، وحضر عليه أكثر علماء وقته، فبهروهم بعلمه.

(١) الجبرق، ج ١ ص ٢٢٧

(*) انظر الصورة رقم ٢٤٩ بمجموعة الصور الفوتوغرافية.

وقد انتقل الى رحمة الله تعالى في سنة ١١٨٣ هـ (١٧٦٩ م) ، وصلى عليه في الجامع الأزهر
ثم دفن بهذا المسجد .

تاريخ إنشاء المسجد — روى الجبرتي المؤرخ^(١) أنه لما كان مصطفى باشا واليا على مصر من
قبل الدولة العثمانية أحب الشيخ البيومي واعتقد فيه ، فتنبأ له الشيخ بأنه سيكون صدرا أعظم ، فلما
تحققت نبوءته أرسل إلى عثمان آغا في مصر وأمره ببناء مسجد للشيخ البيومي ، يلحق به قبة وسبيل
وكتاب ، فنفذ ما أمره به سنة ١١٨٠ هـ (١٧٦٦ م) .



داخل المسجد بعد تجديده

هذه هي رواية الجبرتي ، غير أن الكتابة التاريخية التي بالمسجد لا تتضمن الإشارة إلى شيء
من ذلك . إذ كتب على الجدار الشريف والجميل ما نصه :

«صاحب الخيرات عثمان آغا الوكيل تابع المرحوم الحاج بشير آغا دار السعادة كان سنة ١١٨٠ هـ

» (١٧٦٦ م) .

وعندى أن خلق هذه الكتابة من أسم مصطفى باشا يبعث على الشك في صحة الرواية التي تقدم ذكرها ، ويعلمني أعتبر عثمان أغا هو المنثني ، لأن حالات كثيرة مثل هذه كتب فيها اسم الأمر بالإنشاء والمشراف على التنفيذ، كما هي الحال في تكية السلطان محمود بالحسانية المنشأة في سنة ١١٦٤هـ (١٧٥١ م)، فقد أمر بإنشائها السلطان محمود خان ونفذ أمره بشير أغا دار السعادة فأنبت ذلك في الكتابات التاريخية بها .

وصف المسجد — يقوم هذا المسجد في الحسينية، وله وجهتان : إحداهما الشرقية تشرف على شارع البيومي، وبها الباب ، وقد ألحق بها جوض لشرب الدواب ، مكون من عقدين، يتوسطهما عمود رخامي، به من الداخل صفوف مقرنصة . والوجهة الثانية القبيلة على شارع السبع والضبع، وبها الباب والمئذنة والقبعة، ويعلو هذا الباب لوح تاريخي مكتوب عليه : «صاحب الخيرات عثمان أغا الوكيل تابع المرحوم الحاج بشير أغا دار السعادة كان سنة ١١٨٠ هـ» .

وأمام هذه الوجهة سبيل وتكاتب من إنشاء عثمان أغا أيضا ، طرا عليه تغيير، وباب السبيل مكتوب عليه أبيات من الشعر تضمنت أسم عثمان أغا وتاريخ سنة ١١٨٠ هـ .

وكان داخل الجناح يتكون من عمد تحمل عقودا فوقها سقف حافل بالنقوش ، وقد أقيمت في الجهة الغربية منه دكة المبلغ ، وخلفها طريقة بها مقصورة خشبية بداخلها قبر الشيخ محمد تافع أحد مشايخ الطريقة البيومية ، ويجاورها باب القبعة وقد كتب عليه قوله تعالى : « سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار» . ويتوسط هذه القبعة مقصورة نحاسية مصبوبة بزخارف جميلة، أمر بعملها المغفور له عباس باشا الأول سنة ١٢٦٨هـ (١٨٥١ م) بداخلها قبران : أولها الكبير قبر الولي الصالح الشيخ علي البيومي، والثاني قبر العالم العامل شيخ الإسلام السيد حسن القويسني الشافعي شيخ الجامع الأزهر، المتوفى سنة ١٢٥٤هـ (١٨٣٨ م) .

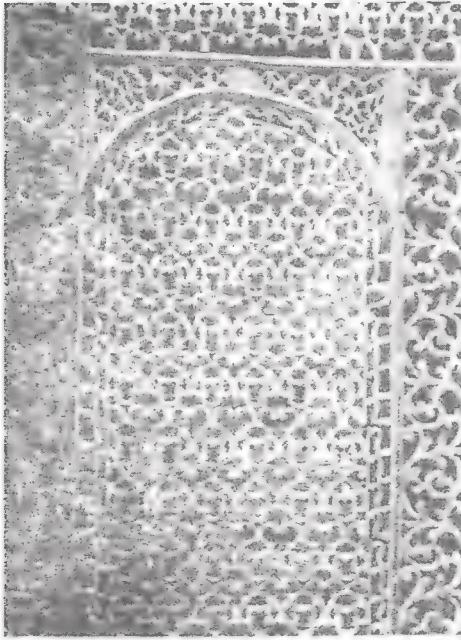
عناية جلالة الملك فاروق بالمسجد — لما طرأ خلل على المسجد، تعطلت فيه الشعائر الدينية، وبقى إلى أن أمر حضرة صاحب الجلالة الملك الصالح فاروق الأول بإزالة هذا الخلل وإصلاحه من الداخل، فقامت وزارة الأوقاف بترميم الوجهات، وهدمت عقوده الداخلية، وأعيد بناؤها، وأقيم سقف بالأسمت المسلح، حفل بشتى النقوش والمذهبة وعُملت له ثريا نحاسية، أما القبعة والمئذنة والمنبر والأبواب فقد ظلت كما هي .

وقد تفضل حفظه الله بآفتاحه يوم ٢٧ رمضان سنة ١٣٥٨ هـ (٩ نوفمبر سنة ١٩٣٩ م) بآستماع الحديث الديني فيه . أمد الله في عمره السعيد .

مسي محمد بك أبي الذهب

بميدان الأزهر^(*)

أبو الذهب — الأمير الكبير محمد بك أبو الذهب ؛ أحد أمراء مصر وولاتها الذين قاموا بدور خطير في سياستها ، فقد كان مملوكاً للأمير علي بك الكبير ، إذ اشتراه سنة ١١٧٥ هـ (١٧٦١ م) وعُني بتعليمه ، ثم عينه خازن داراً له ، وجعله في صحبته حينما سافر إلى الحج حتى إذا عاداً سنة ١١٧٨ هـ (١٧٦٤ م) قلده الصنّجقية ، وألبسه الخلعة في حفلة أقيمت بالقلعة ؛ فسر بذلك محمد بك ، وصار



تفاصيل من المقصورة النعاسية

يوزع هبات ذهبية ، وينثر الذهب على الفقراء فعرف بأبي الذهب^(١) . ولما أعلن علي بك الكبير فصل مصر من الدولة العثمانية وتأسيس مملكة مستقلة كان محمد بك من أمرائه الموثوق بهم ومن أركان دولته .

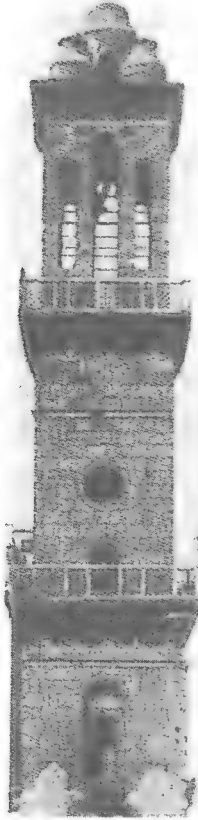
وفي سنة ١١٨٥ هـ (١٧٧١ م) عهد إليه علي بك بقيادة جيش كبير لفتح سوريا باسمه ، فأستولى على كثير من بلاد الشام ، وما إن تم له فتح دمشق حتى تفاوض سرا مع رجال الدولة العثمانية وتعاهد معهم على الغدر بولي نعمته وبسط النفوذ العثماني على مصر من جديد ، ثم عاد بجيشه الذي فتش به سوريا إلى مصر سنة ١١٨٦ هـ

(١٧٧٢ م) وقامت الحرب بينه وبين علي بك وانتهت بقتل علي بك سنة ١١٨٧ هـ (١٧٧٣ م) وعادت مصر ولاية عثمانية ، وخلصت إمارتها لمحمد بك أبي الذهب وتولى حكمها ووصلت إليه التقاليد في ٢ ربيع الثاني سنة ١١٨٨ هـ (١٧٧٤ م) .

(*) أنظر الصور من رقم ٢٥٠ — ٢٥٢ بمجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) الجبرق ، ج ١ ص ٤١٧ ، حقائق الأخبار ، ج ٢ ص ٢٠٦

وفي أوائل سنة ١١٨٩ هـ (١٧٧٥ م) غادر مصر على رأس جيش قاصدا الشام لمحاربة الظاهر عمر، فتوفي في عكا في ٨ ربيع الثاني سنة ١١٨٩ هـ (١٧٧٥ م) ثم نقلت جثته إلى مدفن أعد له في هذا المسجد في ٢٤ ربيع الثاني من السنة المذكورة . ويصفه أحد معاصريه بأنه كان شهما حازما محبا للخير يحترم العلماء ويقربهم من مجلسه . ولم يعرف عنه ما يشينه في دينه ، وكان يباشر الأحكام بنفسه . رحمه الله وعفا عنه .



المنارة

ويقوم المسجد بميدان الجامع الأزهر، وهو رابع مسجد بمصر، وضع تصميمه على طراز الجوامع العثمانية في مدينة استامبول، فأودع مسجد سليمان باشا بالقلعة، وثانيها مسجد سنان باشا ببولاق، وثالثها مسجد الملكة صفية بالداودية، غير أن هذا المسجد يتفق مع سنان باشا في تصميمه .

وكان الشروع في إنشائه سنة ١١٨٧ هـ (١٧٧٣ م) والفراغ منه سنة ١١٨٨ هـ (١٧٧٤ م) وقد أنشئ ليكون مدرسة تعاون الأزهر في رسالته العلمية وأختار للتدريس فيه أجلة العلماء أمثال الشيخ علي الصعدي، والشيخ أحمد الدردير، والشيخ محمد الأمير، والشيخ الكفراوي وغيرهم، وخصص وقتا ومكانا بالمسجد للافتاء، فقرر الشيخ أحمد الدردير مفتيا لالكية والشيخ عبد الرحمن العريشي مفتيا للحنفية والشيخ حسن الكفراوي مفتيا للشافعية. كما ألحق به مكتبة تضم نحو ٦٥٠ كتابا في شتى الفنون عُني بتكوينها وأُشترى لها مكتبة العلامة الشيخ أحمد بن محمد ابن شاهين الراشدي الذي كان خطيبا للمسجد . وبلغ من اهتمامه بها وتزويدها بالمؤلفات القيمة شراؤه من السيد مرتضى الزبيدي شرحه للقاموس^(٢) ببلغ مائة ألف درهم فضة، وكان من بينها كتاب المنتظم في أخبار

الأمم لابن الجوزي، وروضة الأخيار . في علم التاريخ، وتحفة الأمراء في تاريخ الوزراء للصافي . وأكثرها كتب نادرة بلغ عددها في القرن الثالث عشر ١٢٩٢ مجلدا^(٣). هذا عدا المصاحف المذهبة القيمة . واحتفل بافتتاحه بصلاة الجمعة في شهر شعبان سنة ١١٨٨ هـ (١٧٧٤ م) وألحق بالمسجد تكية لمنصوفي الأتراك، وسبيلا وحوضا لشرب الدواب . وهذه الملحقات تشغل الوجهة القبليّة، وقد جددت وزارة الأوقاف التكية وخصصتها لاقامة طلبة العلم من الأتراك .

(١) الجبرق، ج ١ ص ٤١٩ (٢) الجبرق ج ١ ص ٤٠٩، ج ٢ ص ١٩٩ (٣) ذيل المزيزي (مخط).

وقد أقيم المسجد على قسم كبير من أرض خان الزراكشة، الذي اشتراه أبو الذهب وترك مدخله الملاصق للوجهة البحرية عند نهايتها الغربية، ثم أنشأ المسجد على باقي مساحته .

وهو مرتفع عن الشارع ، وأسفل وجهتيه الشرقية والبحرية حوانيت ، وكان أمام الباب البحرى سلم مزدوج من الرخام الملوّن ؛ وأمام الباب الشرقى سلم مستدير ، وكلاهما استبدل به غيره ، وهما يؤديان إلى طريقة مكشوفة تحيط بالمسجد من جهاته الثلاث .

وقد حُلّت الأبواب بالمقرنصات ، وكُسيت أعتاب الشبابيك وجلساتها بالمزورات الرخامية وغطيت بمصاريع النحاس المصبوب بأشكال زخرفية ، ومكتوب على الباب الشرقى ما نصه :

أنشأت يا مولى الأكرام مسجدا * ولواء نصرى فى البرية يسعد
ولك العناية بالسعادة أرخت * حاز الفضائل والكمال محمد

وعلى الباب البحرى :

أمير اللوا الأكرمين محمد * بمسجده حاز الفضائل والأدب

عليه ضياء للقبول مؤرخ * بسعد دام العزيز أبو الذهب ١١٨٧

والباب الشرقى يؤدى إلى طريقة تنتهى إلى منارة المسجد ، وإلى التكية الملحقة به فى الواجهة القبلىة وهى منارة كبيرة مربعة مبنية بالحجر ، وقد أمتازت عن منارات عصرها بأنها مصرية الطراز ، أقرب إلى طراز منارة مسجد الغورى فهى مكونة من ثلاث دورات تعلوها خمسة رءوس .

وداخل المسجد مربع ضلعه ١٥ مترا يتألف من قبة كبيرة لها ثلاثة أبواب ، يكتنف كلا منها شبا كان من النحاس المفرغ ، كُسيت جلساتها وأعتابها بالرخام . والأبواب تؤدى إلى ثلاثة إيوانات يتألف سقفها من قباب صغيرة محمولة على عقود متكئة على أكتاف وأعمدة من الرخام ، حُلّت طباليها الخشبية بمقرنصات .

وقد كسى ما حول أبواب القبة بالرخام الأسود والأبيض ، كما غُطيت بمقرنصات مذهبة نقشت تواشيحها وطعمت مصاريعها بالسق ، ومكتوب على الباب البحرى منها ما نصه :

أمير اللوا أنشأت لله مسجدا * عليه بهاء العز جل الذى وهب
لك الفوز فيه بالثواب مؤرخ * لقد حاز الطاف القبول أبو الذهب

وعلى الباب الغربى :

فريد الآن مسجده تحلى * بما ستر النواظر والمسامع

لواء النصر شيده فازخ * مكان محمد للخير جامع

١١٨٧

(١) حجة الونف .

وعلى الباب القبلي :

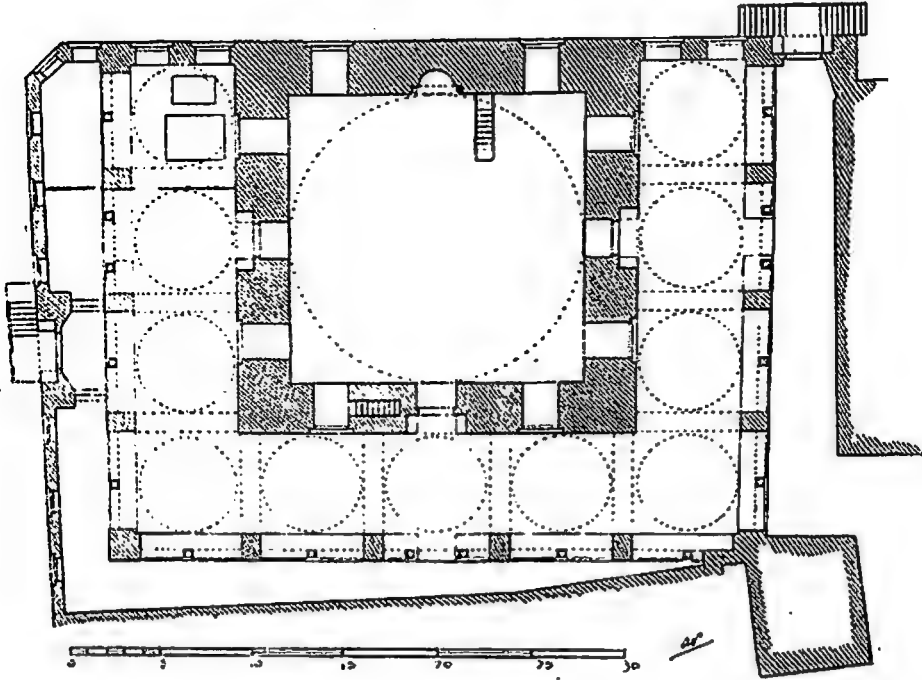
شادت يد العلياء نور المسجد • لعزیز مصر نظيره لا يوجد

فيه لواء النصر لاج مؤرخا • بمحمد خير المساجد يسعد

١١٨٧

ولهذه القبة منظر يملأ النفس روعة ، وذلك لضخامتها والشبابيك القنصلية بها ، والدعائم المكشوفة لها ، فهي مبنية بالججر حتى مبدأ تكويرها الذي بُني بالطوب .

وبكل من زوايا المربع الداخلية عقد به مقرنصات ولفظ الجلالة ، وفوق زوايا المربع إفريزه آيات من سورة الفتح ، وأسم المنشئ بحروف مذهبة على أرضية زرقاء بما نصه : « حررت برسم أمير اللواء السلطاني محمد بك أبو الذهب » .



مسقط أفق

ويعلو ذلك دوائر زعفرية ، وشبابيك جصية بالتناوب ، يملوها مقرنص فالشبابيك القنصلية ، وكانت القبة حافلة بالنقوش الملونة والمذهبة والكتابات كما تنبئ بقاياها . والمحراب من الرخام الدقيق والصدف ، وهو نادر بين المحاريب العثمانية ، فقد قل التطعيم بالصدف مع الرخام في عصر المماليك الجراكسة ، وأنعدم في العصر العثماني ، اللهم إلا نماذج معدودة ، وقد كتب بتوشيحته :

« ما شاء الله لا قوة إلا بالله » ويجاوره منبر خشبي طُعمت حشواته بالسق والزرنشان . ويعلو الباب الغربي دكة المبلغ ، يتوصل إليها من سلم مسجور في جدار الشباك الغربي البحري يصل الى السطح . وكانت الأرضيات مفروشة بالرخام الأبيض والدقيق الملقون ، ومنه بقايا في أرضية الشبايك وفي الطرقات أمام الأبواب .



نفاصيل من القاشاني

وفي الطرف الشرقي البحري للزواق الخارجي سياج كبير من النحاس المقرغ بأشكال جميلة ، توجد خلفه تربة المنشي . وقد كُست جدرانها بالقاشاني المغربي والتركي ، وهي مجموعة قيمة تجاورها حجرة المكتبة وعليها سياج نحاسي برسوم تغاير السياج الآخر ، وما زالت محتفظة بأرفقها المحلاة بنقوش مذهبة ، ويفصلها عن المدفن سياج نحاسي به باب ، وقد نقش عقودها بالبوية تقليدا للقاشاني ، ومكتوب حول عقدجا آية الكرسي .

وهذا القسم كان كله مخصصا للمكتبة ، ولم تكن بالمسجد مقبرة للأنشي إلى أن أخذ منها هذا القسم وأعد لدفنه . ومكتوب على قبره :

هذا مقام عزيز مصر أميرها * عين الأكبر ذى العلا والسؤدد
أعنى أبا الذهب الذى فى عصره * كانت له الأفطار فى طوع اليد
تجربى على طول المسدا صدقاته * بدروس علم أو عمارة مسجد
فسحاب الرحمت يصحبها الرضا * تهمى عليه فى المساء وفى الغد
والحور فى الماوى له قد أرتخت * دار الكرامة مسكن لمحمد

وقد دفن فى هذه المقبرة أيضا أخته زليخا هانم زوجة إبراهيم بك الكبير ومكتوب على شاهد قبرها :
« هذا قبر الست المصونة ستي زليخة زوجة أمير اللواء إبراهيم بك شيخ البلد حالا توفيت الى رحمة الله تعالى يوم الجمعة ٢٨ شهر محرم سنة ١٢١٦ » .

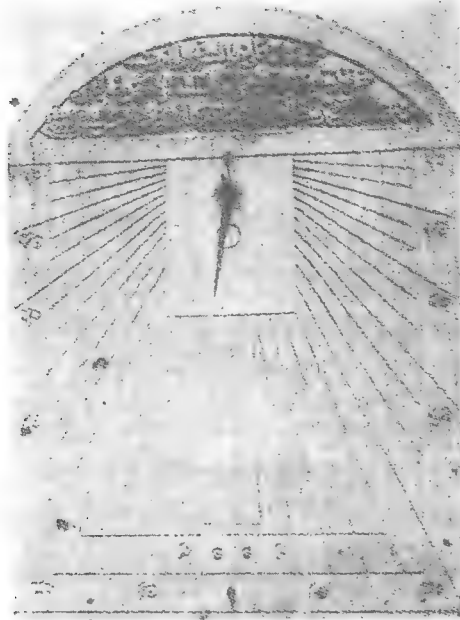
(١) شاهد القبر محفوظ فى دار الآثار العربية . وقد ذكر الجبرقي فى حوادث سنة ١٢١٦ أنه فى يوم الجمعة ٤ ربيع الثانى نقلت جثتها وعملوا لها قبرا بجانب أخيها .

ويوجد بالسطح مزولة مكتوب عليها :

« مزولة قائمة على خط المشرق والمغرب منحرفة تسعين درجة وتسمى بالخيط المسائر بعرض مصر المحروسة برسم صاحب الخيرات محمد بيك أبو الذهب دام عزه رسمه الفقير محمود بن حسن النيشى فى ١٨ جماد سنة ١١٨٨ » .

وللمسجد مزولة أخرى من عمل محمود بن حسن النيشى فى غرة جمادى الأولى سنة ١١٨٨ مودعة بدار الآثار العربية مكتوب عليها : « منحرفة نه شرق جنوبى بعرض مصر برسم صاحب الخيرات محمد بك أبو الذهب دام بقاءه » .

ويلاحظ أن هذا المسجد كان يغلب عليه الزخرف المذهب ، مما جعل المنشئ يستحق — عن جدارة — تلقيبه بأبى الذهب .



مزولة بسطح المسجد

مسجد حسن باشا طاهر

بركة الفيل

طاهر باشا — هو محمد باشا طاهر ، كان قائدا للجنود الألبانيين أثناء ولاية خسرو باشا على مصر . وطاهر باشا والمغفور له محمد علي باشا هما اللذان أوعزا إلى جنودهما بالتمرد على خسرو باشا ، والتخلص من مظالمه ، مما اضطرت خسرو باشا إلى الحرب هو وعائلته وبقية من جنوده إلى دمياط .

وفي ١٤ المحرم سنة ١٢١٨ هـ (٦ مايو سنة ١٨٠٣ م) عين طاهر باشا قائم مقام لوالى مصر ، إلى أن يصدر أمر تعيينه أو تعيين غيره .

على أن طاهر باشا لم يدم له الأمر ، فقد اشتهر بالظلم والجبروت ، فلم يلبث في منصبه هذا إلا ١٦ يوما ثارت عليه الجند خلافا لطلب مرتباتهم ثم قتلوه في شهر صفر سنة ١٢١٨ هـ (١٨٠٣ م) ودفنوه في قبة عند بركة الفيل^(١) .

وكانت هذه الحركات وما تبعها من تدبير المغفور له محمد علي باشا بحكمة وروية هي السبب في مناداة الشعب به واليا على مصر ، فأقنذها من القوضى ، وسار بها إلى بر السلامة .

تاريخ إنشاء المسجد — بعد وفاة محمد باشا طاهر عني حسن باشا طاهر وأخوه عابدين بك طاهر ببناء القبة التي دفن فيها وأنشأ بجوارها مسجدا ألحقا به سبيلا وكتابا .

وكان الفراغ من بناء هذه المجموعة في سنة ١٢٢٤ هـ (١٨٠٩ م) . ويعتد هذا المسجد من المساجد القيمة بالنسبة لمساجد عصره إذا استثنينا مسجد المغفور له محمد علي باشا المنشأ بعده . فالوجهة القبلىة تشتمل على القبة والباب الرئيسى والمنارة والسبيل والكتاب ، والقبة بنيت بالجمر الى

(*) انظر الصور من رقم ٢٥٣ — ٢٥٤ بمجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) بركة الفيل ليست بركة بالمعنى المفهوم الآن ، وإنما أطلقت على أرض زراعية ينفمرها ماء النيل وقت الفيضان ، وكانت تروى من الخليج المصرى وبعد نزول الماء تزرع أنواعا شتوية . ثم تحولت أراضيها تدريجيا من الزراعة الى السكن منذ سنة ١٢٢٠ هـ ١٢٢٣ م فأشئت حولها قصور العظام ، ولم يبق من أراضيها بغير بناء حتى سنة ١٢١٥ هـ (١٨٠٠ م) وهى التى رسمت فيها الخطة الفرنسية لخريطة القاهرة إلا قطعة أقيمت عليها سراى الحلبية (رمزى بك) .

(٢) الحركة القومية ، ج ٢ ص ٣٣٩ ، حقائق الأخبار ، ج ٢ ص ٢٢١ ، الجبرق ، ج ٣ ص ٢٤٧ ، الدول

نهاية الرقبة المنقوشة وأركانها مدرجة، ثم بالطوب وبها تضييع بسيط، ومكتوب على عتب شبابها : « لا إله إلا الله محمد رسول الله ١٢٢٤ » ؛ يعلوه نفيس من القاشاني ثم نقوش ومقرنصات ، ويكتنف الشباك مربعان حليا بجفوت يتوسط إحدهما مفروكة ودائرة مفزعة .

وباب المسجد عقده مداينى مخوص يسترعى النظر فيه العمدة الصغيرة المفزعة المكتنفة لشبابها الصغير، والمعروفة عند الممارين « بثلاثة وآية » ومكتوب على عتبه : « أنشأ هذا المسجد المبارك من فضل الله سبحانه وتعالى أفندينا حسن باشا طاهر والأمير عبيد بن بيك طاهر غفر الله لهم في [سنة أربع وعشرين ومائتين وألف]^(١) » . ويعلوه نفيس من القاشاني ونقوش موزقة .

وعلى يمين الباب سبيل بصنوبرين مكتوب عليه « وسقاهم ربهم شرابا طهورا ، الآية ، ١٢٢٤ » يعلوه مربع بداخله مثنى كسيت أضلاعه بالقاشاني ، يجاوره سبيل وتكباب ، وفي الطرف الشرقى المنارة ، وهى مكونة من دورتين ومبنية بالحجر ، ولها مقرنصات متقنة الصنعة متنوعة الأشكال وشقق درابزين الدورة الأولى مفزعة بأشكال زخرفية متنوعة وتنتهى من أعلى بترس أسفل الخوذة .

وأما هذه المنارة غير مقصور على رشاقتها فحسب بل لأنها خالفت طرز المنارات العثمانية الأسطوانية ذات المسلة التى شاع إنشاؤها فى هذه الحقبة . وأنشئت على طرز منارات مصر المملوكية .

وقد حليت الوجهة بإفريز منقوش بزخارف موزقة كما نقش وجه حوض السبيل .

وتقوم القبة على يسار الداخل من الباب ، وقد حلى وجهها بالنقوش والقاشاني والمقرنصات ، ومكتوب على عتب بابها ما نصه : « هذا مقام الأربعين والنازل بجوارهم أفندينا محمد باشا طاهر ، والأمير يوسف بيك رحمهم الله تعالى أجمعين سنة ١٢٢٤ » .

(١) الزيادة عن على باشا مبارك ج ٤ ص ٨٧

(٢) الأربعين نسبة أطلقت على عدة زوايا وأضرحة بمصر على غير أساس . وبهذه المناسبة أذكر ما وقع لى من مسميات الأربعين ، فقد كان عدد الممالك الخاسكية الذين يهد إليهم بتشجيع المحلل أربعين .

وبمناسبة وجود هذه النسبة فى حلب وفى أنحاء الشام ، وإطلاقها على أضرحة وتكاش ، كتب عنها الأستاذ كامل الفزى بحثا طريفا فى مجلة المجمع العلمى بدمشق سنة ١٩٣٦ إذ يقول ما ملخصه : اختلف المسلمون والنصارى فى هؤلاء الأربعين رجلا ، فالنصارى يقولون : إنهم الأربعون شهيدا . والمسلمون يقولون : إنهم أربعون رجلا من الأبدال المتدركين بالكون . على ما ذكره الشيخ عبد العزيز الخواص فى كتابه الإبريز .

ويرى حضرته أنها نسبة نراة لا أمل لها ؛ وهذا ما نقره حضرته عليه .

ويوسف بك مدفون مع طاهر باشا في قبر واحد بداخل هذه القبة ومكتوب عليه :

وزير مصر للاله لقد مضى * لا اعتراض لحكم مولا قاهر

عليه رضا الرحمن قلت مؤرخا * في جنة الفردوس محمد طاهر

١٢١٨

وعلى شاهد آخر : « هذا قبر المرحوم يوسف بك طاهر توفي الى رحمة تعالى يوم الخميس ...

شعبان سنة ١٢٢٣ » .

كما توجد مقبرة أخرى مكتوب عليها : « هذا قبر المرحوم إبراهيم بك ابن أمير اللواء طالب بك توفي الى رحمة الله تعالى يوم الأحد ٢ شهر جماد آخر سنة ١٢٢٩ » وبها تابوت خشبي باسم الأربعين .

وأمام القبة وعلى يمين الداخل باب المسجد، يصعد إليه بوضع درجات على يمينه باب السبيل، وقد فرشت أرضيته رخام دقيق، وبه حوض رخامى مستدير من قطعة واحدة وسقفه على رسوم وزهور ملونة، ومكتوب على باب المسجد ما نصه : « وكان الفراغ من بنائه ونشوه في شهر ذى الحجة المبارك من شهور سنة ألف ومايتين أربعة وعشرون من الهجرة الشريفة النبوية سنة ١٢٢٤ » .

ويشتمل من الداخل على ستة عمد من الرخام تحمل سقفا يتوسطه منور، وحليت جدرانها من أعلى بشبابيك من الجص والزجاج الملون . وزين عقد محرابه الحجرى وطاقيته بالزخارف، كما تعلوه قبة صغيرة منقوشة بها شبابيك جصية، وله منبر خشبي بابه مستدير، وبطرفه البحرى الغربى دكة المبلغ، محمولة على الجدار وعلى عمود رخامى .

وملحق بالمسجد من الجهة البحرية مصلى سقفا قائم على عمود رخامى، لها محراب منحرف، كما يوجد غربى المدفن حديقة صغيرة .

وقد أنشأ حسن باشا طاهر تجاه الجامع عمارة وقفها للصرف على المسجد باقية بعض دورها وهدم مدخلها وتختلف منه لوحة تاريخية مثبتة بالقبة ونصها :

« وكان الفراغ من العمارة الكائنة بخط بركة الفيل تجديد أفندينا المرحوم الحاج حسن باشا طاهر، حرر ذلك في يوم الجمعة المبارك ٢٩ خلت من شهر رجب الفرد سنة ١٢٣٨ »

وكذلك نقل إلى دار الآثار العربية لوحة تاريخية كانت تعلو ربيع شيخو بشارع الركبة رقم ٥٣ ونصها :

« وكان الفراغ من تجديد هذا المكان المبارك تجديد أفندينا المرحوم الحاج حسن باشا طاهر يوم الجمعة المبارك في ٢٩ خلت من شهر رجب سنة ١٢٣٨ من هجرة من له العز والشرف » .

مسجد سليمان أغا السلحدار

بشارع أمير الجيوش

هذا المسجد عند مدخل حارة برجوان بشارع أمير الجيوش (المعز لدين الله) .

ومما يذكر عن الأمير سليمان أغا السلحدار أنه ترقى في الوظائف على عهد المغفور له محمد علي باشا إلى أن وصل إلى وظيفة سلحدار ، وكانت له سطوة كبيرة^(١) .

ومما أخذ عليه زيادة على تعسفه أنه استولى على كثير من أقطاع المساجد المتخربة بالصحراء وأدخلها في منشأته ، كما تعسف في نزع الملكيات اللازمة لتلك المنشآت ، وكانت وفاته في سنة نيف وستين ومائتين وألف ، وأنشأ كثيرا من العقارات والوكالات والمساجد .

وأكثر آثاره التي شيدوها بمصر موجودة ، ومنها وكالة في خان الخليلي ، وأخرى بجوار خانقاه ببيرس الجاشنكير بالجمالية ، والجامع الأحمر بشارع الجامع الأحمر ، ثم مسجده هذا .

وكان البدء في إنشاء هذا المسجد والسبيل الملحق به في سنة ١٢٥٣ هـ (١٨٣٧ م) والفراغ منها سنة ١٢٥٥ هـ (١٨٣٩ م) طبقا لما جاء في لوحين تاريخيتين فوق السبيل وباب المسجد ، مكتوبتين باللغة التركية ، تضمنتا أسم المنشي ووظيفته .

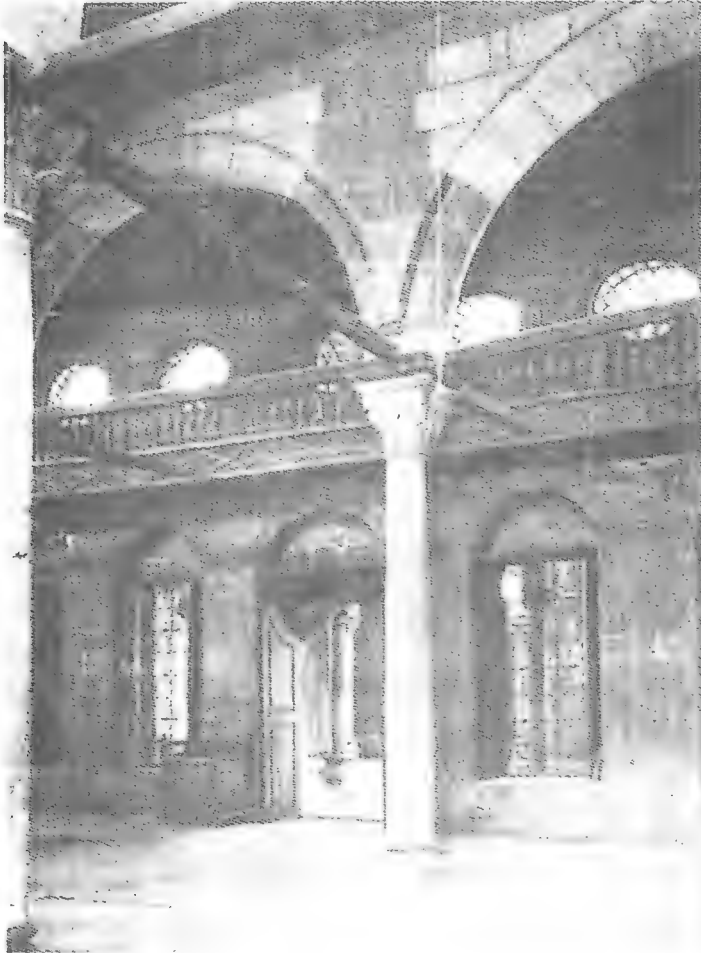
وقد وفق المهندس في تنفيذ رغبة منشئه ، فأنتهز فرصة رواج التجارة في هذه المنطقة فأنشأ بها حوانيت ووضع تصميم مسجد معلى فوق مدخل المدرسة والدكاكين . وقد جمعت مشتملات المسجد في وجهة واحدة ينتهى طرفها القبلى ببوابة كبيرة هى مدخل الحارة برجوان ، وإلى باب المدرسة والميضاة . ويجاور هذه البوابة سبيل مستدير مكسو بالرخام المنقوش المذهب ، به أربعة شبابيك نحاسية ، مفترقة بأشكال زخرفية ومكتوب وبسط شماعها : « ما شاء الله كان » . وقد نقش وجه السبيل بزخارف مذهبة ، وكتب عليه قوله تعالى : « إن هذا هو الفوز العظيم » تعلوه لوحات أخرى مكتوبة باللغة التركية بحروف مذهب على أرضية زرقاء تضمنت مدح المنشي أيضا وتاريخ سنة ١٢٥٣ ، تجاوره شبابيك المدرسة فالمئارة الأسطوانية فباب المدرسة ثم حوانيت ، فباب المسجد ، وتنتهى الوجهة من أعلاها برفرف خشبي منقوش استغنى به عن الشرفة .

وقد كسى سفلى جدران السبيل من الداخل بوزرة من الرخام بها نقوش مذهبة .

(١) الجبري ، ج ٤ ص ٣١٤ - ٣١٥ ، المخطوط الجديدة ، ج ٥ ص ١٥ ، ذيل المقرئى .

ويصعد إلى المسجد بعدة درجات تؤدي إلى قسمه الخارجي الغربي ، وقد أحيط بأربعة أروقة لها عمد تحمل قبابا صغيرة نقش قطبها ، وقد غطى الصحن بسقف يتوسطه منور .

وفي الجدار القبلي باب بصدره منزل شيخ المسجد وبه سلم يؤدي إلى دورة المياه ، ويتوسط الجدار الشرقي باب المسجد ، وقد كسى بالرخام وحليت نواشيه بزخارف مذهبة ومكتوب عليه بحروف مذهبة قوله تعالى : « ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين » ١٢٥٥ وتعلوه شرفة رخامية صغيرة .



داخل المسجد

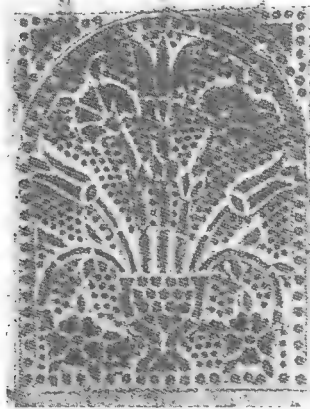
والمسجد يشتمل على ثلاثة أروقة ذات عقود محمولة على أربعة عمد رخامية آتفتت في المئاس وفي التيجان ، تحمل سقفا بسيطا نقش بالبوية ؛ وبه محراب من الرخام فريد في نوعه ، فقد آتخذ

القسم المجوف منه من قطعة واحدة ، وكذلك طاقيته ، ومكتوب بوسطه قوله تعالى : « فلنولينك قبلة ترضاها » وعلى جانبيه أفاريز رخامية بها زخارف بارزة مذهبة ، تعلوه مروحة رخامية مفترغة ذات توريق وتذهيب .

ويجاور المحراب منبر خشبي عاير من الزخرف ، تقوم على باب مقدمه قبة خشبية ، ويقوم على طول الجدار الغربي دكة المبلغ ويتوصل إليها من باب في الركن البحري الشرق للصحن . يؤدي الى سلم في سمك الجدار ، كما يحيط بجدران المسجد من أعلى شبايك بيضاوية .

ونظرة إلى الوجهتين الغربية والقبليّة للجامع تعطينا فكرة عن نبوغ مهندس هذا الجامع ، فقد عالج بحكمة قيام بارزات في الواجهة الغربية على كوابيل غربية محكمة الصناعة كما تلافي ضيق الطريق بإقامة عقود مجوفة كي تحمل بروزا عليها ، كما توزع عن أخذ العمود وتيجانها من أبنية سابقة ، فأعدها هي وتيجانها من نوع واحد ، وميز فقط بين تيجان عمد المسجد والصحن .

أعمال الإصلاح — كانت أهم عملية إصلاح أجريت به في عصر الملك الصالح (فاروق الأول) فقد أصلحت عقود الصحن والقباب فوقها كما أجريت إصلاحات بداخل المسجد وفي مطهرته .



مسجد الرفاعي

بميدان صلاح الدين^(*)

موقع المسجد قبل إنشائه — كان يشغل جزءا من أرض هذا المسجد مسجد الذخيرة الذى وصفه المقرزى بأنه كان تجاه شبايك مدرسة السلطان حسن التى تلى بابها الكبير . أنشاه ذخيرة الملك جعفر متولى الشرطة ؛ ووالى القاهرة ومحتسبها حوالى سنة ٥١٦ هـ (١١٢٢ م) . وكان هناك أيضا زاوية عرفت بالزاوية البيضاء وبزاوية الرفاعي أشتملت على قبور المشايخ : على - أبى شباك^(٢) ، ويحيى الأنصارى والسيد مصطفى الغورى ، والشيخ إبراهيم المغربى ، والسيد حسين الشيوخى إمام جامع شيخو وشيخ سجادة الرفاعية سابقا ، والسيد عبد الله المرازقى والسيد حسين الرفاعى .

وفى كتاب وصف مصر للحملة الفرنسية لوحة تمثل زاوية الرفاعي فى نهاية القرن الثامن عشر الميلادى وما جاورها من أبنية يظهر بها مسجد الحمودية حتى شارع سوق السلاح ، كما عثر على لوحة مأونة عملها سنة ١٨٦٤ م المصوّر الانجليزى فرنك^(٣) ديلون الذى قدم مصر سنة ١٨٥٤ — ٥٥ م . وهى تمثل هذه المنطقة وزاوية الرفاعي وسيللا تركيا وجهته مستديرة يعلوه كتاب وأبنية أخرى .

وفى سنة ١٢٨٦ هـ (١٨٦٩ م) أمرت المرحومة دولتو خوشيار هانم والدة المرحوم إسماعيل باشا بتجديد زاوية الرفاعي ؛ فأشترت الأماكن المجاورة لها وهُدِمت ، وعهدت إلى المرحوم حسين باشا فهمى وكيل ديوان الأوقاف وقتئذ بإعداد مشروع لبناء مسجد كبير يلحق به مدافن لها ولأسرتها وقببان للشيخين : على - أبى شباك ويحيى الأنصارى ، فصدع بالأمر وأعد مشروعا كبيرا عرض على سموها فوافقت عليه وشرع فى العمل ، وبأشر تنفيذ المرحوم خليل أغا ، واستمر العمل سائرا حتى ارتفع على وجه الأرض نحو مترين ؛ وفى الوقت نفسه كان العمل سائرا فى القصر العالى فى أعمال التجارة ، كما أمرت بعمل الأبسطة اللازمة لقرش المسجد .

(*) انظر الصور من رقم ٢٥٥ — ٢٥٩ ضمن مجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) المقرزى ، ج ٢ ص ٤١١ .

(٢) المخطط الجديدة ج ٤ ص ١١٤ .

(٣) La Mosquee el-Rifai. P. 9 (٣)



ولضرورة إدخال تعديلات على المشروع وقفت العارة ، وعُرضت في خلال ذلك تعديلات اقترحها المهندس « جاي » فلم توافق عليها الوالدة ؛ فتجّى عن العمل ثم أُبديت ملاحظات أخرى للملافة أخطاء في الجامع كان يتولى مناقشتها المرحوم حسين باشا المعار ، بدئى في تنفيذها بعد وفاته . واستمر العمل فيه على الرسم الأسمى .

وحوالى سنة ١٢٩٨ هـ (١٨٨٠ م) أوقفت العارة ، ثم توفيت المنشئة سنة ١٣٠٣ هـ (١٨٨٥ م) وظل العمل موقوفا نحو ربع قرن . وفى سنة ١٩٠٥ عهد المرحوم الخديو عباس حلمى الثانى إلى سعادة أحمد خيرى باشا مدير الأوقاف الخصوصية بإتمام المسجد ، فكلف المرحوم هرتس بك (باشا) باشمهندس الآثار العربية وقتئذ بإعداد مشروع لإصلاح المسجد وتكلمته ؛ فأعد المشروع وعرضه فنال القبول ، وصدر إليه الأمر الكريم فى ١٢ يولييه سنة ١٩٠٦ م بالشروع فى العمل .

ويقول هرتس باشا : إن تصميم حسين باشا لهذا المسجد من أحسن وأجمل تصميمات المساجد المنشأة فى عصره ؛ أغراه على وضع تصميمه بهذه العظمة وجود مسجد السلطان حسن أمامه . ومع وجود أخطاء فيه وحدوث تصدع فى عمده وجدرانه فإن هذا لا يقلل من قيمة عمله العظيم ؛ ولذلك فإنه حرص كل الحرص على ألا يغير كثيرا فى مشروع حسين باشا المعار ، لدرجة أنه لو كان حاضرا لرضى بهذه التعديلات . ثم أخذ فى تقوية الجدران ، وتغيير التالف من الأبنية والعقود ، مما يحفظ المسجد من الانهيار ويساعد على المقاومة ، وهذه التعديلات استلزمت بعض التحوير فى المشروع القديم ، وأستنفذت مجهودا جبارا للمحافظة على الوضع الذى كان يريد حسين باشا أن يكون المسجد عليه .

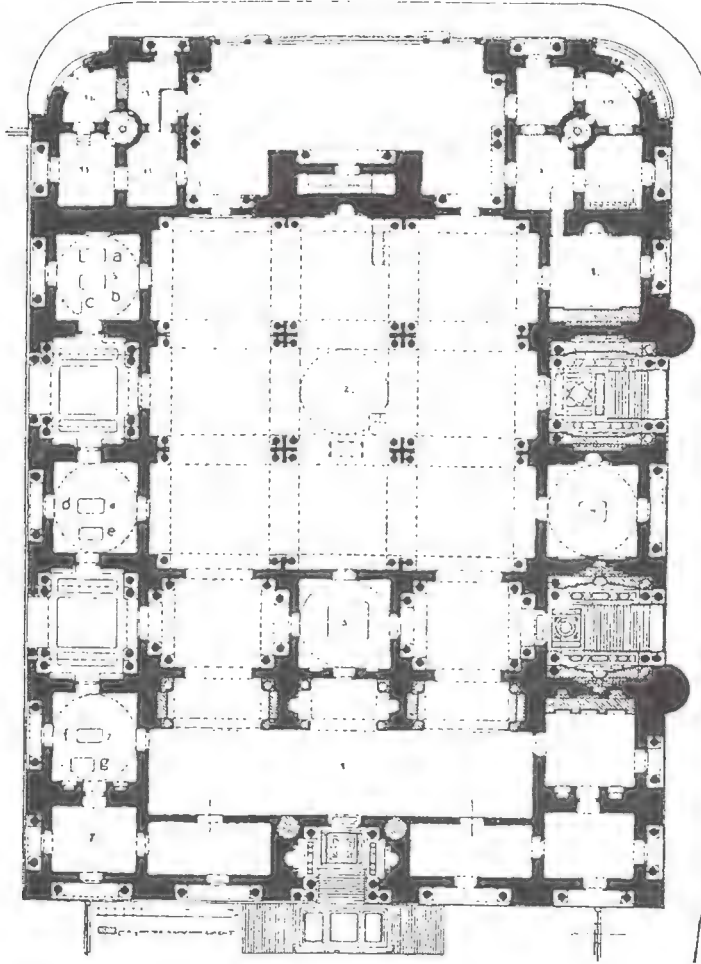
وقد أدخل فى عمارة المسجد ما كان مودعا بخازنه على ذمة عمارته منذ سنة ١٨٨٠ م ، فاستفاد بالذهب الذى كان مستوردا من إستامبول ، وبالنجارة التى تم عملها ، وبعض الكتابات التى كان أعدها الخطاط المشهور عبد الله بك زهدى ، وقام بتكملة الناقص وتغيير التالف من الكتابات المرحوم الشيخ مصطفى الحريرى الخطاط بالقصر الملكى .

وكانت التكاليف الأصلية المقدرة لهذا الجامع خمسمائة ألف جنيه ، فاستفاد هذا المبلغ فى الأعمال التى أنجزت حتى سنة ١٢٩٨ هـ (١٨٨٠ م) . أما المصاريف بعد ذلك فقد بلغت ١٣٢,٥٠٠ جنيه ، مضافا إليها بعض مصاريف أخرى ويدخل فى هذا المبلغ الأبسطه الجديدة التى عملت فى مشاغل حركة بترىكا ، والمشكاوات الزجاجية التى عملت على مثال المشكاوات الأثرية بمساجد مصر فى القرنين الثامن والتاسع

الهجرى (الرابع عشر والخامس عشر الميلادى) ومنها نحو ٢٤٠ مشكاة مطلية بالمينا عملت في بوهيميا،
وعليها كتابات قرآنية وتاريخية .

وفي ختام سنة ١٣٢٩ هـ (١٩١١ م) تم العمل ، وأفتتح المسجد لصلاة الجمعة في غرفة المحرم

سنة ١٣٣٠ هـ (١٩١٢ م) .



عن هرتس باشا

مسقط أفق

وقد دون تاريخ المسجد والفراغ من عمارته في نهاية طراز المسجد بالناحية القبلية الشرقية بما نصه :
« وقد تم بعناية الله تعالى هذا المسجد الشريف مسجد العارف بالله تعالى السيد أحمد الرفاعي
رضي الله عنه حسبما صدر به أمر ولي النعم الجناح العالى خديو مصر المعظم الحاج عباس حلمي الثانى

أعز الله دولته وأعلى كلمته وذلك في سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة وألف من هجرة من هو الأنبياء والرسول ختام عليه وعلى آله وصحبه أتم الصلاة والسلام .

الرافعي — هذا المسجد وإن كان عرف بالرافعي إلا أن الرافعي لم يدفن به بل لم يدفن في مصر؛ فقد ترجمه علي بن أنجب المعروف بابن الساعي، والياقي^(١) وأفاضا في مناقبه وكراماته، ثم ذكرا وفاته بما نصه: «ولى الله العارف بالله الزاهد القدوة السيد أحمد بن السيد علي أبي الحسن الرافعي ولد سنة ثمانمائة وتفقّه على مذهب الشافعي وكان إليه المنتهى في التواضع والقناعة والتقوى . غير أن أتباعه وجد فيهم من يلعب بالنار والحيات وهذا ما عرفه الشيخ ولا الصالحين من أصحابه . كانت وفاته رضى الله عنه بآم عبيدة قرية من أعمال واسط بالعراق سنة ٥٧٨ هـ (١١٨٢ م) » . وهذه التسمية لازمت الزاوية أولا ثم المسجد نسبة إلى الشيخ المدفون به على أبي شبك من ذرية الرافعي، ومن أصحاب الشجرة والاعتقاد .

وصف المسجد — حقا إن مسجد السلطان حسن أغرى المهندس الذى وضع تصميم هذا الجامع حسين باشا المعمار فأراد أن يجاريه في العظمة والارتفاع . ولكن مع الأسف لم يوفق في تصميم الوجهات، كما أنه لم يوفق في اختيار الأنحجار، وهذا ما لاحظته المرحوم علي باشا مبارك وأنتقده . غير أن هذا لا يمنع من الاعتراف بأنه من خيرة المساجد التي أنشئت في القرن العشرين، وأحفلها زخرفا، وأتقنها صناعة، خصوصا وقد تداركه بخبرته العالية هرتس باشا؛ وقد نجح كل النجاح في عمارة كاته للسلطان حسن في ضخامته وارتفاعه؛ فالمداخل أحيطت بأنواع العظمة؛ فقد بنيت شاهقة، تكتنفها العمدة الحجرية والزخامية بتيجانها العربية؛ وحليت أعتابها بمزرات الرخام، وغُطيت مداخلها بقباب وسقوف أحسن اختيارها، ووفق في زخرفها وتلوينها وتذهيبها .

وقد أمتازت منارته بالرشاقة والجمال، وأقيمت على قواعد مستديرة مثل منارات مدرسة السلطان حسن . والشبابيك النحاسية بالوجهات وضع لها تصميم خاص برسوم جميلة، برزت به ما سبقها من قديم وحديث .

والمسجد من الداخل تبلغ مساحته ٦٥٠٠ متر؛ منها الجزء المخصص للصلاة ومساحته ١٧٦٧ مترا . وخصت المدافن وملحقاتها ببقية المساحة .

(١) مرآة الجنان ج ٣ ص ٤٠٩، وترجمه الشعراوي وأفاض في ترجمه وقال توفي سنة ٥٧٠ هـ (١١٧٤ م)،

١٦٩ ج الطبقات الكبرى . (٢) مختصر أخبار الخلفاء ص ١١٢

ويتوسط الوجهة الغربية المدخل الملكي تكتنفه العمدة الحجرية ، وقد نقش قواعدها الرخامية بزخارف متنوعة . وقد حفل بأنواع الرخام والمقرنصات ، وله روعة وجمال . وقد كُسيبت أعتابه والحنايا بيجانيه بالرخام المختلف الألوان والكتابات الجميلة ، منها قوله تعالى : « إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر - الآية . » . وقيل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا » . ويغطي هذا المدخل قبة حجرية منقوشة لها مقرنصات بدلايات .

وعلى يمين الداخل من هذا الباب مقبرة المغفور له الملك فؤاد الأول تغمده الله برحمته وهي في الركن الغربي القبلي للمسجد . وقد كُسيبت جدرانها بأنواع الرخام الملون ومكتوب بإزارها آية الكرسي « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه - إلى آخر سورة البقرة » وعلى قبره تركيبة رخامية حُلّيت بزخارف مذهبة ، ويجاوره قبر المغفور لها والدته الأميرة فريال المتوفاة سنة ١٣٢٠ هـ . ويلاحظ أن هاتين المقبرتين أتبع في زخرفتهما وتصميمهما قواعد العمارة الإسلامية ، كما اتخذت شواهدهما من عمد قائمة أمامهما مثل الإمام الشافعي والفخر الفارسي والظاهر برقوق ، فقبرة الأميرة فريال من فائز أنواع الرخام . وقد كتب عليها : « بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فأدخلني في عبادي وأدخلني جنتي » .

ومكتوب على عمود أمامها : « سبحان من تفرد بالبقاء هذا قبر المغفور لها ربة النقي والكمال الأميرة فريال هانم أفندي والدة مولانا القائم بالعدل بين العباد سلطان مصر المعظم السلطان فؤاد برك الله في عمره وأسعد رعيته بدوام أمره المنتقلة لجوار ربها الكريم في اليوم الحادي والعشرين من شهر رمضان سنة عشرين وثلثمائة وألف هجرية » .

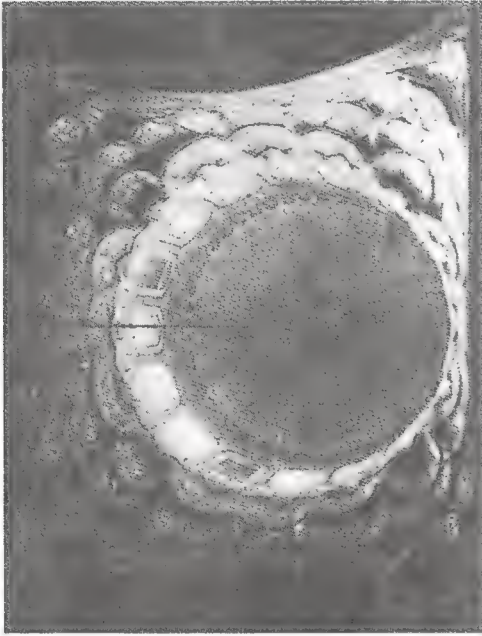
وعلى قبر المغفور له الملك فؤاد تركيبة رخامية لها جلستان إحداهما خضراء داكنة والأخرى صفراء فوقها جلسة بها عقود محارية مذهبة على عمد صغيرة نحاسية مذهبة ، ومكتوب على دائرها قوله تعالى : « يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أتم تحزنون - إلى قوله تعالى - وتلك الجنة التي أوردتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون . صدق الله العظيم ، بسم الله الرحمن الرحيم إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا - الآية . »

ومكتوب على عمود رخامي أمام القبر : « الملك فؤاد الأول طيب الله ثراه » انتقل إلى الرفيق الأعلى الملك فؤاد الأول بعد الظهر بساعة ونصف الساعة من يوم الثلاثاء ٧ صفر سنة ١٣٥٥ ، وكان مولد جلالتة رحمه الله بقصر الحيزة في ٢ ذي الحجة سنة ١٢٨٤ وأرتقى عرش المملكة المصرية في ٢٢ ذي الحجة سنة ١٣٣٥ أسكنه الله جنات النعيم .

وسقف هذا الجناح وكراديه نقشت باللونين : الأزرق والأبيض تقليداً لحافاه الشيخونية . وحُلِّيت الجدران بنقوش لونت أرضيتها باللون الأزرق . تتوسطه ثريا نحاسية كبيرة ...

ويقابل الداخل من هذا الباب حجرة طعمت مصاريعها بالسّن المدقوق أويمة ، وحُلِّيت أعتابها وما حولها بنقوش ملوّنة ومطّعمة بالرخام ؛ بها قبر الشيخ علي أبي شباك . وقد أقيمت فوقها قبة حُلِّيت مقرنصاتها بالذهب والألوان ، وتتوسطها مقصورة خشبية مطعمة بالسّن والآبنوس ، لها عمد رشيقة وبها خرط دقيق ؛ ولا شك أنها من أرق أنواع المقاصير .

ويستعري النظر في هذه القبة أن قطبها مفرغ بأشكال هندسية غُطّيت بالزجاج الملّون ومكتوب برقبتهما : « بسم الله الرحمن الرحيم إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً - الآية - وكان تمام هذه القبة سنة ١٣٢٧ » . وقد فتح بأجنابها الأربع أواب تؤدي إلى الجامع حُلِّيت أعتابها ومزمراتها بالزخارف الدقيقة وطعمت مصاريعها بالسّن والآبنوس .



مقرنصات القبة بوسط المسجد

وبين البابين القبليين حجرة بسيطة يتوسطها تابوت خشبي بها قبر سيدي يحيى الأنصاري ، تعلوها قبة حجرية عارية من الزخرف ، وهي التي تظهر بين المنارتين .

وقد ارتفعت جدران المسجد وسقفه ، وحُلِّيت جميعها بوزرات رخامية مختلفة الألوان . ويحيط بها طراز مذهب مكتوب عليه آيات من القرآن ، كما أشتملت الأسقف على ألوان براقّة تأخذ بالأبصار ؛ أحسن اختيارها ، وتنوّعت أشكالها ؛ وبعضها مفرّغ ومغطى بالزجاج ، ويتوسطه قبة حُلِّيت مقرنصاتها وما حول شبابيكها بالذهب والألوان .

وإن الزائر لهذا المسجد ليؤخذ بما حواه من فنون جميلة ، وصناعات دقيقة ؛ فقد وفّق « هرتس باشا » لأن يختار له من كل أثر أحسنه ، حتى كَوّن منه دقة بين المساجد الحديثة ، تنتقل العين فيه من حسن إلى أحسن .

ويتوسط الجدار الشرق المحراب ، وهو محراب كبير يكتنف كلا من جانبيه عمودان أحدهما أبيض والآخر أخضر داكن . وقد حُلّي باطنه برخام دقيق ، كما حُلّي عقده وتواشيحه بجزرات رخامية ملاونة ؛ يحوطه مع الوزرة إفريز ويعلوه سطر مكتوب فيه قوله تعالى : « قد نرى قلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها » . فوqe مقرنص مذهب .

وعلى جوانب المسجد وفي وسطه أقيمت أكاف بنواصيها عمد رخامية ، وكسيت الأكتاف بينها بالرخام الدقيق ونقشت وجوه قواعدها بدوائر رخامية تنوعت أشكال زخارفها ونقشت وذُهِبت تيجانها كما نقشت أرجل وباطن العقود بزخارف متنوعة ، وقد أحضر الرخام اللازم له من بنى سويف وتركيا واليونان وإيطاليا وألمانيا وبلجيكا ، ويقوم على جانب المحراب منبر كبير ، طُعمت حشواته بالسق والآنوس وخشب الجوز . وقد نُقشت خوذته ومقرنصات مقدمه بالذهب والألوان . ويحيط بجدران المسجد بخاريات مذهبة منقوشة .

وكرسى المصحف من نوع صناعة المنبر ، وكلاهما قيم نفخ . ودكة المبلغ من الرخام مقامة على عمد رخامية ، وقد حفلت بالنقوش المذهبة ومكتوب عليها قوله تعالى : « بسم الله الرحمن الرحيم إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا ننزع أجر من أحسن عملا - إلى قوله تعالى - نعم الثواب وحسنت مرتقا » .

كما أختيرت له الثريات النحاسية العربية ، والمشكولات الزجاجية المشغولة بالمينا . وقصارى القول أنه مهما أطنب الواصف له ، وصوّر محاسنه ، لا يوفيه حقه من الوصف . أما الجانب البحرى من المسجد فقد شرعت فيه ستة أبواب ؛ منها أربعة توصل إلى المدافن ، وأثنان يوصلان إلى رحبتين بين تلك المدافن .

فالبحر البحرية الشرقية بها أربعة قبور أحدها للرحوم على جمال الدين ابن المغفور له إسماعيل باشا المتوفى سنة ١٣١١هـ (١٨٩٣ م) ، وعليه تركيبة رخامية آية في دقة الصناعة والنقوش العربية والتذهيب . والثانى للمغفور لها السيدة توحيدة هانم ، بنت المغفور له إسماعيل باشا ، المتوفاة سنة ١٣٠٦هـ (١٨٨٨ م) وعليه تركيبة من الخشب المكفت بالفضة ، والمطعم بالسق ، ومكتوب عليها آيات من القرآن بحروف فضية وهى طرفة فى صناعة التجارة . والثالث للمغفور لها السيدة زينب هانم بنت المغفور له إسماعيل باشا المتوفاة سنة ١٢٩٢هـ (١٨٧٥ م) . وهى من الرخام ومحلة بزخارف موزقة مذهبة . والرابع للرحوم إبراهيم حلمى نجل المغفور له إسماعيل باشا المولود يوم الخميس أول شوال سنة ١٢٧٦ والمتوفى فى ١٢ رمضان سنة ١٣٤٥هـ (١٩٢٦ م) .

وتعلو هذه الحجرة قبة حُلِّيت مقرنصاتها بالألوان ومكتوب على رقبته : « بسم الله الرحمن الرحيم
ألم نشرح لك صدرك — السورة — وكان تمام هذه القبة في سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة وألف هجرية .
وعلى يسار هذه القبة من الجهة الغربية إحدى الرحبتين ، ومنها يتوصل إلى القبة الثانية وبها قبران
أحدهما مدفون فيه المغفور لها السيدة خوشيار هانم والدة المغفور له الخديو إسماعيل ؛ منشئة المسجد ؛
وقد أوفيت سنة ١٣٠٣ هـ (١٨٨٥ م) . والثاني قبر المغفور له الخديو إسماعيل باشا خديو مصر ،
المتوفى سنة ١٣١٢ هـ (١٨٩٥ م) . وقد كسيت جدرانها برخام ملون ، ونقشت القبة ومقرنصاتها
بالذهب والألوان ومكتوب على رقبته قوله تعالى : « وسيق الذين آتقوا ربهم إلى الجنة زمرا —
الآية » وتاريخ عملها سنة ١٣١٣ هـ برسم الخديو إسماعيل باشا والدته المرحومة خوشيار هانم .
ونقشت وطعمت الأبواب بالسن والأبنوس .

وعلى قبر الخديو إسماعيل تركيبة رخامية لها جلسة مزررة من رخام أسود وأصفر تعلوها
جلسة ثانية من رخام أبيض وأسود تعلوها عمدة صغيرة خضراء تحمل عقودا طعمت نواشيجها
بالرخام الملون ومكتوب عليها آيات من القرآن . ومكتوب عليها بالخط الكوفي : « لا إله إلا الله
الملك الحق المبين محمد رسول الله صادق الوعد الأمين . إسماعيل باشا خديو مصر توفى عام
اثنى عشر وثلاثمائة وألف » .

وبلى هذه القبة الرحبة الثانية ، ويتوصل منها إلى القبة الثالثة المشتملة على قبور السيدات زوجات
الخديو إسماعيل . وقد حُلِّيت مقرنصاتها بالألوان ، وتشمل قبور المغفور لها السيدة شهرت فزا هانم ،
المتوفاة سنة ١٣١٣ هـ ، ١٨٩٥ م والمغفور لها السيدة جنايار هانم ، المتوفاة سنة ١٣٣١ هـ (١٩١٢ م)
والمغفور لها السيدة چشم آفت هانم المتوفاة سنة ١٣٢٥ هـ (١٩٠٧ م) . ومكتوب على دائرة الرقبة :
« بسم الله الرحمن الرحيم إنا أنزلناه في ليلة القدر — السورة » وكان تمام هذه القبة في شهر رجب
سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة وألف هجرية .

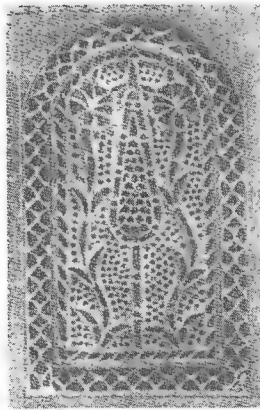
ويتصل بهذه القبة حجرة ، بها قبر المغفور له السلطان حسين كامل بن إسماعيل ، المتوفى
سنة ١٣٣٥ هـ (١٩١٧ م) ، تعلوها سقف ملون ، وكسيت جدرانها بأنواع فائقة من الرخام . وعلى
قبره تركيبة رخامية كبيرة مكونة من ثلاث حطات تجلّت فيها دقة صناعة الرخام ونقشه وتذهيبه
ومكتوب عليها :

« هذا ضريح حسين كامل بن إسماعيل بن الحاج إبراهيم بن الحاج محمد علي الكبير . ولد في ١٩ شهر
صفر سنة ١٢٧٠ وتوفى إلى رحمة الله تعالى في ٢٢ ذى الحجة سنة ١٣٣٥ » .

ويلاحظ في هذه التراكيب أن صناعة الرخام فيها بلغت شأواً بعيداً في الرق ، وقد أنفردت بمميزات فنية لا تتوفر في غيرها ، كما فرشت تلك المقابر بالسجاد الفاخر ، وعلقت بها الثريات النحاسية والمشكوات وبها كراسي المصاحف المطعمة بالسّن ، والمكفنة بالفضة ، وبها المصاحف المذهبة ، والمباخر والشمعدانات الفضية ، ويتناوب القراء قراءة القرآن بها يومياً . وفي هذه المدافن تحيي ذكرى وفيات المغفور لهم المدفونين فيها وتوزع الصدقات .

عناية حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق بالمسجد :

إن العناية التي يلاحظ بها مولانا الملك هذا المسجد فاقت كل عناية ، فرعايته له متلاحقة ودائمة ، فقد أمر — حفظه الله — بكتابة وتذهيب دكة المبلغ ، وعنى بمقبرة والده المغفور له الملك فؤاد الأول — رحمه الله — فكسى جدران مدخلها بأنواع الرخام الفاخر وكتب بإزاره آيات من القرآن الكريم ، كما أمر بإصلاح الرخام أعلى المحراب وفي جوانب المسجد ، وفي عهده السعيد أصلحت الوجوهات وغير السالف من أحجارها وأحجار المنارتين ، وكلها أعمال كان لها أكبر الأثر في صيانة هذا المسجد العظيم بل زادت بهاء على بهائه .
أمد الله في عمره السعيد وأبقاه ذخراً للإسلام والمسلمين .



مسجد الفتح الملكي

بشارع جامع عابدين^{*}

قبل التحدث عن تاريخ هذا المسجد أستطر الرحات على جدث المغفور له حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول عاهل مصر وزعيم نهضتها وواضع دعائم عمراتها ، فإليه الفضل في تعمير هذا الجامع وزيادة مساحته .

وكان لتوجيهاته العالية أحسن الأثر في وضع تصميمه واختيار زخارفه حتى جاء تحفة فنية رائعة ، رحمه الله وأحسن إليه بقدر ما أسدى إلى مصر من خير ، وأسكنه فسيح جناته

هذا الجامع بشارع جامع عابدين ، ويلاصق قصر عابدين العامر من الجهة الشرقية . وقد عُرِفَت هذه المنطقة كما عُرِفَ المسجد بعابدين ، وهو أمير اللواء السلطاني عابدين بك ، الذي كان يسكن بجهة سويفة صفية بالقرب من الزير المعلق . ومن مآثره تجديد جامع الفتح الذي كان يحاور داره فعرف به ، ورصد عليه أعيانا مبينة في حجة وقفه المؤرخة ١١ جمادى الأولى سنة ١٠٤١ هـ (١٦٣١ م) . ولما أنشأ المغفور له الخديو إسماعيل باشا قصر عابدين العامر ترك الجامع متداخلا في حدود القصر . وقد كان الجامع قبل تجديده الحالي يشغل مسطحا قدره ٦٤٠ مترا ، وهو عبارة عن قاعة ذات أعمدة تحمل عقودا يرتكز عليها سقفه الذي يتوسطه منورا كبير . وكانت وجهته الشرقية بسيطة جدا وتحت قسم منها حوانيت ، وبأعلاها مناور دائرية .

وكان بابُه في هذا الشارع بارزا فيه ، يفتح إلى الجهة البحرية . وله عقد مداين مقرنص . وكان الباب مع امتداد الوجهة إلى الجهة القبليّة يكون زاوية قائمة توجد المنارة على ضلعها الآخر مع بروز قليل في الشارع . أما وجهته البحرية فكانت تشرف بمناورها على حارة سويفة صفية التي صارت جزءا من مدخل السراي الشرق .

وفي أوائل سنة ١٩١٨ أمر المغفور له الملك فؤاد الأول بتجديده ، فعهدت وزارة الأوقاف إلى لجنة حفظ الآثار العربية بذلك . وبناء على رغبة جلالتهم احتفظ بالمدخل القديم وبالمنارة ، وقد أعد له مشروع عظيم روي في أن يكون على مثال المساجد العثمانية . وأضيف إلى مساحته ضعفها من أرض السراي حتى بلغت ١٢٤٦ مترا .

(*) انظر الصورة من رقم ٢٦٠ - ٢٦٢ مجموعة الصور الفوتوغرافية . (١) مذكرة انتاح المسجد .

والمسجد الحالي مكوّن من المدخل العام بشارع جامع عابدين الذي يرتفع عن مستوى الشارع بدرجات . والباب والمنارة في الطرف الشرق القبلي للوجهة الشرقية وهما بارزان عنها ، وهو باب مبنى بالجمر كبقية المسجد ، وله عقد مداخني به مقرنصات وبزواياه مقرنصات أيضا وأعتابه وجانبها مدخله من أحجار مززرة ملوّنة . والداخل من الباب العمومي يمر في طرقة تحت مجموعة من القباب الصغيرة المنقوشة بزواياها ، وبهذه الطرقة أبواب توّدي الى المنارة والى السطح والى دورة المياه والى المسجد ، وبصدرها لوحة رخامية مكتوب عليها بالخط الكوفي المربع : « الله مجد وأسماء العشرة المبشرين بالجنة » .

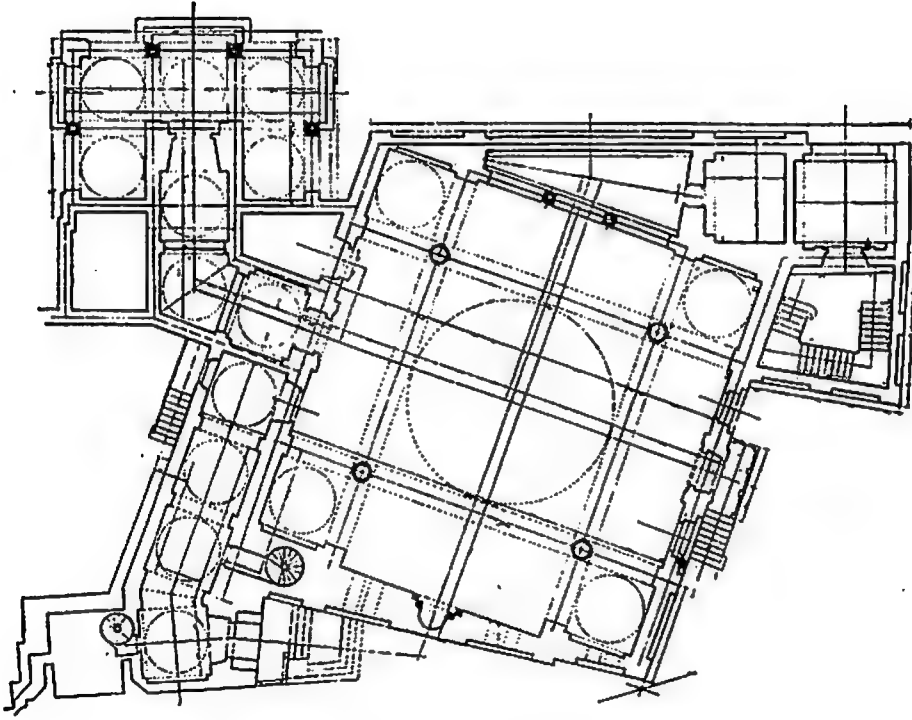
وللمسجد ثلاث وجهات : الغربية تشرف على حديقة قصر عابدين ، ويبلغ ارتفاعها ١٥,٧٠ وبها المدخل الملكي . والبحرية بها باب يؤدي الى فضاء بسيط والشرقية ويبلغ ارتفاعها ١٤,٣٠ وبها القبة والباب والمنارة .

ويبلغ ارتفاع المنارة لنساية الهلال ١٠,٤٠ مترا ، ولا أكون مغاليا إذا قلت إنها أجمل منارة من نوعها ، لأنها حلّيت بخطوط رأسية ومتقاطعة .

ويشتمل المسجد على قبة كبيرة ارتفاعها ٢٢,٦٠ مترا، محمولة على عقود حجرية مرتكزة على أربعة عمد ضخام من الجرانيت الأحمر ، وقد مؤهت تيجانها بالنقوش والزخارف الذهبية ، وكتب حول رقبته ما نصه : « بسم الله الرحمن الرحيم في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال إلى قوله تعالى والله يرزق من يشاء بغير حساب . صدق الله العظيم . أمر بإنشاء هذا المسجد المبارك حضرة صاحب العظمة مولانا السلطان فؤاد الأول سلطان مصر أدام الله أيامه . وكان الفراغ من بنائه في سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة وألف هجرية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التحية » .

ويملو هذا الطراز شبابيك من الجص والزجاج الملون . وقد نقشت القبة بالذهب والألوان ومكتوب على قطبها سورة الأخلاص وحوله مصابيح ، ويحيط بهذه القبة أربعة إيوانات ذات سقوف معقودة حافلة بالزخارف الملونة ؛ تنتهى أطرافها بقباب صغيرة تشغل أركان الجامع الأربعة . وكانت القبة الكبيرة والقباب الصغيرة من الخارج مكسوّة بقاشاني أخضر جميل ، ثم استبدل بكسوة نحاسية ، وكُسيّت الجدران من الداخل الى ارتفاع ٢,٥٠ مترا بوزرة من الرخام تنتهى بإفريز دقيق يحيط بالأبواب أيضا ؛ اقتبس الى حد كبير من إفريز وزرة مسجد البرديني . كما كُسيّت أعتاب الأبواب بالرخام .

وفي صدر الجدار الشرقى المحراب ، يعلوه مستطيل ؛ كتب عليه بخط جميل قوله تعالى : « قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام » وهذا المحراب من الطُرف القيمة فقد كُيى أسفلهُ بأشرطة رخامية بها جامات زرقاء ، وأشتمل تجويفه على مستطيلات من الرخام الدقيق المألون وأخرى بها زخارف موزقة مذهبة ثم خورنقات صغيرة محمولة على عمد زرقاء ، وطاقيته من رخام على شكل دالات تنتهى بلفظ الجلالة . ويجاور المحراب منبر من الرخام المحلى بنقوش ذهبية ؛ مقتبس من منبر مسجد سليمان باشا بالقلعة .

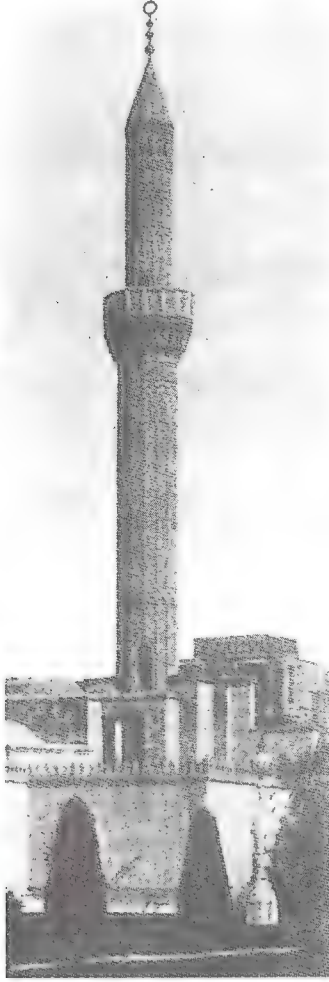


سقط انسن

وقد حُلّت الجدران بخاريات مذهبة مكتوب عليها « الله » « محمد » ثم أسماء الخلفاء الراشدين . ويحيط بالجامع من أسفله وأعلاه شبايك جصية تتوزع أشكالها نُقشت وذُهبَت أطرافها الخارجية . كما نقش ما حولها .

و جميع الأرضيات مفروشة بالرخام الدقيق المكوّن من دوائر ومثلثات ومستطيلات على شكل دالات ؛ مقتبسة من أنفس النماذج بالآثار الإسلامية بمصر .

وتوجد بالجهة الغربية دكة المبلغ ، وهي محمولة على ثمانية عمد رخامية ، ولها درابزين خشب
خرط . ويعلوها مقصورة أعدت لصلاة السيدات ، غطيت فتحاتها بشبابيك من الخرط الدقيق .
ولعلها المقصورة الوحيدة المخصصة للنساء في المساجد بمصر، ومدخلها من حديقة القصر العامر .



المنارة

وهو يؤدي إلى مئذنة مقبودة بقباب صغيرة محلاة بنقوش .
ويقع المدخل الملكي في حديقة السراي ، وفي الجدار الغربي
للجامع وهو مكون من سقيفة ترتكز على عقود محمولة على أعمدة
من الحجر والرخام ، وله باب مكسوة بالرخام وقد كتبت عليه
ما نصه : « بسم الله الرحمن الرحيم بفضل الله تعالى وحسن
توفيقه تم تجديد هذا الجامع المبارك وأذن بالصلاة فيه
في يوم الجمعة السادس من شهر رجب سنة ثمان وثلاثين
وثلاثمائة وألف من الهجرة النبوية وهي السنة الثالثة من عهد
مولانا السلطان فؤاد الأول سلطان مصر المعظم وقد وافق
ذلك مبدأ السنة الثالثة والخمسين من عمره السعيد بارك الله
في عمره وأعزه بنصره » .

وقد روعي في إضاءة المسجد أن تكون على شكل عربي
بديع ، فصنعت له ثريات من النحاس الأصفر ، علّق أكبرها
بقطب القبة الكبيرة ، وتتكون من ثلاث طبقات دائرة ،
قطر الطبقة الأولى ٣,٤٠ مترا . وتشتمل على ٩٦ مصباحا
أما الثريات الصغرى فمعلقة بأوتار العقود وغيرها بكل منها

تسعة مصابيح . ولا شك في أنه من أجمل المساجد المنشأة حديثا ، فقد روعيت فيه أصول العمارة العثمانية .
وبعد الفراغ من العمارة تفضل المغفور له الملك فؤاد الأول بأداء صلاة الجمعة فيه يوم ٦ رجب
سنة ١٣٣٨ هـ (٢٦ مارس سنة ١٩٢٠ م) .

وقد بلغت نفقات إنشائه ، مبلغ ٢٥٠٠٠ جنيه ، صرفت من ريع وقف ساكن الجنان
إسماعيل باشا .

مسجد محمد علي باشا الكبير

بالقلمة^(*)

إلى روح محمد علي باعث النهضة ومحبي مصر، ومؤسس البيت العلوي الكريم .

إلى منقذ مصر من الفوضى، وواضع دعامة استقلالها ونهضتها .

إلى روحه الطاهرة نبعث بأخلص الدعوات، ونسأل الله القدير أن يغمره بفيض الرحمت .

ولد محمد علي سنة ١١٨٢ هـ (١٧٦٨ م) بمدينة قوله من ثغور مقدونية، وقد تركه أبوه إبراهيم أغا رئيس الحرم وهو في حداثة سنه فكفله عمه طوسون أغا ثم توفي عمه فكفله حاكم المدينة (الشوريجي) وكان صديقا لوالده .

ولما بلغ أشده التحق بالجهادية زما، وسرعان ما تجلّت شجاعته ورقى إلى رتبة بلوك باشي (قومندان فرقة) ثم زوجه متصرف قوله بقريبة له، ثم أشتغل بالتجارة^(١) إلى سنة ١٨٠١ م . وقد قزر الباب العالي وقتئذ إرسال حملة تركية لطرد الفرنسيين من مصر بمساعدة إنجلترا، فأنتظم محمد علي في سلك القوة البحرية التي أشرتكت في واقعة أبي قير وظهر اسمه في هجوم الجيش التركي على الرحمانية فقد أخذها من الفرنسيين، ولما خرج الفرنسيون من مصر رقى إلى رتبة لواء وعيّن قائدا على أربعة آلاف جندي ألباني . ثم أرسله خسرو باشا الوالي العثماني الجديد إلى الصعيد لمحاربة المماليك، ولكن محمد علي وصل متأخرا ففكر خسرو في الغدر به؛ فتحالف محمد علي مع عثمان البرديسي زعيم المماليك وتمكن من عزل الوالي سنة ١٨٠٣ م . وبحكمته وحسن سياسته تحجب إلى الشعب واستمال إليه زعماءه . وفي أثناء ذلك كان محمد الأثني زعيم المماليك الثاني قد سافر إلى إنجلترا، فأكرم الإنجليز وفادته، وقدموا له الهدايا الثمينة . وكان غرضهم الاستيلاء على سواحل مصر الشمالية في مقابل تعضيدهم للمماليك، وتوطيد شوكتهم بمصر . وقد عاد محمد الأثني وتحصن بالصعيد، فعمل محمد علي، على الإيقاع بينه وبين البرديسي . لأن الأثني كان يمثل الحماية الإنجليزية فقضى عليه .

وآزدادت جراءة الألبانيين، وكان محمد علي يعصدهم سرا^(٢)، فأخذوا يطالبون البرديسي بتناحر مرتباتهم؛ ففرض الضرائب الفادحة على سكان القاهرة، فثاروا عليه وأجلاوه إلى الهرب .

(*) انظر الصور من رقم ٢٦٣ - ٢٧٥ مجموعة الصور الفوتوغرافية .

(١) تاريخ مصر الحديث ص ٣١ و٣٢، الحركة القومية ج ٢ ص ٣١١ و٣٥٩، الهبة التوفيقية ص ٤٣ و٤١

خلا الجوّ لمحمد علي في القاهرة، وبحسن سياسته أشار على العلماء والمشايخ بتولية خورشيد باشا محافظ الإسكندرية واليا على مصر فأجتمع الشيوخ وزعماء الجند وأجمعت آراؤهم على تعيين خورشيد باشا واليا وتعيين محمد علي قائما ، وأوفدوا الى الإسكندرية رسولا يدعو خورشيد باشا الى الحضور للقاهرة ليتولى منصب الولاية فقدم اليها في أواخر مارس سنة ١٨٠٤ م .

ولكن الوالى الجديد لما رأى جند محمد علي الألبانيين خاف على نفوذه؛ فاستقدم جندا من (الدلاة) فأساءوا معاملة الأهالى ، وأوسعهم نهباً وقتلاً، فأزداد المصريون كراهية لوالى، وكان الباب العالى في هذه الفترة بناء على مساعى خورشيد باشا قد عين محمد علي واليا على جدّة لإبعاده عن مصر. ولكن محمد علي أدرك ما في هذا التعيين من الدسيسة فلم يذهب إلى جدّة ثم استغل الظروف، وحرض الجند على مطالبة الوالى برواتبهم ، وتحالف مع ثقباء الصناع والعلماء — وكانوا قد سموا هذه الفوضى — فحاصروا خورشيد باشا في القلعة، ونادوا بمحمد علي باشا واليا على مصر، وألحوا على الباب العالى بتوليته، فصدر الفرمان بولايته في ١٧ صفر سنة ١٢٢٠ هـ (١٨٠٥ م) .

وكان من فضل الله على مصر والمصريين أن عني المغفور له محمد علي باشا بتثبيت حق الوراثة من بعده في ذريته ، وكانت من أمهات المسائل التي أثارها محمد علي الكبير بعد انتصاره على جيوش السلطان محمود في المعارك التي دارت رحاها في عكا وفي حمص وحماة وحلب وبيلان وقونية وتريب، وآتته بقبول السلطان تثبيت محمد علي وأسرته على عرش مصر، ففي يوم ١٣ فبراير من سنة ١٨٤١ صدر الخط الشريف الهادي من السلطان عبد المجيد الى محمد علي باشا الكبير بتثيته على عرش مصر مع إقرار حقوق الوراثة في ذريته من بعده ، ولولا هذا الفرمان الذي ظفرت به مصر بفضل حكمة محمد علي وحسن سياسته وقوة جيوشه لبقيت مصر ولاية عثمانية كدائر الولايات ، يتعاقب عليها الولاة الأتراك، وهي مدينة بهذا إلى عبقرية محمد علي صاحب الفضل الكبير في تنظيم ذلك الجهاد وأستتاره وتوجيهه إلى خير مصر وعظمتها ؛ ففي عهده الزاهر نشأت الدولة المصرية الحديثة ، وفيه تحقّق الاستقلال القومى ، وشيدت الدعائم الكفيلة بالقيام به ، فيه تأسس الجيش المصرى ، والأسطول المصرى ، والثقافة المصرية ، وفيه وضعت أسس النهضة العلمية والاقتصادية في البلاد، فهو عصر استقلال وحضارة وعمران .

ولا شك أن هذا يعدّ بحق فاتحة عهد جديد، وهو عهد نهضتها السياسية والمالية والاجتماعية، التي نرى آياتها الآن في جميع المرافق والشؤون .

(١) الذكرى الثوية لتثبيت محمد علي باشا الكبير وأسرته على عرش مصر ص ١ .

بعث هذا العاهل الكبير في مدة الخمس والأربعين سنة التي حكمها روحاً جديدة في مصر ، ونهض بها في شتى نواحيها ومرافقها ، فعنى بالرى والتعليم والجيش والمالية والتجارة والصناعة والهندسة والموسيقى والطب ، وأنشأ لها المدارس والمصانع ، وأوفد الوفود إلى أوروبا ، كما أستقدم إليها خيرة العلماء والفنيين ، فكانت أعماله أنواراً لا تطفأ .

وقد أمد الله في حياته ، فتوالت أياديه البيضاء على مصر ، وانتشرت في البلاد آثاره الصالحة الخالدة ، حتى رأى ثمرات غرسه يانعة زاهرة ، وأتم أحفاده العظماء البناء الذي أسسه جدّه العظيم ، وقادوا الأمة إلى مدارج الكمال .

وإن الآثار الإسلامية لتردان بجملة منشآت عمارية تجل اسمه الكريم في شتى نواحي القطر ، من مساجد وأسبلة ومصانع وحصون إلى قصور فقناطر فدار محفوظات فدار ضرب . ودزنتها مسجده العظيم الذي يضم جثمانه الطاهر في القلعة ، ويشرف على قاهرة الفاروق من عليائه ، فتقر عينه بما وصلت إليه من نهوض ومدنية في عهد حفيده الفاروق .

بعد أن أتم محمد علي إصلاح القلعة ، وفرغ من بناء قصوره ودواوين المالية والجهادية ، وعموم المدارس ودار الضرب بها ، رأى أن الحاجة ماسة إلى إنشاء مسجد لأداء الفرائض ، وليكون مدفناً له ، فعهد إلى المهندس التركي (يوسف بشناق) بوضع تصميم له ، فوقع اختياره على مسجد السلطان أحمد بالآستانة ، فأقتبس منه مسقطه الأفقي بما فيه الصحن والفسقية مع تحويرات طفيفة .

الهيئة الفنية للمسجد — نأسف لعدم العثور على وثيقة رسمية بأسم مهندس المسجد ، ولكني عثرت على أسم مساعد له أسمه على حسين (التلميذ المهندس) فقد ألحق بعمارة المسجد سنة ١٢٥٨ هـ (١٨٤٢ م) بوظيفة منظم أحجار .^(٣)

وكذلك عرفنا من بين رسامي هذا المسجد على أفندي موسى والسيد أفندي حمد والمعلم ابرام وحكا كان أفندي ، ولعله يوسف هكا كان الذي تولى نظارة مدرسة المهندسخانة وأحد تلاميذ البعثات ، وبعض المهندسين المصريين . وأن من قام بعمل رسم الشبايك النحاسية أسطى روى .^(٤)

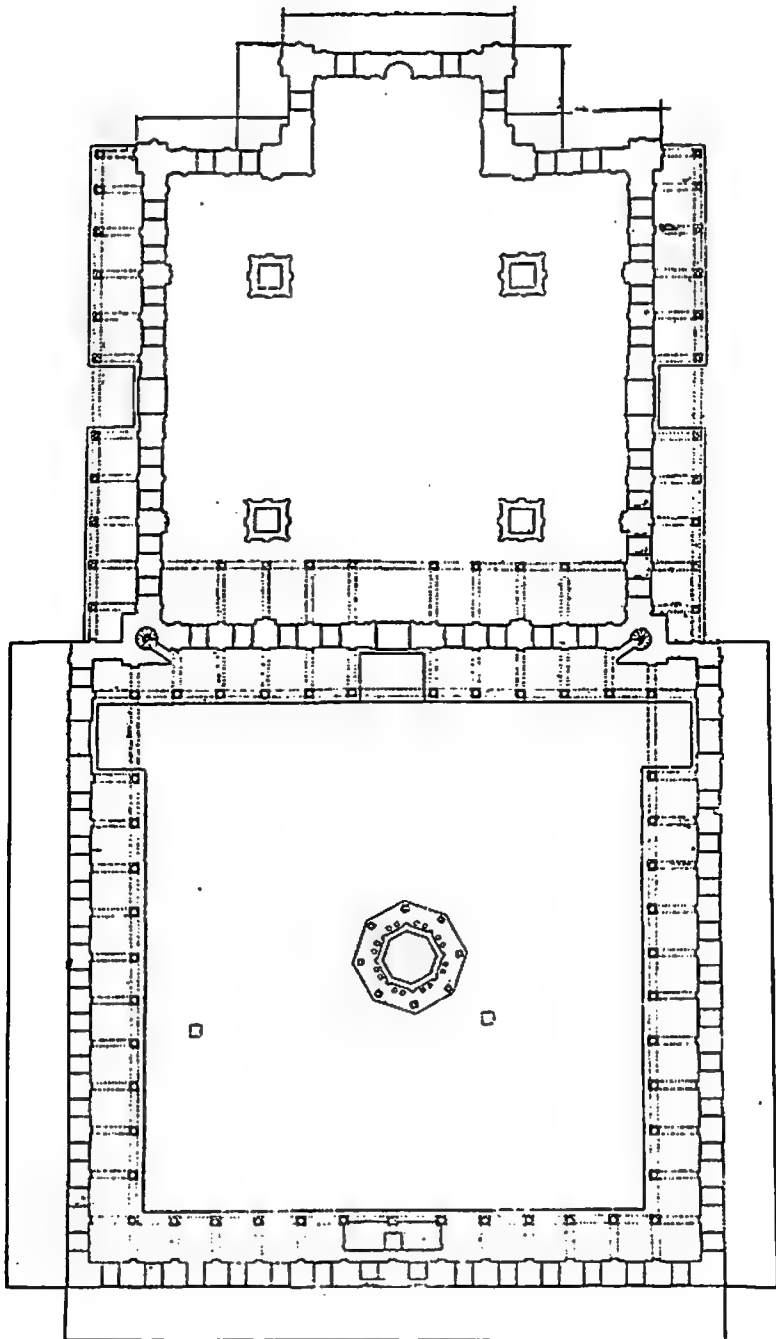
(١) انظر ما كتبه عن العارة في «عصر محمد علي باشا» في العدد الذي أخرجه مجلة العارة سنة ١٩٤١ بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس ملكة السميد وقد أحصيت ووصفت فيه منشآته العارية وصورتها .

(٢) ذكر جناب مسيو فيث مديردار الآثار العربية في كتاب مساجد القاهرة ، أن أسمه يوسف بشنا ، ص ٢٤٤ ج ١

(٣) سجل ج ٣ في ٢٦ مفرسة ١٢٦١ ، الوثيقة العربية رقم ٣٣٥٣ المؤرخة ٧ جمادى الثانية سنة ١٢٦٣ هـ .

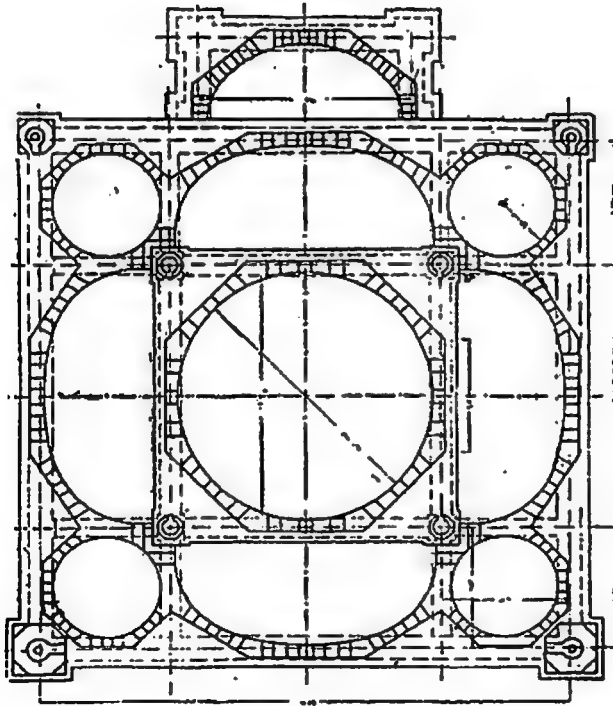
(٤) دفتر ١٤ ج ١ وثيقة عربية رقم ٤٩٠ ، دفتر ٧٤ معية تركى بتاريخ ١٦ ربيع الآخر سنة ١٢٥٢ هـ ، البعثات العلمية

(٥) دفتر ٤٩ معية تركى ١٠ جمادى الأولى سنة ١٢٤٨ هـ .



أما النحاتون والمجاريون فقد كانوا مصريين . عرفنا من النحاتين اثنين هما حسين محزم ، وإبراهيم حسن ، وقد كان مقفرا على عمدة النحاتين المصريين ، أن يورد كل منهم ثمانية نحّاتين يختارهم بنفسه من مهرة الصنائع ، وتدفع لهم أجورهم حسب تقديرهم ، كما عرفنا من المجارين اثنين هما الأسطى حسين ، والحاج إبراهيم الأنباوى .

وقد قام بأعمال الرخام عمال مصريون ، بمقاولة الخواجه سيمون ، وتحت مباشرة يوسف ضيا أفندى وشا كرافندى والقبطان هدايت والمعلم يوسف ، كما عهد بأعمال الأهلة النحاسية وطلائها بالذهب الى الخواجا يرون وكرايت النحاسين بالموسكى (وثيقة رقم ٤٥٢ دفتر ١٦ بتاريخ ٢ رجب سنة ١٢٦١ هـ) .



مخطط أفق لقسم الشرق

(١) أما عمال تكسية الرصاص لقياب المسجد ومسلة المنارتين ، فقد أحضر لها عمال من الآستانة . هذه هي الهيئات الفنية التي أستطعنا الحصول عليها .

تاريخ إنشاء المسجد — كان الشروع في إنشائه سنة ١٢٤٦ هـ (١٨٣٠ م) واستمر العمل سائرا فيه بلا انقطاع حتى توفي محمد علي الى رحمة الله تعالى سنة ١٢٦٥ هـ (١٨٤٨ م) فدفن في المقبرة التي أعدها لنفسه بداخل هذا المسجد .

انتقل محمد علي الى رحمة الله تعالى ، وكان بناء المسجد كاملا من أسوار وقباب ومنازل وكابات تعلو الشبايك الخارجية والداخلية ، بما فيها كسوتها الرخامية على ما هي عليه الآن .

أما كسوة الرخام بالوجهات فلم يتم منها إلا القسم الأسفل حتى الباب القبلي للصحن ، وكان التصميم يشمل كسوة القسم أعلى المربع أيضا، فلم يعمل منه سوى الأفاريز حول الشبايك النحاسية .

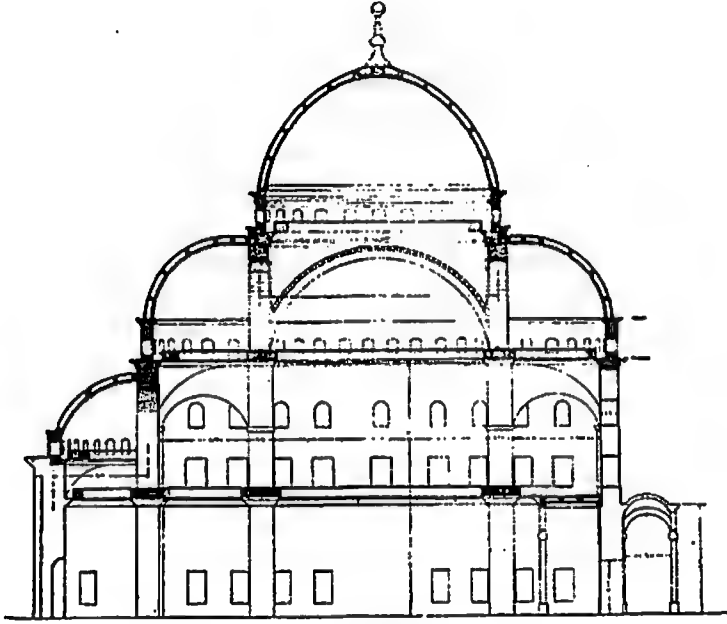
ولما تولى المرحوم عباس باشا الأول في ٢٧ ذى الحجة سنة ١٢٦٤ هـ (١٨٤٨ م) أمر بإتمامه . وقد تناولت أعماله النقش والتذهيب^(١) وبعض أعمال الرخام ، ثم أمر بعمل تركيبة رخامية ومقصورة نحاسية وضع بداخلها شمعدانات فضية ومصاحف مذهبة ، كما أمر بفرشه وإضاءته بالنجف ، ثم أمر بتعيين القراء ورصد الخيرات على هذا المسجد بمقتضى وقفية مؤرخة ٩ رجب سنة ١٢٦٩

ولما تولى المرحوم محمد سعيد باشا سنة ١٢٧٠ هـ (١٨٥٤ م) رصد له خيرات كثيرة ، وقدر احتفالات رسمية نجمس ليل من السنة ، هي ليلة المعراج ، وليلة نصف شعبان ، ثم ثلاث ليال في رمضان ، منها ليلتا ١٣ و ١٤ ، الأولى ذكرى وفاة محمد علي بالإسكندرية ، والثانية لذكرى إيداعه مقبره الأخير بمصر ، ثم ليلة القدر ، وما زالت هذه الحفلات تقام حتى الآن . وكذلك أمر بطلاء المقصورة النحاسية وأحدث بعض تغييرات في كاباتها .

كذلك عني به المغفور له إسماعيل باشا سنة ١٢٨٠ هـ (١٨٦٣ م) فعمل له أبوابا جديدة بستاعات نحاسية وأهداه مصحفين مذهبين بخط إبراهيم أفندي رشدي وأعد به مقصورة بجوار المنبر كي يصلّي فيها السلطان عبدالعزيز لما حضر الى مصر وصلّى بالمسجد ، وأحاطه بأسوار وأنشأ له دورة مياه ، ثم عني به المغفور له توفيق باشا سنة ١٢٩٦ هـ (١٨٧٩ م) فأمر بإصلاح رخام الصحن ، وأعاد رصاص القباب ، وأهدى اليه مصاحف مذهبة .

عناية المغفور له الملك فؤاد بالمسجد — وكانت أكبر عناية نالت هذا الجامع ، هي التي وجهها اليه المغفور له الملك فؤاد الأول ، فما إن وصل الى مسامعه نبأ الخلل الجسيم الذي تطرق اليه ، والذي اكتشفه المغفور له محمود باشا أحمد مدير إدارة حفظ الآثار العربية السابق ، حتى أصدر أمره

بتكوين لجنة من كبار المهندسين وطينين وأجانب لفحصه ، ووضع مشروع لإصلاحه ، فكانت هذه اللجنة في ٢٩ ديسمبر سنة ١٩٣١ ، وكانت نتيجة الفحص ضرورة إزالة قبة الكبيرة ، وما حولها من أنصاف القباب ، وقباب صغيرة . وإعادة بنائها بعد عمل شدة ، وهي هيكل من الصلب المجمع يُكوّن في مجموعه عدة أبراج مستقلة وعقودا تشيد بنسب معينة لتحمل القباب والعقود ، عند الهدم والبناء وقد بلغ وزنها ٦٥٠ طنا ؛ قدرت تكاليفها بمبلغ ١٦١١٠ جنيه^(١) . ولما تم عمل الصلب ، ضرب أول معول في القبة الكبيرة في ١١ فبراير سنة ١٩٣٥ وما حولها من قباب وأنصاف القباب .



قطاع رأسي

ويرى المغفور له محمود باشا أحمد أن الأسباب التي أدت الى هذا الخلل هي ضعف الأجزاء التي تقوم بأخذ وتوزيع الأحمال في المبنى ، ومنها العقود والأكتاف الحاملة لها ، وكان العامل الأول في حصول الخلل هو عدم كفاية تثبيت أطراف الشدادات الحديدية الرابطة لأرجل العقود الأربعة الحاملة للقبة الكبيرة وعدم وجود شدادات للعقود الصغيرة مما ترتب عليه تفتت أحجار أرجل العقود تحت حمل القبة الكبيرة ودفع العقود للجدران الخارجية للمسجد فأما لها ؛ هذا عدا شروخ أخرى محليّة كانت نتيجة تأكسد « الكانات » الحديدية الرابطة لقطع الأحجار المبنى بها المسجد .

(١) إصلاح مسجد محمد علي . رسالة لصاحب العزة مرجع للباقر بك تلخيص الأستاذ محمود زكي الطويل نشرت بعدد يناير سنة ١٩٣٧ من مجلة المونث . (٢) مذكرة المرحوم محمود باشا أحمد عن المسجد بمناسبة إتمام إصلاحه .

وقد كشفت عملية الهدم عن كثير مما كان مستترا من عيوب وتكسيرات داخل الحوائط ، كما وجدت قطع كبيرة من الخشب مبعثرة هنا وهناك في وسط المبانى ، وهى فى حالة عطب شديد ، كما وجدت قضبان حديدية علاها الصدأ ، فأحدث تمزقا فى أليافها نتج منه ضغط كبير على أجزاء البناء ، نشأ عنه فى النهاية التصدع ، كما ظهر أيضا خلل الدعامات الرئيسية .

وقد أستخرجت من أركان القباب التى هدمت زلع كبيرة من الفخار لم يعد استعمالها . وقد لفت نظرى ما جاء فى بحث عن القباب لمسيو شيدان (Chedanne) ضمن تقريره المرفوع فى يونيه سنة ١٨٩٢ ، لأكاديمية الفنون الجميلة بفرنسا عن نظريات الصوت «ويظهر أن نظريات الصوت فُكر فيها منذ القدم ، فقد وجدت بقبة كنيسة القديسة هيلانة بالقرب من روما ، (تورى^(١) پنيانارا) (Torre Pignattara) قدور من الفخار من داخل البناء ، صوّبت فوهاتنا نحو الداخل ، وذلك إبان القرن الرابع » .

ولا شك أن الزلع التى وجدت فى زوايا قباب مسجد محمد علي ولم تُعد الى أماكنها ، كانت لهذا الغرض ، وقد روعى فى تصميم إعادة العقود وغيرها أحجامها وأبعادها المعمارية الأصلية وأستدعى ذلك تسليحا خاصا للعقود ؛ كما أن القباب القديمة وقد كان سمكها نحو ٨٠ سم ، مترا احتفظ فيها بهذا البعد ، وذلك بعمل قباب مفروغة بالبعد المطلوب بحيث تحتفظ بشكلها القديم تماما ، وكذلك روعى عند إعادة الزخارف أن تكون طبق الأصل ، فقد احتفظ بنماذج متعددة من الزخارف القديمة ؛ كما عملت نماذج جديدة مأونة قبل الهدم ، وأخذت رسوم وصور فوتوغرافية لشتى أنواع الزخارف والخطوط ، مما ساعد على إعادة هذه الزخارف طبقا لأصلها . وكان لحضرات أعضاء القسم الفنى للجنة حفظ الآثار العربية نصيب موفور من العناية باصلاح هذا المسجد وتبج خطوات الإصلاح والمحافظة على نقوشه وكتاباتهِ وإعادة عملها طبقا لنماذجها القديمة .

وقد بانئت تكاليف أعمال الهدم والبناء ٦٠٠٠٠ جنيه . ونفقات البياض والزخرفة والتذهيب ٤٠٠٠٠ جنيه بجاء من أجل الأعمال المعمارية التى عملت فى مصر .

وصف المسجد — إن موقع هذا المسجد من أجمل المواقع إذ يشرف على القاهرة مطاولا السماء بمناطيه الرشيقتين وقبته الكبيرة ، ترمقه العيون من جميع نواحيها ، فكما أن الأهرام رمز مصر القديمة فهذا المسجد رمز مصر الحديثة ، وهما صنوان يقصدهما كل زائر أجنبي يهبط أرض مصر وكثيرا ما يقنع بعض زائرى مصر فى الفترات القصيرة بهاتين الزيارتين .

(١) هذا البحث مترجم ومنشورة خلاصته فى ص ٤٦٢ — ٤٦٤ ج ٢ ، كتاب هندسة المبانى والإنشاء للاستاذين

حسين صالح ، أحمد حسن عمر .

والمسجد في مجموعه مستطيل البناء، وينقسم إلى قسمين: القسم الشرق وهو المعد للصلاة، والغربي وهو الصحن تتوسطه فسقية للوضوء، ولكل من القسمين بابان متقابلان: أحدهما قبلي، والآخر بحري؛ فالقسم الشرق مربع الشكل طول ضلعه من الداخل ٤١ متراً، تتوسطه قبة مرتفعة، قطرها ٢١ متراً وارتفاعها ٥٢ متراً عن مستوى أرضية المسجد، محمولة على أربعة عقود كبيرة متكئة أطرافها على أربعة أكاف مربعة يحوطها أربعة أنصاف قباب، ثم نصف خامس ليفضي بروز المحراب، وذلك خلاف أربعة قباب أخرى صغيرة بأركان المسجد.

وسمك الجدران في الأساس ٢,٢٠ متراً، ثم يتناقص هذا السمك حتى يصل إلى ١,٩٠ متراً في أجزائه العلوية، وقد كُسيَت جدران المسجد من الداخل والخارج بالرخام الألبستر المستورد من محاجر بني سويف، وكذلك الأكاف الأربعة الداخلية الحاملة للقبة إلى ارتفاع ١١ متراً.



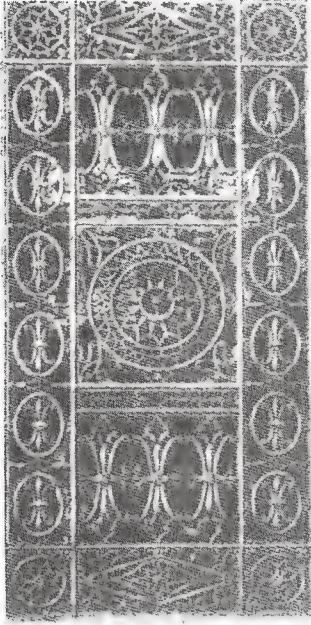
بسملة بخط سنكلاخ

وتشغل الجدار الغربي، دكة المؤذنين وهي بعرض المسجد، مقامة على ثمانية أعمدة من الرخام فوقها عقود وبها سقوف ملونة، ولها سياج من نحاس يتوصل إليها وإلى المنبر العلوي المحيط بالمسجد من سلمى المنارتين، وبندائر المسجد من أسفل شبابيك كُتِبَ على أعتابها من الداخل أبيات من قصيدة البردة. والمحراب من الرخام الألبستر، يجاوره المنبر الرخامي الحديد الذي أمر بعمله حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول أعزّه الله، وبالقرب منه المنبر الخشبي القديم بالمسجد، وهو أكبر منبر في الآثار الإسلامية وقد حُلِّيَ بنقوش مذهبة.

وكُسيَت جميع جدران المسجد أعلى الكسوة الرخامية من الداخل ببياض حُلِّيَ بنقوش ملونة مذهبة، أما القبة الكبيرة وأنصاف القباب فقد حُلِّيَت بزخارف بارزة ملونة مذهبة، تشمل عقوداً وزهوراً يتوسطها هلال. وكتب في أضلاع القبة بالتناوب: بسم الله. ما شاء الله. تبارك الله. ومهندس الجامع، وإن كان اقتبس من مسجد السلطان أحمد بالاستانة التصميم والوجهات وشكل المنارات - إلا أنه لم يقتبس منه زخارفه، ولا زخارف عصره؛ بل اقتبس زخارف المسجد

من تلك الزخارف التي راجت في تركيا في القرن الثامن عشر الميلادي ، وهي تمثل جدائل مخضرة بزهورها الملونة وبعض الفواكه ، ولذا أشتملت مجموعة زخارف المسجد على أوراق نباتية وزهور ملونة وعناقيد عنب ، تكاد تكون وحداتها مكررة . وقد حليت زوايا القباب والعقود بلفظ الجلالة ، محمد رسول الله ، وأسماء الخلفاء الراشدين ، بخط الخطاط المشهور (أمين أزميري) .

وفي الركن الغربي القبلي قبر المغفور له محمد علي باشا ، وضعت عليه تركيبة رخامية حولها مقصورة نحاسية مذهبة ، جمعت بين الزخارف العربية والتركية والمصرية ، وثبت على جدارها القبلي لوحة رخامية مكتوبة باللغة التركية تضمنت مدح محمد علي باشا وعددت مواهبه وخدماته للقطر المصري ومدة حكمه وتاريخ وفاته ، وعلى طرفي الوجهة الغربية للصحن منارتان رشيقتان ، بارتفاع ٨٤ مترا عن مستوى أرضية الصحن ، بكل منهما ٢٥٦ درجة إلى نهاية الدورة الثانية ، خلاف درج المسلة .



ومن الباب الذي يتوسط الجدار البحري للمسجد يتوصل إلى الصحن ، وهو فناء كبير مساحته ٥٣ × ٥٤ مترا ، تحته صهريج كبير ويحيط به أربعة أروقة ذات عقود مجولة على أعمدة رخامية ، تحمل قبابا صغيرة منقوشة من الداخل ، ومغشاة من الخارج بالواح من الرصاص مثل القبة الكبيرة وبها أهلة نحاسية .

وبدائر الإيوانات المذكورة ٤٦ شبكا تشرف على خارج الجامع من الجهات الثلاث : البحرية والغربية والقبليّة .

أما الجهة الشرقية فتشرف على الجامع ، وبها ثمانية شبايك . يعلوها إفريز رخامي مكتوب عليه آيات من سورة الفتح بالخط الفارسي الجميل ، بقلم الخطاط المشهور (سنكلاخ) سنة ١٢٦٢ هـ . وبهذا الإفريز أعلى المدخل باسم السلطان عبد المجيد .

شباك نحاسي

وبوسط الصحن قبة للوضوء أنشئت سنة ١٢٦٣ هـ (١٨٤٤ م) . مقامة على ثمانية أعمدة من الرخام ، تحمل عقودا تكون منشورا ثمانى الأضلاع ، فوقه رفوف به زخارف بارزة ، وباطن هذه القبة محلى بنقوش تمثل مناظر طبيعية . وبداخل هذه القبة قبة أخرى رخامية ثمانية الأضلاع ، لها هلال رخامي نقش عليها بزخارف بارزة عناقيد عنب ، وبها طراز منقوش ملون مكتوب عليه بالخط الفارسي بقلم "سنكلاخ"

قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فأغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وأمسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين » . وقال صلى الله عليه وسلم : « الوضوء سلاح المؤمن » سنة ١٢٦٣ هـ .

ويتوسط الرواق الغربي بالصحن برج من النحاس المخزم والمحلى بالنقوش وبالزجاج الملون ، بداخله الساعة الدفاعة التي أهديت إلى المغفور له محمد علي باشا ، من ملك فرنسا لويس فيليب سنة ١٢٦٢ هـ (١٨٤٥ م) فقد جاء ضمن الوثائق الرسمية : أمر صادر من محمد علي باشا ، إلى ديوان المبيعات والتجارة ، في ٢٧ رمضان سنة ١٢٦٢ هـ بصرف مبلغ من المال إلى الأسطى الذي أحضر الساعة المهداة من ملك فرنسا إليه .

وقد ظلت هذه الساعة معطلة زمنا كبيرا إلى أن عني بإصلاحها حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك كما أمر بإصلاح برجها ، وثبتت على قاعدته لوحة تذكارية نصها :

« في عهد الفاروق وبأمره الملكي الكريم تم ترميم هذا البرج وأصلحت الساعة المهداة إلى محمد علي باشا الكبير من ملك فرنسا لويس فيليب عام ١٨٤٥ م (١٣٦٢ هـ ١٩٤٣)

وأمام الوجهتين : القبلية والبحرية للقسم الشرقى رواقان ، بهما عمد رخامية تحمل قبابا صغيرة ، وبدائر المسجد والصحن شبابيك نحاسية مفرغة بأشكال زخرفية ، ومكتوب على أعتاب الشبابيك من الخارج قصيدة من نظم الشيخ محمد شهاب الدين ، ابتدأت من يسار الباب البحري للصحن وأولها :

عروس كنوز قد تحلت بمسجد * مكللة تيجانها بالزبرجد
أم الجنة المبنى على قصورها * بأهيج ياقوت وأبهى زمرد

ومنها :

وهل أثر ياصاح يعرب عن حلى * مؤثره دون البناء المشيد
فدع قصر غمدان وأهرام هرمس * وإيوان كسرى إن أردت لتهدى
ودع إرما ذات العباد ونحوها * وعرشا لبلقيس كصرح ممزد
ودع أموى الشام وأزل بمصرنا * وبادر إلى هذا بإيماء مرشد
فلو عذدت في الكون بدء بدائع * لكأن به ختم لذلك التعمد

وكم منشآت كالرواسي تخالها * حصونا جرت في البحر ذات تشيد
وكم مسجد ميناء يشهد أنه * على وفق معنى إنما يعمر أبدى

وزر حرما مهما تشاهد جماله * نظرت بديع الصنع في كل مشهد

وأتمت القصيدة على الشباك الأيمن للباب الذي بدأت منه بما نصه :

مبان إذا أمنت فيها مؤرخا * ترك على قنبر العزير محمد ١٢٦١

وقد سابر هذا الشاعر بأعباءه شاعر القصر خطوات بناء الجامع وأزخ الكثير من أجزائه بمناسبة الفراغ منها، ومنه علمنا أن سلامة أفندي المهندس عمل منزلة للجامع، وأن الأبواب أتمت

سنة ١٢٦١ هـ ١٨٤٥ م وأن القبة الكبيرة أتمت سنة ١٢٦٢ هـ ١٨٤٦ م .

أما الآيات القرآنية التي كتبت على أعتاب الأبواب الأربعة فقد كتبها الخطاط (أمين أزمري)

سنة ١٢٦٧ هـ ١٨٥١ م .

عناية حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق بالمسجد — في عهده الزاهر تمت أعمال

الإصلاح، وتفضل حفظه الله بإفتاحه بأداء فريضة الجمعة فيه يوم ٥ المحرم سنة ١٣٥٨ هـ ووضعت على الباب البحري للمسجد لوحة تذكارية نصها :

بدأت إدارة حفظ الآثار العربية بمارة وتجديد مسجد محمد علي باشا الكبير في عهد المغفور له

الملك فؤاد الأول وتم إفتاحه في عهد حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول وذلك بأداء جلالاته

فريضة الجمعة في خامس شهر المحرم سنة ١٣٥٨ هـ ٢٤ فبراير سنة ١٩٣٩ م

ولما رأى حفظه الله أن المنبر القديم يبعد كثيرا عن المحراب أمر بعمل منبر رخامي يتفق ورونق

المسجد، فنفذت رغبة جلالاته السامية، وتم عمل المنبر من رخام الالبستر المطعم بالرخام الأحمر، وكتب

على جانبيه اسم جلالة الملك . وله باب نحاسي مفقوع بزخارف متقنة ومكتوب أعلاه :

« أمر بعمل هذا المنبر المبارك حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك الصالح فاروق الأول في سنة

ثمان وخمسين وثلاثمائة وألف من الهجرة » . كما أمر بسد الشبايبك الموجودة في بارزة المحراب برخام

الالبستر على أن تكون متمشية مع باقي الكسوة الرخامية حولها، وأمر حفظه الله بتجميل المحراب وكتابته

وكتابة التريكية الرخامية على قبر جده العظيم ، فكتب على أجنابها ورءوسها تلك الآيات الشريفة :

« بسم الله الرحمن الرحيم وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها

الأنهار — إلى قوله تعالى ولم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون » . « إن الذين قالوا ربنا الله

ثم استقاموا نتزل عليهم الملائكة — الآية » . « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات

الفردوس نزلا — الآية » . وكتب على شاهد القبر :

(١) نقل البدرى في كتاب محاسن الشام عن البقوي أنه عاين في الجامع الأموي ثلاثة منابر، ص ٥٢ .

« بسم الله الرحمن الرحيم إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون — هنا مثوى وإلى مصر ومثقتها ورأس أسرتها المالكة ، المغفور له محمد على باشا . ولد نصر الله وجهه بمدينة قوله سنة ١١٨٢ للهجرة النبوية وولى مصر فى ١٧ من صفر سنة ١٢٢٠ ، ولحق بربه فى ١٣ رمضان من سنة ١٢٦٥ رحمه الله وطيب ثراه وبارك فى أسرته الزكية وسلالته العلوية » .

لم تقف عناية الفاروق بالمسجد عند هذا الحد ، فقد أمر حفظه الله بإعداد مشروع لتكسية باقى الوجوهات برخام الألبستر . وقد أعد فعلا . ويشمل هذا المشروع أيضا جعل الساحتين أمام وجهتى المسجد القبلية والبحرية حرما له ، وتجميل ما حوله . وقد بدئ بالساحة الواقعة بين المسجد وكوشك محمد على (المعروف بقصر الجوهرة) وكانت عناية جلالته بهذا القصر عظيمة ، فقد تم إصلاحه وأعيدت إليه نقوشه طبقا لأصلها تنفيذا لرغبته السامية التى شملت جميع قصوره . وبذلك أصبحت هذه المنطقة من أجمل بقاع العالم بحسن موقعها وبما حوتها من آثار خالدة .

وهكذا نرى الفاروق العظيم يعنى بإصلاح وتتميم ما شيده جده العظيم .

حفظ الله لمصر ملكها الصالح ملائذ المسلمين وقبله آمالهم ومعتل رجائهم وأعز بحياته العلوم

والفنون .



اعتراف بالفضل

إلى العالم الجليل المتواضع حضرة صاحب السعادة يوسف فيليب جلاد باشا مدير الإدارة الأوروبية بديوان حضرة صاحب الجلالة الملك . أتقدم بأجزل الشكر على ما أولانيه من مساعدات جليلة . فقد كان لمعاونته وحسن توجيهه وإرشاداته القيمة أحسن الأثر في إخراج هذا السفر . جزاه الله خيرا بقدر ما يسدى الى العلم . وبقدر إخلاصه وتقانيه في خدمة الملك المفدى أعزه الله .

وأقدم جزيل شكرى إلى الأستاذ الكبير حضرة صاحب السعادة أنطون الجليل باشا الذى أفسح صدر الأهرام لنشر الكثير من هذه الأبحاث قبل إخراجها في ثوبها الجديد .

وأشكر أصدقائى الأجلاء : حضرة الأستاذ محمود حسن زناى الذى تفضل بقراءة أصول الكتاب وتصحيحها ، وحضرتى الأستاذين أحمد زكى العدوى ورئيس القسم الأدبى بدار الكتب المصرية ووكيله الشيخ محمد البرهامى منصور على تفضلهما بترقيم الكتاب وتصحيحه ومراجعة فهارسه ، وحضرة محمد أفندى نديم مدير مطبعة دار الكتب المصرية ومعاونيه على ما بذلوه من جهد وعناية في طبع هذا الكتاب .

إلى حضراتهم جميعا وإلى كل من تفضل بمعاونتى أزجى أجمل الشكر وجميل العرفان ما

حسن عبد الوهاب

{ رجب سنة ١٣٦٥
القاهرة في }
يونيه سنة ١٩٤٦



المراجع العربية

- آثار الأول في ترتيب الدول — للحسن بن عبد الله — (طبع بولاق سنة ١٢٩٥)
- آثار البلاد وأخبار العباد — لأبي يحيى زكريا القزويني — (طبع أوروبا سنة ١٨٤٨)
- الآثار النبوية — لأحمد تيمور باشا — (مجلة الهداية سنة ١٣٤٨)
- اتعاظ الخفا بأخبار الخلفاء — لأحمد بن علي بن عبد القادر المقرئ — (طبع دار الأيتام السورية بالقدس سنة ١٩٠٩)
- أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أر باب الدول — لمحمد بن عبد المعطي الإسماعيلي — (طبع العثمانية سنة ١٣١٥)
- الأخبار الطوال — لأبي حنيفة أحمد بن داود الدينوري — (طبع السعادة سنة ١٣٣٠)
- أخبار مصر — لمحمد بن علي بن يوسف المعروف بابن ميسر — (طبع المعهد العلمي الفرنسي سنة ١٩١٩)
- الأزهر — لمحج الدين الخطيب — (طبع السلفية سنة ١٣٤٥)
- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى — لأحمد بن خالد الناصري — (طبع مصر سنة ١٣١٢)
- أسد الغابة في معرفة الصحابة — لعز الدين أبي الحسن المعروف بابن الأثير — (طبع الوهية سنة ١٢٨٠)
- إسماعيل الراغبين في سيرة المصطفى وفضائل أهل بيته الطاهرين — للشيخ محمد الصبان — (طبع الوهية سنة ١٢٩٠)
- الأعلام النفيسة — لأبي علي أحمد بن عمر بن رسته — (طبع لندن سنة ١٨٩١)
- أعمال مجلس إدارة الأزهر — (طبع مصر سنة ١٣٣٣)
- ألف باء — لأبي الحجاج يوسف البلوي — (طبع الوهية سنة ١٢٨٧)
- الألفاظ الفارسية — لأدنى شير الكلداني — (طبع المطبعة الكاثوليكية، بيروت سنة ١٩٠٨)
- الانتصار لواسطة عقد الأمصار — لأبراهيم بن محمد الشهير بابن دقاق — (طبع بولاق سنة ١٣٠٩)
- بأى شرع نحكم — لمحمد سليمان — (طبع بولاق سنة ١٩٣٦)
- البداية والنهاية — لأبي الفدا إسماعيل بن عمر المعروف بابن كثير — (طبع مصر)
- بدائع البدائنه — لعلي بن ظافر الأزدي — (طبع بولاق سنة ١٢٧٨ هـ)

- بدائع الزهور في وقائع الدهور — لمحمد بن أحمد بن إياس المصري — (طبع بولاق سنة ١٣١٣ واستامبول سنة ١٩٣١) .
- البدر الطالع بحاسن من بعد القرن السابع — لمحمد بن علي الشوكاني — (طبع السعادة سنة ١٣٤٨) .
- البرق اليماني في الفتح العثماني — لقطب الدين محمد بن أحمد — (خط) .
- البعثات العلمية في عهد محمد علي — للإمير عمر طوسون — (طبع بمطبعة صلاح الدين بالاسكندرية سنة ١٩٣٤) .
- بنية المتحس في تاريخ رجال الأندلس — لأحمد بن يحيى الضبي — (طبع مدريد سنة ١٨٨٤) .
- بنية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة — لجلال الدين السيوطي — (طبع السعادة ، ١٣٣٦) .
- بيت السادات الوفائية — للسيد محمد توفيق البكري — (طبع المؤيد سنة ١٣٣٣) .
- تاج المفرق في تحلية علماء المشرق — لخالد بن عيسى بن أحمد البلوي — (خط) .
- تاريخ ابن الفرات — لناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات — (طبع المطبعة الأمريكية ، بيروت سنة ١٩٣٩) .
- تاريخ أبي الفداء، المختصر في أخبار البشر — لملك المؤيد عماد الدين اسماعيل أبي الفداء — (طبع الحسنية سنة ١٣٢٥) .
- تاريخ الإسرائيليين — لشاهين مكاربوس — (طبع المقطف سنة ١٣٠٤) .
- تاريخ بغداد (أو مدينة السلام) — للمافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي — (طبع السعادة سنة ١٩٣١) .
- تاريخ البيارستانات في الإسلام — للدكتور أحمد عيسى — (طبع الهاشمية بدمشق سنة ١٩٣٩) .
- تاريخ جامع السلطان حسن — لهرتس باشا — (طبع بولاق سنة ١٩٠٢) .
- التاريخ الحسيني — للسيد محمود البيلوي — (طبع التقدم العالمية سنة ١٣٢٤) .
- تاريخ دولة المماليك — للسيروليم موير — تعريب الأستاذين محمود عابدين وسليم حسن — (طبع المعارف سنة ١٣٤٢) .
- تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية — لأبي عبد الله محمد بن إبراهيم المراكشي — مطبعة الدولة ، تونس سنة ١٢٨٩) .
- تاريخ الدول الإسلامية بالجدول المرضية — للسيد أحمد زيني دحلان — (طبع البية سنة ١٣٠٦) .
- تاريخ الرسل والملوك — لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري — (طبع الحسينية سنة ١٣٢٦) .
- تاريخ سلاطين المماليك — للفضل بن أبي الفضائل — (طبع أوروبا) .

- تاريخ سلاطين المناليك - لابراهيم بن مغطاي - (طبع باريس ١٩١٩) .
- تاريخ العصر الحديث - للدكتور محمد صبرى - (طبع دار الكتب سنة ١٩٢٦) .
- تاريخ الكامل - لأبى الحسن المعروف بابن الأثير (طبع بولاق سنة ١٢٩٠) .
- تاريخ مختصر الدول - لأبى الفرج بن هارون المعروف بابن العبري - (طبع الكاثوليكية بيروت سنة ١٨٩٠) .
- تاريخ مدينة دمشق - للامام الحافظ ابن عساكر - (خط) .
- تاريخ مساجد بغداد وآثارها - للسيد محمود شكرى الألوسى - (طبع دار السلام ببغداد سنة ١٣٤٦) .
- تاريخ ووصف الجامع الطولونى - لمحمود عكوش - (طبع دار الكتب سنة ١٩٢٧) .
- تاريخ اليعقوبى - لأحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب - (طبع النجف سنة ١٣٥٨) .
- التبر المسبوك فى ذيل السلوك - لمحمد بن عبد الرحمن السخاوى - (طبع بولاق سنة ١٨٩٦) .
- تحفة الأحباب وبغية الطلاب - للسخاوى - (خط) .
- تحفة الأنام مختصر تاريخ الإسلام - لعبد الباسط فاخورى - (طبع بيروت سنة ١٣٢٠) .
- التنبيه والإشراف - لأبى الحسن على المسعودى - (طبع لندن سنة ١٨٩٣) .
- تهذيب الأسماء واللغات - للامام محيى الدين أبى زكريا يحيى النوى - (طبع جوتجن سنة ١٨٤٢ - ٤٧) .
- جامع عمرو بن العاص - لمحمود أحمد باشا - (طبع بولاق سنة ١٩٣٨) .
- جوار الأخيار فى دار القرار - لابن أبى حجلة التلمسانى - (خط) .
- جوامعنا - لخليل أدهم - (طبع استامبول سنة ١٩٣٣) .
- جواهر البحور - لإبراهيم بن وصيف شاه - (خط) .
- الجوهر الثمين فى سير الملوك والسلاطين - لصارم الدين ابراهيم المعروف بابن دقاق - (خط) .
- حجة وقف الأشرف برسباى - (خط) .
- حجة وقف السلطان قايتباى - (خط) .
- حجة وقف زين الدين يحيى - (خط) .
- حجة وقف السلطان الغورى - (خط) .
- حجة وقف المؤيد شيخ - (خط) .
- حجة وقف عبد الباقي چوريجى - (خط) .
- حجة وقف يوسف الحين - (خط) .

- حدائق القاهرة ومنتزهاتها - تأليف ج . دلشيفالري - (مطبعة المدرسة الإلهامية سنة ١٩٢٤).
- الحركة القومية - لعبد الرحمن الرافعي بك - (طبع النهضة سنة ١٩٣٠).
- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة - لجلال الدين السيوطي - (طبع الوطن سنة ١٢٩٩).
- حقائق الأخبار في دول البحار - لاسماعيل سرهنك - (طبع يولاق سنة ١٣١٤).
- الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والمجاز - لعبد الغني النابلسي - (خط).
- حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور - لأبي المحاسن يوسف بن تفرى بردى - (طبع كاليفورنيا سنة ١٩٣٠).
- الخطط التوفيقية الجديدة - لعلى مبارك باشا - (طبع يولاق سنة ١٣٠٥).
- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادى عشر - لمحمد المحجى - (طبع الوهية سنة ١٢٨٤).
- الدر المستخب في تاريخ حلب - لمحمد بن الشحنة الحلبي - (طبع الكاتوليكية ببيروت سنة ١٩٠٩).
- دقة الأسرار وتحفة الأبرار - لمحمد بن أبى القاسم الخيري المعروف بابن الصباغ - (طبع الاسكندرية).
- درر التيجان وغرر تواريخ الزمان - لأبى بكر عبدالله بن أيبك - (خط).
- درر القرائد المنظمة في أخبار الحج وطريق مكة المعظمة - لعبد القادر بن محمد بن عبد القادر الأنصارى الحنبلى - (خط).
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة - لشهاب الدين أحمد بن حجر العسقلانى - (طبع الهند سنة ١٣٤٩).
- دليل دار الآثار العربية - لمكس هرتس باشا - ترجمة على بهجت بك - (طبع يولاق سنة ١٣٢٧).
- ديوان أيدمر المحيوى - لأيدمر المحيوى - (طبع دار الكتب المصرية سنة ١٩٣١).
- ديوان السيد محمد شهاب الدين - (طبع مطبعة السيد محمد جاهد سنة ١٢٧٧).
- ديوان الشبراوى - للشيخ عبدالله الشبراوى - (طبع الكاستلية سنة ١٢٩٣).
- ديوان ابن نباتة المصرى - لجمال الدين أبو بكر محمد - (طبع مصر، سنة ١٢٨٨).
- الذكرى المئوية لتثبيت محمد على باشا الكبير وأسرته على عرش مصر - لجميل خانكى - (طبع العصرية).
- ذيل المقرئى - لعبد الحميد نافع - (خط).
- رحلة ابن بطوطة - لأبى عبدالله محمد المعروف بابن بطوطة - (طبع وادى النيل، سنة ١٢٨٧).
- رحلة ابن جبير - لأبى الحسن محمد بن جبير - (طبع مصر).
- الرحلة المجازية - لمحمد لينب البتانوفى - (طبع مصر سنة ١٣٢٩).
- رسائل تاريخية - لشمس الدين محمد بن على بن أحمد بن طولون - (طبع السعادة سنة ١٣٤٨).
- الروضتين في أخبار الدولتين - لشهاب الدين أبى محمد المقدسى - (طبع وادى النيل سنة ١٢٨٨).

- الروضة المأنوسة في أخبار مصر المحروسة — محمد بن أبي السرور البكري — (خط) .
- زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والممالك — انفرس الدين خليل بن شاهين — (طبع باريس سنة ١٨٩٤) .
- زهر الآس في بناء مدينة فاس — لأبي الحسن الجزنائي — (طبع باستيد بالجزائر سنة ١٩٢٢) .
- سفر نامه — لناصر خسرو علوى — ترجمة الأستاذ يحيى الخشاب — (طبع لجنة التأليف بمصر سنة ١٩٤٥) .
- سكردان السلطان — لأحمد بن يحيى التلمساني — (طبع مصر سنة ١٣١٧) .
- السلوك لمعرفة دول الملوك — لتقي الدين أحمد بن علي المقرئ — بتحقيق الأستاذ محمد مصطفى زيادة — (طبع مصر) .
- سيرة أحمد بن طولون — لأبي محمد عبدالله البلوى — (طبع الترقى بدمشق سنة ١٣٥٨) .
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب — لأبي الفلاح عبد الحى بن العماد — (طبع مصر سنة ١٣٥١) .
- صبح الأعشى — لأبي العباس أحمد القلقشندي — (طبع بولاق سنة ١٩١٤) .
- صفوة الزمان فيمن تولى على مصر من أمير وسلاطين — لمصطفى الصفوى الشافعى القلعاوى — (خط) .
- ضوء الصبح المسفر — لأبي العباس أحمد القلقشندي — (طبع الواعظ سنة ١٩٠٦) .
- الضوء الالامع لأهل القرن التاسع — لشمس الدين محمد السخاوى — (طبع مصر سنة ١٣٥٤) .
- الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد — لجمال الدين الأدفوى — (طبع الجمالية مصر سنة ١٩١٤) .
- طبقات الشافعية — لتاج الدين عبد الوهاب السبكي — (طبع الحسينية سنة ١٣٢٤) .
- طبقات الفراء — لابن الجزرى — (طبع مصر سنة ١٩٣٢) .
- الطبقات الكبرى — للإمام عبد الوهاب الشعراني — (طبع بولاق سنة ١٢٧٦) .
- عجائب الآثار في التراجم والأخبار — لعبد الرحمن بن حسن الجبرتي — (طبع بولاق سنة ١٢٩٧) .
- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان — لبدر الدين العيني — (خط) .
- العقد الفريد — لشهاب الدين أحمد المعروف بابن عبد ربه — (طبع بولاق سنة ١٢٩٣) .
- العامة في سوريا الوسطى — لماركى دى فوكويه وتمريب الأستاذ محمود فؤاد مرابط — (طبع الاعتماد سنة ١٩٤٤) .
- عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف — لأبي عبدالله محمد بن سلامة المعروف بالقضاعي — (خط) .
- العيون والحدائق في أخبار الحقائق ، — (طبع ليدن سنة ١٨٥٣) .
- فتوح الإسلام لبلاد العجم وخراسان — لأبي عبدالله محمد الواقدي — (طبع المحروسة مصر سنة ١٨٩١) .
- فتوح البلدان — لأبي العباس أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري — (طبع ليدن سنة ١٨٦٦) .

فتوح النصر في تاريخ ملوك مصر — محمد بن محمد المعروف بابن بهادر المؤمني — (خط) .
الفخري في الآداب السلطانية — محمد بن علي بن طباطبا المعروف بالطقطقي — (طبع الموسوعات
سنة ١٣١٧) .

الفضائل الباهرة — لابن ظهيرة — (خط) .
فضائل الإسكندرية، — (خط) .
فضائل مصر وأخبارها — للمحسن بن زولاق — (خط) .
الكواكب السائرة بمناقب أعيان المائة العاشرة — لنجم الدين الغزي — (خط) .
الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة — لشمس الدين محمد بن الزيات — (طبع بولاق سنة ١٩٠٧) .
كنوز الذهب في تاريخ حلب — لموفق الدين أبي ذر الشهير بسبط ابن العجمي — (خط) .
فوات الوفيات — لمحمد بن شاكر الكتبي — (طبع بولاق سنة ١٢٩٩) .
الفوائد البهية في تراجم الحنفية — لمحمد عبد الحلي اللكنوي — (مطبعة السعادة ١٣٢٤) .
قطف الأزهار من الخطوط والآثار — لمحمد بن أبي السرور البكري — (خط) .
الكشكول — لمحمد بن حسين بن عبد الصمد المقب بهاء الدين العاملي — (طبع بولاق سنة ١٢٨٨) .
كوكب الروضة — لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي — (خط) .
لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس المرمي وشيخه أبي الحسن الشاذلي — لأبن عطاء الله
السكندري — (طبع تونس سنة ١٣٠٤) .
مجلة المجمع العلمي العربي — (طبع دمشق سنة ١٩٣٦) .
محاضر وتقرير لجنة حفظ الآثار العربية .

مختصر أخبار الخلفاء — لعلي بن أنجب الساعي = (طبع بولاق سنة ١٣٠٩) .
مخطوطات الموصل وفيه بحث عن مدارسها — لداود الحلبي الموصل — (طبع بغداد سنة ١٩٢٧) .
مرآة الزمان في تاريخ الأعيان — لشمس الدين أبي المظفر سبط ابن الجوزي — (طبع شيكاغو
سنة ١٩٠٧) .

مرآة الزمان وعبرة اليقظان — لأبي محمد عبدالله اليافعي — (طبع الهند سنة ١٣٣٩) .
مرصد الاطلاع في أسماء الأمكنة والبقاع — لشرف الدين أبي عبدالله ياقوت الحموي — (طبع ليدن
سنة ١٨٧٩) .

مروج الذهب ومعادن الجوهر — لأبي الحسن علي بن الحسين المسعودي — (طبع بولاق
سنة ١٢٨٣) .

مسالك الأبصار في ممالك الأمصار -- لابن فضل الله العمري - (طبع دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٤) .

- مسالك الممالك - لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد الاصطخري - (طبع ليدن سنة ١٩٢٧) .
- مشاهد الصفا في المدونين بمصر من آل المصطفى - للعلامة الصفوى - (خط) .
- المشتى - لأحمد تيمور باشا - (الزهراء ج ٥ مجلد ٥ ذو القعدة سنة ١٣٤٨) .
- مصابيح السنة - للإمام البغوى (الحسين بن مسعود) - (طبع بولاق سنة ١٢٩٤) .
- المعارف - لابن قتيبة الدينورى - (طبع الرحمانية سنة ١٩٣٥) .
- معجم البلدان - لأبي عبد الله ياقوت الحموى - (طبع السعادة سنة ١٩٠٧) .
- معجم السلفى - للحافظ أبى طاهر أحمد السلفى - (خط) .
- مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب - لجمال الدين بن واصل - (خط) .
- المغرب فى حلل المغرب - لابن سعيد - (طبع ليدن سنة ١٨٩٨) .
- منتخبات من كتاب التاريخ لصاحب حماء - لتاج الدين شاهنشاه - (طبع الآداب والمؤيد ، سنة ١٣١٧) .

- المتظم فى أخبار الأمم - لجمال الدين أبى الفرج عبد الرحمن المعروف بابن الجوزى - (خط) .
- المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى - لأبى المحاسن يوسف بن تفرى بردى - (خط) .
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار - لثقى الدين أحمد بن على المقرئى - (طبع بولاق سنة ١٣٧٠) .

- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة - لجمال الدين أبى المحاسن يوسف بن تفرى بردى - (طبع دار الكتب المصرية ، سنة ١٩٤٢) .
- نزهة الأنظار فى فضل علم التاريخ والأخبار ، المشهورة بالرحلة الورثيلانية - للمسن بن محمد الورثيلانى - (طبع الجزائر سنة ١٩٠٨) .

- نزهة الأنام فى محاسن الشام - لأبى البقا محمد بن البدرى - (طبع السلفية ١٣٤١) .
- النزهة الزهية فى ذكر ولاية مصر والقاهرة المعزية - للسيد محمد بن أبى السرور البكرى - (خط) .
- نزهة المجلس ومنية الأديب الأنيس - للعباس بن على الموسوى - (طبع الوهية سنة ١٢٩٣) .
- نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ الزمان - لعلى بن داود الخطيب الجوهري - (خط) .
- نظرة تاريخية فى حدوث المذاهب الأربعة - لأحمد تيمور باشا - (طبع السلفية) .

- تفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب — لأبي العباس أحمد المقرئ — (طبع مصر سنة ١٣٠٤) .
- نهاية الأرب في فنون الأدب — لشهاب الدين أحمد النويري — (خط) .
- هندسة المباني والإنشاءات — لحسين محمد صالح وأحمد حسني عمر — (طبع الاعتماد سنة ١٩٢٨) .
- الولاية والقضاة — لأبي محمد بن يوسف الكندي — (طبع بيروت سنة ١٩٠٨) .
- وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى — لنور الدين علي السهمودي — (طبع الآداب والمؤيد ،
سنة ١٣٢٦) .
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان — للقاضي أحمد الشهير بابن خلكان — (طبع بولاق سنة ١٢٧٥) .

Bibliographie

- Comité de Conservation des Monuments de l'Art Arabe. (Comptes Rendus).
Coste, Pascal. — Architecture Arabe ou Monuments du Kaïre. Paris. 1839.
Creswell, K.A.C. — Early Muslim Architecture. (2 vols.) Oxford, 1932, 1940.
Devonshire, Mrs R. L. — L'Égypte Musulmane et les fondateurs de ses monuments.
Paris 1926.
Ethem. Halil — Camilerimiz. Istanbul 1933.
Falaki, Mahmud Bey. — Mémoire sur l'Antique Alexandrie. Copenhague 1872.
Hautecoeur, L., & Wiet, G. — Les mosquées du Caire. Paris 1932.
Hay, Robert. — Illustrations of Cairo. London 1840.
Herz, Max. — La mosquée du sultan Hassan au Caire. Caire 1899.
——— La mosquée el-Rifai au Caire. Milan 1906.
Prisse d'Avennes. — L'Art Arabe dans les monuments du Kaïre (3 vols) Paris 1873.
Répertoire chronologique d'épigraphie arabe. (Inst. Fr. Arch. Orien.) Caire
1931-1944.
Roberts, David. — Egypt & Nubia. London 1896.
Van Berchem, Max. — Matériaux pour un Corpus Inscriptionum Arabicarum.
(Mémoires Mission Archéologique Française du Caire. Tome XIX, fasc. I-IV).
1903.
Wiet, Gaston. — Lampes et bouteilles en verre émaillé. (Catalogue Général du
Musée Arabe) Caire 1929.
——— Objets en cuivre. (Catalogue Général du Musée Arabe) Caire 1932.
——— L'Exposition Persane de 1931. Le Caire 1933.
——— et Hautecoeur, L. — Les mosquées du Caire. Paris 1932.
-



فهرس الموضوعات

صفحة

- ١٩ ظهور الخط الكوفي المربع بمصر
خروج عمال مصر وصناعها وعلمائها وفنانيها
٢٠ إلى استاء بول
٢٢ ظهور زخارف الروكوكو بمصر
٢٩ القضاء والمالية يجامع عمرو بن العاص ...
٣٠ جامعة عمرو بن العاص
٣٠ إحصاء للطلبة في جامعة عمرو والأزهر ...
٣٠ دروس للنساء في جامع عمرو
منشأ صلاة الجمعة الأخيرة من رمضان
٣١ يجامع عمرو
٣٧ بحث في الفسيفساء ونماذجها في مصر ...
٣٧ المنبر القديم للجامع الطولوني
٣٩ تمديد المحاريب في المساجد
٤٣ مهندس المقياس أحمد بن محمد الحاسب
٤٤ أسماء نجارين بالجامع الطولوني
٤٤ نشوء فكرة صرف العمال قبل الغروب ...
عمل رسومات هندسية للمنشآت الممارية
٤٤ ومنها تصميم الجامع الطولوني
٤٥ تدريس الطب في الجامع الطولوني
٥١ نشأة العقود الفارسية بمصر
٥١ اكتشاف المحراب القديم للأزهر سنة ١٩٣٣
٥٢ أول درس ألقى بالجامع الأزهر
٥٤ مرسوم للظاهر برفوق بشأن مجاورى الأزهر

صفحة

- عناية جلالة الملك فاروق بالآثار الإسلامية
وتفضله بنشر هذا الكتاب على ثقته
٧ الخاصة
٨ عناية البيت العلوى بالآثار الإسلامية ...
التعريف بالمسجد والجامع، وأول مسجد
١١ بنى في الإسلام
١٢ تعدد المساجد الجامعة في مصر
١٢ إنشاء المدارس بمصر
النهضة العلمية في الإسكندرية، ومناصرتها
للسنة قبل مصر
١٣ إنشاء جامعة صلاح الدين بالإسكندرية ...
١٣ أول مدرسة بالإسكندرية وأول مدرسة بمصر
١٣ أول مدرسة للسادة الخنفية بالقاهرة ...
١٤ تصميم المسجد وتصميم المدرسة
حدائق نمارويه بن أحمد بن طولون
١٥ وإشتمالها على حدائق للحيوانات
بيت الذهب بقصر نمارويه ونقش صور
جواريه ومغنياته على جدرانها
١٦ ظهور الخط النسخي على المائر الإسلامية
١٨ ديوان الأشغال في عصر الناصر محمد بن قلاوون
نموذج وحيد لزخارف جصية ملونة ومغطاة
بزجاج رقيق
١٩ أقدم نموذج للتاريخ بالأرقام الهندية على
الآثار الإسلامية بمصر (في قبة حسن
صدقة) (المدرسة السعدية)

صفحة	صفحة
عبيد بن معالى نجار ممتاز صنع تابوت	وجود زيادة للجامع الأزهر أمام الوجهة
الامام الشافعى واسمه منقوش عليه وهو	الغربية ٥٤
من أسرة عريقة فى هذه الصناعة ١٠٨٠٩١	منارات ذات سلم مزدوج لا يرى الصاعد
المخلفات النبوية ٩٢	النازل ٥٦
بحث فى المصحف العثماني ٩٣	ابن السيوفى، مهندس فى عصر الناصر
سلسلة الترابيع الحجرية المنقوشة ٩٩	محمد بن قلاوون (تمجد جامع الماردانى
المشهد الحسينى بجامع الصالح طلائع ١٠٤	والمدرسة الآقبغاوية) ١٥١٠٥٧
استعمال العمد الرخامية كميد لربط المبانى	نشأة مكتبة الأزهر ٦١
فى الآثار الإسلامية بمصر وسلسلة	فتح الصندوق الذى كان معلقا بجوار
الآثار المشتملة عليها ٩٩	المحراب القديم والقضاء على الخرافات
عمر (اسم صانع زرنشان) منقوش اسمه على	المحيطة به ٦٢
المقصورة القديمة للشافعى سنة ١١٨٥ هـ	أحمد بن أباره الموصلى صانع نحاس ممتاز
(١٧٧١ م) ١٠٩	(اسمه منقوش على صندوق ربعة
أقدم قبة خشبية وسلسلة القببات المتخذة	مكفت بالفضة) ٦٢
من الخشب ١٦٩٠١١٠	عيد ألقى للجامعة الأزهرية صفر سنة ٣٦٥
بحث فى العشارى فوق قبة الشافعى ١١٣	(صفر سنة ١٣٦٥) ٦٣
مناقشة المدة المحددة لبناء قبة ومدرسة	فرش الأزهر بالسجاد على نفقة الملك الصالح
وبمارستان قلاوون ١١٥	فاروق الأول ٦٣
نشأة المتاحف فى العصر الإسلامى ١١٩	اكتشاف قبة بدر الجمالى ٦٥
خاتناه سائر لاختناق سنجار الجاولى ١٢٥	استعمال الحجر فى المنشآت الفاطمية ٧٠
قبة ومنارة أبى الغضنفر أيوبية لا فاطمية ١٢٧	العنور على حشوات خشبية بها صور
أبواب منارات ذات مسطبتين ١٢٧	حيوانات بمنبر جامع الأقمر . وهذه
بحث فى طرز المنارات وتطورها بمصر ١٢٧	المناسبة أذكر أن تابوت أم الملك
استعمال الخط الكوفى فى قباب دولة المماليك	الكامل بقبة الإمام الشافعى اتخذت
البحرية ١٢٧	قوائم الخلفية من أخشاب فاطمية بها
سلسلة المحاريب ذات الطواقي (نحده دقيقة) ١٢٨	صور حيوانات متقنة جدا ٧٣
القباب الحجرية ١٢٨	اكتشاف تابوت المشهد الحسينى واستخراجه
عبيدا لرحمن الطولونى من علماء الميقات	من محلة ٨٨
وله منزلة فى خاتناه الجاولى ١٢٩	

صفحة	صفحة
اكتشاف شبائك نحاسى مكفت بالذهب	جسر من قلوب إلى دمياط ١٣١
والفضة باسم الملك المظفر ١٥٦	أول تكسية بالقاشانى فى المنارات بمصر... ١٣٣
الرخام الأسود ذو الريق كالمرأة المصقولة	معنى خاتناه والفرق بينها وبين الرباط ... ١٣٥
وسلسلة نماذجها ١٥٨	الأبواب ذات المقرنصات المتدلية ... ١٣٧
تفاصيل معمارية مصرية فى العمارة الإسلامية	سلسلة الشبائيك الخشبية فى وجهات
الدكك الحجرية فى المساجد وسلسلتها ... ١٥٩	المساجد ١٩٤٤ ١٣٧
أقدم قبة فوق محراب مدرسة ١٦٢	الزخارف فى حافة العقود وباطنها ... ١٣٧
صور حيوانات وطيور فى أبواب وسلسيلات	الدكك الرخامية فى المساجد وسلسلتها ... ١٣٨
القباب السمرقندية بمصر ١٦٣	الشريف (صانع ممتاز فى صناعة الأيسطة) ١٣٩
المنارات ذات الشرفة الواحدة (بلكون) ١٦٤	فتح شارع محمد على سنة ١٢٩٠ هـ ١٨٧٣ م ١٤٠
القباب الخارجة عن سمت الوجاهات خالف	سلسلة المساجد ذات المنارتين ويضاف إليها
المحاريب وسلسلتها ١٧٣	مسجد المعينى بدمياط وزغلول برشيد ١٤١
محمد بن بيليك المحسى (مهندس مدرسة	بناء تبريزى (بنى منارتى قوصون) ... ١٤١
السلطان حسن) ١٧٩	بدر بن أبى يعلا صانع ثريا الأمير قوصون
منشأ تمييز الأشراف بمائم خضراء بمصر ١٨٢	فى ١٤ يوما ١٤٢
التعبير عن الشقيقة بكرىمة ١٨٦	صلاة الملك الصالح فاروق الأول إمامانى صلاة
سلسلة الإيوانات التى تكتنفها قبتان ... ١٨٧	الجمعة بمسجد قوصون ١٤٢
القصر الكبير الشرقى وماحلّ محله من أبنية ١٩٢	مكتبة مصطفى باشا فاضل وشراء المغفور له
القصر الصغير الغربى » » » » ١٩٢	الملك فؤاد الأول لها وإهدائها إلى
سبب تسمية الأحجار الكبيرة (عجالى) ... ١٩٣	دار الكتب ١٤٥
شهاب الدين أحمد بن الطولونى (مهندس	فواصل زخرفية بين الشرفات وسلسلتها ... ١٥٠
المدرسة الظاهرية) ١٩٧٤ ١٩٣	شبائيك من القاشانى بمسجد الماردانى
الحصر العبدانى ١٩٣	لا نظير لها بمصر ١٥١
منارة المدرسة الظاهرية أقدم منارة باقية	أكبر مجموعة من القاشانى بمسجد إبراهيم أغا ١٥٤
لئس بدنها بالرخام ١٩٤	سلسلة القباب المملوكية ذات المقرنص من
نماذج الشبائيك النحاسية المصبوبة ... ١٩٥	طافة واحدة ١٥٥
الأرضيات الرخامية على شكل محاريب	(الجامع الأزرق) ١٥٥
ومنشؤها ونماذجها ١٩٦	المنابر الرخامية (وسلسلتها) ... ١٥٥

صفحة	صفحة
أحمد بن عيسى الديماطى (نجار ممتاز) صنع منبر	اكتشاف بقايا مشكاوات باسم الظاهر برقوق ١٩٧
الحرم المكى ومنبر الغمرى والمزهرية ٢٢٨	اكتشاف سرقة تاريخية فى عتب باب بمسجد
تسع شعرات للنبي صلى الله عليه وسلم فى	الإمام الليث ١٩٩
محراب مسجد الأشرف بالخانكة ... ٢٣٢	نقل باب خشبي من مسجد الشافعى وعليه
ديوان المفرد ٢٣٤	أسمه إلى مسجد الإمام الليث ، وقد
باب الخوخة (يجوار مسجد القاضى يحيى	سبقه المؤيد شيخ فى نقل باب مدرسة
بشارع الأزهر) ٢٣٤	السلطان حسن إلى مسجده وتبعهما
محمد بن حسن الطولونى المهندس ... ٢٤٠	ابن مزهر فى نقله باب المدرسة
منشأ المحاريب الحجرية (بحث فى نشأة	المنكوتمية إلى مدرسته بشارع البغال ٢٠١
المحاريب وتطورها) ٢٤٨	إنشاء المؤيد منارة بالجامع الأزهر ... ٢٠٧
مقابر الماليك لا مقابر الخلفاء ... ٢٥٠	(خواجه) معناه وانتشاره وأسماء الآثار
منشآت قايتباى بالقرافة الشرقية ... ٢٥٠	التي نقش عليها اسمه ٢٠٧
محمد الشيبينى مؤذن مسجد قايتباى (خطاط	تدريس الطب فى الجامع المؤيدى ... ٢٠٩
ونقاش) ٢٥٢	نقد ومناقشة المدد القصيرة التى حددت
بحث فى الأقدام المنسوبة للنبي صلى الله	لإنشاء المساجد فى النصوص
عليه وسلم ٢٥٧	التاريخية ٢٠٩
الأبواب الجزارة (نشأتها فى دولة الماليك	بحث فى أن الكتابة الكوفية على تربة المؤيد
الجزاكسة) ٢٦٣	شيخ منقولة إليه من أثر إخشيدى
عبد القادر النقاش (صانع ممتاز) اسمه مكتوب	أوقاطى ٢١١
فى مسجدى بفحاس وأبى بكر مزهر ٢٦٤	المؤيد شيخ أول من أسس نزول الخطيب
القباب المنقوشة ٢٦٥	درجة فى خطبة الجمعة عند دعائه
معاينة سارق الآثار بالنفى ... ٢٦٧	للسلطان ، كى لا يذكر فى الموضوع الذى
العمد المثلثة والمنقوشة وهى تعطى نوبا	ذكر فيه اسم الله ٢١٢
من العمود الإسلامى ٢٦٨	محمد بن القزاز (معمارى منارنى مسجد المؤيد) ٢١٣
منشأ المنطقة من الحسينية إلى العباسية ٢٦٩	ثلاث منارات لمسجد المؤيد عند إنشائه ٢١٣
منشأ الدخولية فى عصر الخديو إسماعيل ٢٧١	لماذا عرف مسجد عبد الفنى الفخرى
الفداوية (نشأتها) — ومعناها — ... ٢٧٢	(مسجد البنات) ٢١٧
تاريخ جزيرة الروضة ٢٧٣	الكوفى المربع فى أبواب المساجد ... ٢٠٨
	تطور الزخارف فى القباب ٢٢٦

صفحة	صفحة
٣١٧ ... بحث في تكسية القباب بالقاشاني ...	٢٧٣ ... فرقة إطفاء مكونة من خمسمائة عامل ...
٣١٨ ... فتح النوبة في عصر الظاهر بيبرس ...	٢٧٣ ... صالح بن نافع مهندس قصر المختار ...
٣٢٤ ... تخصيص مرتب لمنادينادى وقت الصلاة	٢٧٣ ... زقازق وآبن أبى الرداد منفذا قصر المختار ...
٣٢٤ ... في الأسواق « الصلاة بامقلحون » ...	٢٧٤ ... حسن الطولونى مهندس السلطان قايتباى ...
٣٢٦ ... صدور أمر جلالة الملك فاروق الأول بمنع	٢٧٤ ... انفجار بارود فى مسجد قايتباى بالروضة ...
٣٢٦ ... بناء العمارة لصق وجهة مسجد عثمان	٢٧٧ ... نوع من زخرف الخط رءوس ألفاته متشابكة ...
٣٢٦ ... ككتخذوا وتكلمة بناء الوجهة محل العمارة	٢٧٧ ... على بن طنين (نجار ممتاز) أسمه مكتوب على
٣٢٧ ... الحاج مسعود السبع (صانع قاشاني مغربى	٢٧٧ ... منبر مسجد أبى العلا ...
٣٢٧ ... ممتاز) ...	٢٨٤ ... منشأ المنارات ذات الرأس المزدوج ...
٣٢٧ ... محمد بن عبد الكريم القاسى المعروف بالزريرع	٢٨٤ ... استقبال الغورى لسفراء الدول ومنهم سفير
٣٢٧ ... (صانع قاشاني ممتاز) ...	٢٨٦ ... البندقية ...
٣٢٨ ... الحاج السيد عبد المولا الطوئى (نجار ممتاز)	٢٨٦ ... إينال شاد عمارة مدرسة وقبة الغورى
٣٢٨ ... بحث فى منشأ رفع العلم نهارة فوق المنارات	٢٨٧ ... ومكافاته بترقيته أمير عشرة ...
٣٢٩ ... وإضاءتها ليلا بالاسكندرية ...	٢٩٤ ... المصحف العثمانى ...
٣٢٩ ... شعراء مصر والإسكندرية يصفون فانوس	٢٩٤ ... وصف ربة سيف الدين بكتمروها أسم
٣٣٠ ... السحور بالمنارات ...	٢٩٤ ... كتابها ومذهبا محمد بن محمود الهمذانى
٣٣٤ ... حقريات فى مقبرة النبي دانيال ...	٣٠٥ ... منزلة من عمل حسن الصواف سنة ١١٨٢
٣٣٤ ... البلوى مؤلف كتاب ألف باء - أحسن	٣٠٦ ... أثر المرأة فى الحضارة والعامة الإسلامية
٣٣٥ ... من وصف منار الإسكندرية - ...	٣١٠ ... المهندس الكبير سنان ...
٣٣٨ ... شاهد مكتوب بالخط النسخ سنة ٥٦١	٣١٠ ... جامع بطيخة بالقرب من جامع الحين بباب
٣٣٨ ... الحافظ السلفى بالإسكندرية وإقامته بها	٣١٣ ... الخرق ...
٣٤٠ ... من سنة ٥١١ إلى سنة ٥٧٦ هجرية	٣١٣ ... مسجد البردى أنشئ سنة ٥١٠ هـ ومكتوب
٣٤٠ ... اهتمام عبد الرحمن ككتخذوا بالعامة وخبرته	٣١٣ ... على إزار السقف سنة ١٢٠٥ ...
٣٤٥ ... بالهندسة ...	٣١٣ ... تفسير السحابة الشريفة ...
٣٥٢ ... تخصيص علماء للفتوى فى مسجد أبى الذهب	٣١٦ ... قبر عمرو بن العاص ...
٣٥٢ ... مكتبة أبى الذهب، وأذكر أن الخلدوى	٣١٦ ... متحف حربى ملحق بقبر عقبة بن عامر
٣٥٢ ... إسماعيل باشا أعاد الى دار الكتب	٣١٦ ... تعيين أربعة سيمانية (يحبذون الرماية بالبندق)
٣٥٢ ... المصرية مصحف أبى الذهب من	٣١٦ ... لحراسة مسجد عقبة وملحقاته ...
٣٥٢ ... متحف اللوفر سنة ١٨٦٧ ...	

فهرس الموضوعات

صفحة	صفحة
٣٧٨ ... الهئية الفنية لمارة مسجد محمد على باشا	٣٥٦ منزولة من عمل محمود بن حسن النيشى الفلكى
التفكير فى نظريات الصوت منذ القدم	٣٥٨ بحث فى تسمية الأربعين
وتطبيقها فى مسجد محمد على باشا عند	٣٧٧ تثبيت حق الوراثة فى ذرية محمد على باشا
٣٨٣ ... إنشائه	يوسف بوشناق (مهندس مسجد محمد
سنكلاخ وأمين أزميرى خطاطا مسجد	٣٧٨ على باشا الكبير)
محمد على باشا الكبير ٣٨٤، ٣٨٧	على حسن مساعد مهندس مسجد محمد
	٣٧٨ على باشا الكبير

فهرس اللوحات بالجزء الأول

صفحة	صفحة
المسقط الأفقى لجامع الصالح طلائع ... ١٠٠	تطور تخطيط جامع عمرو بن العاص وزياداته ٢٤
الكتابة الكوفية حول العقود ، ودوائر	تخطيط جامع عمرو بن العاص كما وصفه
خواصرها بجامع الصالح طلائع ... ١٠٢	ابن دقاق ... ٢٧
قطاع طولى لجامع الصالح طلائع ... ١٠٣	المسقط الأفقى للجامع الطولونى ... ٣٣
أحد الشبايك فوق العقود بجامع الصالح	الدعائم بالرواق الشرقى للجامع الطولونى ... ٣٥
طلائع ... ١٠٥	المحراب والمئبر بالجامع الطولونى ... ٣٦
توقيع نجار تابوت الإمام الشافعى	اللوحة التاريخى لإنشاء الجامع الطولونى ... ٤٠
(عبيد النجار) ... ١٠٨	قطاع رأسى للجامع الطولونى ... ٤١
سقف شباك قبة الشافعى ... ١١١	منارة الجامع الطولونى ... ٤٣
المركب فوق قبة الشافعى ... ١١٢	المسقط الأفقى للجامع الأزهر ... ٤٨
قطاع طولى للقبة المنصورية ... ١١٧	الزخارف الملوكية أعلى المحراب القديم
تفاصيل من وزرة القبة المنصورية ... ١١٨	بالجامع الأزهر ... ٥٣
تفاصيل من وزرة القبة المنصورية ... ١١٩	قطاع رأسى للجامع الأزهر ... ٥٦
مسقط أفقى للقبة والمدرسة المنصورية ... ١٢١	العشرة المبشرون بالجنة بالخطة الكوفى المربع
تفاصيل من باب المدرسة المنصورية ... ١٢٣	بمحراب عبد الرحمن كنتخدا بالأزهر ٦٣
المسقط الأفقى لخاتمه الجاولية .. ١٢٤	لوحة تاريخية بإنشاء الجامع العتيق بإسنا ٦٥
قطاع رأسى للقبة بالخاتمه الجاولية ... ١٢٦	لوحة تاريخية بإنشاء مسجد العطارين ... ٦٧
شبايك حجرية بخاتمه الجاولى ... ١٢٩	المسقط الأفقى للجامع الأحمر ... ٧١
بخارية من الجص ... ١٣٠	قطاع رأسى للجامع الأحمر ... ٧٣
تفاصيل من وزرة قبة بيرس الجاشنكير ١٣٢	تفاصيل من زخرفة المنارة الأيوبية بالمشهد
تفاصيل من وزرة قبة بيرس الجاشنكير ١٣٣	الحسينى ... ٨٥
أرضية رخامية لقبة بيرس الجاشنكير ... ١٣٤	بسملة كوفية من تابوت المشهد الحسينى ٨٨
رثك قوصون على وكتاته بشارع باب النصر ١٤٢	المصرع الأوسط من تابوت المشهد الحسينى ٨٩
مبخرة نحاسية من القرن الثامن الهجرى ... ١٤٦	سقف الرواق الخارجى لجامع الصالح طلائع ٩٨

صفحة	صفحة
بسملة كوفية منقولة إلى قبر المؤيد شيخ ٢١١	المسقط الأفقي لمسجد المارداني ... ١٤٨
أرضية رخامية بشباك قبة المؤيد ... ٢١٣	تفاصيل من القاشاني بجامع آق سنقر ... ١٥٥
المسقط الأفقي لمسجد جاني بك ... ٢١٩	مشكاة من زجاج بالمينا باسم شيخو الناصري ١٥٧
قبة جاني بك الأشرفي بالقرافة الشرقية ... ٢٢٠	دائرة رخامية من وزرة مدرسة صرغتمش ١٦٤
شباك حص وزجاج بمدرسة الأشرف برسباي ٢٢٤	المسقط الأفقي لمدرسة السلطان حسن ... ١٧٠
شباك حص وزجاج بخانقاه الأشرف برسباي ٢٢٦	الباب العام لمدرسة السلطان حسن ... ١٧١
شباك حص وزجاج بخانقاه الأشرف برسباي ٢٢٧	محراب ومنبر مدرسة السلطان حسن ... ١٧٢
القبة شرق مصلى الأشرف برسباي بالقرافة	قطاع طولي لمدرسة السلطان حسن ... ١٧٥
الشرقية ... ٢٢٨	زخارف حجرية وبها الدعامة الصغرى
المدخل والمئذنة بالوجهة الشرقية لمسجد	بمدخل مدرسة السلطان حسن ... ١٧٦
الأشرف برسباي بالخانكاه ... ٢٣٠	اسم مهندس مدرسة السلطان حسن ... ١٧٨
المسقط الأفقي لمسجد الأشرف برسباي	مشكاة وكرتها من زجاج بالمينا ... ١٨١
بالخانكاه ... ٢٣٢	عتب منقوش بصحن مدرسة أم السلطان
حلية زخرفية من وزرة قبة برسباي بالصحراء ٢٣٣	شعبان ... ١٨٥
رسم الوجهة القبليّة لمسجد زين الدين يحيى	مقرنص قبة أم السلطان شعبان ... ١٨٦
بالأزهر ... ٢٣٥	كرسي مطعم بالن والآنوس باسم مدرسة
المسقط الأفقي لمسجد زين الدين يحيى بولاق ٢٣٩	أم السلطان شعبان ... ١٨٧
حلية زخرفية رخامية ... ٢٤٢	رنك الأمير أبلجاي اليوسفي ... ١٨٩
قبة عمر بن الفارض ... ٢٤٤	المسقط الأفقي لمدرسة أبلجاي اليوسفي ... ١٩٠
شمعدان من البرونز عليه توقيع ابن المكي ٢٤٦	ثريا نحاسية ... ١٩١
ثريا من النحاس ... ٢٤٩	شباك من نحاس مصبوب بالمدرسة
مسقط أفقي مدرسة قايتباي ... ٢٥٢	الظاهرية (برقوق) ... ١٩٤
تفاصيل من منبر مدرسة قايتباي ... ٢٥٤	المسقط الأفقي للمدرسة الظاهرية ... ١٩٥
ثريا نحاسية باسم السلطان قايتباي ... ٢٥٥	المسقط الأفقي للمدرسة الباسطية ... ٢٠٣
قبة السلطان قايتباي بالقرافة الشرقية ... ٢٥٦	ثريا من البرونز باسم القاضي عبد الباسط ٢٠٥
بسملة كوفية بوزرة قبة يشبك من مهدى ٢٥٩	حلية زخرفية من الرخام ... ٢٠٦
كوفي مربع بوزرة قبة يشبك من مهدى ٢٦٠	باب مغشى بالنحاس منقول من مدرسة
	السلطان حسن إلى جامع المؤيد ... ٢٠٩
	مصلبة مدخل مسجد المؤيد شيخ ... ٢١٠

صفحة	صفحة
٣٢٤ ... مسقط أفقي مسجد عثمان كئخذاء ...	٢٦٢ عتب باب السبيل بمدرسة بقماس الإسحاق
٣٢٦ ... حلية زخرقية (حلق قلة) ...	٢٦٣ مسقط أفقي مدرسة بقماس الإسحاق ...
٣٢٨ قاشاني مغربي بمسجد عبد الباقي جوريجي	توقيع النقاش عبد القادر بحراب مدرسة
٣٣٠ شباك من خشب خرط بوسطه قنديل ...	٣٦٤ بقماس الإسحاق ...
٢٣٢ داخل مسجد النبي دانيال ...	رنك بقماس الإسحاق ..
٢٣٧ عمد مكششفة بمقبرة الحكيم لقان ...	٢٦٨ باب منبر سلطان شاه ...
٢٣٨ مقرنصات المنور بقبة النبي دانيال ...	مقرنص ونقوش قبة الفداوية ...
٢٤٦ باب مسجد السيدة عائشة ...	٢٧٧ توقيع نجار منبر أبي العلا (على ابن طنين)
٢٤٩ داخل مسجد البيومي بعد تجديده ...	بحراب ومنبر مسجد أبي العلا ...
تفاصيل من المقصورة النحاسية بمكتبة	٢٨٢ مسقط أفقي مسجد قاني باني الرماح ...
٢٥١ مسجد أبي الذهب ...	قبو الإيوان الشرقي بمسجد قاني باني الرماح
٢٥٢ منارة مسجد أبي الذهب ...	منارة مسجد قاني باني الرماح قبل هدمها
٢٥٤ مسقط أفقي مسجد أبي الذهب ...	٢٨٥ ثريا نحاسية ...
٢٥٥ تفاصيل من قاشاني مدفن أبي الذهب ...	٢٨٨ بسمة كوفية بمدخل قبة الغوري ...
٢٥٦ منزلة بمسجد أبي الذهب ...	٢٩٠ دولاب مطعم بالنس بمسجد الغوري ...
٢٦١ داخل مسجد سليمان آغا السلحدار ...	سقيفة سوق الغورية وتجمع قبة ومدرسة
٢٦٢ شباك من الحص به زهرية ...	الغوري سنة ١٨٤٠م ...
٢٦٥ مسقط أفقي مسجد الرفاعي ...	٢٩٢ مسقط أفقي مسجد المحمودية ...
٢٦٨ مقرنص قبة مسجد الرفاعي ...	٣٠٠ قبة عيد الوهاب الشمراوى ...
٢٧١ شباك من حص وزجاج ...	٣٠٢ مسقط أفقي مسجد سنان باشا ...
٢٧٤ مسقط أفقي مسجد الفتح الملكي ...	منزلة بمسجد سنان باشا ...
٢٧٥ منارة مسجد الفتح الملكي ...	شباك من خشب خرط به أبرق ...
٢٧٩ المسقط الأفقي لمسجد محمد على باشا ...	٣٠٨ مسقط أفقي مسجد الملكة صفية ...
مسقط أفقي للقسم الشرقي من مسجد	إناء من خزف صناعة رودس فى القرن
محمد على باشا ...	الحادى عشر الهجرى ...
٢٨٠ قطاع رأسى لمسجد محمد على باشا ...	٣١١ مسقط أفقي مسجد يوسف الحين ...
٢٨٢ بسمة بخط سنكلاخ ...	داخل المدرسة الفارقانية ...
٢٨٤ شباك من النحاس ...	وجهة مسجد ذى الفقار ...
٢٨٥ لوح من الفاشاني مكتوب عليه	٣٢١ حلية زخرقية (حلق قلة) ...
بسم الله الرحمن الرحيم وبه تقى ...	

فهرس الأعلام

- أقبا عبد الواحد ٥٨ ، ٥٧
 آق سقر الساقى (علاء الدين) ١١٤
 آق سقر الفارغانى ٢١٨
 آق سقر الناصرى ١٥٤ ، ١٥٢
 أقوش نائب الكرك ١٢٢
 أقوش نيمه ١٣٩
 الأمر بأحكام الله الفاطمى ٢٧٣ ، ٩٢ ، ٨١ ، ٦٩ ، ٥٠
 ابراهيم أغا مستحقان ١٥٥ ، ١٥٤ ، ١٥٣
 ابراهيم الأنبارى ٣٨٠
 ابراهيم باشا ١٧٢ ، ١٧٠
 ابراهيم باشا بن محمد على باشا ١٤٥
 ابراهيم البجورى شيخ الأزهر ٦٠
 ابراهيم بن طالب بك ٣٥٩
 ابراهيم بك أمير القواين ذى الفقار ٣٢٠
 ابراهيم حلى نجل المغفور له اسماعيل باشا ٣٦٩
 ابراهيم الرزناجى ١٥٩
 ابراهيم رشدى أفندى الخطاط ٣٨١
 ابراهيم بن صرغتمش ١٦٣
 ابراهيم المتبولى ٢٤٤
 ابراهيم بن محمد عبد الواحد بن وثيق ٦٨
 ابراهيم المغربى ٣٦٣
 ابراهيم بن مقلطاي ١٤٣ ، ١٢٥
 ابراهيم بن وصيف شاه ٨١
 ابن أبى جملة شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى ٣١٧ ، ٢٤٣
 ابن أبى الدنيا ٨٠
 ابن أبى ذئب (أبو الحارث محمد بن عبد الرحيم بن المغيرة) ١٩٨
 ابن أبى الرداد ٢٧٣
 ابن أبى شامة (شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن اسماعيل) ٩٧
 ابن الأثير (عز الدين أبي الحسن علي بن محمد الجزرى ٩٧ ، ٣١
 ابن إياس (محمد بن أحمد) ٢٦٩ ، ١٨٢ ، ١١١ ، ٩٢ ، ٨١
 ابن بطوطه (أبو عبد الله محمد بن عبد الله) ٩١ ، ٨٥
 ٣٢٥ ، ٣٣٣
 ابن بهادر (محمد بن محمد بن محمد المؤمن) ١٤٩
 ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو الحسن يوسف) ٩٧
 ٣٤١ ، ٢٣٨ ، ١٨٢ ، ١٦٦ ، ١٣٨ ، ٩٨
 ابن جبير (محمد بن أحمد بن جبير) ١٠٧ ، ٩٥ ، ٨٤
 ٣٢٥ ، ٣٣٣ ، ١٥٨
 ابن الحاجب النجوى (عثمان أبو عمرو بن أبي بكر بن يوسف
 المصرى) ٦٤
 ابن حجر (شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد) ١٤١ ، ١١١
 ابن نزيمة (محمد) ٣٢٥ ، ٣٣٣
 ابن خلكان (شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد) ٢٤٣ ، ٩٧
 ابن دقاق (إبراهيم بن محمد بن أحمد) ٢٣ ، ٢٨ ، ٤٣
 ٣٣٥ ، ١٠٥
 ابن الزين (محمد بن عمر بن محمد بن عمر الزين) ٢٥٧ ، ١١١
 ابن الزيات (أبو عبد الله محمد بن الإمام ناصر الدين محمد)
 ٣٤٤ ، ٣٣
 ابن رسته (أبو علي أحمد بن عمر) ٢٩
 ابن زياد (عبد الله) ٧٨
 ابن سعيد (أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك) ١٤٤
 ابن السيوفى ١٥١ ، ٥٧
 ابن الشحنة (محب الدين أبو الفضل محمد بن الشحنة الحلبي) ٩٥
 ابن الصائغ (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن الحنفي) ١٦٣
 ابن طاهر (عبد الله بن طاهر) ٢٩ ، ٢٨
 ابن عباس ٣١٥
 ابن عبد الظاهر (عبي الدين عبد الله بن عبد الظاهر) ٨١
 ١٠٤
 ابن العبري (غريغور يوس بن أبي الفرج) ٢٣٢

أبو طاهر (أحمد بن محمد السلفي) ٣٣٥، ٣٣٣
 أبو العباس الرمسي (أحمد بن عمرو بن محمد الأنصاري) ٦٨، ٣٣٣
 أبو عبد الله الحسين = الحسين بن علي
 أبو عبد الله الحكم الفقيه المالكي ١٠٦
 أبو عبد الله (محمد بن أحمد البشاري) ٢٥
 أبو عبد الله (محمد بن حنان) ٣٣٠
 أبو عبد الله (محمد بن مختار بن قاتك) ٦٩
 أبو الفتح (موسى بن المؤيد شيخ) ٢١١
 أبو غان (السلطان) ٣٢٩
 أبو الفتح موسى بن ملهم (ضياء الدين) ١١٣
 أبو القحور (صالح أمين مكتبة الأزهر) ٦١
 أبو القداء (الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل) ٣٣٢
 أبو الفرج (يعقوب بن كاس) ٥٢
 أبو الفضائل (مفضل بن أبي الفضائل) ١١٥
 أبو الفقرى القاسي ٣٤٠
 أبو الفلاح (عبد الحى بن الهادي الحنبل) ١٦٥
 أبو القاسم (ابن أبي الحسن بن أبي القاسم الباجي) ٣٣٨
 أبو القاسم (ابن يحيى بن الزرور) ٨٧، ٨٤
 أبو المؤيد الخوارزمي ٨٠
 أبو محمد = الحسن بن علي
 أبو محمد الصعدي (عبد الكريم بن عبد الباري بن عبد الرحمن) ٦٨
 أبو مسلم الخراساني ٨٠، ٧٩
 أبو موسى الأشعري ٣٣٢، ١١
 أحمد بن أبيارة الموصل ٦٢
 أحمد باشا راشد ٦٢
 أحمد باشا والي مصر ٢١٤
 أحمد تيمور باشا ٢٥٧، ١٩٧، ٩٢
 أحمد جاديش أرتاؤد ١٥٩
 أحمد الحويري ١٤٠
 أحمد بن حنبل ١٠٦
 أحمد خليل البكي ٢٠٥
 أحمد خيري باشا ٣٦٤

ابن العريف ٣٤١
 ابن عساكر (الحافظ أبو القاسم علي بن أبي محمد) ٢٤٣، ١٠٩
 ابن عطاء الله السكندري (أبو العباس أحمد بن عمر الأنصاري) ٣٣٣
 ابن الفرات (ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم) ١٣١، ١١٥
 ابن فضل الله المصري (شهاب الدين أحمد) ٢٧٢، ٢٧٩
 ابن كثير (أبو القدا إسماعيل بن عمر) ٢٨٥، ٨٠، ٣٩
 ابن المأمون ٨١
 ابن المتوج (تاج الدين محمد بن عبد الوهاب) ٢٨
 ابن مزمهر رئيس ديوان الانشاء ٢٥٩
 ابن ميسر (محمد بن علي بن يوسف بن جلب) ٨١
 ابن نياة الشاعر (جمال الدين أبو بكر محمد بن محمد بن نياة المصري) ١٨٠
 ابن تقولا الكاتب ٢١٥
 أبو إسحاق السبيعي ٩٤
 أبو أمامة ٣١٥
 أبو بكر راتب باشا ٦٠
 أبو بكر بن يونس ١٩٩
 أبو الحجاج (يوسف بن علي الشاعر) ٣٢٩
 أبو الحجاج (يوسف بن محمد البلوي) ٣٣٥، ٣٣٣
 أبو حورية (أحمد) ٢٦١
 أبو الحسن أحمد ملوك المغرب ٥٧
 أبو الحسن علي بن السلا (المادل) ١٣
 أبو الحسن علي بن يحيى التامض ٣٤١
 أبو الحسن بن التيه ٣٣٠
 أبو الحسين علي بن أحمد بن النضر ٦٥
 أبو الحسين (يحيى المعروف بالعداس وبالبلباني) ٣٤٠
 أبو الحكم بن أبي الأبيض الديسي ٩٥
 أبو الخير محمد بن سليمان المادح ١٩٩
 أبو زيد المصري كبير التجار ١٩٩
 أبو سعيد الخدري ١١
 أبو طالب أحمد بن عبد الحميد بن حديد ٣٤٠

الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالي ١٢٧٣، ١٣١، ٨١، ٦٩	أحمد الدردير ٣٥٢
أقبردى ١٧٥	أحمد رشدى بك ١٤٥
أقظه قريب الأشرف برسباى ٢٢٥	أحمد الزناعى ٣٦٦، ٣٦٥
أجلای اليوسفى ١٨٨	أحمد زكى باشا ٣٤٤، ٣٤٧
الطنبغا الماردانى ١٥١، ١٥٠، ١٤٧	أحمد بن السلطان حسن (الشهاب) ١٧٣
الطون بغا ١٩٢	أحمد بن طولون ٢٧٣، ٣٩، ٣٢، ١٥، ١٢
ألماس الحاجب ١٩٤، ١٣٦	أحمد بن الطولونى المهندس ١٩٧، ١٩٣
أم حسين بك ٢١٧	أحمد بن على بن إبراهيم النسافى الأسوانى ١٨٠
أم الخير الحجازية ٣٠	أحمد كنفخدا المربوطى ٧٥
أم سلة ٧٦	أحمد كنفخدا عزبان قيوچى ١٦٣
أم الملك الكامل ١١٠	أحمد الكمكى ٢٧٨
الإمام الشافعى (محمد بن ادريس) ١٠٦، ٩١، ٣٠	أحمد كور باشا ٥٩
٢٠١، ١٩٨، ١٠٩، ١٠٨	أحمد بن المؤيد شيخ (المظفر) ٢١١
أمير حاج بن محمد بن عبد الفتى ٢١٦	أحمد بن محمد (السلطان أحمد الأول) ٢٥٧
أمين ازميرى ٣٨٧، ٣٧٥	أحمد بن محمد بن شاهين الراشدى ٣٥٢
أمين بك مرسى قنديل ٨١	أحمد بن المقر بكاس الشهابى ١٥٩
أنس والده برقوق ١٩٣	أدمون يوقى ١٠١
إيرس ١٦٨	أرورونيه ١٦٨
أيدير المحيرى ٢٧٥	أرفون نائب حلب ١٣٦
إينال (الأشرف) ٢٤٥، ١٧٥	أزبك الأتابكى ٢٥٩
إيوازيك ٢٤٣	أزبك التلاصكى ٢٥٦
(ب)	أزبك من طلع ١٢١
بايكاك ٣٢	أسامة بن زيد ٧٦
برردى لاقاليه ١٧٣	الإسحاق (محمد عبد المطلب بن أبي الفتح) ٢٢٩، ٢٢٢
بريكولو ١٥٩، ١٠٣، ٤٣	إسماعيل آغا ٣٠٨، ٣٠٧
بختنصر ملك بابل ٣٣٢، ٣٣١	إسماعيل باشا (الخدويو) ٢٢٢، ٦٠، ٨٦، ٢١٤
بدر الجمالى ٢٤٤، ٦٤، ٦٧، ٧٢، ٧٩، ٨١	٢٦٧، ٢٦٢، ٣٧٢، ٣٧٥، ٣٨٠
٢٧٣، ٩٧	إسماعيل باشا صيرى العمري ٢٤٥
برسباى (الأشرف) ٢٢١، ٢١٨، ٢٠٢، ٥٥	إسماعيل بك ابواظ ٥٩
٢٤٥، ٢٣١، ٢٢٦، ٢٢٥، ٢٢٤	إسماعيل بن جعفر الصادق ٢٧٢
برقوق (الظاهر) ١٩٧، ١٩٦، ١٩٢، ١٧٤، ٥٤	إسماعيل ابن الناصر محمد بن قلاوون (الملك الصالح) ١١٩،
٣٦٧، ٢٢١، ٢٠٨، ٢٠٧	١٥٢، ١٤٨

(ت)

- تاج الدين عبد الوهاب السكندري ٢٣٨
تاج الدين محمد بن حيتا (الصاحب) ٩١
تاني بك ٢٢٥
تتر الحجازية ١٨٦
تفريد أم العزيز بالله ٤٢٠١٢
تفري بردى القادري ٢٦٩٠٢٦٧
تقي الدين بن مرآجل ٣٩
تمر الابراهيمي ٢٤٥
توحيد هانم بنت الخديو اسماعيل باشا ٣٦٩
تيفشو ١٦٧

(ج)

- جاي المهندس ٣٦٤
جان بلاط ٢٨٦٠١٧٦٠١٧٥
جانم ابن عم قايتباي ٢٥٦
جاني بك الأشرقي ٢١٩٠٢١٨
جاني بك ابن عم قايتباي ٢٥٦
جاول (الأمير) ١٢٤
الجبرقي (عبد الرحمن) ١١٨٠١٤١٠٢١٨٠٣٤٩
٣٥٥٠٣٥٢
جوكس الخليلي ١٩٤٠١٩٣
جشم آفت هانم ٣٧٠
جعفر بن محمد ٨٠
جعق (الظاهر محمد أبو سعيد) ١٩٩٠١٩٦٠١٧٥
٢٣٤٠٢٣٩٠٢٤٢٠٢٤٥٠٢٥٠
٢٥٨٠٢٤٢
جعق نائب الشام ٢٦١
جلال أسعد ٣٠٣
جلال الدين البتاني الحنفي ١٨٨
جلال الدين التيزي ١٦١
جلال الدين القزويني قاضي القضاة ١٣٩
الجليس بن الحباب ٩٧

برفوق الناصري الظاهري نائب الشام ٢٤٥

بركة (الأمير) ١٩٢

بركة (خوند) ١٨٨٠١٨٦٠١٨٢

بركة بن الظاهر بيبرس (السعيد) ٣١٨

برناردى برينباخ ٣٣٦

برهان الدين السنجارى ١١٦

بريدة رضى الله عنه ٧٦

بريس دافين ١٠٥٠١٤٢٠١٧٣٠٢٩٢٠٢٩٣

بريشا ٢٣٤٠٢٣٩

بسكال كوست ٢١٤

بشاك ١٢٧٠١٤٣

بشير أخادار السعادة ٣٤٩

بشير الجندار ١٦٨٠١٦٩

بكتير الجوزكندار ١٠٠٠١٠١٠١٠٢

البلاذرى (أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر) ٣٣٣

بلباي (الظاهر) ٢٦١

بطشاصر ٢٣١

بنو إبراهيم ٩١

بنو أشواق ٦٤

بنو الخطيب ٦٤

بنو السديد ٦٤

بنو النضر ٦٤

بهاء الدين العامل (محمد بن حسين بن عبد الصمد) ١١٣

بهادر مقدم الماليك (الطواشي) ٥٤

البوصيري (شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد) ١١٢

بيبرس البندقدارى ٢٦٠٤٤٥٠٤٥٣٠٢٧٢٠٣١٨

بيبرس الجاشنكير ١٣١٠١٣٣٠٢٧٢

بيناروس ١٦٥

بيدرا ١٣١

بيرون النحاس ٣٨٠

بيلك الخاونددار ٥٤

جمال الدولة بن عمار ٦٤
جمال الدين الاستادار ١٨٣
جمال الدين بن مقداد المالكي ناضي القضاة ٢١٥
الجمال يوسف ناظر الخااص ٢٤٢
جمجمة بن عثمان ٢٥٩
جميلة فاضيلة هانم ٢٤٦
جميلة هانم كريمة إسماعيل باشا ٦٠
جنايار هانم ٢٧٠
جوهر القائد الصقل ١٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٢٣٦
جوهر القشتاني ٢٣٦ ، ٥٨
جورمار ١٦٨
جيمس ويلد ٢٧

(خ)

خالد بن عبد الله القسري ٩٤
خالد بن عيسى البري ٨٥ ، ٢٢٣
خديجة هانم كريمة أحمد طلعت باشا ٩٢
خسرو باشا ٢٥٧ ، ٢٧٦
خشمقدم (الظاهر) ٢٦١
خليل آغا ٢٦٣
خليل أفندي إبراهيم ٦٦
خليل الظاهري (غرس الدين) ٧٩ ، ١٦٦ ، ٢٢٣ ، ٢٣٥

خليل بن تلاوون (الأشرف) ١١٥ ، ١٣١ ، ٢٧٢
خمارويه بن أحمد بن طولون ١٥ ، ٢٥
خواجا عمر ١٥٦
خوي بن دارد ٢٢٧
خورشد باشا ٢٧٧
خوشيار هانم ٢٦٣ ، ٢٧٠

(د)

داريوس ٢٣١
دايفد روبرت ٢٩٢ ، ٢٩٣
دانيال (التي) ٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤
دمرداش (الشيخ) ٢٤٢
دولات باي ٢٥٦

(ح)

حاجي (المصور) ١٨٦
حاجي بن الناصر محمد (المظفر) ١٥٢ ، ١٦٠
الحافظ لدين الله الفاطمي ١٣ ، ٤٤ ، ٥١ ، ٧٤
الحاكم بأمر الله الفاطمي ١٢ ، ٢٥ ، ٥٠ ، ٥٢
حسن أغانيزيندار ١٧٢
حسن أفندي ابن البواب ٢٢٣
حسن باشا طاهر ٣٥٥ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨
حسن باشا والي مصر ٥٩
حسن بك الفقاري ٢٢٠
حسن جاويش القازدغل ٢٢٣ ، ٢٤٥
حسن الفويسني شيخ الأزهر ٣٥٠
الحسن بن عبد الله ٢٧٢
الحسن بن علي ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٠ ، ٩٩
حسن كنعدا عزبان الجلفي ٨٥
حسن بن الناصر محمد (السلطان) ١٤٢ ، ١٥٦ ، ١٦٠ ، ١٦٥ ، ٢١٠ ، ٢٧٠
حسين باشا المعمار ٢٦٣ ، ٢٦٤
حسين بك ابن محمد علي ٢١٧
حسين الجبار ٢٨٠



(ذ)

ذخيرة الملك جعفر متولى الشرطة ٣٦٣
ذوالفقار ٣٢٢ ، ٣٢٠

(ر)

رضوان بن الوثلى ١٣

(ز)

زاده أحمد بن أبى يزيد ١٦١
زبيدة زوج هارون الرشيد ٥٧
زفوق ٣٢٧
زليخا هانم زوجة إبراهيم بك الكبير ٣٥٥
زهرا بنت قايق ٦٢
زهرة بنت حسين (خوند) ١٨٦
زيد بن على المعروف بزين العابدين ٩٤
زينب هانم بنت اسماعيل باشا ٣٦٩
زينب هانم كريمة محمد على باشا ٦٠
زين الدين بن الراحظ ٩٨

(س)

سربالك دى انكوانه ٣٣٦
سبط ابن الجوزى (أبو محمد بن يوسف) ٩٨ ، ٨١
ست الملك ١٢٢
السنواى (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن) ٢١٥ ، ١١١
٢٣٠ ، ٢٣٨ ، ٢٤٢ ، ٢٦٩ ، ٢٧١ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥
٢٤٥ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥
سعد بن أبى وقاص ١١
سأدر نائب السلطنة ٢٦ ، ٥٤ ، ١٢٥ ، ١٢٨
سلطان شاه بن قرا ٢٦٧
السلطنى (أبو طاهر أحمد بن محمد الحافظ) ٣٣٣ ، ٣٣٥
سليمان بن معالى ١٠٨
سلم أغا ١٧٦
سلم الأول (السلطان) ٢٠ ، ١٦٦ ، ٢٠٨ ، ٣٠٢
سلم الثانى ٣٠٢ ، ٣٠٣
سليمان أغا السلحدار ٣٦٠

سليمان باشا أبائه ٦٢

سليمان بن عبد الملك ٧٩

سليمان القانونى ٣٠٢

ستان باشا ٣٠٢

ستان (خوجه) ٣٠٣

سنجر الجاول (علم الدين) ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٨

سنجر الدوادارى (علم الدين) ٣٨

سنجر الشجاعى (علم الدين) ١١٤ ، ١١٥ ، ١٢٠ ، ١٨٠

سفر الطويل (شمس الدين) ٢٣١

السيد أفندى حمد ٣٧٨

سيف الدين المقدم ١٩٩

سيون (الخواجه) ٣٨٠

(ش)

شاكر أفندى المهندس ٣٨٠
شجر الدر ١١٩
شرف الدين المدينى ٤٥
شعبان بن حسين ١٨٢ ، ١٨٨ ، ٢٦٧
شعبان (السلطان الكامل) ١٥٢ ، ١٨٠
الشعبى ٩٤
شعيب بن الإمام الليث ٢٠١
شمسة (الملكة) ١٠٩
شهرت هانم قرا ٣٧٠
شيخو العمري الناصرى ١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٦٠
شيدان (مسيو) ٣٨٣
شيدرين (خوند)

(ص)

الصامى إبراهيم بن المؤيد شيخ ٢٠٩ ، ٢١١
الصالح طلائع بن رزيك ٩٩ ، ١٠٤ ، ١٣٧
صالح بن على بن عبد الله ١٢
الصالح بن الملك العادل نور الدين ٧٩

عبد الرحمن الخلق ٣٤٢
عبد الرحمن السيوطي جلال الدين ١٥٩ ، ٢٧٤
عبد الرحمن بن عبد الوهاب الشعراوي ٣٠١
عبد الرحمن المريثي ٣٥٢
عبد الرحمن كيتخدا ٥٩ ، ٦٢ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ١٠٧
١١٨ ، ٣٤٥
عبد الرحيم (تاج الدين) بن قاضي القضاة جلال الدين القزويني ١٤٣
عبد الرزاق أغا بن عبد الحليم ٣٠٧
عبد العزيز آل سعود (الملك) ٦٣
عبد العزيز (السلطان) ٣٨١
عبد العزيز بن مروان ٢٤
عبد الفتى التالبي ١١٣ ، ١٦٧ ، ٢١٧ ، ٢٧٢ ، ٣٤٢
عبد القادر الأوزمكي ٣٠٠
عبد القادر النقاش ٣٦٤
عبد الله أبو محمد ١٠٤
عبد الله بن أحمد بن حنبل ١٠٦
عبد الله بك الزعدي ٣٦٤
عبد الله جوريجي ٣٢٥
عبد الله الزاكر ١٢٩
عبد الله الشيرازي ٨٦ ، ٣٤٨
عبد الله بن طاهر ٢٥ ، ٢٨ ، ٢٩
عبد الله بن علي بن عباس ٨٠
عبد الله بن عمرو بن العاص ٣٣٦
عبد الله المرازيني ٣٦٣
عبد الله يلينا السالمي ٧٢
عبد الله المنسي (شمس الدين) ٢٧٤
عبد المظيف البندادي ٣٥٥
عبد الحميد (السلطان) ٣٧٧
عبد الهادي باشا الهندى ٣٣٤
عبد الواحد التازي ٨٧ ، ٩٦
عبد الوهاب السبي ١٢٥
عبد الوهاب الشعراوي ٢٩٩ ، ٣٤٤
عبد (الشيخ) ٢٧٨
عبد بن محمد بن عبد الهادي البازدار ٤٥
عبد النجار المعروف بابن معالي ١٠٨

صالح بن الناصر محمد (الملك الصالح) ١٥٦ ، ١٦٠ ،
١٨٠ ، ١٦٥
صدر الدين بن درباس ٥٣
مرغندش ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢
صفية ٣٠٦ ، ٣٠٨
صلاح الدين يوسف ١٤ ، ١٧ ، ٢٦ ، ٥٢ ، ٦٧ ،
٨٣ ، ٩١ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٤٧ ، ٣١٦
(ط)
الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير) ٩٥
طرطاي (حسام الدين) ٣٢٣
طشتمر العلاني ١٩٢
طوسون عم محمد علي باشا ٣٧٦
طوغان الدوادار ١٥٣
طوما تباي (العادل) ١٥٩ ، ١٧٥ ، ١٧٦
طويس الخازنداري ٥٦ ، ٥٧
(ظ)
ظافر بن جماعة ٣٤٠
الظافر بنصر الله أبو النصور اسماعيل ٧٤
الظاهر عمر ٣٥٢
(ع)
عابدين بك ٢٧٢
عابدين بك طاهر ٣٥٧ ، ٣٥٨
العادل أبو بكر بن أيوب (الملك) ١١٠
العاضد لدين الله الفاطمي ١٣ ، ٩٧
عائشة بنت جعفر الصادق ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٧
عباس باشا الأول ٦٠ ، ٨٦ ، ٣٥٠ ، ٣٨١
عباس باشا حلبي الثاني ٦١ ، ٦٢ ، ٦٨ ، ٨٧ ، ٢٣٧ ،
٣٦٤ ، ٣٦٥
عبد الباسط بن خليل ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٢١
عبد البر بن الشحنة (قاضي القضاة) ٢٨٧
عبد الرحمن باشا حاكم مصر ٤١٥
عبد الرحمن النفهني ١٦١

على حكته ٢٧٨
على الخواص ٣٤٤
على بن داود الجوهرى ٢١٣
على شاه وزير السلطان أبو سعيد ١٤١
على الصعدي ٣٥٢
على بن طنين ٢٧٧
على بن ظافر ٣٢٩
على بن محمد ٦٦
على بن النعمان ٥٢
على نور الدين الشوقى ٣١
على وفا ٢٤٤
عماد الدين اسماعيل بن محمد بن قلاوون = اسماعيل بن الناصر محمد
عمر بن أبي سلة ٧٦
عمر بن أبي المالئسم بن عمار ٧٨ ، ٨٠
عمر باشا ٢١٤
عمر بن الخطاب ١١ ، ١٥ ، ٢٣ ، ٣١٥ ، ٣٢٢
عمر الطحلاوى ٣٢٣
عمر طوسون (الأمير) ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٦
عمر بن عبد العزيز ٨٠
عمر بن القارص ٢٤٣
عمر بن سعيد ٧٨
عمر بن العاص ١١ ، ٢٣ ، ٣١٥
العيني (بدر الدين أبو محمد محمود) ٩٧
(غ)
الغاية البدوية ٢٧٢

(ف)

فاروق الأول (الملك) ٥ ، ٧ ، ٢٢ ، ٢٧ ، ٣١
٣٥ ، ٤٦ ، ٦٣ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٦
١٤٢ ، ١٦٤ ، ١٩١ ، ٢٠٦ ، ٢٢٠
٢٢٤ ، ٢٣٣ ، ٢٣٧ ، ٢٧٥ ، ٢٨٠
٢٩٤ ، ٢٩٨ ، ٣١٤ ، ٣٢٢ ، ٣٤٧
٣٥٠ ، ٣٦٢ ، ٣٧١ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨

عمان (الخواجه) ناصر الرقيق ١٩٢
عمان أغا ٣٠٧
عمان أغا ٣٤٩ ، ٣٥٠
عمان أغا أغا مستحقان ٩٦
عمان البرديسى ٣٧٦
عمان شلى شيخ العقادين ٧٥
عمان بن عفان ٢٣ ، ٩١ ، ٩٢
عمان كنهذا القارص على ٥٩ ، ٢٢٣ ، ٣٢٥ ، ٣٤٥
عز الدين أيدمر الحلى ٥٣
عزير بك خانكى ٣٠٣
العزير بالله ١٢ ، ٤٢ ، ٥٠ ، ٥٢
العزير عثمان بن صلاح الدين ١٠٩
عقبة بن عامر ٣١٥ ، ٣١٧
علاء الدين أبو على عثمان النابلسى ١١٣
علاء الدين السمرائى ١٩٢ ، ١٩٣
علاء الدين الطيرمى بن السائس ١٨٨
على أبو الأنوار ٨٦
على أبو شيك ٣٦٣ ، ٣٦٦
على بن أبي الخير المرحومى ٣١٨
على بن أبي طالب ٧٦ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٩
على بن أحمد بن على الكوى ٧٤
على أفندى موسى ٣٧٨
على بن النجب بن السامى ٣٦٦
على (الأمير) ١٨٥
على باشا مبارك ٨٦ ، ١١٣ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ٢٤٥
٢٧٨ ، ٣١٢ ، ٣٢٠ ، ٣٢٥ ، ٣٣١ ، ٣٣٦
على بن بركات بن حسن ٢٢٧
على بك قازدغلى ٢٤٥
على بك الكبير ١١١ ، ٣٥١
على جمال الدين بن اسماعيل باشا ٣٦٩
على جوريجى ٣٢٧
على بن حجازى اليموى ٢٤٨
على بن الحسين ٧٨ ، ٨٠ ، ٩٤

فاطمة أم خوند ١٩٦
فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ٧٦
فاطمة زوجة الأشرف برسباي ٢٢٤
فاطمة شقرا ٢٤٧
فان برشم ١٤١ ١٤٢٤ ٢٢٠
الفائر بنصر الله ١٠٤ ٩٧
فؤاد الأول (ملك مصر) ١٩١ ٨٧ ٦٢ ٤٦ ٢٧
٢٣٣ ٢٤٠ ٢٧٨ ٢٧٩ ٢٨٠ ٣١١
٣٢٦ ٣٦٧ ٣٧٢ ٣٧٥ ٣٨١ ٣٨٧
فؤاد مرابط ٩٦
نفر الدين عبد الفتى بن عبد الرزاق ٢١٥
الفخر الفارسي ٣٦٧
نفر الملك سعد الدولة ساركنين ٦٦ ٦٥
فرج بن برقوق ١٩٢ ١٩٩ ٢٠١ ٢١٥ ٢٢١
فرج السلطحي ٢٣٥
فرنس باشا ٢٨٥
فرنك ديلاون ٣٦٣
فروبال (الأميرة) ٣٦٧
الفضل بن صالح بن علي ١٢
فروز الساق ٣٤٢
قيت (الأستاذ جاستون) ١٦٧ ١٧٧ ٣٧٨

(ك)

كامل النزي ٣٥٨
الكامل محمد بن المادل ١٠٩ ١١١ ٢٤٣ ٣١٦
كتنبا (الملك المادل) ٣٨
كجك (علا الدين) ١٣٩ ١٤٧ ١٥٣
كرايت النحاس ٣٨٠
كريسويل (الأستاذ) ٢٨ ٣٦ ٤٢ ٢٨٥
كريم الدين الخلق ٣٤٢ ٣٤٣
كريم الدين الكبير ٤٥
الكفراوى (الشيخ حسن) ٣٥٢
كلوت بك ٤٥
كل الدين السنودى ٣٠
كهرداش المنصوى ١١٦
الكندى (أبو عمر محمد بن يوسف) ٩٥
كوديت بك ٢٨ ١١٣
كوزلبا ٣٤٢ ٣٤٣

(ل)

لاسين المنصوى (السلطان) ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٤٢ ٤٥
لطيف باشا سليم ٢٧١
لويس (الأب) ٣٣٤
لويس فيليب (ملك فرنسا) ٣٨٦
الليث بن سعد ١٩٨ ١٩٩

فؤاد مرابط ٩٦
نفر الدين عبد الفتى بن عبد الرزاق ٢١٥
الفخر الفارسي ٣٦٧
نفر الملك سعد الدولة ساركنين ٦٦ ٦٥
فرج بن برقوق ١٩٢ ١٩٩ ٢٠١ ٢١٥ ٢٢١
فرج السلطحي ٢٣٥
فرنس باشا ٢٨٥
فرنك ديلاون ٣٦٣
فروبال (الأميرة) ٣٦٧
الفضل بن صالح بن علي ١٢
فروز الساق ٣٤٢
قيت (الأستاذ جاستون) ١٦٧ ١٧٧ ٣٧٨

(ق)

القاسم عبد الحاكم بن وهيب ٣٨
قنصوه أبو سعيد ٢٨٧
قنصوه النورى (السلطان) ٥٦ ٩٢ ٩٣ ١١١
٢٠٠ ٢٠١ ٢٠٩ ٢٨٦ ٢٨٧ ٢٨٨
٢٨٩ ٢٩١ ٢٩٤
قانى بى فرا ٢٨١ ٢٨٢ ٢٨٣ ٢٨٤
قيتباي (السلطان) ٢٨ ٩٣ ١٠٥ ١١١ ١٠٧
٢٥٤ ٢٥٠ ٢٣٤ ٢٠١ ٢٠٩ ٢٦٨ ٢٦٧ ٢٥٨ ٢٥٧
٢٧١ ٢٧٢ ٢٧٣ ٢٧٤ ٢٨٦
قيحة أم المعتر ٣٢



محمد بك دقردار ١٧٦
 محمد توفيق باشا (الهندى) ١٥٩ ١٦٠ ١٦١ ١٦٢ ١٥٥
 ٢٢٧ ٢١٤
 محمد بن الجزرى ٢٠٢
 محمد بن حسين الطولونى المهندس ٢٤٠
 محمد خان الثالث ٢٠٦ ٢٠٧
 محمد بن خزيمه ٢٣٥
 محمد خفغانى باشا ٩٦
 محمد الديرى (شمس الدين) ٢١٥
 محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ١١٨
 محمد رمزى بك ١٥ ٢٧٦ ٢٥٧
 محمد بن سعد ٨٠
 محمد سعيد باشا ٣٨١
 محمد بن سليمان بن أحمد الصنهاجى المراكشى ٦٨
 محمد سيّد ٨٧
 محمد الشينى المؤذن ٢٥٢
 محمد الشربوي ٣٢٧
 محمد شريف حافظ أفتدى ٣١٠
 محمد بن شعبان الثقلى ١٥٩
 محمد شهاب الدين ٢٨٦
 محمد بن طنج الأخشى ١٦ ٢٧٣
 محمد عبد الحليم الشمرانى ٣٠١
 محمد عبد الكريم القاسى ٣٢٧
 محمد بن عبد الوهاب البازينارى ٢١٥
 محمد عرفة (اليد) ٨٧ ٨٨ ٩٢
 محمد على باشا ٢١ ٢٢ ٢٧ ٢٤ ١١٢
 ٢١٧ ٢٣١ ٢٥٧ ٢٧٦ ٢٨٥ ٢٨٦
 ٣٨٨
 محمد بن على ٨٠
 محمد بن على بن طباطبا الطلق ٧٧
 محمد بن على المعروف بابن الرادى ٢٢٨
 محمد بن عمر حاكم الصعيد ٢٩٥
 محمد بن فضل الله ناظر الجيش ٢٧٤ ٢٧٦
 محمد بن قايتباى (الناصر) ٢٨١
 محمد بن قطوشاه أرشد الدين ١٦١

لينوار ١٦٨
 ليون الإفريق ٢٢٦

(م)

المأمون ٢٥
 مؤنسة القطية ١١٤
 المؤيد شيخ الحموى ١٧٣ ٢٠٢ ٢٠٣ ٢٠٧
 ٢١٢ ٢١٥
 ماجور الترك ٣٢
 المارك دى فوكويه ٩٦
 مارمول ٣٣٦
 مالك (الإمام) ١٠٦ ١٩٨ ٢٩٩
 ماهر باشا محافظ مصر ٢٧١
 المتوكل محمد بن المعتضد ١٩٢
 المحبى (محمد المحبى) ٣٠١
 محمد الأبراشى (الشيخ) ١٣٣
 محمد بن أحمد التلباسى ١٦١
 محمد بن أحمد بن محمد الخلق ٣٤٢
 محمد بن أحمد بن محمد المحلى ٧٤
 محمد بن أسعد الجوانى ٩٥
 محمد أفا ١٩٠
 محمد بن الأشرف برسباى (الناصرى) ٢٢٤
 محمد أفتدى الكرىلى ٢٦٧
 محمد الألفى ٣٧٦
 محمد الأمير ٣٥٣
 محمد البارزى (ناصر الدين) ٢٠٨
 محمد باشا سلحدار (أبو النور) ٣١٦
 محمد باشا الشريف ٨٥ ٥٨
 محمد باشا طاهر ٣٥٧
 محمد البيلارى (السيد) ٨٧
 محمد بن البرجى (بهاء الدين) ٢٠٩
 محمد البرماوى (شمس الدين) ٢١٥
 محمد بك أبو الذهب ٣٥٤
 محمد بن بليك المحدثى ١٧٩ ١٨٠

المستنصر بالله ٢٥، ٣٨، ٦٤، ٩٧
 مسعود السبع ٣٢٧
 المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين) ٨٠، ٣٣٤
 ٣٣٥
 مسلمة بن مخلد ٢٤
 مصطفى أظافر دلى ٢٠٠
 مصطفى باشا ٣٤٩، ٣٥٠
 مصطفى باشا فاضل ١٤٥، ٢٦٠
 مصطفى البولاتى ٢٧٨
 مصطفى جود بجى مرزا ٢٠٠
 مصطفى الحريرى ٣٦٤
 مصطفى بن الخواجا رسم ٥٦، ٥٥٥
 مصطفى النورى ٣٦٣
 مبارية بن أبى سفیان ٢٤، ٧٧، ٣١٥
 المعتز بالله ٣٢
 المعتز على الله ٣٣
 المنزلهين الله ١٦، ٤٧
 معين الدين بن شيخ الشيوخ ٨٥
 المفضل بن أبى الفضائل ١١٥
 مقبل الشامى ١٦٦
 المقرئى (تق الدين أحمد بن على) ٤٣، ٤٩، ٥٧
 ٧١، ٨١، ١٠٤، ١١٥، ١٢٢، ١٢٥
 ١٤٤، ١٦٠، ١٦٥، ١٦٦، ١٩٩، ٢٠٧
 ٢٠٨، ٢١٥، ٢٢٠، ٢٤٧، ٣٣٥
 المكين الأسير ٦٨، ٣٣٣
 منجك نائب الشام ١٩٢
 منجك اليوسفى ١٦٥
 المنصور أبو بكر بن الناصر محمد بن قلاوون ١٤٧
 المنصور على بن الأشرف شعبان ١٩٣
 مهران (مسيو) ٢١٤
 موسى جود بجى مرزا ٢٠٠، ٢٠١
 موسى بن عيسى ٢٤، ٢٥
 مهذب الدين المعروف بابن أبى حليقة ١١٦

محمد بن قلاوون (الناصر) ١٨، ٥٦، ١١٦، ١١٧
 ١١٩، ١٢٢، ١٢٥، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٦
 ١٣٩، ١٤٠، ١٤٣، ١٤٧، ١٥٢، ١٦٦
 ١٧٩، ٢٢٩، ٢٥٦
 محمد كنداست حفظان ٣١٨، ٣١٩
 محمد ماميه ٣٤٠
 محمد بن محمد القلوي ٢٢٧
 محمد مسعود بك ٣٤١
 محمد بن موسى كاتب السر ٢٠٢
 محمد نافع ٣٥٠
 محمد بن هارون الصدى ٢٠١
 محمد بن رداغة السنارى ٦٠
 محمود خان (السلطان) ٣٥٠
 محمود (السلطان) ٣٧٧
 محمود باشا أحمد ٢٨، ٢٩، ٣٦، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٢٠
 ٣٨٠، ٣٨١
 محمود باشا الفلكى ٣٣٤
 محمود باشا والى مصر ٢٩٥
 محمود البيلوى (السيد) ٨٧
 محمود بن حسن النيشى ٣٥٦
 محمود شاه اليزدى (الخواجا) ٢٠٧
 محمود عكرش بك ٢٩
 مختار باشا التازى ٦٢
 مختص (الطواشى) ٢٨٧
 مراد بك ٢٦، ٣١
 مراد الثالث بن سليم الثانى ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٦، ٢٠٧
 مرتضى الزبيدى (السيد) ٣٥٢
 مرحبا بنت إبراهيم ١٩٩
 مرقس ميكة باشا ٢٦٧
 مروان بن محمد ١٢
 المستعلى بالله ٧١
 المستعين بالله ٣٢



الوريثاني (الحسين بن محمد) ١٧٦ ، ١٦٦
الوليد بن عبد الملك ٢٤ ، ١٨
الوليد بن عتبة ٧٧

(ى)

اليافى (محمد بن عبد الله بن أسعد) ٣٦٦
ياقوت الحموى (الامام شهاب الدين أبي عبد الله) ٣٢٢ ، ٣٣٥
ياقوت .ولى أبي طالب الهيتى ٣٤١
يحيى الأنصارى ٣٦٣
يحيى (زين الدين) ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٢٤٠ ، ٢٤١
يزيد بن معاوية ٧٨ ، ٧٧
يشبك بن عبد الله ٢٢٧ ، ٢٣٥
يشبك من مهدى ١٠٢ ، ٧٤ ، ١٩٩ ، ٢١١ ، ٢٥٨
٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٨١
يعقوب (المنسك باقه) ٢٨٧
اليقوبى (أحمد بن أبي يعقوب بن واضح) ٩٥
يلينا الخاصكى ١٦٦ ، ١٦٥
يلينا الكبير ١٩٢
يلينا الجبارى ١٦٦
يوسف بك طاهر ٣٥٨ ، ٣٥٩
يوسف بوشنا ٣٧٨
يوسف ضيا أفندى المهندس ٣٨٠
يوسف بن عمر ٩٤ ، ٩٥
يوسف المعروف بتابع السعدى ٣١٢
يوسف هكاكان ٣٧٨
يوسيفوس ٣٣١
يونس بن عبد الأعلى ١٠٦
يوزاقيم ٣٣١ ، ٣٣٢

المهذب بن الزبير ٩٧
الموفق بن عثمان ٣١٦
مؤنسة القطبية ١١٤

(ن)

ناصر خسرو ٢٦ ، ٧٠
ناصر الدين أبو العباس المنبر ٦٨
نجم الدين (الصالح) ١١٩ ، ١٤٤
نجم الدين الخبوشانى ١٠٧ ، ١٠٨
نجم الدين محمد بن حسين الأسعدى ٥٤
النشور (عبد الوهاب) ١٤٩
نهار المغربى ٣٤١
نوح أفندى مصطفى ٣١٦
نور الدين على بن القتيش ٢٧٦ ، ٢٧٧
نور الدين على المناوى ٢٣٨
نيازى بك ١٤٤ ، ٢٦٠

(هـ)

هارون الرشيد ٢٤ ، ٥٧
هبة الله بن المحسن ٣٤٠
هدايت (القبطان) ٣٨٠
هرتس باشا ٣٦ ، ٣٧ ، ١٢٠ ، ١٥٣ ، ١٦٧ ، ١٧١ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٨١ ، ٢٧١
هشام بن عبد الملك ٩٤ ، ٩٥
هشام بن محمد ٩٥

(و)

الوافدى (محمد بن عمر بن واقد) ٩٥ ، ٣٣٢
والدة مصطفى باشا فاضل (القت هانم) ١٤٤
وجيه الدين عبد الوهاب البهنسى ٣١٦

فهرس الأماكن

(١)

باب سادة ٣٢٣، ٣١٨
باب الشجرة بالاسكندرية ٣٣٥
باب السلسلة ١٧٥
باب العزب ١٥
باب الفتوح ١٢، ٦٥، ٧٢
باب القرايس بدمشق ٧٩
باب القرافة ١٥، ٣٤٤
باب القلة بقلمة الجبل ١٣٦
باب الوزير ١٤٧
باب النصر ٣١، ٦٥، ٧٢
بابل ٣٣١
البحر الأبيض بالسودان ٢٦٧
برج الظفر ٩٩
برقة ٣٣
بركة من قري بخاري ١٣٩
بركة الجب ٢٢٩
بركة الحبش ١١٠، ١٨٠
بركة الفيل ١٤٤، ٣٥٧
بركة الناصرية ٢٩٥
بستان إبراهيم باشا بالروضة ٢٧٣
بستان نحارويد ١٥
بستان المختار وقصره ٢٧٣
البصرة ١١
بغداد ٣٢، ١٠٦، ٣٠٦
البقيع ٧٨
بلجيكا ٣٦٩
بني سويف ٣٦٩
بوهيميا ٣٦٥
بيت الذهب ١٦
بيلان ٣٧٧

(ب)

الآستانة ٢٠، ١٤٥
آمد ٢٢٩
إدارة حفظ الآثار العربية ١٥٩، ١٦٤، ٢٢٢
٢٢٣، ٢٣١، ٢٣٣، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٤٠
٢٤٢، ٢٤٧، ٢٥٧، ٢٦٦، ٣١٤، ٣٨٧
ادفينا ٧٢
استامبول ٢٠، ٣٠٢، ٣٠٧
الإسكندرية ١٣، ٢٣، ٣٢، ١٢٩، ١٤٣، ١٥٦
١٩٣، ٢٦١، ٢٩٥، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩
٣٣١، ٣٣٣، ٣٧٧، ٣٨١
إسنا ٦٤
أسوان ٣٢، ٢٥٨
أسيوط ٣٢
ألمانيا ٣٦٩
الأندلس ٣٧، ٣٠٦
الأنقرشي ٣٣٤
الأهرام ٢٨٣
إيطاليا ٢٢، ٣٦٩
إيوان عبد الله المنوفى ١٨٧
الباب الأخضر ٨٤
باب البحر ٢٦١
باب الخرق ٢٦٧، ٣١٢، ٣١٤
باب الخوخة ٢٣٤
باب دمشق ٩٥
باب رشيد ٢٦١
باب زويلة ٦٥، ١٠٣، ١٠٥، ١٤٧، ٢٠٧، ٢١٣
باب سدره ٢٦١



الجامع الأنقر ٧٤
الجامع الأقصر ٦٩، ١٠٠، ١٣٧، ٣٣٦
الجامع الأبرى ٣٧، ٣٩، ٢٠٧
جامع بشاك ١٤٣
الجامع الجبوشى ٦٨
جامع الحاكم ٣١، ٣٥، ٤٩، ٥٠، ٥٢، ٧١
١٠٠، ١٣١، ١٨٧، ٢٠٠، ٢١١
جامع الخلوئية ٣٤٣
جامع راشد ١٢، ٧١، ١٤٨
جامع الزيتونة ٥١
جامع زين العابدين ١٥، ٩٤
جامع سمن رأى ٣٤
جامع سنجر الجاول بغزة ١٢٥
جامع سنجر الجاول بالليل ١٢٥
جامع سوسة ٣٤، ٥١
جامع شيخو ١٥٦
جامع الصالح طلائع ٩٧، ١٠٥، ١٤٧، ٢٥٨
جامع الصوارى خارج باب سدرة ٢٦١
جامع ابن طولون ١٢، ٣١، ٣٧، ٦٥، ١١٣،
١٢٨، ١٥١، ١٥٧، ١٦٠، ١٦١
جامع الظاهر ببرس البندقادى ٩٩، ١١٠، ٢٠٠
٢٢٥، ٣٤٨
الجامع الظاهرى بالمنشاة ٢٧
الجامع العتيق بإسنا ٦٤
جامع العزيز (الحاكم) ١٢
جامع العسكر ١٢
جامع الصلية بالإسكندرية ٣٣٥
جامع العطارين بالإسكندرية ٦٥، ٦٨
جامع عمر ١٢، ١٣، ١٥، ٢٣، ٣١، ٣٧، ٤٧
٩٢، ٣٣٦
الجامع المعرى = الجامع العتيق بإسنا
جامع القاكهاني، القاكهين ٧٤، ٢٥٨
جامع الفتح الملكى ٣٠٩، ٣٧٢

بجاستان ابن طولون ١٥، ٣٤
البيارستان المزدى ٢٠٧
بيارستان الجاول ١٢٥
البيارستان المنصرى ٩٨، ١١٥، ١٢٢، ١٨٨
بيارستان نور الدين الشهيد بدمشق ١١٤

(ت)

تاج الجوامع = جامع عمر
تاج المدارس = المدرسة الصلاحية
تبريز ١٤١
تحت الربيع ٢٤٧
تربة إسماعيل بن نعلب ٩٩
تربة أولاد ابن عبد الحكم ١٠٦
تربة برسبى بالصحراء ٢٢١
تربة برقوق بالصحراء ٣٠١
تربة ببرس الجاشكبر بالقرافة الصغرى ١٣٢
تربة الجاول ١٤٣
تربة الفارس أقطاي ١٢٢
تربة القاضي عبد الباسط بالقرافة ٢٠٢
تربة قحاس خارج باب رشيد ٢٦١
تربة يونس الدوادار ١٩٣
تركييا ٣٦٩
تكية السلطان محمود ٢٠، ٣٥٠
تكية سليمان باشا ٢٠، ٣١٧
تكية المنرد ١٢٧، ١٨٢
تنيس ٦٩
تونس ٥١، ٣٠٣

(ج)

جامع آق سقر ١٥٢
جامع أزيك بالأزبكية ٨٦
الجامع الأزهر ١٢، ٣١، ٤٨، ٦٩، ١٠٠
١١٥، ١٣٧، ١٤٩، ١٥١، ١٨٧، ٢٤٣
٢٨٦، ٣٤٥، ٣٤٩

(خ)

- خان الخليل ٢٨٦، ٣٦٠
 خان الزراكنة ٣٥٣
 خان بقماس ٢٦١
 الخانقاه ٢٢٩
 خانقاه أم أنوك ١٨٧
 خانقاه برسباي (الأشرف) ٢٢١، ٢٢٥
 خانقاه برفوق ٢٢٥
 خانقاه بشتاك ١٤٣
 خانقاه بكندر ٩٢، ٢٩٤
 الخانقاه البندقدارية ١٢٧
 خانقاه بجرس الجاشنكير ١١٦، ١٣١، ١٦٢، ١٩٦
 الخانقاه الجاولية ١٢٤
 خانقاه غوند سمر ١٦٣، ١٨٧
 الخانقاه الشيخونية ١٥٦، ١٥٧، ٢٦٨
 خانقاه فرج بن برفوق ٧٢، ١١٣، ١٥٩، ١٨٤
 ١٨٧، ٢٢٥، ٢٢٦
 خانقاه قوصون بالقرافة ١٣٩
 خانقاه الناصر محمد بن قلاوون بسراي قوس ٢٢٩، ٢٣٠
 نراسان ٨٠، ١٠٦
 الخزائن الزكية ٧٥، ٣٠٨
 خزائن السلاح بدشق ٧٩
 خزائن شائل ٢٠٨
 خزائن السلاح بالاسكندرية ١٩٣
 خطط باب الوزير ١٤٧
 خطط التبانة ١٤٧
 خطط الدرب الأحمر ١٤٧
 خطط جامع السارداني ١٤٧
 خطط سوق الغنم ١٤٧
 خليج الإسكندرية ٢٢١، ٢٠٣
 الخليج المصري ١٠٠، ٣١٤

جامع القاهرة = جامع الأزهر

- جامع القرافة المعروف بجامع الأولياء ١٢
 جامع قرطبة ٣٧
 جامع قوصون ١٢٧، ١٣٩
 الجامع الكبير بسوسة ٥١
 الجامع المؤيدى = مسجد المؤيد شيخ
 جامع القفس ١٢، ٥٠
 جامع القفى ٢٧٤
 جامع القباس ٦٥، ٢٧٣
 جامع ول العهد أمير المؤمنين ٧١
 جبل جوشن ٧٩
 جبل المقطم ٢٤٣
 جبل يشكر ٤٤
 جزيرة الرضة ٢٧٣
 جزيرة الصناعة ٢٧٣
 جزيرة القسقاط ٢٧٣

(ح)

- حارة برجوان ٢٢٨، ٣٦٠
 حارة الروم الجوانية ١٣١
 الحجاز ٩٣، ٣٠٦
 الحرم المدني ١٩٣، ٢٥٦
 الحرم المكي ١٩٣، ٢٥٦
 الحسينية ٢٦٩
 حصن أحمد بن طولون ٣٤، ٢٧٣
 حصن جزيرة الرضة ٣٤
 حلب ١٤٨، ٢٨١، ٢٨٦، ٣٠٦، ٣٧٧
 حمام بشتاك ١٤٣
 حمام المؤيد ٢٠٧
 حاة ١٢٤، ٣٧٧
 حصص ١١٤، ٣٧٧

(د)

دار الآثار المريسة ١٧، ٢٥، ٤٥٠، ٤٨٨، ١٠٠
١٠٨، ١٢٢، ١٤٠، ١٤٢، ١٥١، ١٥٥
١٥٧، ١٦٢، ١٧٣، ١٨٧، ٢٠٦، ٢١٦
٣٠٨، ٣٢٨، ٣٤٠، ٣٥٥، ٣٥٩، ٣٧٨

دار آقوش نملة ١٣٩

دار إبراهيم بك ذى الفقار ٣٢٠

دار الامارة ١٥، ٣٩

دار الامارة بمر ٧٩

دار التفاح ٢٤٧

دار جمال الدين قتال السباع ١٣٩

دار الحكمة ١٢

دار الخلافة ينفاد ١٣٢، ١٣٣

دار السلطان حسن بقلعة الكيش ١٦٥

دار سنجر الجاول ١٣٠

دار الصناعة بالروسة ٢٧٣

دار الضرب ٦٩، ٣٧٨

الدار الطولونية بالمسكر ١٦

دار العلم ٥٠

دار عمرو بن العاص ٢٣

الدار القطية ١١٤

دار الكتب المصرية ١٤٥، ٢٥٥

دار الوزارة الكبرى ١٣١، ١٣٢

دار يثنا الجاوى ١٦٦

درب الفواخير ٣١٢، ٠٠

درب ملوخية ٩٢

دمشق ٣٧، ٦٤، ٧٨، ٨٠، ١٥٦، ٢٠٢

٣١٥، ٣٠٦، ٢٥٦

ديباط ١٣١

ديوان الأرفاف ٩٢

ديوان الأرفاف النصوصية الملكية ٢٤٦

(ر)

رباط الآثار ٩١، ٩٢

رباط أبى طالب ٢٣٤

رباط أحمد بن سليمان ١٩

رباط بنحاس ٢٦١

ربيع شينر ٣٥٩

رشيد ٧٢، ١١٣، ٢٦٣، ٢٢٩

الرصاة ٢٧٢

الرها ٢٥٨

رواق الأتراك بالأزهر ٥٩، ٢٢٣

رواق الجمار ٣٢٣

رواق السليمانية ٥٩، ٢٢٣

(ز)

زاوية أبى السمود أبى العثائر ١٣٢

زاوية الإمام الشافعى ٣٠

زاوية البرزخ ١٩٣

الزارية البيضاء ٣٦٣

الزارية الساحية ٣٠

زاوية العيان ٥٩

زاوية فرج بن بريق ٩٧، ٢٢٢

الزارية الكالية ٣٠

الزارية المجدية ٣٠

(س)

ساقية أبى شعرة ٢٩٩

سبيل أم حسين بك ٢١٧

سبيل السلطان مطلق ٢٠

سبيل شينر ١٥٦

سبيل جده الرحمن كنتشا ٣١٤

سبيل الناصر محمد ١٣٧، ٣١٧

سبيل والده فاضل باشا ١٤٦

سمرن رأى ٣٢، ٤٣

سكة الخرقةش ٢٠٢

سحاس سرىاقوس ٢٢٩

سنود ١٢٧

سنيار ١٩٢



- شارع الخليفة ٣٥٠
 » الدرب الأحمر ١٤٧، ١٤٣، ١٤٨، ٢١٨
 » السبع والضيق ٣٥٠
 » السكة الجديدة ٨٦
 » سوق السلاح ١٨٨، ٣٦٣
 » السيدة عائشة ٣٤٤
 » الشحرافى البراقى ٢٩٩
 » شينون ١٥٦، ١٥
 » الباسية ٢٦٩
 » فؤاد الأول ٢٧٦
 » قصر النيل ٣٢٣
 » القبودية ٣٢٠
 » محمد على ١٣٩، ١٤٠، ٣٠٦، ٣١٢
 » مراسينا ١٥، ١٢٤
 * * *
 » مسجد البسات ٢١٥
 » المنزلين الله (الأعرفية) ٢٢١
 » المنزلين الله (بين القصرين) ١٩٢
 » المنزلين الله (السكرية) ٢٠٧
 » المنزلين الله (العقادين) ٧٤
 » المنزلين الله (الغورية) ٢٨٦
 » المنزلين الله (النحاسين) ٦٩، ٧٤، ١١٤
 » المغربلين ٢١٨
 » الميدان بالإسكندرية ٣٢٧
 » النبي دانيال بالإسكندرية ٣٣١
 الشاطي ٣٣٤
 الشام ١١، ٣٣، ٨٠، ٩٣، ٩٥، ١٠٦، ١٢٤، ٢٠٧، ٢٥٥، ٣٥٢
 شق النيران ٣٤٢
 (ص)
 صحراء قايماى ٢٢٥، ٢٥٠
 صفين ٢١٥
 صقلية ٢٢
 صهيون ٢٨١

- سوردمهور ١٩٢
 سور القاهرة ٦٥
 سوريا ٣٥١
 السوس بخوزستان ٢٣٢، ٢٣٣
 سوق البسطين ١٤٧
 سوق الخليل ١٦٦
 سوق المطارين بإسكندرية ٦٧
 سوق المنبرين ٢٢٤
 سوق الفزل ٣٠
 السوما ٢٤١

(ش)

- شارع أحمد بابا ماهر ٢٤٧
 » الأزهر ٢٣٤، ٢٨٦
 » الامام الشافعى ١٦
 » الامام القيث ١٩٨
 » أمير الجيوش ٣٦٠
 » باب الوزير ١٥٢، ١٨٢
 » بركة اقول ٣٥٧
 » البرموني ٢٤٢
 » بين القصرين ١١٤، ١٤٣، ١٩٢
 » اليرى ٣٤٨، ٣٥٠
 » النباة ١٤٧
 » الجامع الأحمر ٣٦٠
 » جامع الثانية ٣٢
 » جامع عابدين ٣٧٢
 » جامع المطارين ٦٧
 » الجمالية ٣١٠، ٣٦٠
 » الحباية ٢٤١
 » الحلية ١٣٦
 » الخضيرى ١٥٠، ١٦٠
 » الخليج المصرى ٣٤٢

(ض)

- ضريح ابىبكتد ٢٢٦
» سدى محمد الأقر ٢٢٦
» عبد الله بن عمرو ٢٠ ٢٢٦

(ط)

- الطائف ٢١ ٢٥٦
طرابلس ١٥٦ ٢٠٧ ٢٢١
طروس ٢٨٦
الطف ٧٨

(ع)

- العباسة ١٢٢ ٢٦٩
الوراق ١٢ ١٠٦
عرب اليار ١٥
عقلان ٦٤ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢
السكر ١٢
سكا ٦٤ ٣٥٢ ٢٧٧
العلقة ٢٧٢
عمود السوارى ٣٣٥ ٣٢٦
عين زبدة ٥٧

(غ)

- غزة ١٠٦ ١٢٤ ١٢٥ ١٣١ ١٥٢

(ف)

- فاس ٢٢٩
القرات ٩٥٠
القسلاط ١٥ ٢٦ ٢٢٣ ٤٤٧ ٤٤٨ ٢٧٣
فندق خان الزكاة ١٩٣
فنبسيا ٣٠٦

(ق)

- قاعة الماس ١٣٨ ٢٥٨
قاعة ست الملك ١١٤
القاهرة ٧٦ ٨١ ٨٢

- قبر أبى القبض ذى النون المصرى ٣١٥
قبر الاسكندر ٢٣٤ ٢٣٥ ٢٢٦
قبر الإمام الشافى ١٣ ١٠٧
قبر أولاد ابن عبد الحكيم ١١١
قبر الحسين بن على بالمدينة ٧٩
قبر الحكيم لقمان ٢٢٧

- قبر الشيخ أحمد بن الشيخ عبد الامام راوية عقبة بن عامر ٣١٦
قبر شهاب الدين ابن أبى جملة ورلد ٣١٧
قبر عبد الرحمن بن عبد الملك الشافى وابنه ٣١٧
قبر عثمان الزبلى ٣١٥

- قبر عمرو بن العاص ٢٣ ٣١٦

- قبر فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ٨٠
قبر وبعبه الدين عبد الوهاب الهنسى قاضى القضاة ٣١٦
قبة الأعرف خليل ١١٨
قبة أصل السلحدار ٣١٧
قبة أم أنوك ٣١٧

- قبة الامام الشافى ١٠٦ ١٥٨ ٢٤٢ ٢٨٦
قبة بدر الجمال ٥١ ٦٥
قبة تنكرنا ١٥٥

- قبة جامع الظاهر ببيرس البتقدارى ١١٠
قبة جانيك الأشرى ٢١٨

- قبة حسام الدين طرناى ٢٢٣

- قبة الخلفاء العباسيين ٢١١
قبة زين الدين يوسف ١٢٧

- قبة السلطان حسن ١١٠

- قبة سليمان أغا ٣١٧

- قبة شير الدر ٢٧

- قبة الشيخ سمود ٣١٧

- قبة الشيخ عبد الله المنوفى ٢٥٠

- قبة الشيخ يونس ٦٥

- قبة الصالح نجم الدين ٣٧ ١٩٥

- قبة الصخرة ٣٧ ١١٨

- قبة طشتر حصن أخضر ٣١٧

- قبة طومانباى ٣٠١

القصر الفاطمي الصغير ١٢٢ ، ١١٤ ، ٩٨
 القصر الفاطمي الكبير ٤٧
 قصر القبة العامر ٢٥٨
 قصر قوصون ٢٥٩ ، ٢٥٨ ، ١٣٩ ، ١٣٧
 القصر الملكي ٣٦٤
 قصر المودج ٢٧٣ ، ٦٩
 قصر بلبن الجباري ١٦٦
 القضايع ١٤٧ ، ٤٨ ، ٣٤ ، ١٥
 قطيا ٢١٥
 قلعة الجبل (صلاح الدين) ١٣٦ ، ١٣١ ، ١١٥
 ١٤٧ ، ١٦٧ ، ١٧٤ ، ٢٢٩ ، ٢٨٦ ، ٢٩٥
 ٣٧٨
 قلعة الصالح نجم الدين بالروضة ٢٧٥ ، ٢٧٣ ، ١١٥ ، ٩٩
 قلعة القبة ٢٨٦
 قلعة تايباي بالاسكندرية ورشيد ٢٨٦ ، ٣٦١ ، ٢٥١ ، ٩٩
 قلعة الكيش ١٣٠ ، ١٢٥
 قلعة شدة ٢٩٩ ، ١٩٨
 قلوب ١٣١
 قناطر ابن طولون ١٥
 قناطر أبي منجا ١٦٠
 قنطرة الخرق ٢٤٧
 قناطر المياه ٢٨٦
 قنطرة سنقر ٣٤٢
 قها ٢٠٨
 قولة ٣٨٨ ، ٣٧٦
 قونية ٣٧٧ ، ٣٧٦
 قيسارية أم السلطان ١٨٣
 قيسارية سنقر الأشقر ٢٠٨
 (ك)
 كربلا ٧٩ ، ٧٨
 كزوف ٣٠٦
 الكرك ١٣١
 كنيسة سان مارك ٣٣٦
 كنيسة القديسة هيلانة ٣٨٣

قبة ابن غراب ٣١٧
 قبة النوري ٣١٧ ، ٩٢
 قبة القدارية ٣٦٩ ، ٢٥٩
 قبة فائضه أبي سعيد ٢٧٧
 قبة قابباي ٢٥٧
 قبة بنحاس الاصماني ٢٧٧
 قبة فلاورن (المصورية) ١٢٨ ، ١١٥ ، ٧٢
 قبة محمد الأنور ٣٤٧
 قبة محمد بن فلاورن (الناصر) ٣١٧ ، ١٦٩
 قبة يشك من مهدى ٢٥٨
 قبة يونس الدرادار ١٦٣
 قباب تكية السليمانية ٣١٧
 قبرص ٢٢٩ ، ٢٢٢ ، ٢٢١
 القدس ٣٠٦ ، ٢٥٦ ، ١١٨ ، ٣٧
 القدوموس ٢٧٢
 قراة الامام الشافعي ٣١٥
 القراة الشرقية ٢٢٥
 القراة الصغرى ١٩٩ ، ١٩٨ ، ١٠٦ ، ٣٣
 قرطبة ٩٣
 القسطنطينية ٢٥٦
 قصر بشاك ١٤٣ ، ١٣٧ ، ٧٠
 قصر تنكر نائب الشام ٢٠٢
 قصر الجوهرة ٣٨٨
 قصر حسن باشا المنسترلي ٢٧٣
 قصر الزمرد ٨٣
 قصر الحمراء ٢١٩ ، ١٢٣
 قصر الصالح نجم الدين ٢٧٣
 قصر ابن طولون ١٥
 قصر عابدين ٣٧٢ ، ٩٢
 القصر العالي ٣٦٣
 قصر عباس الأول ٢٠٢ (وفي الحجج القديمة) قصر عبد الحليم باشا
 ابن محمد علي باشا
 قصر النوري بالروضة ٢٧٣

الكهف ٢٧٢

الكوفة ١١ ، ٧٨ ، ٩٤ ، ٩٥

كوم الدياس ٢٤١ ، ٣٢٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥

(ل)

لجنة حفظ الآثار العربية ٣٩ ، ٤٥ ، ٧٣ ، ٧٤

٨٨ ، ١٠٣ ، ١٠٨ ، ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٣٠

١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٥١ ، ١٨١ ، ١٩١

١٩٥ ، ١٩٧ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٢٠ ، ٢٢٤

٢٧١ ، ٢٧٨ ، ٢٩٨ ، ٢٩٣ ، ٢٩٨ ، ٣١١

٣٤٧ ، ٣٧٢

(م)

ماردين ١٩٢

المنحف البربطاني ٢٦٧

متحف سوان بلوندره ٣٧

المنحف القبطي ٢٦٧

المدية ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ١٩٨

المحلة الكبرى ٦٥ ، ١٢٧

♦♦

المدرسة الايقاوية ٣٧ ، ٥٧ ، ١٥١

مدرسة آق سقر الفارقاتي ٣١٨

مدرسة ابن الزين بشاطي بولاق ٢٥٧

مدرسة أبي بكر مزهر « الزهرية » ٢٢٨ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤

مدرسة أبي الحسن بمكاسة ٥٧

مدرسة الأشرف برسباي ١٩٦ ، ٢٢١

مدرسة الأشرف شعبان بالصوة ١٨٣

مدرسة الجاهي اليوسفي ١٦٣ ، ١٨٨

مدرسة أم السلطان شعبان ١٥٥ ، ١٨٢

مدرسة أليك الصالحى بإسنا ٦٤

مدرسة اينال اليوسفي الأتابكي ١٣٧ ، ١٨٤

المدرسة الإسطية ٢٠٢

المدرسة الجوهريه ٥٨ ، ١٩٦

مدرسة السلطان حسن ١٦٥ ، ١٨٨ ، ١٩٤ ، ٢٠٨

٢٢٢ ، ٣٦٦

مدرسة سودون بن عبد الرحمن ٢٣٠

المدرسة السبويه ١٣ ، ٣٠١

مدرسة مرغنمش ١٦٠

مدرسة صلاح الدين بالاسكندرية ١٣

المدرسة الصلاحية ١٣ ، ٩٩ ، ١٠٧ ، ١٠٨

المدرسة الطيريه ٢٧ ، ٥٦ ، ١٩٥ ، ٢٤٨

مدرسة الظاهر برقوق ١٨٤ ، ١٩٢ ، ٢٢٤

مدرسة عبد القادر الأزمكي ٣٠٠ ، ٣٠١

مدرسة النوري بالقورية ٢٢٣ ، ٢٨٩

المدرسة الفارقانية ٣١٨

المدرسة الفخرية القديمة ٢٤٢

المدرسة الفخرية (مسجد البنات) ٢١٥

المدرسة الفاصدية ٥٨ ، ١٥٨

مدرسة الفاضل ٩٢

مدرسة قايتباي بالقراة ٢٤٩ ، ٢٥٠

مدرسة الخماس بالنام ٢٦١

مدرسة قلاوون ٣٧ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ١١٤ ، ١٣٧ ، ١٣٨

١٦٢

المدرسة القمعية ١٣

المدرسة الكاملية ١٤٣

مدرسة المشد ١٣ ، ٨٣

مدرسة المهدي سخانة ٣٧٨

المدرسة الناصرية ١٣

مدرسة النبي دانيال بالموصل ٣٣٤

مدفن أسرة محمد علي باشا ١١٢ ، ٣٣١

مدفن قلاوون ٣٦

مرور ٧٩

♦♦

مسجد آل ملك ١٤٩

مسجد أبي السمود ١٦

مسجد أبي الغلا ٢٧٦

مسجد أحمد باشا المعروف بطوب قبر ٣١٠

مسجد أزبك اليوسفي ٥٦

مسجد أسنبغا البوبكري ١٨٩



مسجد زين الدين يحيى ببولاق ٢٣٨
 مسجد زين الدين يحيى بالحلانية ٢٤١
 المسجد الزينى ٩٢
 مسجد الست حدق ٣٧
 مسجد السلطان أحمد ٢٢٢، ٣٨٤، ٣٧٨
 مسجد السلطان حسن ٢٥٨، ٢٩٥، ٢٩٦، ٣٦٦
 مسجد سلطان شاه ٢٦٧
 مسجد سليمان باشا بالقلمة ٢٠، ٢٣، ٣٠٥، ٣٠٩
 ٣١٧، ٣٣٥، ٣٦٠، ٣٧٤
 مسجد سنان باشا ٢٠، ٣٠٢، ٣٠٩، ٣٢٩
 مسجد سنان باشا بالشام ٣٠٣
 مسجد الشعراوى ٢٩٩
 مسجد طلائع بن رزك ١٤٧، ٢٥٨
 مسجد وترية طلائع بن رزك بالقراة الكبرى ٩٧
 مسجد السيدة عائشة ٣٤٤
 مسجد عبد الباقي جوريجى ٣٢٧
 مسجد عبد الزقاق ٣٣٦
 مسجد عيان كنتخدا ٣٢٣
 مسجد العطارين ٦٧
 مسجد عقبة بن عامر بمصر ٣١٥
 مسجد عقبة بن نافع بالقيروان ٥١
 مسجد عمر بن القارض ٢٤٣
 مسجد القمري بالحلة الكبرى ٦٥
 مسجد القمري بمصر ٢٢٧
 مسجد القوزى ٢٧٧، ٢٨٦، ٢٨٤
 مسجد فاطمة أم خويده ٢٩٩، ٣٠٠
 مسجد فاطمة شقرا ٢٤٧
 مسجد الفاكهاني ٧٤، ٢٥٨
 مسجد فيروز الساني ٢١٨
 مسجد القاضي عبد الباسط بدمشق ٢٠٢
 مسجد القاضي عبد الباسط بنزة ٢٠٢
 مسجد قاني باى أمير اخور ٢٨١، ٢٩٥
 مسجد قاني باى أمير اخور الرماح بالناصرية ٢٨١، ٢٨٤
 مسجد قاني باى المحمدى ١٦٢
 مسجد قانيباى بالروضة ٢٧٣
 مسجد قانيباى بقلمة الكيش ٢٤٠

مسجد أصل السلحدار ١٩٤
 المسجد الأقصى ٢٧
 مسجد التى برنق ١٢٣
 مسجد الطنبا المناردانى ١٤٧
 مسجد المس ١٣٦، ٢٦٨
 مسجد الامام الليث ١١٢، ١٩٨، ٢٨٦
 مسجد أم السلطان شعبان ٢٦٨
 المسجد الأموى ٧٩
 مسجد أمير حسين ١٧٣
 مسجد ايتال الانابكي ١٣٧
 مسجد البردنى ٣١٣، ٣٧٢
 مسجد برسباى (الأشرف) ٢٢٩
 مسجد برقوق (الظاهر) ١٣٧
 مسجد بشاك ١٢٧، ١٣٧، ١٨٩
 مسجد البينات ٢١٥
 مسجد البوصيرى ٣٢٩
 مسجد بدمر البدرى ١٣٧
 مسجد البيوى ٢٤٨
 مسجد التقوى = مسجد قباء ١
 مسجد التنور ٣٤
 مسجد جاني بك ٢١٨
 مسجد الجاولى ١١٦
 مسجد الجمالى يوسف ٢١٨
 مسجد الحاج ابراهيم تربانة ٢٢٨
 مسجد الحاكم بأمر الله ١٤١
 مسجد الحبشلى ٣١٨
 مسجد حسن باشا طاهر ٣٥٧
 مسجد الخعلبرى ١٥٥
 مسجد النخيرة ٣٦٣
 مسجد ذى الفقار ٢٢٠
 مسجد رشيد الدين الهانى ٢٤٧
 مسجد الرناعى ٢٩٥، ٣٦٣
 مسجد زين الدين يحيى بالأزهر ٢٣٤



مشهد الرأس بمسقلان ٨١ ٦٥	مسجد قباء ١١
مشهد زيد بن علي بن زين العابدين ٩٤	مسجد بقراس خارج باب رشيد ٢٦١
مشهد السيدة سكينة ٣٤٥	مسجد القرويين بفاس ٣٢٩
مشهد السيدة عائشة ٣٤٥	مسجد قوصون ٥٦
مشهد السيدة نفيسة ٣٤٥ ٦٥	مسجد كاتم السر ٢٧١
مشهد المحسن بن الحسين ٩٥	مسجد كانور الزمام ٢١٨
المشمى ٢٧٣	مسجد كريم الدين الخلوق ٣٤٢
مصر ١١ ٢٠ ٣٢ ٤٧ ٦٤ ٨٠ ٨٢	مسجد كوزلينا = كريم الدين الخلوق ٠
٨٣ ٩٥ ١٠٦ ١١٤ ١٣٩ ١٩٨	مسجد المريد شيخ ٩٧ ١٦٩ ١٧١ ١٨٧
٢٠٢ ٣٠٢ ٣١٥	٢٠٧ ١٩٤
مصل ورسيل المريد بالقلعة ٢٠٧	مسجد المارطاني ١٠٢ ١٢٨
مصنع محمد علي باشا باستا ٦٤	مسجد محرس الخصى ٩٥
مصياف ٢٧٢	مسجد محمد بك أبي الذهب ٢٠ ٣٠٩ ٣٢٩ ٣٥١
مطوبس ٧٢	مسجد محمد علي باشا ٢٩٥ ٣٠٩ ٣٥٧ ٣٧٦
مقبرة باب البحر ٣٤٠	مسجد المحمودية ١٧٣ ٢٩٥
مقبرة الديماس ٣٤٠	مسجد المدينة ١١
مقبرة النبي دانيال ٣٢٦ ٣٣٧ ٣٤١	مسجد المطهر = المدرسة السيوفية ٠
مقبرة وطة ٣٤٠	مسجد المقياس ٢٠٧
مقياس الليل ١٥ ٣٤ ٤٣ ٩٢ ٢٧٣	مسجد الملكة صفية ٢٠ ٣٠٦ ٣٠٩
مكتبة أحمد زكي باشا ٣٠٨	مسجد المهتدار ١٨٨
مكتبة الجامع الأزهر ٦١	مسجد الناصر محمد بن قلاوون ١٤١
مكتبة الجامع الأنفر ٧٥	مسجد النبي دانيال ٣٢ ٣٣٤
مكتبة جامع شيخو ١٥٩	مسجد يوسف الحين ٣١٢
مكتبة القلعة ٢٠٨	+
مكتبة مدرسة السلطان حسن ١٧٤	مسجد آل طباطبا ١٦ ٣٥
مكتبة مدرسة قايتباي ٢٥٥	مشهد الجيوشي ٥١ ٦٥
مكتبة مدرسة السلطان شهبان ١٨٣	مشهد الحسين بحلب ٧٩
مكتبة مسجد محمد بك أبي الذهب ٣٥٢	مشهد الحسين بمسقلان ٧٩ ٨١ ٨٢
مكتبة مسجد المريد شيخ ٢٠٨	المشهد الحسيني بدمشق ٧٩
مكتبة مصطفى فاضل باشا ١٤٥	المشهد الحسيني بالقاهرة ٧٦ ٧٩ ٨٣ ٩٢ ١٠٥
مكة ٣١ ٧٧ ٧٨ ٢٤٣	٣٤٧ ٣٤٨
مكاشة الزيتون ٥٧	المشهد الحسيني بمرور ٧٩
مطبية ٢٨٦	المشهد الخليل ٨٢
منارات النوري ٢٨٤	مشهد دانيال ٣٣٣

ميدان باب زويلة ٩٧	منارة الحاكم ١٢٧ ، ٩٩
ميدان زين العابدين ٩٤	منارة مسجد الناصر محمد بالقاهرة ١٦٤ ، ١٤١ ، ١٢٣
ميدان السيدة زينب ١٢٤	منارة الاسكندرية ٣٢٥ ، ٣٤ ، ١٥
ميدان صلاح الدين ١٥٧ ، ١٦٥ ، ١٧٠ ، ٢٨١	منارة الامام الليث ٢٥٩
٣٦٣ ، ٢٩٥	منارة بيرس الجاشنكير ١٢٧
ميدان الظاهر ٣٤٨	منارة تنكوبغا ١٢٧
ميدان عمرو بن العاص ٢٣	منارة الجامع الطولوني ١٢٧
ميدان العيد ٢٥٠	منارة خاتقاه قوصون ١٤١
ميدان القبي ٢٥٠	منارة زاوية المنسود ١٢٧
(ن)	منارة الصالح نجم الدين ١٢٧
تريب ٣٧٧	منارة القمري بيت عمر ٢٨٤
النوبة ٣١٨ ، ١١٤	منارة قوصون ١٢٧
(هـ)	منارة مدرسة السلطان منس ٢٨٥ ، ١٦٨
هركة ٣٦٤	منارة مسجد تربة ٣٢٩
الهند ٢٥٦	منارة مسجد جان بلاط ٢٨٤
(و)	منارة مسجد الرماح بالناصرية ٢٨٤
واسط ٣٢	منارة مسجد العمري بالمنيا ٢٨٤
وجه قبل ٢٨٦	منارة مسجد قلاوون ١٥٨
الوردبان ٣٣٤	منارة مسجد منجك اليرسني ١٥٨ ، ١٢٧
ورشة البوخ يولاق ١٢٢	منارة يشبك من مهدى بالامام الليث ٢٤٠
وزارة الأوقاف ٧٥ ، ١٢٣ ، ٢٠٦ ، ٢٤٧ ، ٣٧٢	منزل مصطفى أفندي السادة ٢٨٨
وكالة جورجي بالاسكندرية ٣٣٠	منزل تقيسة الجاسوسة ٣٢٨
وكالة ذى الفقار ١٣١	منفوليا ٣٢
وكالة السلحدار بالجمالية ٣٦٠	المنيفة ٢٧٢
وكالة السلحدار بجان الخليل ٣٦٠	منية بنى خديب ٩٧
وكالة قوصون ١٣٩	منية حلقا ١٦٠
(ي)	الموصل ١٩٢
البحر ١٠٦ ، ٣٠٢	ميدان إبراهيم باشا ٣٢٣
بفسع ٩١	ميدان أحمد باشا ماهر (باب الخلق) ٣٢٢ ، ٣١٢
اليونان ٣٦٩	ميدان أحمد بن طولون ١٥ ، ٣٢
	ميدان الأزهر ٤٧ ، ٣٥١

شركة الأمل للطباعة والنشر
(مورافيتلي سابقاً)

ت: 23904096 - 23952496